

# عاش الشباب

من روائع الأدب الصيني

تأليف: وانغ مينغ  
ترجمة وتقديم: وحيد السعيد العيسى



المشروع القومي للترجمة

# عاش الشباب

(من روائع الأدب الصيني)

تأليف

وانغ مينغ

ترجمة وتقديم

وحيد السعيد عبد الحميد العيسى



٢٠٠٢



## المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٧٢

- عاش الشباب

- وانغ مينغ

- وحيد السعيد عبد الحميد العيسى

- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

هذه ترجمة عن اللغة الصينية لرواية :

### 青春万岁

人民文学出版社出版

(北京朝内大街166号)

新华书店北京发行所发行

北京新华印刷厂印刷

字数 226,000 开本 850×1168 毫米  $\frac{1}{32}$  印张  $10\frac{15}{16}$  插页 2

1979年5月北京第1版 1984年9月北京第1次印刷

书号 10019·2720

### حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأويرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House. El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

## مقدمة

ينتمى الأديب والكاتب الصينى الكبير " وانغ مينغ " إلى محافظة نانبي بمقاطعة خابى حيث كان يعيش أجداده ، لكنه ولد فى العاصمة بكين فى يوم الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٣٤ حيث كان يدرس والداه، وبعد مولده عاد فى صحبتها إلى موطنه الأصلي فى خابى حيث مكث ثلاث سنوات، ثم عادوا إلى بكين فى عام ١٩٣٧ بعد أحداث السابع من يوليو فى هذا العام (العدوان اليابانى)، ويقول وانغ مينغ فى مقالة " رحلتى مع الأدب " : إنه مازال يذكر هذه الرحلة التى قطعوها من نانبي إلى بكين على عربة " كارو" وكيف أنهم كانوا ينصبون الخيام عندما يحل المساء ليقضوا الليل تحتها ثم يواصلون الرحلة فى الصباح ، وكيف أنه كان يخاف من أصوات الحيوانات وعواء الذئاب فى الليل.

وفى عام ١٩٤٠ التحق وانغ مينغ - وهو فى السادسة من عمره - بإحدى المدارس الابتدائية التابعة لمدرسة المعلمين فى بكين، وفى عام ١٩٤٥ التحق أيضاً بإحدى المدارس الإعدادية فى بكين ، وهى معروفة الآن بالمدرسة المتوسطة رقم " ٤١ " ، فى ذلك العام بدأت مراحل استسلام الجيش اليابانى أمام مقاومة الشعب الصينى ، وبدأ وانغ مينغ منذ العام التالى - ١٩٤٦ - فى الاتصال بتنظيمات الشبيبة الشيوعية السرية فى عهد حكومة الكومينتانغ الفاشية ، وبدأت عيناه تتفتحان على أحوال المجتمع وراح يقرأ كل ما يقع تحت يديه من كتب عن الماركسية واللينينية ، وفى العاشر من أكتوبر ١٩٤٨ أصبح عضواً فى رابطة الشبيبة (إحدى التنظيمات السرية للحزب الشيوعى).

تحررت العاصمة بكين فى يناير ١٩٤٩ ، وفى شهر يوليو من نفس العام التحق بمدرسة الشبيبة المركزية، وبعد أن أتم دراسته بهذه المدرسة فى مايو ١٩٥٠ ، بدأ يعمل كعضو فى لجنة الشبيبة الديمقراطية الجديدة عن المنطقة الثالثة فى بكين ،

واستمر فى ذلك حتى تولى منصب نائب رئيس الرابطة فى عام ١٩٥٦ . وكان عمله فى هذه الفترة بمثابة فرصة عظيمة احتك فيها بالشباب الثورى وعرف تطلعاته وطموحاته فى المجتمع الجديد .

قضى وانغ مينغ وأسرتة الفترة من ١٩٦٣ - ١٩٧٩ فى منطقة شنجيانغ ذات الحكم الذاتى الواقعة فى شمال غربى الصين ، حتى يتسنى له البعد عن دائرة الصراع ضد اليمين البرجوازى من ناحية، وكى يعمل ويبدع ويواصل إنتاجه الأدبى من ناحية أخرى ، وكانت هذه الفترة من أغزر فترات إنتاجه الأدبى . وعاد بعد ذلك إلى بكين ، لكنه ظل يتردد على هذه المنطقة من حين لآخر للزيارة أو الكتابة .

وقد تعلم خلال هذه الفترة اللغة الويغورية التى يتحدث بها أبناء هذه المنطقة من قومية " الويغور " .

وفى أوائل الثمانينات ، ولدى عودته إلى بكين رأس وانغ مينغ تحرير مجلة " الآداب " ، ثم تولى بعد ذلك منصب نائب رئيس ثم رئيس اتحاد الكتاب فى الصين ، ثم كان منصب وزير الثقافة فى عام ١٩٨٦ ، ومن هوايات كاتبنا القراءة والسباحة وسماع الموسيقى وتعلم اللغات الأجنبية .

ورواية "عاش الشباب" هى باكورة الإنتاج الأدبى للأديب وانغ مينغ ، وقد شرع فى كتابتها عام ١٩٥٣ ، وكان آنذاك عضواً فى رابطة الشبيبة الشيوعية المناهضة لحزب الكومينتانغ، وكانت إرهابات العمل الوطنى فى البناء والتعمير آخذة فى التبلور، والمجتمع يشهد تحولاً كبيراً ، والآمال والطموحات التى تصاحب قيام الثورات والتحرر بدأت تراود الناس وتحرك مشاعرهم ، كل ذلك دفعه إلى كتابة هذه الرواية تعبيراً عن تلاحم جيل الشباب مع الثورة ومع التحرير ومع الحزب الشيوعى ، وتعبيراً عن أفكارهم واتجاهاتهم وروحهم الوطنية وآمالهم العريضة فى بناء الصين الجديدة .

وقد اختار الكاتب أحد فصول الصف الثانى بالمدرسة الثانوية السابعة للبنات موضوعاً لأحداث هذه الرواية، وتمكن قلمه الرشيق من سبر أغوار الحياة الطلابية خلال هذه الفترة بما تعكسه من آمال وطموحات وأحلام جميلة فى غد مشرق ، وفى



هذا السبيل عرض الكاتب للخطة الخمسية الأولى التي تضطلع البلاد بتنفيذها بما فيها من مشروعات وطنية عملاقة ، وما يدور حولها من حوارات ومناقشات. وأبرزت الرواية أيضاً روح الشباب البناءة الخلاقة ، ودوره فى بناء وطنه ، كما حثت على التمسك بروح الجماعة والصدق والإخلاص ، ونبذ الخلافات والكراهية والأحقاد ، ولم يفت كاتبنا أيضاً توضيح اختلاف الأساليب والمفاهيم والاتجاهات الفكرية وتباين الشخصيات والميول والطباع والرغبات فى مرحلة الشباب.

وبعد انتهاء وانغ مينغ من إبداع هذه الرواية تم نشرها على حلقات فى " جريدة بكين اليومية" وفى "صحيفة الأدب" ، غير أنها لم يكتب لها النشر فى كتاب إلا فى عام ١٩٧٩ ، عندما صدرت عن "دار أدب الشعب للطباعة والنشر" بعد حوالى ربع قرن من إبداعها بسبب صراع الكاتب ضد اليمين البراجوازى آنذاك.

ويمكن القول بإيجاز شديد إن رواية "عاش الشباب" هى إحدى الروايات الهامة التى واكبت قيام الصين الجديدة ، وعكست حياة المجتمع الصينى بما فيه من آلام وآمال وسلبيات وإيجابيات ، وتطلعات نحو غد مشرق جديد خلال تلك الحقبة من حياة الشعب الصينى.

**وحيد السعيد**



## مقدمة شعرية

يا كل أيامى . . . . أقبلى ، أقبلى يا كل أيامى ،  
دعيني أنسج منك أحلامى ،  
بخيوط الشباب الذهبية ،  
بكل خيوط السعادة ،  
أنسج منك أحلامى .  
الأغنيات والضحكات تنطلق من مركب صغير ،  
والرقص والمرح فى فناء المدرسة تحت ضوء القمر ،  
ونزهة خلوية تحت رذاذ المطر ،  
ومسيرة جماعية قمنا بها فى بواكير الصباح مع بداية سقوط الثلوج ،  
والمحاورات لا تزال ساخنة ، والقلوب راقصة دافئة . . . .  
هذه الأيام ، مرت مرور السحاب ، مليئة بالأحلام الوردية ،  
آمالنا تتوالى وتنتشر كحبات أمطار الربيع ،  
وقتنا بين أيدينا ، طاقتنا متفجرة ، عقيدتنا راسخة ،  
نقبل على الحياة ، ونشتاق إلى التحليق فى الأفق البعيد .  
عهد البساطة والبراءة ، أيام متعددة ألوانها ،  
العالم الرحب الفسيح ، يدعونا إلى دهشة عظيمة ،

يجعلنا فى فرح وسرور ، وعقولنا دائماً متفتحة  
دموعنا ، ضحكاتنا ، خلجات نفوسنا ، كلها لأول مرة .  
يا كل أيامى ، اذهبى يا كل أيامى ،  
أتطلع إلى المستقبل فى تفاؤل وسعادة ،  
الأعباء ثقيلة ، لكنى ذو عزيمة ،  
النضال مرير ، لكنى لن أتوقف ،  
يوم أنظف بندقيتى ، وأعد ذخيرتى ، ويجف عرقى ،  
يوم ذاك سوف أشتاق إليك ، أناديك ،  
وبكل فخر ، وبكل زهوٍ يا أيامى أركاك .

**وانغ مينغ**

(١)

" أيتها الفتيات ، الآن بدأت المياه تتفجر من عين السعادة " !

تقع تلك العين أمام الخيمة رقم ١٨ ، وحفرتها فتيات الصف الثانى بالمدرسة الثانوية السابعة للبنات ، وفى التاسعة صباحاً ، وبعد عودتهن من الجبل الذى تسلقنه لرؤية منظر الشروق البديع ، وقفت الفتيات غير مباليات بالتعب على شكل دائرة حول العين لإقامة حفل افتتاح " عين السعادة " .

أعلنت " يوان شن تشى " ذات الضفيرتين القصيرتين والقوام المشقوق هذا التصريح فى جدية وحزم لا يخلوان من الطُرف ، ثم أحنث ظهرها وراحت تنزع غطاء عين السعادة بمنتهى الدقة والحذر وسط استحسان وتصفيق الحاضرين ، واندفع الماء العذب بقوة إلى أعلى حتى بلل تنورتها الخضراء ، ثم ضعف الماء حتى لم يعد يرتفع فوق مستوى سطح الأرض سوى بوصة واحدة .

تزاحمت البنات حول العين وأخذت كل منهن كوباً من الماء ، رفعت " يوان شن تشى " كوب الماء بيدها عالياً كأنها إله الحرية الشامخ الذى يرفع الشعلة ، وقاومت الضحك وهى تقول لزميلاتهما فى حزم " فى صححتكن " ! وتصاعدت أصوات ارتطام الأكواب بعضها ببعض ، اشربت أعناقهن ورفعن الأكواب إلى شفاههن وأخذن يشربن ، ويا له من ماء بارد ، لاذع ، وله مذاق معجون الأسنان .

" حسناً ، بمقدورنا ألا نشترى مياه غازية من بائع المرطبات حتى يموت غيظاً ، هكذا قلن واحدة تلو الأخرى بينما كن يحركن ألسنتهن ليلقين بالحصى وحببات الرمال .

آنذاك أقبلت من بعيد خمس فتيات يعدن فى همة ونشاط وهن يرتدين " شورتات " وتتفخ صدورهن كبرياء وشموخاً بينما يقاومن آثار الإرهاق والتعب ، اقتربن وصاحت قائدتهن " تشوشيا ولينغ " قائلة :

"كيف لا ترحبن بنا عند قدومنا؟" واستطردت وهي تمسح قطرات العرق عن جبينها ، إنهن من فريق "طلائع الجواله الأحمر" انطلقن قبل أن تشرق شمس اليوم حتى يشاركن زميلاتهن حفل إيقاد شعله المعسكر.

" أهلاً ، أهلاً وسهلاً ، تفضلن ، اشربن من مياه عين السعادة!

واسقين كلاً منهن جرعة من ماء العين " .

قالت تشوشيا ولينغ وملاحح الأسي ترتسم على وجهها : " أماه ، أى سعادة تلك ؟ ! ثم سألت : " أين تشن بوا ؟ " .

"إنها فى اجتماع داخل المعسكر"

" أمها مريضة وخالتها تريدها أن تعود على وجه السرعة"

فليهدأ الجميع ، وتذهب " يوان شن تشى " للبحث عن " تشن بوا " .

أقامت الفتيات معسكرهن فى الخلاء وسط الطبيعة حيث أقمن ما يزيد على ثلاثين خيمة مصطفة فى شكل هندسى على شكل " محبرة "

صنعن باب المعسكر من أعواد البامبو وفروع الأشجار ، وثبتن أعلاه مجموعة من الرايات الملونة المزركشة يداعبها الريح فتفررف وتراقص ، وأسفل هذه الرايات كلمتان مكتوبتان بأوراق الصفصاف " معسكر السعادة " ، وإذا ما دلفت من باب المعسكر تراءى لك على الجانب الأيسر برج مراقبة مرتفع تقف فوقه " جندى حراسة " تمسك بيدها عصى وتراقب كل جنبات المعسكر المظلة على المزارع والطرق والبحيرات الصغيرة ، ولكنها أحياناً ما تسمح لنفسها بأن تصوب بصرها نحو السحب السابحة فى السماء أثناء نظرها إلى جبل بعيد فتبدو كثيفة تارة وخفيفة تارة أخرى ، أو تختلس نظرة إلى تلك الربوة العالية التى تتزاحم عندها الصخور والأحجار بينما تنساب من بينها مياه النهر فى قوة واندفاع .

وفى حوالى الرابعة من صباح كل يوم وقبل أن ينقشع الظلام تكون معظم الفتيات قد استيقظن وشعرن لفرط سعادتهن بعدم الرغبة فى النوم ، ولا تنبس

إحداهن ببنت شفة خشية أن تزعج الأخریات ، بل يرقدن جميعاً فى سكينة وهدوء فوق المراتب المحشوة بقش الأرز يصغين إلى أصوات صيحات ووقع أقدام الجنود الذين يتدربون فى معسكر الجيش المجاور لهن استعداداً للعرض العسكرى الذى سيقام بمناسبة العيد الوطنى للبلاد ، وأصوات عربات " الكارو " وأصوات مذياع تتهاذى من موقع عمل بعيد إلى أسماعهن على أجنحة الريح قوية تارة وضعيفة تارة أخرى ، حاملة بعض الأغنيات من الأوبرا المحلية مثل " زوج البنت الصغير " و " البنت الذكية ليوتشياو " <sup>(١)</sup> ويُسمعن أيضاً نداءات غير واضحة أو أصوات صفير القطارات فى بعض الأحيان .

إنه فى استطاعتهم - متى صحين فى بواكير الصباح وبينما ينطق كل ما حولهن بالسكون - أن يسمعن كل هذه الأصوات التى تمثل التناسق والاضطراب ، الوضوح والغموض ، التداخل والرتابة فى آن واحد إذا ما رقدن فى الخيمة ملتصقات بالأرض التى يعشقنها ، وهذا ما يجعلهن على يقين من عدم وجود موعد نوم موحد للناس جميعاً ، فبينما يكون بعض أفراد الشعب الكادح قد خلصوا من عناء العمل وراحوا يلتقطون أنفاسهم اللاهثة ، ويغمضون جفونهم الساهدة ، يكون البعض الآخر قد ارتدى ملابسه ، وعدل ياقة قميصه ونفض التراب عن حذائه وراح يستقبل الحياة ويؤدى دوره فيها بكل عز وكبرياء ، وهذا هو ناموس الحياة الصاخبة ، لا تلين لمستسلم ولا تخضع لمستضعف ولا راحة دون عناء ، ولا أفراح بلا أتراح .

أشرق الصباح وانبليج يوم جديد ، والفتيات يهتفن بأن كل يوم من أيام المعسكر هو عيد من أعياد الشباب ، كل ما حولنا اكتشاف جديد ، كل ما حولنا ملك لنا ، السماء الزرقاء غطاؤنا ، السحب الوردية تشاركنا فرحتنا ، الأرض على رحبها مرتع لنا ، الأنهار والبحيرات مسبحنا ، البلابل والعصافير تغرد معنا ولنا أنشودة الحب والسعادة . من الصباح وحتى المساء نمرح هنا وهناك فى نزهة خلوية ، ونصطاد طائر

(١) إحدى أغنيات الأوبرا ، وهى اسم فتاة .

اليعسوب ونصطاد السمك بالصنار، ونركب القوارب ، ونجمع الأعشاب والزهور البرية، ونصعد المرتفعات ونلقى نظرة على الأفق البعيد من حولنا ، ونمضى على هذا الحال حتى يغالبنا التعب . ما أكثر مباحج الحياة التي لم نشهدها من قبل ! وما أسرع مرور الوقت الذى لن يدعنا نشهدها كلها اليوم! وما لنا غير انتظار الغد ! وما أبعد ذلك الغد ، وما أبطأ قدومه !

وفى المساء ، وحرارة الجو لم تنخفض حداثها بعد ، تكون صفارة اليوم قد انطلقت حيث يقف البواق بجوار خزان المعسكر ويطلق نفير صفارته بقوة ، وينظر إلى النجوم المتناثرة فى صفحة السماء فينتفخ صدره ويحس بأهميته ومكانته ، وفى الوقت نفسه يشعر بالأسف لأن ضحكات الفتيات انقطعت واختفت فجأة بسبب نفير صفارته .

النجوم تعلو وتبتعد رويداً رويداً ، ولم يعد يخترق السكون سوى نقيق الضفادع .

هكذا كانت الحياة داخل المعسكر الذى أقيم لأول مرة فى صيف عام ١٩٥٢ ، حيث لم يكن قد مضى على قيام الصين الجديدة سوى ثلاث سنوات .

عادت " يوان شن تشى " ومعها " تشن بوا " التى أمسكت " تشوشيا ولينغ " بذراعها فى رفق وأخبرتها عن أحوال أمها . فقالت " تشن بوا " :

"ربما لا يدعو الأمر إلى الانزعاج ، فأمى عندها مرض قديم ، كثيراً ما يعاودها . ولكن إذا رجعت إلى المنزل فلن أتمكن من الاشتراك فى حفل إيقاد "شعلة المعسكر" وسأندم كثيراً على ذلك " .

ردت يانغ تشيانغ يون : " بل إنها فى حالة يرثى لها " ، وهى صديقة حميمة " لشن بوا " ، طويلة القامة وتبدو قوية مفتولة العضلات ، ولا تنطبق عليها مقاييس الجمال - مثل الحاجبين الطويلين، الأنف السنارى، والفم الصغير - ولكن



تشعر من وجهها الوضاح وبريق عينيها أنها تشع على كل من حولها، وتستطيع بتعبيرات وجهها وطلعتها البهية أن تأخذ بألباب الناظرين إليها .

وكانت عندما سمعت كلام " تشوشيا ولينغ " قد بدت وكأنها أكثر قلقاً واضطراباً من " تشن بوا " نفسها ، فضغطت بيدها اليمنى على خنصر يد « تشو » اليسرى وقالت لتشن بوا : " ما أشد تعاستنا وخيبة أملنا إذا لم تشاركينا الاحتفال بإيقاد " شعلة المعسكر " .

ردت تشن بوا : " ماذا يزعجكن من عدم وجودى؟ بل إن عدم وجودك أنت فيه ما يثير الحزن حقاً . ياه ، إننى لم أشرب بعد من مياه عين السعادة ، فلا أشرب ثم أعود " .

وشربت " تشن بوا " ، فأعادت جو الحيوية والمرح إلى صديقاتها . وقالت " يانغ تشيانغ يون " وهى تتنهد فى تأثر شديد " أصبحك حتى السيارة " أومأت " تشن بوا " فسبقتها " يانغ " فى خطى سريعة نحو المحطة .

\* \* \*

أحنت " تشوشيا ولينغ " رأسها لتدخل الخيمة رقم ١٨ وتبعثها بقية الفتيات . والخيمة تبدو خانقة ومظلمة وتنبعث منها رائحة الجاز رغم أن غطاءها قد رفع عنها ورغم أنها أكبر خيام المعسكر على الإطلاق ، وانتحت " شيا ولينغ " جانباً وجلست على الأرض فى ركن مكتظ بالزمزميات والحبال والفوط ، واتجهت بساقيها ناحية اليسار مرتكزة على يدها اليسرى وراحت تضرب يمينها بخفة على ساقيها المنهكتين من كثرة المسير .

" حجرة جميلة " قالت " شيا ولينغ " وهى تتحسس مرتبة القش المفروشة على الأرض، ثم أضافت : " ولكنها شديدة الحرارة " ، " لا بل إنها شديدة البرودة فى الصباح حيث يبلل الندى قماش الخيمة وتتساقط قطراته فتبلل شعرنا فيصير رطباً ندياً " .

لقد حملت لكن من مدرستنا خبراً مدهشاً! اشأبت إليها الأعناق والتفتت إليها الأنظار فاضطربت " شيا ولينغ " وقالت : " فى الحقيقة لا توجد أية أخبار ، فقط أردت أن استخدم كلمة "مدهش" فى جملة مفيدة .

أقبلت "يانغ تشيانغ يون" مسرعة وتعثرت فى الأقدام الممدودة فوق قش الأرز حتى كادت أن تقع وقالت : " ماذا دهاكن ؟ كيف تمكثن فى الخيمة فى وضح النهار . . . . "

قاطعتها أخرى : " صه . . . . . تشوشيا ولينغ عندها أخبار جديدة " .

" يقال " أكدت " شيا ولينغ " على هذه الكلمة فى محاولة للتهرب من المسئولية : " يقال إن المدرسة سوف توزع ميداليات حسب نتائج امتحانات الدور الأول .

" وماذا نجنى من وراء الحصول على ميدالية؟ " سألت " ووتشانغ فو " وهى تجلس منتصبة القامة مربعة الساقين ، ووجهها يبدو مكوراً يتكدس فيه حاجباها وعيناها وأنفها وفمها ككتلة سميئة من اللحم .

ردت لى تشون ساخرة : " تعفى من التذكرة عند ركوب الترامواى "

" تقرر فى اجتماع إدارة المدرسة أمس أن تكون الدراسة مكثفة وأكثر جدية فى الدور الدراسى الثانى " .

" يا للخسارة ، إننى لم أستذكر شيئاً خلال إجازة الصيف هذه ، وكنت قد وضعت خطة لمراجعة دروسى؟ لكنى ما إن بدأت اللعب حتى نسيته . . . . . "

" كفاك هراء ، لقد رأيتك أول أمس تراجعين دروس الجبر "

" لا تنس أننا سنكون فى " التوجيهية " العام القادم ، والمناهج كثيرة وصعبة ، علاوة على جدية المعاملة ، فماذا نحن فاعلات ؟ "

"أكيد ستفوزين بالميدالية....."

"أمتأكدة أنت؟"

"نخشى من امتحان الجبر....." قالت كل الفتيات.

"أمازلت تتحدثين عن نتيجة الامتحانات قالت " تشيانغ يون " وقد بدا أنها غير واثقة من الأخبار التي حملتها شيا ولينغ: " إننى لم أحضر نصف محاضرات الدور الأول حيث كنت أنسخ معلومات فى لجنة تقصى الحقائق وخفض النفقات . وكنت أخشى ألا أجتاز امتحانات آخر العام!" سألت يون شن تشى : " صحيح ، إننا لم نذاكر جيداً فى الدور الأول فما الداعى إذن لتوزيع ميداليات؟"

"كى تذاكرى جيداً فى الدور الثانى " أجابت " لى تشون " وكأن الكلمات تخرج من أنفها ، ثم استلقت على ظهرها وراحت ترسل بصرها من أحد ثقبوب الخيمة نحو الأفق البعيد.

سادت لحظات من السكون، بعضهن يتذكرن المواد التى لم يجبن فيها جيداً فى الامتحان، والبعض الآخر يتوقعن من ستحصل على ميدالية التفوق فى الدراسة ، بل ذهبن فى قلق لا داعى له إلى التفكير فى الترقى إلى الصف الثالث والدروس التى تتطلب مذاكرة وامتحانات التخرج وقبول الجامعة.....

"كفى ! " صاحت تشيانغ يون بصوت عال وهى تلوح بيدها " : ما الداعى للكلام فى مثل هذه الأمور ونحن فى معسكر وقد تركناها خلف ظهورنا؟. يجب ألا ندع الامتحانات والدراسة والميداليات تعكر صفو حياتنا، ومادمت تروحين هنا عن نفسك ليوم واحد ، لتنس كل شىء وتفرحى وتمرحى وتستمتعى لأقصى درجة ممكنة بكل لحظات السعادة والصفاء ، تماماً كما تستمتع بنت الذوات بشروات أهلها الطائفة....."

تحركت " ووتشانغ فو " بجسمها كما لو كانت قد أصابها " التتميل " وقالت وهى تشد أنفها الضخم المكور : " يا للخسارة " ، لقد أحبطتن معنوياتى

بحديثكن عن الدراسة! إنه لشيء رائع ، إذا أقمنا هنا معسكرًا دائمًا ، فلا امتحانات ولا أسئلة ، ولا نجاح ولا رسوب .

اعتدلت " لى تشون " فى جلستها ، ويدها تقبض على بعض أعواد قش الأرز، وأمالت رأسها الكبيرة ، ورفعت حاجبيها الكثين الطويلين ، وسرحت ببصرها من طرف عينيها وبدت كأنها تفكر فى اللاشئ ، لكن تبدو عليها علامات عدم الموافقة، ثم قالت وهى تحديق النظر فى " ووتشانغ فو: " لست على صواب ، أن نقيم هنا فى معسكر دائم أمر لا معنى له . "

إن الحياة سعى دؤوب ، ولحظات السكينة والهناء فيها قصيرة ، وما هى إلا جزءًا وفاقًا لذلك السعى ، ولأنها قصيرة ، فهى جميلة ، وهى جديرة .....

" علامة ! " همهمت « ووتشانغ فو » بصوت خفيض ، ونظرت إلى الأخرى بوجه عابس .

وقالت " يوان شن تشى " وهى تتمتع معبرة عن الامتعاض والملل من الحديث فى هذا الجو الخائق : " لنخرج ونمرح بدلاً من الخوض فى هذا النقاش العقيم . "

أحنت الفتيات رءوسهن وخرجن من الخيمة بالتتابع . المياه تنساب من عين السعادة فى تودة ، ويسمع صرير الحشرات فوق الأشجار. ولدى خروجهن أذت عيونهن الشمس التى تغمر كل أرجاء الأرض من فيض نورها ، لأنهن مكثن طويلاً بالخيمة .

فى الظهيرة ، تتبخر المياه فتبدو الخيمة شديدة الحرارة كأنها فرن ، لكن الفتيات لفرط إرهاقهن من اللعب رحن فى سبات عميق. حلمت " شيا ولينغ " ، فرأت فى منامها أنها لا تطيق حرارة الجو ، فتمنى نفسها بقطعة من الآيس كريم ، فذهبت إلى كثير من محلات المرطبات لتشتري ، لكنها فى كل مرة كانت لا تجد ، وأخيراً عثرت على قطعة فاشترتها ووضعتها فى فمها وبينما كانت تهتم بتناولها نادى عليها بعض الشبان: " افتحى الباب ؟ "

" ألم تستيقظى بعد ؟ الحر سيققتك "

جاء تشانغ شى تشون ورفاقه لدعوة الفتيات للذهاب إلى قصر الصيف ، بينما راحت " شياو لينغ " تقص رؤياها وهى متذمرة، اعتذر لها الشبان وقالوا إن كلاً منهم على استعداد لأن يشتري لها قطعة من الآيس كريم بمجرد وصولهم إلى قصر الصيف .

قالت " يانغ تشيانغ يون " بلهجة تنم عن الكبرياء : " إنكم أكرم من اللازم ، ولكن هل يمكن شراء آيس كريم فى الأحلام بالفلوس ؟ " التقط « تشانغ شى تشون » أطراف الحديث وقال " سوف أهب لك عن طيب خاطر حقى فى أكل الآيس كريم فى الأحلام طول العمر ، إذا ما دعوتنى مرة واحدة على تناوله فى الحقيقة ! "

ضحك الجميع ، وبدا أن " تشانغ شى تشون " كسب الجولة .

" وتشانغ شى تشون " هو عضو لجنة الشبية بالمدرسة الثانوية رقم ٦٥ ، وقد تخرج منها هذا العام واشترك فى امتحانات الترقى إلى الجامعة ، وهذه هى المرة الأولى والأخيرة أيضاً التى يشارك فيها فى المعسكر خلال عهد المرحلة الثانوية، وتربطه " بيانغ تشيانغ يون " صداقة قديمة ، وقد التقت به الأخيرة لأول مرة خلال ندوة أدبية نظمتها لجنة الشباب بالمدينة فى العطلة الصيفية للسنة الماضية وكان " تشانغ " مرتدياً ملابس قديمة ، ويتحدث بصوت جهورى مجلجل ، ويثبت آراءه ومشاعره وانطباعاته بطريقة مؤثرة ، بل إنه راح يقارن بين العيوب الفكرية فى شخصه وفى شخوص الرواية ، وكانت الفتيات تعجبهن جرأته وبساطته ، وفى نفس الوقت شعرن بأنه جاد أكثر من اللازم فأخذن يتسمن ابتسامات مستترة . وأخذ " تشانغ " ينتقد الرواية بشدة ، وعدد بعض مساوئها فقال : " عمل غير ناضج "

وأثناء الاستراحة تحدث " تشانغ " مع " تشيانغ " بلا تكلف ، فقال : " هل النقد الأخير فيه شىء من الإفراط ؟ لا فائدة ، فقد أفلتت الكلمات من فمى " ، فلم تتمالك " تشيانغ يون " نفسها من الضحك من كلام تشانغ الذى يكاد لا يختلف عنها فى طباعه الشخصية .

وبعد أن انتهت الندوة ، هطلت الأمطار بغزارة ، وكانت "تشانغ يون" قد ركبت الترامواي وعندما توقف في أول محطة ، أطلت برأسها فرأت "تشانغ" قادماً من بعيد ، راكباً دراجته يسابق بها الريح غير مبال بالمطر ، ليس معه شيء يقيه من الأمطار ، وهو يقبض بقوة على "جدون" الدراجة بإحدى يديه ، بينما راحت يده الأخرى تلملم شعره ، وقد تشبعت ملابسه بالمطر . اقترب من الترامواي . رآها ، فنادى عليها بصوت عال كأنه صديق لها "يانغ تشيانغ يون" . وضحكت تشيانغ يون وقالت : "ياله من نضال شاق وصراع مرير ! " وكان آنذاك قد سبق الترامواي بدراجته فالتفت ملوحاً بيده ورد عليها : " إذن اقتدى بي " .

ورأته " تشيانغ يون " من جديد في أول أيام المعسكر ، كان عارى الظهر ، يقود زملاءه ، يحملون القش ، وينقلون ألواح الخشب ، ويدقون المسامير ويقيمون دعائم الخيمة ، والعرق يتصبب من جبينه فحيته " تشيانغ يون " قائلة : " يا مثال العمل الصادق ، أمازلت تذكرني؟ " رد تشانغ " قائلاً : " إن ملامح وسمات حضرتك لا يمكن أن أنساها طيلة حياتي ! "

وصلوا جميعاً إلى قصر الصيف ، وتشاوروا فيما بينهم ، وقرروا أن يذهبوا أولاً ليلعبوا بعض الوقت عند الجبل الخلفي ، اندفعوا إليه عدواً وقفزاً فصاحت " يوان شن تشي " في لهجة توبيخ قائلة : " ماذا بكم؟ هل أمركم أحد بالركض؟ ألا يمكنكم أن تمشوا الهوينى حتى تستمتعوا بسحر الطبيعة؟ "

مد أحد الطلاب قدمه خلسة أمام " يوان شن تشي " ، فتعثرت فيها ووقعت على الأرض ، فصفق الجميع في نشوة وسعادة وأنشد تشانغ شي تشون بيتين من الشعر تعليقاً على ذلك :-

وقعت الفتاة وقعة رائعة ،

والفتية يتضحكون على الجانبين ،

كلهم بوقعتك هذه أكثر سعادة ،

من نشوتهم بسحر الطبيعة وجمالها .

وأخذوا جميعاً يعدون بسرعة ، قلوب الشباب المتحمسة لا يرضى طموحها حتى الطيران فى الهواء بأجنحة ، فكيف إذن نتحدث عن مشى الهوينى ؟ فلتتعانق ظلال الصنوبر ، ولتدر الأبراج والجواسق الذهبية ، ولتراقص جونلات الفتيات .

وفى طريق العودة، مشى " تشيانغ يون " مع " تشانغ شى تشون " ، وقد رددوا كثيراً من الأغنيات ، وتبادلا الرأى والإعجاب ، ثم تبادلوا زهور اللبلاب وسألها تشانغ : " هل ستقدمين شيئاً فى برنامج هذا المساء؟ " غمزت " تشيانغ يون " بطرف عينها وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة .

\* \* \*

جلست الفتيات على الأرض على شكل نصف دائرة فى انتظار الإعلان عن حفل إيقاد شعلة المعسكر، تتكدس أكوام عالية من الحطب تنبئ بأن النيران سوف تكون ملتهبة وحامية . أخذ الشبان الحاضرون يسكبون الكيروسين فوق أكوام الحطب تارة وتارة أخرى يجهزون الرمل والماء استعداداً لإخماد النيران عند الطوارئ، وتقدم أربعة من الطلائع : ولدان يرتدى كل منهما قميصاً نظيفاً ناصع البياض وشورتاً أزرقاً وبتان ترتدى كل منهما قميصاً أكثر بياضاً " وجونلة " وردية اللون ، وفى يد كل منهم شعلة ، تقدموا وسط ضجيج الطبول وعجيج الأصوات وأضرموا النيران فى أكوام الحطب فى لحظة واحدة، فأحالت أرض المعسكر حالكة الظلمة إلى نهار قرمزي اللون ، كما انفجرت من بين الهدوء الذى يسود الحاضرين جميعاً عاصفة من التصفيق والتهليل ، ورغم علمهم بأنه ليست هناك جوائز على قوة الحناجر، فإنهم جميعاً راحوا يهتفون بأعلى صوت وكأنهم يعيشون مباراة حامية لأنهم يعلمون أنه إن لم يفعلوا ذلك فسوف يفتر الجو الحماسى لمعزوفة افتتاح حفل الشعلة المهيبة .

استمدت أكوام الحطب الحمية من حماس الفتية المتوقد ، فاندلعت منها ألسنة اللهب، وانتشر النور والنار، الدخان وبخار الماء وساد المنطقة لون النار الأحمر ، الشرر يتطاير تباعاً كأنه يتسابق قفزاً ورقصاً، فينتشر ويتلاشى ، ثم يظهر فى الأفق آلاف الشرر الصغير من جديد .

جلست " سونينغ " بجوار " يانغ تشيانغ يون " ، وجهها نحيف ، عيناها ،  
أنفها ، أذناها ، فمها ، كلها صغيرة ونظراتها وادعة لكنها حائرة ، شعرها مجعد  
ضارب إلى الصفرة ينم عن ضعف صحتها - وهي مقارنة " بتشيانغ يون " تبدو  
أكثر ثقة بنفسها. لم يقيما معاً في خيمة واحدة ، فمر اليومان الأولان وكل منهما  
في حال سبيله. ولم تذكرها " تشيانغ يون " إلا في هذا المساء حيث أحست في  
نفسها بشيء من الأسف ؛ إذ خطر ببالها أن صديقتها سونينغ انتابها شعور بالوحدة  
والغربة عند قدومها ، لأنها لم تكن في انتظارها ، فجاءت خصيصاً للبحث عنها  
والحديث معها.

قالت " سونينغ " لتشيانغ يون " وهي تمسك بيدها : " انظري إلى هذا  
الشرر، كم يتطاير عاليًا، وكم هو جميل ومتعدد الأشكال ، لكنه للأسف  
لا يدوم طويلاً ، وإلا ....." .

أجابت تشيانغ يون وكانت مستندة إليها : غير أنني أحب النار، والشرر هو  
وليد النار " ثم انتصبت قامتها واستقامت بجذعها وتلفتت حوالها باحثة عن " تشن  
بوا " التي لم تكن موجودة في المكان بطبيعة الحال ، لكن " تشيانغ " لا تزال  
ترغب في البحث عنها ، لأنها ترى أن وجودها يبعث جواً من السعادة . وربما كنت  
تبحث عن شخص غيرها من بين المحيطين بها .

بدأ البرنامج الفنى للحفل ، وكانت المفاجأة الأولى هي الرقص على دقات  
الطبول ، الذى قدمته الفرقة الائتلافية من خمس مدارس ، ورغم وجود شيء من  
الارتباك ، فقد أثاروا حماسة الحاضرين بعددهم الكبير ، وأزيائهم الجميلة ،  
وحيوتهم المتدفقة ، وأصوات طبولهم المجلجلة. وبعد انتهاء الرقصة ، انحنوا جميعاً  
بكل إخلاص أمام جماهير المشاهدين تحية لهم ، مما أثار حمية المتفرجين فراحوا  
يصفقون لهم بحرارة، ومنهم من أخذ يردد " تانى ، تانى " !



ثم جاءت فقرة الغناء الجماهيري ، فكانت هناك الأغنيات الجماعية ، والأغنيات الفردية ، والأخرى الثنائية منها " تفتح أزهار الفراولة " باللغة الروسية ، وأغنية " أغصان شجر البرتقال " باللغة الكورية ، اللتين قدمهما الفتية بصوتهم الجمهوري القوي والفتيات بصوتهن الرقيق الناعم فتناغمت في سيمفونية رائعة . أما الرقصات فقد كانت " رقصة استقبال الربيع " هي أكثرها قبولاً واستحساناً لدى جمهور المشاهدين .

" نرقص في نشوة في ظل العلم الأحمر ذي النجوم الخمسة ، ونستقبل الربيع الساحر في سعادة غامرة " ، أخذ الجميع يغنون عندما جلس طلاب الثانوية وطالبات الإعدادية القرفصاء ، ومدوا أذرعتهم وراحوا يميلون برؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال ، وبدت شعلة المعسكر ، والناس ، والأرض والسماء وكأنها تتراقص وتتمايل فرحاً مع رقصاتهم السعيدة .

سُمت أصوات حركة في الركن الأيسر من المعسكر ، جذبت أنظار الجميع وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عما حدث ، وفي الحال عرفوا أنهم نفر من الكتاب من معهد الشباب للفنون المسرحية ، قدموا لدراسة وبحث الحياة في المعسكر .

أومأت " يانغ تشيانغ يون " مشيرة إلى أن حياة المعسكر جديرة بالدراسة ، وجديرة بالتسجيل ، ولكن من الذي تتوفر لديه القدرة على فهمها فهماً تاماً ؟ فهي على سبيل المثال ، ألهبت شعلة المعسكر حماسها ، وخفق قلبها بين ضلوعها من فرط السعادة . ولكن ماذا بعد ؟ إنها سوف تلقى أبياتاً من الشعر بعد لحظات ، ولكنها قالت في نفسها إن هذا ليس إلا شيئاً يسيراً ، ويجب أن نكون جديرين بكل هذه الأشياء : نعمة الحياة ، حب الأصدقاء ، والليلة التي لا تنسى . . . .

أعلنت مقدمة البرامج أن " تشيانغ يون " ستلقى أبياتاً من الشعر ، بيد أن " تشيانغ يون " بقيت قابضة في مكانها سابحة في تفكيرها وكأنها لم تسمع شيئاً ، حتى استحلتها سونينغ ، فانتفضت ، وانطلقت في شيء من الارتباك نحو منتصف الحلقة .

كانت شعلة المعسكر متأججة بجوارها ، والطلاب يلقون من حين لآخر بمزيد من الخطب فى أتونها الملتهب ، وهى واقفة وأمامها صفوف من زملاء الدراسة ، وجوه كثيرة ، منها ما هو مألوف لديها ومنها ما هو غريب عنها ، ومن فوقها أرخى الليل سدوله ، تخترقها أضواء الشعلة . رويداً رويداً ، أخذت " تشيانغ يون " تنصرف عن ألسنة اللهب وجموع الناس ، وأطلقت لبصرها العنان نحو الأفق البعيد . وراحت الكلمات تنساب من بين شفيتها فى صوت هامس متهدج :

أمسى اللسان عاجزاً عن وصف لحظة سعادة ،

لحظة انطلاق الشعلة ، واجتماع الرفاق ،

لحظة انطلاق الأغنيات تمزق حجب الليل ،

توقفت برهة من الوقت ثم عاودت الإلقاء بإيقاع أسرع :

إننى أحب الشعلة ،

أحب الليل ،

أحب المدرسة ،

أحب الحياة .

ولفرط نشوتها ، احمر وجه " تشيانغ يون " ، واختلجت نبضات قلبها ، واغرورقت عيناها بالدموع . ثم رفعت رأسها .

.....

.....

أخذت تتمتم بكلمات هى نفسها لا تعيها ، فقط أحست بمشاعر وأحاسيس دافقة تنهمر من ألسنة اللهب ، من الرفاق ، ومن كل ما حولها لتصب فى عقلها وقلبها ، حتى إن أشعارها التى تعتبر من الأعمال ضعيفة المستوى اكتسبت رونقاً جميلاً من خلال الغناء الجماعى المتناغم مع زميلاتهما :

آه ! كيف يتناقص الخطب رويداً رويداً !  
وما لألسنة اللهب تتصاغر شيئاً فشيئاً !  
الشرر حائر ، لا يعلم أين المستقر ،  
الأغنيات ، الرقصات على كثرتها ستنتهى ،  
لكن أشعاري باقية ،  
ومدائحي خالدة إلى أبد الأبدین ،  
شبابنا دائم ، شبابنا متأجج ،  
شبابنا دائم ، شبابنا متأجج ،

وعادت " تشيانغ يون " إلى مكانها وسط عاصفة من التصفيق وجلست  
لا تستطيع أن تميز وجوه الأصدقاء الضاحكة ، وأصواتهم المختلجة ، فقد ذابت بكل  
كيانها ووجدانها معهم في خضم بحر هائل من النشوة والسعادة .

انتهى الحفل واتجهت الفتيات إلى خيامهن ، يمشين بخطى وئيدة بينما تدور  
أعناقهن يلقين نظرة على الهشيم والعمال المشغولين . قالت " سونينغ " فى تأثر  
شديد: " كنا سعداء طوال حفل الشعلة ، لكننا لسنا سعداء عند انتهائه " . ردت  
" تشيانغ يون " : " لن ينتهى " ثم ذهبت كل منهن إلى فراشها بعد أن قلن  
لبعضهن : " إلى اللقاء غداً "

انتصف الليل ولكن لم تكن أى منهن ترغب فى النوم ، وخاصة " تشيانغ يون "  
التي لم تجد عينها إليه سبيلاً ، فهي منذ نعومة أظافرها غير مولعة بالنوم ، إذ تحس  
عند النوم كأنها سقطت فى هوة سحيقة مظلمة ، وفى هذا اليوم بالذات لم تكن  
عندها أدنى رغبة فيه مما حدا بها أن تضع معطفها على كتفها وتتسلل إلى الخارج .

كان القمر ساطعاً فى صفحة السماء ، يرسل ضياءه من بعيد نحو الخيام فيسط  
ظلالها على الأرض ، والمكان الذى كان يعج بالضجيج من لحظات إقامة حفل

الشعلة، لم يعد فيه الآن أثر لشيء ، وبعض الخيام ينبعث منها همس خافت والبعض الآخر يضحج بأصوات الشخير .

اتجهت " تشيانغ يون " إلى بوابة المعسكر حيث يقف حارس صغير السن متكئا على عصا، سائلاً على استحياء : " كلمة السر ! " فأجابته وخرجت وندمت على أنها لم تقل له " لا أعرف " لثرى ماذا هو فاعل . اقتربت من الحقول المروية وهى تنظر فى أسف إلى مساحات كبيرة من نبات اللوتس وقد ذبلت زهوره وثماره التى لم تنضج بعد، مشت بضع خطوات ثم جلست فوق صخرة من الحجر .

سمعت صوتاً ينادى " يانغ تشيانغ يون " فالتفتت ، وإذا " بتشانغ شى تشون " قد تسلل هو الآخر خارجاً من خيمته ، نادى عليها ثانية " يانغ تشيانغ يون ، هل ترينى ؟ "

" نعم أراك وأنت فى ضوء هذا القمر الجميل ، ولكن ماذا تفعل الآن؟ "

" أردت أن أستمتع برؤية السماء الصافية . وأنت ؟ "

أجابت " تشيانغ يون " والابتسامة على شفيتها وضوء القمر يتسلل من بين أوراق الشجر ليسطع على أسنانها البيضاء : " أنا؟ أردت أن أمتع نظرى برؤية الأرض الخضراء . "

صمتا برهة من الوقت ثم طفتق " تشانغ " الأصعب الوسطى من يده اليمنى وقال :

" لقد كان إلقاءك للشعر رائعاً . . . . . "

هزت " تشيانغ يون " رأسها فى دلال .

وواصل تشانغ حديثه فى ارتياح قائلاً : " فى فترة مقاومة الاختلاس والإسراف والبيروقراطية كنت أحرس أحد المختلسين ولصوص المال العام، وعندما انتهيت من نوبتى فى الحراسة فى إحدى الليالى وسلكت طريق العودة إلى غرفتى ، رفعت رأسى وقلبت بصرى فى صفحة السماء فإذا بالقمر الساطع المتلألئ يأخذ بالألباب ،

فمنيت نفسي وقتها أن أجد فرصة أمتع فيها ناظري بجمال القمر وسحره  
لوقت أطول".

"ألم تتحقق أمنيتك اليوم؟"

"لكني اليوم أرى كل شيء من حولي قد تغير تمامًا ، السماء ، القمر ،  
الشجرة ، كلها تبدو كأنني أراها لأول مرة ، وهذا الشعور هو مبعث السعادة  
الكبرى".

"حقًا . إن كل شيء يبدو منسجمًا تمام الانسجام" . . . . .

" وكل شيء يبدو أجمل مما نتخيل " ، وربتت " تشيانغ يون " في تأثر على  
يد " تشانغ شي تشون " ، تلك اليد التي انتشرت فيها " البرابيق " وقالت :  
" أتدرى يا تشانغ؟ عندما سرحت ببصرى نحو سقف خيمتى التي أرقد تحتها ورحت  
أتخيل السماء الصافية والبرك المليئة بنبات وأزهار اللوتس ، تذكرت إجازتنا الصيفية ،  
وتذكرت عهد الثانوية التي اجتزتها أنت بينما أنا لم أجتزها بعد ، فأحسست  
أن السعادة ترفرف حولي من كل جانب وعجزت عن أن أكفكف  
دموعي . . . . . "



(٢)

طالعت عزيزى القارئ فى معرض روايتى هذه حديثى عن طالبات الفصل الأول من الصف الثانى بالمدرسة الثانوية السابعة للبنات.

فقد التحقن بالمدرسة الإعدادية فى النصف الثانى من عام ١٩٤٧ ، فى عهد الظلام قبل أن يشرق فجر التحرير ، وحيث كفاح الشعب الصينى البطولى الرائع الذى لم يسبق له مثيل ، ذلك الكفاح الذى توج بالنصر فى النهاية . وكن آنذاك عاجزات عن إدراك الكثير من الأمور لحدائتهن ، إلا أن الأحداث القاسية والنضال المرير والاضطرابات والقتال التى صاحبت انهيار العهد القديم ورياح الثورة العاتية ، كل ذلك حرمهن السعادة والدعة وراحة البال فى طفولتهن ، بل تركت كل هذه الأحداث آثاراً قاسية فى قلوبهن ثقيلة على نفوسهن ، لا زلن يذكرن كيف كانت الأسعار ترتفع ثلاث مرات فى اليوم الواحد خلال تلك الفترة ، وكيف كان شبح المجاعة يهدد كل بيت . رأين بأمهات عيونهن البيروقراطيين ذوى الكروش المنتفخة يأخذون المحظيات فى أحضانهم ، واللصوص يسطون على المنازل فى وضح النهار ، والمدرسين ينتحرون تحت عجلات القطار ، وأولئك الذين كانوا يجوبون الشوارع بالعربات اللورى يشهرون فى أيديهم الأسلحة البيضاء ممثلين لقوات الجيش والبوليس والشرطة العسكرية ليقوموا بدور "عشماوى" ولهم سلطة تنفيذ حكم الإعدام فيمن يلقون القبض عليهم من المشبوهين . استطعن أن يفهمن بسهولة المغزى الحقيقى للعناوين التى كانت تصدر صفحات الجرائد مثل "القوات الحكومية تنسحب من مواقع القتال" ، "مصادمات بين الطلاب وقوات البوليس" "فلان مفقود" ، وكانت منهن من تقف على جنبات الطريق تراقب من بعيد بكل مشاعر التعاطف والتأييد والاحترام مظاهرات طلاب الجامعة الصاخبة وهم يكتبون بالبويات الشعارات المناوئة لحكم "الكوميتانغ"<sup>(١)</sup> فى كل مكان .

(١) الكوميتانغ : هو الحزب الذى كان يرأسه تشانغ كاي شيك قبل الثورة الصينية عام ١٩٤٩ التى قادها ماوتسى تونج واضطر على أثرها تشانغ كاي شيك أن يهرب إلى تايوان .

وكانت مديرة المدرسة آنذاك زوجة أحد أعضاء اللجنة التشريعية ، ولم تظهر منذ أن بدأت عملها سوى مرة واحدة خرجت فيها تعاین أحوال المدرسة يوم إعلان تعيينها، وبعد انتهائها من عملية تفقد أحوال المدرسة وكانت أحاديث المدرسين والطلاب والموظفين والعمال جميعاً تدور حول بدانتها وشحومها المترهلة، وقد أذاع الأستاذ " يوان وين داو " - والد الطالبة " يوان شن تشى " - وهو معلم قديم ومخضرم - أذاع سرّاً عن مديرة المدرسة هذه فقال : إنها لا تزيد كثيراً عن كونها أمية جاهلة ، حيث إنها أثناء جولتها لتفقد أحوال المدرسة سألت مدرس اللغة الصينية عن مسقط رأس "تساوده تشو"<sup>(١)</sup> كما سألت مدرس التربية الرياضية عما إذا كانت الفتيات يستطعن ممارسة رياضة القفز بالزانة.

وكان رئيس شؤون الطلاب الملقب بالسيد هوانغ " غليظ الشفتين " هو صاحب السلطة الفعلية فى المدرسة ، وكان فى أوقات سروره يطيب له أن يقول للطالبات

" لقد كان لى شرف مصافحة الرئيس تشانغ كاي شيك " . وفى أوقات غضبه يقول :

" إذا أخطأتن ستضربن كالعادة ضرباً مبرحاً حتى تمشين رحناً ولن يشفع لكن أنكن أنسات . "

وكان " نيوماتسه " مدرس التربية الرياضية كثيراً ما يشرب الخمر مع هوانغ غليظ الشفتين، وقد سبق له أن تولى رئاسة إحدى اللجان الفرعية لتنظيم الشبيبة المنادى بالقومية، وحياة أفضل لجماهير الشعب، وحكم الشعب نفسه بنفسه، وذلك

(١) عاشت تساوده تشو فى أسرة هان الشرقية وهى أديبة وأستاذة فى علم التاريخ واشتركت فى تأليف كتاب "تاريخ الصين فى عهد أسرة هان الشرقية" .. ومسقط رأسها مقاطعة جيانفشنى. وكانت تقوم بتعليم الإمبراطورة (زوجة إمبراطور الصين فى ذلك الوقت) واسمها الحقيقى بان تشوه ولكن أطلق عليها اسم تساو نسبة إلى زوجها. انظر قاموس الأدب الصينى القديم "المجلد الأول". صفحة ٢٣٨ .



فى بداية عهد حزب الكوميتتانغ . ولكن سرعان ما ساءت سمعة التنظيم بين الأوساط الطلابية ، ومن ثم لم يعد يسمع بأنه استمر فى رئاسة اللجنة الفرعية لهذا التنظيم .

وبصفة عامة يمكن تصنيف الطالبات آنذاك إلى أربعة أصناف: الصنف الأول ، وهن مخلصات منكبات على دراستهن فى جد ومثابرة غير عابثات بالأخريات لأنهن يتمين إلى أسر فقيرة يتهددهن من حين لآخر خطر فقد فرصتهن فى التعليم فى المدارس الثانوية الحكومية ما لم يجتزن المرحلة الإعدادية بدرجات عالية ، وذلك لأنهن عاجزات عن تحمل نفقات الدراسة بالمدارس الخاصة . والصنف الثانى هن بنات الذوات ، وكن يكرهن الرياضيات ويخشين ممارسة التربية البدنية ولا يجرؤن على تشريح ضفدعة ، بل لا يحتملن رائحة غاز الكلور أو ثانى أكسيد الكربون ، ولكن يهوين قراءة القصص مثل "الحب الحرام" ، "الحب الحلال قصير العمر" ويطيب لهن أن يغنين أغنية "امشى الهوينى" ويحببن ارتداء الأزياء ذات الموضة المستوردة من أمريكا وهونج كونج .

وفى الشتاء يلبسن الملابس الغربية المعروفة باسم "الملابس الذرية"<sup>(١)</sup> وهى بنطلون قصير وجاكت ضيق مبطن بالقطن ، كما كن كثيراً ما يتمارضن ليضجعن فى الفراش حيث يحلو لهن الثرثرة ومضغ اللبان، وقد يحدث أن تتوقف قلة منهن عن الدراسة فجأة للتزوج من الأزواج الأرامل أو ليمارسن دور "فتاة السيارة الجيب"<sup>(٢)</sup>

وقد كانت هناك شردمة من حثالة المجتمع تضم مسؤولة اتحاد الطالبات من المناطق المنكوبة (مناطق التحرير) ، وابنة إقطاعى هارب، وعضوة فى عصابة

(١) الملابس الذرية: اسم أطلقه الكاتب على الملابس التى تواكب أحدث موضة تفصيل الأزياء فى العالم ، وهذا تشبيه مستعار من عصر الذرة فى ذلك الوقت.

(٢) فتاة السيارة الجيب : تعبير استعمله الكاتب كناية عن الفتاة التى تدع نفسها نهياً للغرائز الرخيصة والممارسات غير الأخلاقية.

الصعاليك (عصابة مكونة من ثلاث عشرة فتاة من الماكنات) ، وجاسوسة الجهاز المركزى للإحصاء ، وكثيراً ما كان المدرسون يتعاملون معهم بمبدأ اتقاء مواطن الشبهات والبعد يولد الاحترام.

وخلاف أولئك هؤلاء كان هناك نوع آخر من الفتيات وهن عضوات بالحزب الشيوعى وتحالف الشباب الديمقراطى<sup>(١)</sup>

ويقمن بدور بارز فى توحيد صفوف الجماهير وتنمية خلايا التنظيم وذلك تحت قيادة وإشراف التنظيمات السرية التابعة للحزب ، وقد كوّن تنظيمًا شرعيًا فى عام ١٩٤٧ ؛ لجنة الحكم الذاتى للطلاب التى تقوم بتوزيع الطلاب فى إجازة الشتاء على مجموعات التقوية التى يقوم بها طلبة الجامعات التقديميين، وقد دعتهم إلى الاشتراك فى مهرجان طلاب بكين وتيانجين، وكان من أنشطتها أيضا إنشاء مكتبة صغيرة. ولكن لسوء الحظ انكشف أعضاء اللجنة أمام حزب الكوميتانغ الذى نسف كل جهودهن، فبدأ فى أبريل عام ١٩٤٨ بجامعة المعلمين ، ثم امتدت يده إلى بعض المدارس المتوسطة حتى جاء إلى مدرستهن فألقى القبض على سبع عشرة فتاة من عضوات لجنة الحكم الذاتى للطلاب- كانت أصغرهن طالبة فى الرابعة عشرة من عمرها - الأمر الذى شل أنشطتها المشروعة، كما أجبر الحزب بعض طالبات المدارس الثانوية من عضوات التنظيمات السرية للحزب الشيوعى على الانسحاب إلى المناطق المحررة ، بينما وضع البعض الآخر من الطلاب التقديميين تحت رقابة صارمة. ولم يتبق من أعضاء التنظيم سوى تشن بوا الطالبة بالصف الأول الإعدادى التى ظلت لفترة قصيرة على اتصال بالتنظيم السرى للحزب فى بكين ، وذلك حتى انضم للتنظيم دفعة جديدة من طالبات المدارس الأخرى فى شهر سبتمبر من العام نفسه.

(١) تحالف الشباب الديمقراطى : تنظيم سرى تابع للحزب الشيوعى الصينى إبان فترة حرب التحرير تحت قيادة اتحاد الطلاب الثوريين فى بكين .. وتيانجين ، بعد التحرير تغير الاسم من تحالف الشباب إلى اتحاد الشبيبة.

تنتمي " شن بوا " إلى أسرة بسيطة ، عمل والدها طول حياته موظفًا صغيرًا ،  
ينسخ ويكتب ويجمال كل من يقابله دون أن يلقي تقديرًا من أحد. وفي ديسمبر من  
عام ١٩٤٥ ، حيث كانت في الحادية عشرة من عمرها ، فقدت أباهما الذي لقي  
حتمه تحت عجلات عربة جيب تابعة لجيش التحالف ، صدمه سائقها الأمريكي  
المخمور وهو يسير في الاتجاه العكسي ثم استدار بالسيارة وقال له : " حسنًا " ولاذ  
بالهرب ، أما أمها فكانت تقضى كل وقتها في أعمال البيت ، وكان أكثر ما يثير  
حفيظتها أن يأكل الفأر بقايا من فطيرة ، وأكثر ما يثير غبظتها أن تسرع من فور  
استلامها مرتب زوجها إلى شراء دقيق الذرة ، وبعد وفاة والدها انتقلت مع أمها  
لتقيما في بيت خالها ، حيث كانتا تعانيان وطأة الشعور بالحياة عالة على الآخرين ،  
وكانت تعيش من تجارة والدتها في الخردة وغسيل الملابس وحياتها ومن قروض  
الإعانة ، وقضتا حياتهما على هذا النحو تشبعان يومًا وتجوعان يومًا .

وفي بيت خالها تعرفت على بنت أحد الجيران - " خوان لى  
تشيونغ " - الطالبة بالمدرسة الثانوية السابعة للبنات ، اصطحبتا خوان إلى جامعة  
بكين الواقعة في حى شاتهان حيث شاهدتا المسرحية الكاريكاتورية " عودة المنتصر " ،  
تلك المسرحية التي تستنكر الحروب الأهلية التي أشعل حزب الكوميتانغ فتيلها .  
وبعد انتهاء العرض اختلقت دموع المتفرجين والممثلين لفرط تأثرهم بها . وقد  
تعلمت " تشن بوا " أثناء دراستها في الابتدائية أن تغنى أنشودة " لن تلين إرادتنا  
حتى وإن لان الحديد " ، ثم التحقت هي الأخرى بالمدرسة الثانوية السابعة للبنات .  
وذات مرة اكتشفت أن هناك بعض الأمور التي تخفيها خوان عنها حيث أشرفت  
شمس الحقيقة أمامها فجأة لتجد نفسها لم تصبح بعد بين صفوف الجنديات  
المجاهدات ، بينما كان هناك كثيرون يذوقون صنوف العذاب بين جدران السجون  
وآخرون يقومون بأعمال ونشاطات سرية ، كانت تكتفى بغناء الأناشيد الحماسية ،  
يا للعار! ذهبت إلى " خوان لى تشيونغ " وقالت لها : " أريد أن أتحرك ، أريد أن  
أعمل " . اندهشت خوان وقالت في تأثر : " أما زلت صغيرة بعد؟ " ثم صافحتها

وشدت على يديها ، وبذا انضمت تشن إلى تحالف الشباب الديمقراطي في فبراير من عام ١٩٤٨ ، وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها .

كانت الحياة في بكين تغلى وتمور إبان التحرير . وكانت " تشن بوا " تمارس نشاطاتها بكل قوة وحماس ، فكثيراً ما كانت تذهب في أوقات الدراسة لتلقى مكالمات هاتفية من اتحاد الطلاب ، كانت نائب قائد فريق الغناء الكورالي ورئيس فريق الطلائع التجريبية النموذجية .

وبينما كانت تستغرق في أداء مهامها ، كانت تحلم أيضا بالذهاب إلى تايوان في مهمات سرية حيث إنها صغيرة السن ويسهل عليها التخفي والهروب من رقابة العدو ، لكن ذلك لم يحدث بالطبع .

وفي عام ١٩٥٠ ، عادت الحياة المدرسية إلى مجراها الطبيعي وبدأ الناس يلتقطون أنفاسهم اللاهثة ويمنون أنفسهم بغد يسوده السلام وتغمره السعادة ، لكن سرعان ما أفرعتهم نيران الحرب الكورية فهبوا من جديد يشكون العهد البائد ، ويقومون بالحملات الإعلامية في الشوارع متحدنين العواصف الرملية ويشتركون في المناقشات الساخنة ، ويحضرون حفلات توديع زميلاتهم الطالبات المشتركات في المعاهد العسكرية . بعد ذلك جاءت حركة مقاومة الإسراف والرشوة والبيروقراطية ، وتم كشف بعض المرتشين في المدرسة ، وكان كثير من الطالبات لا يغمض لهن جفن للقيام بأعمال الحراسة والمراجعة والإحصاء . ثم أصبحت " تشن بوا " عضواً في الحزب الشيوعي الصيني بعد انتهاء هذه الحركة .

وفي أوج مراحل حركة مقاومة الإسراف والرشوة والبيروقراطية ، اعتادت " تشن بوا " ونخبة من خيرة زميلاتهن نوعاً من الحياة غير العادية : فأثناء الدراسة كن يستمعن إلى شرح المدرس وفي الوقت نفسه يركزن انتباههن على نظرياته المبهمة غير واضحة المعالم .

وفى غير أوقات الدرس يعقدن كثيراً من الجلسات والاجتماعات، وفى المساء بدلاً من مراجعة وتحضير دروسهن يذهبن لسماع المحاضرات والندوات والمؤتمرات الكبرى.

زد على ذلك أنهن لم يضعن فى اعتبارهن المنهج الدراسى، بل كن على أهبة الاستعداد فى أى وقت لتلبية تعليمات وتحركات التنظيم، للعمل فى كوادره والاشتراك فى صفوف جيش التحرير، للذهاب إلى منطقة جنوب نهر اليانجتسى أو حتى الانضمام إلى صفوف الحرب الكورية.

حملن من المسؤوليات أضعاف ما تنوء بحمله كواهل شابات أخريات فى مثل أعمارهن، كن يتحلين بما يتحلى به شباب البلشفيك من روح حماسية وبطولية، يجتهدن فى عملهن ليل نهار، مضت ثلاث شهور متواصلة دون أن يرجعن إلى بيوتهن، نخلعن عن أنفسهن ثيابهن الجميلة، تنازلن عن طعامهن وأموالهن لزميلاتهن اللاتي يعشن ظروفا صعبة، كثيراً ما يراجعن أفكارهن ويقمن بالنقد الذاتى ولا يفوتهن تسجيل يومياتهن يوماً بيوم، وإذا ما قلبت الغلاف الأحمر لإحدى هذه اليوميات، ثم صورة الزعيم ماوتسى دونغ، وقعت عينك على أحب الكلمات وأقربها إلى قلب صاحبته والمكتوبة بالخط اليدوى الصينى.

( " إن أغلى ما يملك الإنسان حياته . . . . . فإذا ما استعرض ماضيه ولم يندم على ما قضاه سدى من العمر، ولم يخجل لما بذله دون نتيجة، يمكنه أن يقول لنفسه فى عز وكبرياء: لقد وهبت نفسى لأروع قضية فى تاريخ البشرية ألا وهى قضية النضال من أجل تحرير الشعوب. " )

وربما وقعت عينك أيضاً على كلمات أغنية تحبها مثل :

شبابنا متأجج كشرر النيران الأحمر،

يحترق فوق السهول البرية المليئة بالأشواك،

شبابنا مغوار ومقدام كطيور أعالي البحار،

التي تخلق في الفضاء بين الأعاصير والأمطار . . . . .

وإن لم تجد بصدر يومياتهن أية كلمات ، فإنك ترى على الأقل صورة منجل وفأس مرسومة بالحبر الأحمر الثقيل .

ولكن ماذا حدث الآن؟

إن تطلعات الإنسان كلما كانت عظيمة ، شعر بأنها بعيدة المنال ، ولكن مع دوران عجلة الحياة تتحول الآمال إلى واقع ، وحينئذ يكتشف الإنسان أنه كان ينقصه الاستعداد الكافي .

والجنرال مكاس عندما كان يضع خطة "الهجوم في عيد الكريسماس" قبل أقل من عامين جاء في أحد التقارير المشهورة للحكومة الصينية "ثلاث سنوات للاستعداد، وعشر سنوات للبناء" ومن ثم كان الحديث عن الخطة الخمسية المزمع تنفيذها أشبه بحلم جميل ، حيث إن قلوب الشعب الصينى كانت لا تزال معلقة بأبنائه الصناديد بين صفوف جيش المتطوعين للشعب الصينى فى حرب كوريا ضد أمريكا، ولكن الآن وبعد أن تم بصفة أساسية إنجاز حركة الإصلاح الديمقراطى ، وبعد أن تم إحراز الانتصار العظيم على ساحة الحرب الكورية ، أصبحت أعمال البناء تتصدر قائمة الأولويات . وأصبح الموضوع العام الذى شملته الوثائق والتقارير وأحاديث الناس اليومية هو بداية "مد البناء الاقتصادى والثقافى بناء شاملاً مبرمجاً وعلى أوسع نطاق" لكن الوقت لم يمهلهم لاستقبال وتجربة هذه المتغيرات حيث جرفهم تيار الحياة بمشاكلها وتقلباتها السريعة .

وبينما كانت حركة مقاومة الرشوة والإسراف والبيروقراطية فى أوجها ، أحدثت "صحيفة الشعب اليومية" أثراً مدوياً بين صفوف طلاب المرحلة الثانوية بالتقرير الإخبارى الذى نشرته تحت عنوان "نشأة مزرعة جماعية" ، فراحوا يرددون

وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامات عريضة " ستتغير قرانا على نحو هذه  
المزرعة . . . . . " ، وكان من الطبيعي أن تدور مناقشاتهم حول ترويض نهر "خوای"  
والمشروع الهندسى لمنع فيضان الجزء الأوسط لنهر اليانجتسى . وفى هذا العام أدخلت  
تعديلات على الأقسام داخل المعاهد الجامعية ، وبدأ طلاب المرحلة الثانوية يحلمون  
بحياتهم الجامعية المستقبلية، ودعت لجنة رابطة الشبيبة المركزية أثناء احتفالها بذكرى  
حركة الرابع من مايو خريجي المرحلة الثانوية إلى الاستعداد الجاد لخوض امتحانات  
التأهيل للالتحاق بالمعاهد العليا ، الأمر الذى لفت أنظارهم فبدأوا يتحدثون عن  
رغبتهم فى الدراسة الجامعية خلال حديثهم عن بناء البلاد ، بينما كانت لجان رابطة  
الشبيبة الفرعية تنظر حتى عهد قريب إلى من يتحدثون عن الالتحاق بالجامعة على  
أنهم عناصر متخلفة . وفى عيد أول مايو من هذا العام ظهرت الفتيات فى بكين  
لأول مرة بملابسهن المزركشة ذات الألوان الزاهية ، والأكثر من ذلك أن طلائع  
البلشفيك بدأوا يخططون ويحسبون لحياتهم الطلابية فى المستقبل ، فنجدهم يغنون  
" الإخوة والرفاق ، لتطلع نحو العلا والمجد ، نحو الحرية ! " وينشدون أيضاً فى  
نشوة وسعادة : " ما أجمل الحياة وما أكثر مباهجها . . . . . دع النجوم المتلألئة تشع  
علينا من فيض نورها . . . . . "

وقد شعروا جميعاً أن حياتهم ليست سلسلة من النضال العنيف المتواصل  
فحسب، بل بدأت أيضاً تشهد مراحل البناء الاشتراكى واسع النطاق والذى لم  
يشهده التاريخ من قبل .

إن طلاب المرحلة الثانوية فى بلادنا يقفون على أعتاب مرحلة جديدة من  
مراحل التاريخ .





(٣)

أول سبتمبر ، الشوارع مكتظة بالطلاب يحملون حقائبهم المدرسية ، الإذاعة تبث كلمة وزير التعليم للتهنئة بالعام الدراسي الجديد، أبواب المدارس مزدانة بلافتات الترحيب بالطلاب الجدد ؛ فقد بدأ فى بكين والصين كلها بل فى معظم بلاد الدنيا عام دراسى جديد.

"أصبحت تلميذة بالإعدادية " ، "أصبحت طالبة بالثانوية " "التحقت بالصف الثالث الثانوى، وما هو إلا عام دراسى واحد حتى أتخرج " . هكذا رددت الفتيات وقلوبهن تفيض سعادة وبهجة بفرحة الانتقال إلى الصف الدراسى الأعلى وكأنهن شعرن أنهن كبرن فجأة وزدن ذكاء ومهارة بسبب ارتقائهن إلى الصف الدراسى الأعلى، بينما العكس هو الصحيح ، ومن غير الطلاب يستطيع أن يدرك بثقة وثبات لا يتزعزع " أن ارتقاءهم إلى المرحلة الأعلى يقربهم يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام من المستقبل المشرق والغد المأمول؟"

لكن مشاعر " تشن بوا " فى اليوم الأول للدراسة كانت متباينة ، حيث شعرت بشيء من القلق بسبب الإعلان التالى الذى قرأته على لوحة الإعلانات :  
من أجل حث الطالبات على الاجتهاد فى الدراسة قررت إدارة المدرسة التالى :

١- منح ميداليات للطالبات المتفوقات دراسياً .

٢- تمنح الميداليات طبقاً للشروط التالية :

أ-.....

ب-.....

٣- سوف يعقد اجتماع مشترك للأساتذة والطلاب فى الساعة الثانية بعد ظهر السبت القادم بصالة الاجتماعات بالمدرسة وذلك لتوزيع الدفعة الأولى من ميداليات التفوق الدراسى ، برجاء الحضور فى الموعد المحدد.

ثم توقيع ناظرة المدرسة والوكيلة.

قرأت " تشن بوا " شروط الحصول على الميداليات عدة مرات، ولا يمكن القول بأنها صعبة، لكنها لم تصل بعد إلى مستوى هذه الشروط ، وقد حدث أن تغيبت كثيراً عن دروسها لأكثر من شهر فى بداية النصف الأول من العام الدراسى ، وخلال هذه الفترة كانت نتائج امتحاناتها سيئة نظراً لانشغالها فى مساعدة لجنة الترشيد والمتابعة فى عمل الإحصاءات حيث لم تكن حركة مقاومة الرشوة والإسراف والبيروقراطية قد انتهت بعد، وبعد ذلك اجتهدت واستجمعت طاقتها ولكن المتوسط العام فى مادتين لم يصل إلى المستوى الأول المطلوب تحقيقه، وراح كثير من الزميلات اللاتي قرأن الإعلان تعلقن عليه بلهجة لا تخلو من المزاح والسخرية كعادتهن دائماً عند قراءة أى خبر جديد :

" ما فائدة هذا الإعلان ، على أى حال ليس لى نصيب من هذه الميداليات " .

" من فى فصلنا فى اعتقادك يمكن أن تحصل على ميدالية ؟ ربما . "

" ترى ما شكل هذه الميداليات ؟ وهل هى جميلة أم لا ؟ " .

" ما أشد حرج أولئك الطالبات المتفوقات فى السياسة والمتخلفات فى الدراسة

هذه المرة " .

كان لهذه العبارة الأخيرة وقع شديد على الأسماع ، مما لفت أنظار " تشن بوا " إلى قائلتها فإذا بها " لى تشون " قصيرة القامة التى ترتدى معطفها الرمادى وقد دست يديها فى جيبها ومالت برأسها الضخم كأنها تبدو - فى هيئتها هذه - فى قمة

اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وما إن نظرت " لى تشون " حتى رأت " تشن " أمامها فغمزت بطرف عينها وسألتها فى صوت عال : " أجئت من فورك ؟ عسى أن تكونى قد استمتعت بإجازة الصيف ! "

اقتربت " تشن بوا " منها وتمتمت بوضع جمل ارتجالية ثم تركتها مسرعة بعد أن قالت : " أنا ذاهبة إلى المكتبة لإعادة هذه الكتب " .

تركت هذه العبارة جرحاً عميقاً فى نفس " تشن بوا " ، فمن المسلم به أن عدم الحصول على ميدالية ليس نهاية العالم ، إلا أن " تشن بوا " التى اعتادت منذ التحرير أن تكون دائماً فى المقدمة فى كل الأحداث والمناسبات الكبرى ، وأن تقود الصفوف لإنجاز كل ما يجب إنجازه ، وأن تدعو وتحث الآخرين على التقدم فى جرأة وصلابة ، تجد نفسها هذه المرة ليست على مستوى المسؤولية ، ولم تحافظ على أمجادها فى أداء مهامها الدراسية البسيطة قياساً إلى غيرها والأساسية فى الوقت نفسه .

وكيف يمكنها بعد ذلك تشجيع زميلاتها على الاجتهاد فى الدراسة بصفقتها سكرتيرة فرع منظمة الشبيبة الشيوعية بالمدرسة ، وعضو الحزب الشيوعى الصينى فى الوقت نفسه ؟ ترى . . . . هل ينظر إليها على أنها من أولئك " التقديميات " اللاتى يتشدقن بعبارات جوفاء ؟ .

مرة ثانية حيثها بعض زميلاتها فى الفصل ، فنفضت التراب عن طرف ثوبها لتتخلص من هواجسها واتجهت ناحيتهن محيية .

\* \* \*

كان وقت الاحتفال بتوزيع الميداليات قصيراً ومثيراً فى الوقت نفسه . ألفت مديرة المدرسة كلمة شرحت فيها مغزى منح الميداليات ، ثم بدأت مراسم التوزيع حيث أخذت المديرية ، وقد اتشح وجهها بابتسامة عريضة ، تصافح كل واحدٍ من

الفائزات وهى تسلمها ميداليتها وسط عاصفة من تصفيق الحاضرين ، وكانت كل فائزة تصعد إلى المنصة من ناحية اليسار ، تتسلم ميداليتها فتعلقها على صدرها وتستدير ليراها الجميع ثم تهبط من على المنصة من ناحية اليمين . والميدالية مستديرة فضية اللون ، بها خطوط زرقاء، محفور عليها قلم وكتاب مفتوح ، سن القلم يرتكز على زاوية الكتاب وكلاهما يبدو فى شكل يبرز قليلاً عن محيط الميدالية الدائرية الشكل ، وكانت الزميلات يمددن أعناقهن ويحدقن النظر فى الميداليات ، ولا يحولن أبصارهن عن واحدة إلا إذا شاهدن ميدالية أخرى .

تجاوز عدد الفائزات بميداليات الأربعين طالبة، كان أكثرهن يحنين رؤوسهن عند استلام الميداليات وقد احمرت وجوههن كأنهن يشعرن بالخجل أكثر مما يشعرن به إذا ما وقع عليهن عقاب ، وهذه صفة مشتركة عند كل البنات .

أما "لى تشون" فكانت هادئة رزينة ، أحنى رأسها انحناءة كبيرة أمام المديرية بدلاً من مصافحتها ثم تسلمت ميداليتها بإحدى يديها وعلقتها على صدرها ، ونزلت من فوق المنصة واضعة يديها فى جيبتها ومائلة برأسها كعادتها ويشع من عينيها بريق البهجة والسعادة .

وكانت " يوان شن تشى " ممن فزن بميداليات من طالبات الصف الثالث ، لم تستطع أن تمنع نفسها من التعبير عن فرحتها ، ولكنها لم تفرط فى ذلك ، فقط قفزت من فوق المنصة قفزات متتالية حتى عادت إلى مقعدها حيث صفقت بود وإخلاص لغيرها من الفائزات .

وبعد الانتهاء من توزيع الجوائز كان إلقاء الكلمات اختيارياً ، فمن بين الطالبات اللاتي فزن بالميداليات قالت إحداهن : "إننى بطبيعة الحال لست جديرة بالفوز بهذه الميدالية غير أنى أشكر إدارة المدرسة على تشجيعها لنا، وفى الوقت نفسه أعدكم بأنى قد عقدت العزم على أن أكون عند حسن ظن الجميع " . وكن يستعملن أدوات الربط فى كل جملة ويتميلن فى حياء شديد أثناء الحديث مما انتزع ضحكات جمهور

الحاضرين حتى عمّ القاعة جو من المرح والفرح . وصعد إلى المنصة أيضا بعض ممن لم يفزن بميداليات ليؤكدن على أنهن عقدن العزم على الاجتهاد فى الدراسة لتعويض ما فاتهن ، ولكن منعهن الحياء فى ذلك الوقت من الحديث عن عزمهن على الحصول على ميداليات فيما بعد ، وأخيراً جاء دور "لوتشن" أمينة لجنة رابطة الشبيبة التى وقفت مرفوعة الهامة تتحدث ملوحة بيدها قائلة :

"الرفيقات عضوات رابطة الشبيبة والزميلات العزيزات ! لقد أفدنا أيما إفادة من اجتماع اليوم ، وكسبت كل منا مكاسب عظيمة . . وإن الحزب الشيوعى الصينى يدعونا إلى مزيد من الاجتهاد، ويطالبنا بالتربع على عرش العلم، وعلينا تحقيق ذلك بتفوق منقطع النظير . . . . " انفتحت أبواب القاعة الأربعة ، وتدفتت الطالبات للخروج وهن يتصايحن تنادى كل منهن على زميلتها ويجذبن بعضهن البعض .

استدعت "قوا" - مديرة المدرسة وسكرتيرة فرع الحزب الشيوعى بها - الطالبات الأعضاء بالحزب إلى مكتبها الذى يتكون من حجرتين شماليتين "بحريتين" كبيرتين تفصل بينهما ستارة ، الغرفة الداخلية بها مكتبها الخاص ومكان استراحة خاص بها ، أما الخارجية ففيها أريكة وبضعة كراسى خيرزان وهى مخصصة لاستقبال المدرسين والطلاب وعقد الاجتماعات المصغرة .

وجلست طالبات المدرسة اللاتى يتمين إلى عضوية الحزب الشيوعى وعددهن سبع طالبات على أريكة واحدة ، من بينهن ثلاثة فقط يتكنن إلى مسند الأريكة .

وقفت المديرية مستندة بإحدى يديها إلى الكرسى وهى تجول ببصرها فى وجوههن كما تنظر الأم إلى أولادها أو الضابط فى الجيش إلى جنوده وقالت :

" ماذا ترين ، لم تحصل من الطالبات الأعضاء بالحزب على ميداليات سوى طالبة واحدة بالصف الثانى ، ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ " .

أخذت الطالبات السبعة يتبادلن النظرات والابتسامات ولم تنطق إحداهن ببنت شفة غير " تشن بوا " التي ردت في هدوء: " نعم - بالتأكيد يا حضرة الناظرة - يدعونا ذلك إلى شيء من الأسف " .

ردت حضرة الناظرة مقلدة " تشن بوا " وهي تقهقه بصوت عال مثلما يضحك الرجال:

شيء ؟ . . . . هاها . . . . " وكانت عندما تتحدث مع الآخرين تحب دائما أن تبدأ حديثها بابتسامة ، ثم تنحو جانبا لتتناول زمزية من فوق المنضدة وتصب لنفسها كوباً من الماء .

" حسناً ، إن هذا الشعور سوف يكون حافزا يدفعك بسرعة إلى الأمام "

وواصلت مديرة المدرسة حديثها وهي تقترب منهن كأنها تسقيهن خبراتها وخلاصة تجاربها : إن كنتن - كعضوات في الحزب - لم تحققن نتائج دراسة طيبة فهذا لا يعنى إلقاء اللوم - كل اللوم - عليكم ، وليس هناك ما يدعو إلى الحزن ، فلم يمض على تحرير بكين سوى ثلاث سنوات ، ومنذ بداية التحرير كانت مهمتنا الأساسية تكمن فى تعبئة الجماهير وإزالة آثار العدوان ، وهكذا كان حال المدارس أيضاً ، لم تتوافر لديها الظروف الملائمة للدراسة ، ولقد شاركتن خلال هذه الفترة مشاركة فعالة فى كافة الحركات السياسية والأنشطة العامة فى المجتمع ، بينما كانت دراستكن - وهى رسالتكن الأولى - فى المرتبة الثانية ، ولكن الحال سيكون مختلفا بعد الآن ، وستكون الدراسة الجادة أساسا لكل شيء .

إن الدراسة عمل جاد وواقعي ودقيق ، أما الاعتماد على الحماس والشعارات الجوفاء فإنه - كما قال ستالين - يشبه هجوم الخيول الرعاء ، وهذا أمر غير مقبول ، إن المشكلة مطروحة أمامنا مؤلمة وواضحة لكل ذى عينين ، وعلينا إما أن نسرع فى العمل حتى نفى بالمطلوب ونجمع بين العمل السياسى والدراسة العملية الجادة ، وإما أن يفوتنا الركب ونصبح من الساسة ذوى العقول الجوفاء فتضيع هيبتنا وسمعتنا

الطيبة لدى الجماهير. " وهكذا أنهت مديرة المدرسة كلامها بحماس شديد وراحت تجوب وجوه الطالبات يبصرها وكأنها تنتظر الرد على حديثها.

ردت إحدى طالبات الصف الثانى والعضوة بالحزب : " لكنى أخشى أن تتباهى بعض الطالبات اللاتى يركزن اهتمامهن على الدراسة دون الأنشطة السياسية فيعتقدن أن مواقفهن السلبية تجاه هذه الأنشطة كانت سليمة، وكان لسان حالهن يقول :

" قلتن إننا متخلفات ورجعيات ، لكننا اليوم حصلن على الميداليات " .

أومأت أخرى بالإيجاب وأضافت : " ليست المشكلة أن تخشى أو لاتخشى ، فلقد ظهرت مثل هذه الظواهر بالفعل " .

" وفيما بعد سيكون من الصعب علينا القيام بمهامنا كما ينبغى " .

ردت المديرة قائلة : " وما العمل إذن ؟ هل هناك من وسيلة غير الدراسة الجادة؟ "

أجابتها طالبة أخرى من عضوات الحزب : " لتشتعل المنافسة بيننا وبينهن ، ولنعض على النواجز ، ولا خيار أمامنا سوى التفوق عليهن " .

قالت المديرة والابتسامة على شفيتها : " هذه روح معنوية عظيمة لا غبار عليها ، ولكن المنافسة الفردية وحدها لا تعالج الموقف ، فيجب عليك أن تساعدنهن ، وعليكن أن تقدمن البراهين من خلال أعمالكن على أن تبنى الأفكار التقدمية أمر ضرورى ، ليس فقط للأنشطة السياسية بل أيضاً لدراسة الجبر واللغة والأدب " .

دار حديث بين الفتيات السبع عما يجب أن يهتموا به داخل الفصل فيما بعد ، وذهب عنهن تدريجيا الشعور بالحجل والحزى الناتج عن عدم إحراز الميداليات وحل محله شعور بالحماسة تمخض عن العزيمة على اللحاق بالركب ، ولم يعد يساور إحداهن شك فى أنها ستحقق ما عقدت العزم عليه وخاصة أنهن جميعا اكتسبن خبرة فى القيام بالمهام الجسام منذ تحرير البلاد .

عادت " تشن بوا " إلى حجرة الدرس فوجدت " يانغ تشيانغ يون " تتشاجر مع لى تشون . كانت " تشوشيا ولينغ " تنتحى جانبًا وتجلس على منضدة فى أحد أركان الفصل ، بينما تجلس كل من " يانغ تشيانغ يون " ، " لى تشون " كل على حدة عند طرفى المنضدة ، وقد أعطت " لى تشون " ظهرها " لتشيانغ يون " دون أن تلقى لها بالاً . وقالت " تشيانغ يون " : " أعرف أنك ستقولين إن " تشيانغ يون " لها تحفظ على عملية توزيع الميداليات لأنها لم تفز بواحدة ، ولكن ما صلة هذا بى شخصياً ؟ إننى لا أخاف ، وتعودت أن أعبر عن رأى كالمعتاد كلما كان لى رأى ، وأنا أرى أن طريقة توزيع الميداليات هذه غير عادلة ، لأن الجميع لم يأخذن فرصة الاستعداد على قدم سواء ، لذا هناك بعض ممن يستحقن ميداليات ولكنهن لم ينلنها ، بينما البعض الآخر فزن بها دون استحقاق على الإطلاق " .

ردت " لى تشون " ببرود شديد وقد أمالت رأسها على كتفها وهى تضرب الأرض بقدمها اليسرى : " ومن تلك التى تستحق ميدالية ولم تنلها ؟ "

أجابت " تشيانغ يون " على الفور ودون تفكير وهى تشير نحو تشن بوا .

" إنها هى ، تشن بوا " ، احمرَّ وجه " تشن بوا " خجلاً وقالت " لتشيانغ يون " مستنكرة فى تواضع : " مالك تهذين بهذه الكلمات ؟ " .

وهذه هى طبيعة " تشيانغ يون " ، لا تجامل ولا تنافق حتى إنها جعلت من صديقتها خصماً لها دون أن تكثر بذلك . وردت لى تشون : " إذن فأنا التى لا أستحق الميدالية ؟ "

" يمكنك أن تحتكى إلى نفسك " .

خلعت " لى تشون " ميداليتها ووضعتها فى يد " تشيانغ يون " دون أن تعطى لغيرها فرصة لفهم ما يدور ، وانتحت بنفسها جانباً ، وارتسمت ابتسامة صفراء على شفثيها وهى تقول : " إذن دعى من تستحق الميدالية تزين بها صدرها " .



واحمر وجه " تشيانغ يون " خجلا .

كانتا كثيراً ما يدب بينهما الجدل والنقاش ، وكانت النتيجة دائماً فى صالح " تشيانغ يون " بعكس هذه المرة التى أنهت فيها " لى تشون " الجولة لصالحها بهجوم مضاد بارع ، وقد سبق أن ربطت صداقة قوية بين " لى تشون " و " تشيانغ يون " منذ أن التحقتا معاً بالصف الأول الثانوى فى خريف عام ١٩٥٠ ، بعد أن تخرجت " لى تشون " من إحدى المدارس الإعدادية فى تيانجين ، وتأهلت للالتحاق بالمدرسة الثانوية بكين .

واستطاعت " لى تشون " أن تنال إعجاب وحب " تشيانغ يون " بلباقتها وحسن مظهرها . وكانت " لى تشون " على النقيض تماماً من زميلاتها " ووتشانغ فو " ، فكانت تحضر لزميلاتها بكرم وسخاء شديدين الكعك والباوزه<sup>(١)</sup> اللتين اشتهرت بهما بلدها تيانجين ، بينما كانت " ووتشانغ فو " القادمة من إحدى المدارس الإعدادية خارج بكين تملأ جيبها بالفول السودانى وتقشره فى جيبها حبة حبة ، ثم تدس يدها خلسة من حين لآخر لتخرج من جيبها حبة وتلقى بها فى فمها بسرعة بعيداً عن أنظار زميلاتها خشية أن يطلبن منها بعضاً منه ، وقد قامت " لى تشون " أثناء الأحتفال باستقبال الطالبات الجدد بتقديم أغنية ويغورية ، وأغنية شعبية من الفلكور على دق طبول موسيقى بكين المحلية مما أثار إعجاباً شديداً لدى زميلاتها وخاصة " تشيانغ يون " ، وسرعان ما ظهر للجميع تفوقها الدراسى . وقد اشتركت فى رابطة الشبيبة فى عام ١٩٤٩ وأصبحت عضواً بلجنتها الرئيسة فى مدينة تيانجين ، ونشر لها مقال فى صحيفة " تيانجين " اليومية ، ورغم أن هذا المقال لم يتجاوز المئة رمز ، إلا أنه لم يكن شيئاً بسيطاً فى نظرهن .

وعندما جرت انتخابات أعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد الطالبات ، لم تتردد زميلاتها فى انتخابها كعضو فى اللجنة ، كما أنها اشتهرت بينهن نظراً لقيامها بأعمال الثقافة الجماهيرية ، وتنظيم الجماعات الطلابية ، والإشراف على الحملات المسائية .

(١) الباوژه : نوع من الأكلات الشعبية المشهورة فى الصين ، وهى عبارة عن رقائق من الخبز المحشو باللحم المفروم والبصل والثوم وبعض الخضروات المفرومة ، ويتم إعدادها فوق البخار .

وكانت " تشيانغ يون " كثيرا ما تبحث عن " لى تشون " ليتجاذبا أطراف الحديث . ولم تكن موضوعات أحاديثهما عن صعوبة الامتحانات أو ألقاب الأساتذة أو تسريحات الشعر فهما لا يأبهان بكل ذلك ، بل كان موضوع حديثهما الدائم هو الكتاب ، وخاصة الروايات المترجمة .

ولم يمض وقت طويل على التحاقهما بالثانوية حتى اندلعت فى البلاد حركة مساعدة كوريا ضد العدوان الأمريكى ، فتوقفت الدراسة ونزل معظم الطلاب إلى الريف وإلى الشوارع للقيام بالأعمال الإعلامية لفضح هذا العدوان . وكانت " لى تشون " آنذاك تصل الليل بالنهار دون كلل أو ملل فى كتابة الأرزجال وحجز المسارح لإقامة الندوات والإشراف على إصدار نشرة " النداء " المنسوخة باليد فى المواعيد المحددة ؛ ولذا كان طبيعيا أن يكون اسم " لى تشون " على رأس قائمة التقدير التى أعلنتها رابطة الشبيبة فى المدرسة لمن ساهم بأعمال إيجابية فى حركة مساندة كوريا ضد العدوان الأمريكى ، ولكن " لى تشون " تحت هذه الظروف زلت قدمها فى طريق دراستها زلة أدت إلى استدارتها على عقبها .

فتحت المدرسة العسكرية أبوابها فى ديسمبر عام ١٩٥٠ ، وكان هذا مثار دهشة " لى تشون " التى لم تكن تتوقع أن يتم تجنيد الطلبة ، ألم يكن عدد جنود الجيش كافياً؟ ، ألم يتم تسريح بعضهم فى الوقت الحالى؟ فهى نفسها فى الصف الأول الثانوى وتوشك أن تلتحق بالجامعة فلا تلبث أن تتخرج منها مهندسة . . . . . ولكن إذا توقفت الآن عن الدراسة ، فما العمل إذن فى المستقبل؟ عسى أن تكون حرب مقاومة العدوان الأمريكى فى كوريا حرباً مؤقتة ، ثم إن الاشتراك فى الجيش لا يرجى من ورائه مستقبل ، وإننى كفتاة لا يتاح لى الآن إلا أن أكون ممرضة فى الجيش على أكثر تقدير ، أما إذا التحقت بالجامعة فيمكننى دراسة الطب والعمل كطبيبة أو أستاذة فى علوم الطب ، زيادة على ذلك أنه إذا انتهت الحرب فى المستقبل

سيتم تسريح كل المجندين ، حيث أكون قد تقدم بي العمر ، فماذا أعمل آنذاك  
... ؟ لا ، لن أتقدم بطلب لتسجيل اسمي أبداً.

ثم إن تقديم الطلبات يتم اختياريًا ، وهناك أعداد كبيرة من الزميلات لم يقدمن  
طلباتهن بالفعل ، ولكن ألاً تتقدم " لى تشون " بطلبها فهذا ما يثير دهشة  
الأخريات ، فوقت الكلام تكون أكثرهن إيجابية وعندما يجد الجدد تنكمش  
وتراجع ، وهذا ما سوف يثير ضدها جواً من السخط العام . أخذت " لى تشون "  
تتقلب ذات اليمين وذات الشمال وأصابها السهد حتى جاءتها " يانغ تشيانغ يون "  
وخاطبتها قائلة : " لى تشون " غدا يبدأ تقديم طلبات التسجيل ، فلنذهب معاً ! "  
نذهب ... .. "

مرضت " لى تشون " وأخذت إجازة لأسبوعين ، وعندما عادت إلى المدرسة  
كان قد عقد اجتماع وداع الزميلات اللاتي التحقن بالمدرسة العسكرية ، وقد أثار  
تصرف " لى تشون " تعجب كل زميلاتها فى الفصل ، بل أثار غضبهن وحتى  
استخفافهن بها ، ومنهن من قالت بصراحة : " آه ، أعودين مدعية المرض ! " وكانت  
بعض زميلاتها قد ذهبن لرؤيتها ولكنهن لم يستطعن مقابلتها ، وبعد عودتها إلى  
المدرسة كانت طول الوقت تلف حول عنقها لفاحا وتضع على فمها كمامة ،  
وصوتها يحمل نبرات أنفها وأصبحت فتاة أخرى غير تلك المنطلقة المتفائلة التي  
كانت من ذى قبل ، وكان الشعور بالخزي والحجل لا يزال يعذبها ، حتى إنها  
شعرت ببرود مشاعر الأخريات تجاهها ، فبعضهن يقابلها بالجفاء والبعض الآخر  
يحاول التقرب إليها ، ولكنها تشعر أن الأمور ليست طبيعية ومن ثم تجهم وجهها  
وقالت فى نفسها : " نعم ، إنهن يستخفن بي ! " وفى الفترة الثانية من العام  
الدراسى طالبت بعدم الاشتراك فى أعمال اتحاد الطلاب بحجة سوء حالتها الصحية  
وتخلفها فى الدراسة ، فاضطر الاتحاد إلى الموافقة على طلبها ، وقد أثار ذلك  
غضب " لى تشون " ، إنكن تلفظوننى كما توقعت حتى إنكن لم تبدين  
محاولة فى الإبقاء على .

شحذت " لى تشون " الهمم ، ودفنت نفسها بين الكتب ، وكانت تقول لنفسها : "لتنافس ، إنكن تزدريتنى الآن، ولكن لا بد أن تعجبين بى فى يوم من الأيام !"

أخذ الجفاء يزداد شيئاً فشيئاً بين " لى تشون " وزميلاتها وخاصة " يانغ تشيانغ يون " التى سجلت تصرف " لى تشون " فى يومياتها بقولها : ".....  
..... أحسب أننى عرفت وجه " لى تشون " الحقيقى ، لقد اختلست صداقتى ! " وكانت " يانغ تشيانغ يون " كثيراً ما تهاجم " لى تشون " فى وجهها مثلما حدث فى ربيع عام ١٩٥١ عندما كانت الطالبات يضعن لوائح حب الوطن.

وكانت هذه اللوائح تضم بنداً عن مطالعة الصحف لمدة نصف ساعة يومياً ، لم توافق " لى تشون " على هذا البند وقالت : " هذا بند رنان ، ولكن لا يمكن تنفيذه، يحسن به ألا يدخل فى اللوائح ، ودعونى أقولها بصراحة إننى لن أستطيع تنفيذه " .

ردت " يانغ تشيانغ يون " : " أنا أستطيع ، وأنتن؟ "

أجبن كلهن بأنهن يستطعن .

وأضافت " تشيانغ يون " : " إننى أقترح الموافقة على هذا البند على أن نلحقه بملاحظة : باستثناء " لى تشون " .

" ماذا تقصدين ؟ "

" ننتقل من أرض الواقع " .

" أنت هكذا تتعمدين الإساءة إلى " .

" لا يمكن من أجلك أن نتنازل عن موافقة الفصل بالإجماع " .

وتمت الموافقة على لائحة حب الوطن وبها ثلاثة بنود ملحق بها ملاحظة " باستثناء لى تشون " .

ومن ثم تعرضت " يانغ تشيانغ يون " لبعض الانتقادات بسبب تصرفها مع " لى تشون " . وتحدثت الجماعة الفرعية لرابطة الشبيبة فى هذا الفصل عدة مرات فى هذا الشأن ، وفى الوقت نفسه بذلت الزميلات محاولات للتقرب إلى " لى تشون " . فتحسنت الأمور بعض الشيء وأصبحت " لى تشون " داخل الفصل "ملتزمة بالنظم واللوائح " تشارك فى الاجتماعات وتؤدى ما يسند إليها من أعمال عامة، غير أنها لم تستطع التخلص من التهكم على الأخريات والكلام عنهن فى سخرية لاذعة ، مصممة فى نفسها على التفوق على زميلات لها عازمة على ألا ترضى بديلا عن استعادة كل ما فقدته .

ويبدو أن ذلك الوقت قد أتى ، فقد حصلت على ميدالية بينما لم تحصل كل من " تشن بوا " و " يانغ تشيانغ يون " على شيء ، أليس ذلك شيئاً جميلاً ؟!



(٤)

وجهت " يانغ تشيانغ يون " سؤالاً إلى " تشن بوا " بعد ذلك :  
" أبحزنك أنك لم تفوزى بميدالية ؟ " أجابتها تشن بوا: " لست أدرى ، عندي نوع  
من الإحساس بأننى كطالبة بالثانوية يجب أن أبدأ من جديد ، أشعر أن هناك الكثير  
الذى يجب أن أفعله ، فمثلاً كان يساورنى نفس الشعور قبل أن أشارك فى الحركة  
الفعلية للثورة ، وذلك قبل انضمامى إلى التحالف الديمقراطى ، وإنه لمن العجيب  
أننى حينما أعتزم القيام بتلك الأعمال التى لم أقم بها من قبل أشعر بسعادة من نوع  
خاص . . . . . " .

فكرت " تشيانغ يون " ملياً ، ثم أطلقت بصرها نحو الأفق البعيد ، فبدت  
عينها وكأنهما لا تعكسان فقط ما تقعان عليه من أشياء ، بل أيضاً تشعان نوعاً من  
الجمال الغامض ، وردت قائلة : " أنت على حق! نعم إنها السعادة ، وقد شعرت  
بها فى بداية اشتراكى فى المعسكر ، وإن أمر توزيع الميداليات يمكن أن يكسب الحياة  
مذاقاً جديداً ، " تشن بوا " ، ينبغى علينا أن نعمل بكل الجهد " . . . . .  
استرجعت " تشن بوا " ذلك الحوار بعد أن مضى عليها ست ساعات وهى تجلس  
بالفصل .

ظهرت ملامح الحياة الجديدة فى كل مكان ، فمثلاً هذا الفصل الذى يعتبر  
أفضل حجرة فى المدرسة ، حيث يفتح بابها ونافذتها فى الجهة البحرية ، ويلصق  
على جدارها القبلى المواجه للنافذة لوحة عليها خمسة رموز مكتوبة بالحجم الكبير  
وباللون الأحمر : " فلنتقدم نحو العلم " ووضع تحتها علامة تعجب كبيرة ، وعلى  
الحائط الغربى علقت سبورة جديدة من الزجاج الأخضر الداكن ، واقترحت الجماعة  
الفرعية الثالثة لرابطة الشبية بالمدرسة مساعدة المدرسين قبل الحصّة ، حيث يقمن  
بإعداد الوسائل التعليمية مثل تعليق الخرائط والصور التوضيحية على الحائط وتنظيف  
السبورة حتى تصبح كخدا فتاة جميلة فى ليلة ربيعية ، أما الحائط الخلفى للفصل فهو

مكان مجلة حائط بعنوان "الدراسة" ، وهذه الكلمة المكونة من رمزين تم قصها من غلاف مجلة بعنوان "مجلة الدراسة" ثم ألصقت في أعلى المجلة، وقد اتخذت هذه المجلة من امتحان الفترة موضوعاً أساسياً لها ، ولقد تعددت الاختبارات في هذه الفترة ، فقد يطالب الأستاذ الطالبات في الدقائق العشر الأخيرة من الحصّة بأن تجهز كل منهن ورقة لتجيب على بعض الأسئلة التي يطرحها عليهن عن درس الأمس..... وبيجوار مجلة الفصل تلصق على الحائط صورة لفتاتين من فريق البحث والتنقيب يعلوها عنوان: "لنقدم إلى وطننا ربيع أعمارنا".

وما إن تدخل الفصل حتى تشعر بروح الحماس والعمل الدؤوب ، وأنه ليس هناك ثمة مكان للكسل والكسالى، ورغم أن الوقت كان يصادف نهاية الأسبوع (السبت) ، إلا أن بعض الطالبات بقين في الفصل يذاكرن في جد ، فمنهن من أطبقت كفيها واستغرقت في التفكير، ومنهن من راحت تستذكر دروسها وهي تدق رأسها بأناملها في خفة وحنان، ومنهن من ينساب قلمها في خفة على صفحات الورق ، وتشهد " تشن بوا " كل ذلك فتشجع نفسها قائلة: لن يغمض لى جفن حتى أحقق غايتى".

استغرقت " تشن بوا " طيلة فترة ما بعد الظهر في محاولة لحل مسألة ، ولكن باءت جهودها بالفشل ، فواصلت محاولاتها بعد تناول العشاء ، استهلكت رزمة كبيرة من الورق في التجارب حيث جربت الكثير من الصيغ الحسابية والأرقام والرسوم مستخدمة أقلام الرصاص ذات السن الخشن والأخرى ذات السن الناعم ، الأحمر والأزرق ، ولم تعرف كم ستتمتراً مكعباً استهلكتها من ممحاتها. وقد حاولت " تشن بوا " مرات أن تقنع نفسها قائلة: " أن أبدأ أولاً بما هو أسهل" ، ولكن ما إن تبدأ في الإجابة عن سؤال آخر حتى تحس كأن ذلك السؤال الصعب يشدها إليه، وفجأة رأت أنها أصبحت قادرة على الإجابة، فدفعت بكتاب العلوم جانباً بسرعة وتناولت ورقة بيدها المرتعشة، وأخذت تكتب المعادلة الحسابية وتحلها



خطوة بعد خطوة يا للخسارة ! لا يزال هناك مجهول واحد أعجز عن معرفته ألا يمكن أن يكون السؤال قد وضع خطأ ؟ لا ، مستحيل ، ولا يمكن " لتشن بوا " أن تخذع نفسها ، فأطبقت جفنيها وأراحت نفسها برهة من الوقت ، ثم راحت تفكر وهى تبرى القلم الرصاص ، تناثرت نشارة الخشب على ملابسها وفخذيها وراح سن القلم يطول شيئاً فشيئاً ، حتى أطاحت به الشفرة ، وعادت تبرى وتبرى من جديد .

اقتربت منها " ووتشانغ فو " فى خفة ودعة ونادت : " تشن بوا ! " فالتفتت " تشن بوا " ووقع نظرها على " ووتشانغ فو " ذات الوجه المطهم واللحم الذى يتكدس فوق خديها ، حينذاك أضاء المصباح الكهربائى فانعكست أضواؤه على أنفها المكور الضخم الذى رسم ظلا بين فمها وخدها الأيمن .

أحنت " ووتشانغ فو " قامتها ، وأظهرت كتاباً كانت تخفيه خلف ظهرها ثم سألت " تشن بوا " مشيرة إلى أحد الأسئلة فى الكتاب : " معذرة ، إننى شديدة الغباء ، بالطبع يجب على أن أحاول بنفسى ، لكنى لا أستطيع ، حتى إذا فكرت ثلاثة أيام فلن أصل إلى شىء ، ساعدينى بالشرح والتحليل ، ولو بالإشارة " .

نظرت " تشن بوا " إلى سؤالها ، ثم تناولت كتابها هى الأخرى وقالت : " انظرى " ! أأست متعثرة أيضاً ؟ إننى مثلك ، لا أعرف " .

قالت " تشن بوا " ضاحكة : " هل يمكنى إذا كنت أعرف أن أنتظاهر بعدم المعرفة؟ تعالى نفكر معاً ... .. " .

شرحت لها " تشن بوا " الاحتمالات الثلاثة التى توصلت إليها كطرق ممكنة للحل ، وقد هزت " ووتشانغ فو " رأسها بالموافقة على كل من هذه الاحتمالات وقالت : " نعم ، إنه يبدو كذلك " ثم استدركت بأنه هكذا ، بل إنه كذلك ، وعلى غير المتوقع لم تكن " تشن بوا " متضايقة مما تبديه " ووتشانغ فو " ، بل نظرت إليها فى أسف لأنها نفسها لم تستطع أن تقدم لها المساعدة المطلوبة .

سُمع وقع خطوات رشيقة متلاحقة ، ودخلت " يوان شن تشى " الفصل ضاحكة مهرولة، وتقدمت حتى أصبحت أمام مقعد " تشن بوا " وأمسكت بيدها وجذبتها فأوقعتها وصافحتها بشدة.

"ماذا دهاك حتى أصبحت بهذه الصورة من الجنون؟" واستخدمت " تشن بوا " عبارة "بهذه الصورة من الجنون " التى مرت بها فى أحد نصوص اللغة التى درستها أخيراً.

توقفت " يوان شن تشى " عن الضحك ، فهى لا تضحك أبدا عندما تتكلم، لكنها تُضمّن هذه البسمات والضحكات كل كلمة تنطقها ، بل وكل حرف يدور على لسانها.

قالت : "نجحت فى الحل ووجدت حلاً بعد تفكير عميق، ولهذا الغرض جئت إلى هنا على دراجتى . عندما رجعت إلى البيت ، لم أهنأ بتناول طعامى ولم أهتم بالرد على أحد، فقط ركزت كل تفكيرى فى هذه المسألة . وقد أصاب أمى الفزع إذ اعتقدت أننى مريضة . يا للجهد الكبير الذى بذلته بعد ظهر اليوم!"

أطلقت " يوان شن تشى " هذه الكلمات دفعة واحدة فى ترتيب عكسى ، ثم أخذت تتحدث فى تسلسل طبيعى قائلة: "هل فهمت مفتاح حل هذه المسألة؟ إنها فى الواقع ليست مسألة صعبة إذا ما قورنت بغيرها من المسائل الصعبة حقاً . . ."

استوقفتها " تشن بوا " : " كفى !"

"هل توصلت إلى حل؟"

"أنت التى توصلت إلى الحل ، أما أنا فمازلت فى موقف حرج ، دعينى أفكر بنفسى !" قالت " يوان شن تشى " متوسلة: "من فضلك ، دعينى أتكلم ، إننى سعيدة حقيقة أود أن أساعدك . . . . ."

ردت تشن بوا فى إلحاح هى الأخرى : " لا ، لا تتكلمى من فضلك ، بالله عليك لا تشرحى وإلا فسوف أسد أذنى بإصبعى ا "

أخرجت " يوان شن تشى " لسانها مداعبة ، وقد انتحت جانباً ، وعندئذ اقتربت منها " ووتشانغ فو " وقالت : " من فضلك ، هلا حدثتني عن الحل؟ " نظرت يوان شن تشى " إلى " تشن بوا " فإذا بها قد خرجت من الفصل ، فأخذت الأولى تشرح المسألة " لووتشانغ فو " خطوة خطوة وهى تتوق شوقاً إلى أن تجد من يسمعها وهى تحل هذه المسألة الصعبة ، لم تترك شيئاً ، حتى مراحل التفكير وطريقة الحل والتجارب وتحليل وتقييم المسألة ، كل هذا شرحته وفسرته دون أن تتوقف بأسلوب شيق ومثير يشبه فى ذلك أسلوب " سون ووكونغ " (١) وهذه المهارات التى كسبتها " يوان شن تشى " من خلال عملها فى الطلائع ، مكنتها من أن تشرح وتحلل المسألة بأسلوب قصصى ، ومن الطبيعى أن تشعر " ووتشانغ فو " بالامتنان ، ومن ثم أخرجت من جيبيها (وياله من جيب سحرى) حفنة من اللب ووضعتها فى يد " يوان شن تشى " .

عادت " تشن بوا " إلى الفصل ، وقد شعرت بالقلق لنجاح " يوان شن تشى " فى مهمتها ، وقالت فى نفسها : " لقد تخلفت عن الركب " . بعد خروجها إلى أرض الملعب ، وبعد أن ملأت رثيها بالهواء النقى فكرت وهى على يقين أن مفتاح الحل الذى توصلت إليه صحيح ، ثم أخذت نفساً عميقاً وعادت فى ثقة وعزم إلى مقعدها فى حجرة الدرس .

لقد تجاوزت التاسعة ، وعندما قررت " يوان شن تشى " العودة إلى المنزل بعد أن فرغت من حل المسألة " لووتشانغ فو " ، دخلت " تشوشيا ولينغ " الفصل

(١) سون ووكونغ :هى فى الأصل اسم قرد ، ولكن استخدمت ووتشن إن " الكاتب والأديب البارز فى عهد أسرة "ينغ" هذا الاسم فى روايته الخيالية الشهيرة ذات الصيت الذائع فى الأدب الصينى "رحلة إلى الغرب" وذلك رمزاً للذكاء والدهاء والمهارة والحيلة، ومن ثم فإن هذا الاسم يستخدم فى الصين حتى الآن كناية عن الذكاء المتوقد والمهارة الفائقة .

مع زميلاتها الصينيات المغتربات اللاتي عدن إلى البلاد وهن يتغنين ببعض الأغنيات ، وما إن دخلت " شيا ولينغ " ورأت هؤلاء اللاتي يذاكرن حتى بدت عليها علامات الدهشة وضمت قدميها ورفعت ينها محيية ، وصاحت : " أيمكنكن فى مثل هذا الوقت الجميل أن تحتبسن داخل الفصل وتذاكرن ، إنه شىء عظيم ! أرجو أن تسمحن لى نيابة عن الغوغائيات المهرجات أن أعبر عن إعجابى واحترامى وتقديرى لكل مدعيات العلم ! "

ضحكت جميع الطالبات ، وردت عليها زميلاتها اللواتى يؤدين واجباتهن " اذهبى عنا ، وكفاك إزعاجاً لنا ! ردت " تشوشيا ولينغ " فى مرح وسعادة : " ما أجمل هذا اليوم ، لقد تجولت فى الشوارع الكبرى فوجدتها تموج بمظاهر السعادة ، إن العيد الوطنى على الأبواب وكذلك عيد " منتصف الخريف " ، ألا تعرفن ذلك ، إن الشوارع العامة الآن يباع فيها التفاح والعنب والموز والكمثرى ويطبخ " دى تشو " الأحمر والكعك المحشو بالعناب ، وتباع أيضاً لعب الأطفال التى على شكل أرنب .... "

غرق الجميع فى الضحك وسألوها : " وماذا أكلت ؟ " هرشت " تشوشيا ولينغ " رأسها وأجابت : " أمتعت ناظرى وأشبعت عينى . "

ثم وقع نظرها على " يوان شن تشى " فنادت بصوت عال : " يوان شن تشى ، أنت .. . . . "

وضعت " تشن بوا " كراستها وقالت ساخرة من " تشوشيا ولينغ " : " فيم تنادين " يوان شن تشى " ؟ إنها ليست بطيخة حمراء . "

لم تعبأ " تشوشيا ولينغ " بكلام " تشن بوا " ، بل اقتربت من " يوان شن تشى " وراحت تقلب فيها البصر : " ماذا بك ؟ اعتقدت أنك مريضة . "

ردت " يوان شن تشى " : " كنت أحاول حل إحدى المسائل ولم أنته منها ، لذلك لم أخرج . "

سألتها " تشوشيا ولينغ " : " وتذكرة الفيلم؟ " .

" للأسف ! ، ذهبت هباء " .

" إن قدرتك على المثابرة تدعو للإعجاب ، ولكن هل تعرفين كم من الزميلات وقفن فى الصفوف دون الحصول على تذكرة لمشاهدة الفيلم؟ أما أنت فقد أضعتها سدى . . . "

وتوقفت " تشوشيا ولينغ " عن الكلام لشعورها بالأسف العميق ، وألقت بنفسها فوق أحد المقاعد ردت " يوان شن تشى " معبرة عن تقصيرها ، وعلى شفيتها ابتسامة باهتة ، ثم قالت إنها يجب أن تعود " أدراجها إلى البيت " ، فنهضت " تشوشيا ولينغ " لوداعها وخرجتا معاً .

ولم تعد باقى الطالبات يرغبن فى البقاء بالفصل ، فرحن الواحدة تلو الأخرى يجمعن كراساتهن وكتبهن وأدواتهن المدرسية ، وأخذت المقيمات خارج المدرسة فى الاستعداد للعودة إلى منازلهن ، بينما تأهبت المقيمات بها للنوم .

لم يعد فى الفصل سوى " تشن بوا " وحدها ، وقد بدا الفصل أكثر هدوءاً بعد أن كانت الضحكات تجلجل فى أرجائه ، حيث تتهادى إليها أصوات موسيقى من الخارج ، كان هذا اليوم يصادف نهاية الأسبوع ، غير أن " يوان شن تشى " ضحت بمشاهدة الفيلم ، وظلت حتى تمكنت فى النهاية من حل المسألة . رفعت " تشن بوا " رأسها ونظرت إلى علامة التعجب الضخمة المثيرة الموجودة على الحائط حيث توجد صورة فتاة من فريق الفتيات للتنقيب عن المعادن وهى ترتدى قبعة حمراء ، وكأنها تنظر إليها وتبتسم قائلة لها : " يا بطيخة داتشو الحمراء . " ، وتهادى إلى أذنيها صوت ضحكات " تشوشيا ولينغ " ، اجتمع كل ذلك فى آن واحد مما جعل " تشن بوا " تشعر بالمسئولية والسعادة فى آن واحد، تلملت فى مقعدها حيث قفز إلى ذهنها تصور غير واضح لحل المسألة .

عادت " تشوشيا ولينغ " و " يوان شن تشى " مسرعتين وقد تشابكت يداهما  
وهما تصيحان فى " تشن بوا " : " اخرجى بسرعة ، دبابة ، دبابة ! "  
سمعن صوت هدير الدبابات يتزايد شيئاً فشيئاً مع اقترابها منهن .  
وصاحت " تشن بوا " فى ارتباك : " مهلاً ، مهلاً .. . . "

ولم تلبث " تشوشيا ولينغ " و " يوان شن تشى " أن خرجتا من الفصل ،  
وأصبحت " تشن بوا " وحيدة فى الفصل من جديد والصوت يقترب والأرض تهتز  
تحت قدميها هزات متلاحقة وكأن الدبابة تشق طريقها إلى داخل المدرسة . كان قلب  
" تشن بوا " يخفق بين ضلوعها وهى تفكر فى الخروج لمشاهدة الموقف ، ولكن  
شيئاً ما أكبر وأهم شدها ، حيث كانت تريد أن تحاول مرة أخرى تجربة طريقة  
جديدة لحل المسألة ، كان هدير الدبابة يحثها على الخروج ، وهى تحاول الحل المرة  
تلو الأخرى وتقول لنفسها : " تمهلى قليلاً " ، " لا تقلقى " ثم صاحت ، آه ،  
وجدتها ، لقد وجدت الحل !

وكادت تصرخ : " وجدت الحل ! " " هدأت نفسها وأخذت نفساً عميقاً  
وراجعت حل المسألة ، نعم إنه صحيح !

وجدت الحل ، توصلت إلى النتيجة ، بعد تسع ساعات متواصلة اقتحمت القلاع  
الحصينة ! وقد تهلل وجه " تشن بوا " بالسعادة وهى تدور حول الكرسي دورة  
كاملة حتى كادت تصطدم بالمنضدة . كان صوت الهدير يدق فى مسامعها كالرعد  
وكأنه يهتثها ، وكانت خيوط الضوء تتراقص كأنها تشاركها فرحتها ، وظلها يطول  
ويتمايل مع اهتزاز المصباح ، فبدت أكثر مهابة وكبرياء ، واقتربت من صورة فتاة  
فريق التنقيب عن المعادن ، ولوحت بيدها قائلة : " انظرى ، لقد تمكنت من حل  
المسألة " .

قبعت "تشن بوا" فى الفصل طويلاً كأنها كتلة جامدة فى جو شديد الحرارة ، أما الآن فقد انطلقت وأخذت تقفز قفزات متتالية وهى تكاد تطير ، وقد أحست من جديد بنسمات ليل الخريف المنعشة فأخذت تستنشقها فى نشوة بالغة وهى تهمس فى نفسها، بل وتهز رأسها كالأطفال: "أخيراً وجدت الحل . . . . ."

كانت المحطة المجاورة لناصية الحارة تعج بالطالبات اللاتى أفسحن "لتشن بوا" مكاناً بينهن وقال لها بعضهن : "سوف تقام تدريبات العرض العسكرى فى ميدان تيان آن مين مساء اليوم" ، أومأت برأسها وأرسلت بصرها تشاهد مع زميلاتهما فى شغف تلك القاطرات التى تجر المدافع الثقيلة بفوهاتهما الواسعة الشامخة كأنها تعلن عن تحد شديد ، وأجسامها المصقولة التى ينعكس عليها ضوء القمر ، والدبابات العملاقة ذات الجنازير الضخمة تهز الأرض من تحتها وتتقدم فى مهابة وتؤدة ، تاركة بصماتها فى عرض الطريق ، ودخانها يزكم الأنوف، لكن جموع المتفرجين على جانبى الطريق تستنشق فى سعادة بالغة وهم يشعرون بارتياح عظيم ، وأخذن يرقبن بشغف كل حركة من حركات هذا السرب الحديدى الجبار خشية أن تفوتهن لمحة واحدة ، منهن من حبست أنفاسها وراحت تعد واحد ، اثنين ، . . . ، عشرة . ومنهن من تضم زميلتها إلى جوارها والابتسامة تملو شفيتها ، ومنهن من أخذت تتمتم قائلة: "ما أشد روعة السرب وما أكثر تنوعه !". وقد تحمست الجماهير بشدة حتى إنها تفوقت فى ذلك على أولئك الجنود الرابضين فوق الدبابات وتتطلع أبصارهم إلى الأمام فى عز وكبرياء.

كانت مديرة المدرسة تشاهد التدريبات هى الأخرى ، وقالت: "كل ذلك ملك لنا" ! وقد تركت هذه العبارة البسيطة أثراً عظيماً فى نفوس أبناء الجيل الجديد من هذه الدولة الفقيرة التى عانت صنوف التعاسة والعذاب ، والتى تتقدم شيئاً فشيئاً نحو القوة والازدهار. همست "تشن بوا" فى نفسها مخاطبة الدبابات التى تمر أمامها :

"على أن أذاكر دروسى بشجاعة وإقدام مثل المدافع ومثل الدبابات !"





(5)

كن يسرن فى الشوارع الكبرى جنباً إلى جنب عشية يوم " أول أكتوبر " ، فلقد انتهين لتوهن من مشاهدة فيلم " لا محيص عن ترويض نهر خواى " ولم يعدن من نشوة السعادة إلى أرض الواقع بعد، كن يمشين بخطى متأنية .

قالت " سونينغ " ، وحسنة سوداء فوق شفرتها العليا تظهر وتختفى :

" إن هذا الفيلم ترك فى نفسى أثراً عظيماً ، حتى كان من الصعب على أن أتركه ، بل أثار فى نفسى شيئاً من القلق ، وحينما كنت أشاهده كنت أعيش فيه بكل كيانى ، وأنفعل مع لحظات السعادة ومع لحظات الحزن ، وأنسى كل شىء ، ولكننى عندما أسدل الستار ، وظهرت على الشاشة كلمة النهاية ، وفتحت النوافذ ودخلت أشعة الشمس ، وسمع من مكبر الصوت أصوات موسيقى لا علاقة لها بالفيلم انصرفت وأنا أشعر بالحزن والأسف . . . . . " وأخرجت منديلاً حاريراً صغيراً وراحت تمسح به جبينها .

هزت " تشوشيا ولين " رأسها وقالت : " عندما انتهيت من مشاهدة الفيلم وغادرت السينما لم أشعر بأدنى قدر من الأسف " ، كانت خطوة واحدة من خطواتها تعادل اثنين من خطوات سونينغ ، وأضافت " أحب أن أقص حكاية الفيلم على من فاتها مشاهدته من الزميلات حتى أثير فضولهن وأجعلهن يندمن على عدم مشاهدة هذا الفيلم ، يالها من سعادة تغمرنى حقاً ! "

قالت يوان شن تشى معترضة على كلام " سونينغ " : إن الحياة أكثر روعة وجمالاً من الفيلم " كانت تشى فى مقدمة الصف بخطوات رشيقة ، والتفتت مشيرة إلى الجانبين وقالت : " الشوارع الكبرى عشية أول أكتوبر ، أليست أكثر جذبا للانتباه ولفتا للأنظار من الفيلم ؟ " .

سرحت أبصارهن تجوب الشوارع التي ازدانت بزى العيد، وقد أقام الكثير من الهيئات والإدارات أقواس الزينة عند مداخلها ، وعلقت الفوانيس الأثرية المصنوعة من قماش الحرير الأحمر والتي ظلت ترسل أضواءها طوال الليل ، وعلى جانبي الطريق ينشغل الباعة في تقديم طلبات العيد التي أوشكت أن تنتهي مثل الفواكه والكعك إلى الزبائن المتزاحمين الراغبين في الشراء. ويستخدم القائمون على إدارة المسيرة الجير الأبيض في وضع علامات التوقف والانطلاق عند حافة الرصيف. وفي الاتجاه العكسي يسير الكثير من الطالبات الأخريات مثلهن تمامًا ، يرتدين الحلل الزاهية المزركشة ويأكلن البطيخ والتفاح ويتقدمن متشابكات الأيدي وهن يرددن الأغنيات.

قالت سونينغ وهي تنهد: " إن شوارع بكين جميلة ونظيفة، ولكن متى تصل شوارع الريف إلى هذا المستوى؟ لا أعرف إلى متى يطول هذا الوقت " ؟ .

قالت " تشيانغ يون " التي تسير بجوار " سونينغ " وقد استندت بيدها إلى كتفها " لماذا تقولين إن ذلك بعيد ؟ إننى أشعر فى الأيام الأخيرة أن كل شىء قريب المنال ، قريب جدا، وأن الحياة تمضى آلاف الكيلومترات فى اليوم الواحد وكأنها مربوطة بطائرة نفاثة ، عودى بذاكرتك إلى الوراء قليلاً ، حيث كان شعرنا ممشطاً ومضفراً فى ضفائر قصيرة ، وحيث كنا نرقص رقصة "يانغ تشو"<sup>(١)</sup> فى شارع "دونغ جياومين شانغ" لنرحب بمقدم جيش التحرير إلى المدينة وكأن ذلك حدث بالأمس القريب، وقد كان هناك كوم ضخيم من الزباله يجثم على أنفاس هذا الشارع آنذاك. سيبدأ تنفيذ الخطة الخمسية من العام القادم ، وقد نستيقظ من نومنا ذات يوم لنجد كل الريف الاشتراكى من حولنا قد شيدت به محطات توليد الكهرباء. "وما إن فرغت من حديثها حتى بادرت بابتسامة لشدة طموحها وعظيم أحلامها.

(١) إحدى الرقصات الشهيرة فى شمال الصين .

وشاركت " تشن بوا " هى الأخرى فى الحديث وقالت : "إننا سعيدات بهذا الحديث ، فقد عايشنا الكثير من الأحداث خلال مرحلة الدراسة المتوسطة ، عايشنا نهاية حزب الكوميتانغ وقيام الصين الجديدة، ومساندة كوريا الشمالية فى وجه الاعتداءات الأمريكية، وعندما نتخرج يمكننا اللحاق ببداية مرحلة البناء ! "

علقت " تشوشيا ولينغ " بغرض إضحاك زميلاتنا قائلة : "ولكن ذلك من سوء حظنا ، حيث إن الأساتذة يأخذون من متطلبات مرحلة البناء ذريعة لوضع أصعب الأسئلة فى الامتحانات. "

وبعد أن ضحك الجميع ، طرحت " لى تشون " سؤالاً ، فقالت وقد جاء صوتها بنبراته الهادئة ونغمته المتأنية بين حديثهن الضاحك ليوحى بأن صاحبه كأنها متقدمة فى العمر :

"بمناسبة الحديث عن حسن الحظ وسوته ، دعنى أطرح سؤالاً : هناك نوع من الأبطال ، مثل بطل هذا الفيلم الذى يبدو أنه محظوظ جداً، وهناك أيضاً نوع آخر من الأبطال نعرفهم جميعاً مثل ليوخولان ، ودونغ تسون روى وهؤلاء ضحوا بأرواحهم ، أليس كذلك؟. "

هزت " تشوشيا ولينغ " رأسها وقالت : "لست أفهم ما تقصدين . "

لم تتعجل " لى تشون " فى الرد ، وابتسمت ابتسامة خافتة ، وانتظرت حتى عبرت مفترق الطرق ، ثم عادت فسألتهما : "أى نوع من هؤلاء الأبطال ترغبين فى تقليده؟" ثم نظرت إلى " يانغ تشيانغ يون " نظرة استفزازية فوجدت فى عينيها كما توقعت نظرات الريبة وعدم الاقتناع .

ردت " تشوشيا ولينغ " نفس السؤال على " لى تشون " : "وأنت؟. "

أجابت " لى تشون " : " لم أفكر فى ذلك الأمر . "

لم تطق " تشيانغ يون " صبراً ، وفكرت ملياً ، وانطلقت الكلمات من فمها :  
" ربما تختلف مصائر الأبطال ، ولكن أولئك الذين يحسبونها ويختارون مصائرهم  
بأنفسهم ، لا يمكن أن يكونوا أبطالاً طوال حياتهم " .

لم تغضب " لى تشون " ، بل قالت فى صراحة شديدة : " عظيم جدا ،  
كلام أشبه بالحكم ، لكنه أيضاً لا يخلو من نكهة فلسفية ، ولعل التى تستطيع قول  
مثل هذه الحكمة لا يمكن أن تفتقر إلى الروح البطولية ، إننى أحب الكلام الواقعى  
الصادق وإن كان يتعارض مع مثل هذه الحكم ، وإن كان من الطبيعى أيضاً أن تشوبه  
بعض الأخطاء " .

توقف الجدل بينهما عند هذا الحد . اصطحبت " تشوشيا لينغ " زميلتها " تشن  
بوا " وراحتا تتحدثان عن الأطفال على ضفتى نهر خواى ، وأخذت " تشو " تتذكر  
ملامح كلاً من هؤلاء الأطفال وهى تقلده تارة ، وتارة أخرى تسأل تشن :

" هذا التقليد مضبوط أم لا ؟ " ، أما " يانغ تشيانغ " يون فلم تبال  
بالآخرى وراحت تمضى فى طريقها مبطئة حيناً ومسرعة حيناً آخر . وأخذت  
" يوان شن تشى " ، وسونينغ تسترجعان موسيقى أغنية " الزهور تفتح على جانبى  
نهر خواى " فتذكرتا المقدمة الموسيقية للأغنية ونسيتا الخاتمة مما أثار فى نفسيهما شيئاً  
من الإحباط ، وبعد تشاور اتفقتا على مشاهدة الفيلم ثانية على أن تحفظ إحداهما  
المقدمة وتحفظ الأخرى الخاتمة .

سمعن صوتاً يصيح " يارفيق " ممنوع ركوب الدراجة بدون إضاءة ، توقف "   
نظرن فشاهدن شرطى المرور ، ورجلاً فى منتصف العمر ينحنى فوق دراجته وينطلق  
بها بسرعة كبيرة ، والشرطى ينادى عليه بالتوقف مرة ثانية لكنه غير مبال .

أطلقت " يوان شن تشى " ساقىها للريح تريد أن تطارده ، منعتها  
" تشوشيا ولينغ " وقالت :

" بل أطارده أنا " ! ، وأحنت خصرها وانطلقت كالسهم وكأنها فى سباق ١٠٠ متر عدو ، استغلت شيا لينغ الفرصة واستمرت تطارده عدوا حتى لحقت به وقالت له فى حدة : " انزل ! "

### نظر الرجل فوجدها فتاة فرمقها بعينه وقال : " وما دخلك أنت ؟ "

حينئذ كانت زميلاتها قد لحقن بها ، وسمعن كلام الرجل غير المنطقي فأحطن به وقلن فى نفس واحد : " نقوده إلى البوليس ! يجب تسليمه الى نقطة البوليس لمخالفته قواعد المرور ! " ، وقالت لى تشون بلهجة أكثر صرامة : " إن من يخالف قواعد المرور يعد خارجاً على القانون ، وما أنت ذا تخرج على القانون ولا تستجيب للتعليمات ؟ "

وما كان لهذا الرجل أن يعرف مدى حزم وصرامة هؤلاء الفتيات لولا أن تعرض لحصارهن ، وأخيراً استسلم " الخارج على القانون " تماماً ، وأخذ يتمم ببعض العبارات غير المفهومة ، وحينذاك وصل شرطى المرور ، وعندما بدأ فى اتخاذ إجراءاته مع الرجل انصرفت الفتيات .

ما إن عدن إلى الرصيف حتى اكتشفن أن مطاردتهن لهذا الرجل " الخارج على القانون " قد أوصلتهن أمام باب مؤسسة استهلاكية حديثة البناء ، ولأن هذه المؤسسة بدأت العمل حديثاً ولأن يوم غد عيد أول أكتوبر ، فقد امتدت ساعات العمل بها ، وكانت الفوانيس النيون الحمراء لا تزال تبعث أضواءها فى المكان ، والزبائن ما زالوا يتزاحمون رغبة فى الشراء ، اقترحت " تشوشيا ولينغ " قائلة : " نقوم بجولة داخل هذه المؤسسة الاستهلاكية " .

وردت لى تشون : " حسناً ، لتزود بخبرة فى شؤون الحياة " .

ودخلت جميع الفتيات المؤسسة بينما كانت يانغ تشيانغ تشعر برغبة قوية فى العودة مبكراً لتفكر كيف تقضى العيد القومى غداً ، فأحياناً يكون التفكير فى العيد أجمل من قضاء العيد نفسه .

ما إن دخلن حتى لفحت وجوههن موجة حارة ، فعادة تتسم ليالى أول الخريف بالنسمات الرقراقة ، ولكن الجو داخل المؤسسة بدا حاراً بسبب شدة الزحام رغم وجود مروحتين تدوران فى السقف . كانت صفوف متراصة من المناضد الزجاجية ورفوف البضائع ، كلها تزدهم بالسلع الممتازة التى تبدو تحت ضوء المصابيح كأنها زهور ربيعية متفتحة .

اتجهن يميناً لمشاهدة قسم الكماليات وقسم الملابس الجاهزة ، وشاهدن كل أنواع الصابون ومساحيق التجميل ، كريمات لنضارة البشرة ودبايس ملابس ومشابك الشعر ، وأيضاً الكثير من الروائح العطرية ، وبودرة الوجه وأصابع أحمر شفاه . كل من هذه السلع مغلف تغليفاً رائعاً جميلاً ، فمشابك الشعر مرصوصة على ورق الكرتون المقوى على شكل مروحة هلالية الشكل ومرسوم على الكرتون صورة فتاة جميلة رشيقة شعرها الطويل يتهدل على كتفيها ، زجاجات الروائح العطرية مشدود حولها شريط من الحرير الأحمر وهى مرصوصة على شكل برج ، توجد منها مجموعات مرصوصة على شكل دوائر ، وهناك أيضاً بعض العلب المرصوصة بالتدرج حسب أحجامها ، مما يكون أشكالاً هندسية بديعة راهية .

وكانت سونينغ تعرف الكثير عن هذه المعروضات ، فراحت تجيب على أسئلة زميلاتها فى استحياء وتعدد ميزات عيوب كل ماركة من البضائع على حدة وتشرح كيفية استعمال الثمين من هذه البضائع . أقلت " يانغ تشيانغ يون " نظرة اشمئزاز واحتقار على هذه البضائع وقالت : " كلها فى سبيل خدمة ورفاهية البرجوازية " لفت كلامها أنظار بقية زميلاتها ، فدفعتها " يوان شن تشى " دفعة خفيفة وقالت لها : " لا تفتري كذباً على مؤسسات بلادنا الوطنية ! "

اتجهن بعد ذلك إلى قسم الأحذية والقبعات التى يغلب عليها اللون الغامق ، حيث لا توجد بطبيعة الحال أحذية مزركشة متعددة الألوان ، وقد عرضت أحذية

شتوية طويلة الرقبة مبطنة بالصوف ، تنبعث رائحة غير طيبة من هذا القسم ، لذلك اقتادت تشيانغ يون زميلاتها قائلة : " هيا بنا ، هيا ، ليس هنا ما يلفت النظر " .

وجدن في طريقهن لعب الأطفال ، حيث كانت أم تقود طفلها وتنادى على البائع ليحرب لها لعبة الضفدعة ، وهي لعبة على شكل ضفدعة مصنوعة من الحديد وبها سلك زبركي يجعلها تتحرك في قفزات متتالية . نظرت الفتيات إليها وغرقن في الضحك ، وأخذت " تشيانغ يون " تمد عنقها ذات اليمين وذات اليسار وتقلب النظر بحثًا عن لعبة غريبة نادرة .

أرادت " يوان تشن تشي " شراء لعبة ، ليس لأخيها أو أختها الصغرى ولكن لها هي نفسها ، أخذت تبحث وتفتش وأخيراً اهتدت إلى دمية صغيرة هزازة ذات قاعدة مستديرة إذا مالت تعادل بنفسها ، على شكل رجل عجوز مصنوعة من مواد كيميائية حمراء اللون ، هذه الدمية صغيرة جداً حتى إنه يمكن وضعها فوق إصبعها ، ومن ثم أعربن جميعاً عن اقتناعهن بها .

أما ما يجذب الانتباه ويثير في النفس شعوراً أعمق فهي البضائع في الأقسام التالية - وبالطبع عرف القراء ماذا أقصد - إنها المعروضات الوفيرة لمنتجات شركة هاميلين للأطعمة المحفوظة بشنغهاي ، وشركة تشنغداو للمنتجات المائية ، وشركة أيلي لمنتجات الحلويات في بكين وشركة دا وشيا نغشون لمنتجات الحلويات والشيكولاتة في تيانجين ، وهذه المنتجات لا يكفي أن تشاهدها فقط ، بل تتطلب أن تشم رائحتها وتذوق طعمها . أخذ الطالبات تلقين عبارات الثناء على هذه المنتجات .

وأخذت " تشوشيا ولينغ " تحاول أن تتذكر انطباعاتها عن طعم ومذاق كل ما تناولته من قبل من الحلويات ، وفي النهاية أجمعن على شراء بعض الحلويات من نوع عالي الجودة .

نابت عنهن تشوشيا ولينغ التي أشارت إلى علبة الحلويات المختارة وسألت :  
من فضلك كم ثمن القطعة في هذه العلبة؟ " .

ابتسمت البائعة وقالت : " نبيع بالجن<sup>(١)</sup> دون النظر إلى عدد القطع "

" كم ثمن الجن الواحد؟ وكم قطعة يمكن أن توجد في الجن؟ " .

وحسب ظروفهن المادية ، كان في استطاعة كل منهن أن تشتري قطعة واحدة ،  
وعلى كل اشترين وأكلن فارتفعت معنوياتهن إلى عنان السماء كأنهن اشترين كل  
السلع المعروضة في المؤسسة .

وأخيراً قمن بجولة تفقدية حرة ، اشترت " سونينغ " منديلاً ، واشترت " لى  
تشون " مفكرة يومية ، كل منهن اشترت لنفسها شيئاً .

لم تعد تشيانغ يون تنقد المؤسسة الوطنية تلك الانتقادات الحادة .

لقد جنت كل منهن جزءاً يسيراً من جهد وعرق وإبداع العاملين الأحرار .

شعرن بالزهو والكبرياء وكأن كل منهن قد تحولت فجأة إلى مليونيرة حقيقية .

وبينما كانت " تشن بوا " تتحدث مع تشيانغ يون وهما تتأهبان للخروج  
سمعت صوتاً ينادى عليهما من الخلف ، فتاة في حوالى الرابعة والعشرين من  
عمرها تحمل في يدها ترموساً جديداً اشترته لتوها من المؤسسة ، كانت ترتدى فستاناً  
من الصوف الأزرق ، شعرها الناعم ظهر مجعداً باستخدام أساليب صناعية ، عيناها  
واسعتان ، رشيقة ، رزينة وجميلة ، جذبت يد تشن بوا قائلة : " يا شقية ، أخيراً  
قابلتك هنا ! "

كادت " تشن بوا " تطير من الفرح ، إنها " خوان لى تشينغ " .

(١) الجن هو وحدة الوزن الصينية وقدره ٥ . كجم .



انطلق لسان " بوا " بلا توقف قائلاً : " يا بنت ، كيف لك ألا تفكرى فى زيارتى طيلة هذه المدة ؟ كتبت لك رسالة ولم تردى أيضاً ، وكنت فى ذلك اليوم قد طالعت فى الصحيفة مقالتك عن خبراتك المكتسبة . لا ، ليست مقالة بل تلخيص ..... "

ردت " خوان لى تشينغ " : " أما زلت تلوميننى ، لقد اتصلت بك هاتفياً مرتين ، ولم أجدك ، وطلبت من مكتب الاستعلامات أن يخبرك ، ومع ذلك لم تحاولى الاتصال بى " .

" من ذا الذى يخبرنى ؟ لقد بلغت اللامبالاة والإهمال بعامل مكتب الاستعلامات فى مدرستنا مبلغاً عظيماً " .

توقفنا عن تبادل الاتهامات عند هذا الحد ، اتفقتا على إلقاء اللوم على عامل مكتب الاستعلامات ، كانت الزميلات مازلن فى انتظار " تشن بوا " ، لكنها أذنت لهن بالانصراف ، حيث مازال فى جعبتها الكثير الذى تريد أن تفضى به إلى خوان لى تشينغ .

استمرت " خوان لى تشينغ " بعد التحرير فى عملها بأحد المراكز التجارية .

وكانت تلتقى كثيراً مع " تشن بوا " فى الفترة التى أعقبت ثورة التحرير مباشرة ، وكانت " تشن بوا " كثيراً ما تطرح عليها أسئلة وتطلب منها الجواب ، وكثيراً ما كانت تتحاور معها ، وما إن التقيتا حتى عدن بذاكرتهن إلى الوراء إلى ما قبل التحرير وتذكرتا أيام المصاعب التى تفيض أيضاً بالمواقف الشجاعة ، وتذكرتا نضال التنظيم السرى عندما كانتا على أعتاب مرحلة الصبا ، وكانتا تتغنيان أحياناً بأنشودة حركة الطلاب فى ذلك الوقت . :

إذا سقطنا سوف ننهض ،

عظامنا صلبة ، عزيمتنا لا تلين

أخذتا بعد ذلك تتبادلان عبارات التشجيع وقالت إحداهما للأخرى :

" علينا بعد التحرير أن نعمل بجهد ودأب أكثر ! " ثم انشغلنا وندرت لقاءتهما ، وكانت " تشن بوا " قد انضمت إلى كوادر الحزب بعد انقضاء فترة الحروب الثلاثة<sup>(١)</sup> وكتبت إلى " خوان لى " خطاباً مطولاً . وأسرعت " خوان " إلى منزل " تشن بوا " لتهنئتها ، لكنها كانت فى اجتماع بالمدرسة ، انتظرتها " خوان لى تشينغ " حتى عادت وصافحتها ثم غادرت مسرعة لتلحق باجتماع هى الأخرى .

إن الإنسان الذى يأخذ بيدك وأنت على مشارف رحلة الحياة ، الإنسان الذى يعد من أوائل من أشعلوا شرارة الثورة كثيراً ما يترك فى حياتك انطباعات عميقة وجلييلة ، هكذا كانت " خوان لى تشينغ " بالنسبة " لتشن بوا " . لقد كانت فتاة يافعة هى الأخرى ، لكنها كانت تدلل " تشن بوا " وتناديها " يا شقية " " أيتها الشيطانة الصغيرة " ، وقد تعودت " تشن بوا " على هذا النداء وأحبه ، واعتادت أيضاً أن تنظر إلى خوان على أنها أختها الكبرى التى توليها ثقته واحترامها .

خرجتا معا من المؤسسة ، واتجهتا نحو مدرسة " تشن بوا " ، وضعت " خوان لى تشينغ " يدها على كتف " تشن بوا " فى حنو وقالت لها :

" لقد صرت شابة يافعة "

" وأنت أيضاً . كيف حالك ؟ "

" بخير "

(١) فترة أعقبت الثورة الصينية أعلن فيها الحزب محاربة الرشوة والبيروقراطية والفساد استمرت من (١٩٥١ - ١٩٥٢) .

" آبه ؟ مالك اشترت هذا الترموس الضخم ؟

سرت حمرة قانية فى وجه " خوان " ، وأجابت : " أحمل فى الماء .

سألت " خوان " عن صحة أم " تشن بوا " المريضة ردت " تشن " فى ألم بأن المرض يشتد على أمها ، وأنها الآن تستريح فى منزل خالها وتشغل نفسها ببعض أشغال الإبرة ، مشاغل تشن بوا كثيرة ، ليس لديها وقت لرعاية أمها ، وهذا يثير فى نفسها إحساساً بالألم والمرارة .

كانت خوان تلتفت وراءها من وقت لآخر ، سألت تشن بوا عما إذا كان هناك ما يشغلها ، تمتت " خوان " بالإيجاب ، وبعد قليل لحق بهما شاب طويل على مشارف الثلاثين وسأل خوان : " ماذا جرى ؟ أين ذهبت ؟ إننى مازلت فى انتظارك " .

قدمته " خوان " إلى " تشن بوا " : إنه زميلى ، الرفيق قومينغ " .

قدمت " تشن بوا " نفسها له ، فقال قو : " أنت " تشن بوا " ، لقد حدثنى لى تشينغ عنك كثيراً من قبل " . وكان يحمل فى يده حقيبة كبيرة .

تذكرت " تشن بوا " أخيراً أن " خوان لى تشينغ " يجب أن تمشى فى الاتجاه العكسى لتعود إلى مقر حكومة بلدية بكين ، فألحت عليها ألا تصحبها حتى المدرسة . قالت " لى تشينغ " : " إذا تيسر لى بعض الوقت أذهب لزيارة والدتك " . أومأت " تشن بوا " برأسها ، وأخذت " خوان لى تشينغ " كعكة كبيرة من حقيبة " قومينغ " وأعطتها لتشن بعد إلحاح ثم افترقتا . من يكون " قومينغ " ؟ يتضح ذلك بالطبع من خلال الملاحظة . لقد استنتجت تشن بوا من حديثه الودى مع لى تشينغ ، ومن حديثها له عنها ، ومن خروجهما لشراء بعض الحاجيات معاً أن قومينغ هو خطيب " لى تشينغ " ، ومن الواضح أنهما خرجا معاً لشراء متطلبات الزواج ، لقد سيطر هذا الاستنتاج على " تشن بوا " حتى

تشوشت أفكارها ، فهي ترى أن " لى تشينغ " يجب ألا تمر بمثل هذه التجربة العادية البسيطة غير المحببة إلى النفس وترفض هذا السلوك ، وربما ذلك التفكير مدعاة للضحك ، لكنها ترفض .....

كانت الأضواء الكاشفة تتلاقى وتتشابك في الليل ، بينما كانت طائرة ذات مصابيح صغيرة حمراء تتهادى فوق المكان ، وعربات رش الماء انتهت من رش الشوارع وقد خفف الماء اثار العلامات التي خطها قادة المسيرة على جانب الطريق .  
راحت " تشن بوا " تسرع الخطى وهي تفكر في المهرجان والاحتفالات الصاخبة التي ستقام في اليوم التالي . ثم أخذت تهوول لتلحق بزميلاتها ، وفي الوقت نفسه تحاول تقسيم الكعكة التي أعطتها لها " لى تشينغ " إلى ستة أجزاء .

(٦)

لم يمر وقت طويل على احتفالات العيد القومي حتى بدأت الطالبات في الدخول في معمعة امتحانات الدور الأول، وقد تضمن امتحان كل مادة من المواد أسئلة كثيرة وصعبة وأكد كل أستاذ قبل توزيع ورق الأسئلة على أهمية ومغزى الامتحان في هذه المرة . وأكد عليهن بأنه لن يقبل البتة بأن تكون الإجابات غير موفقة في مادته ، كما أكد على أن الدراسة والمذاكرة الجادة هي المهمة الأولى والأساسية والأكثر أهمية بالنسبة لهن جميعا .

كان وقع هذا الكلام عليهن تماما كمن يسكب البنزين فوق النار ، وخيم التوتر والقلق على جو الفصل . وعندما تسلمن ورقة الأسئلة كنت تسمع بعضهن تأخذ نفساً عميقاً ، والبعض الآخر يتنهدين تنهيدة طويلة ويقلن : " يا للخسارة ! " ، وقد كانت إجابات " شونينغ " في المواد الثلاث الأولى سيئة ، وما أن وصلت إلى امتحان المادة الرابعة - الفيزياء - حتى اشتد عليها الصداع ولم تستطع سوى الإجابة على ربيع الأسئلة .

وقد بذلت " تشن بوا " جهدا جهيدا من أجل الاستعداد لهذا الامتحان وحددت لنفسها بآلاتقل عن تسعين درجة في أى من مواد الامتحان . وأرادت من خلال هذا أن تقول لنفسها ولزميلاتها : " لقد لحقت بكن . " ، تريد أن توضح لـ " لى تشون " بما لا يدع مجالا للشك ( وما الداعي للإخفاء ) بأنها ليست تلك الفتاة التقدمية التي تطلق الشعارات الجوفاء .

لقد بذلت كل جهودها قبل الامتحان لاستيعاب كل مسألة صعبة ، حتى وددت لو تحفظ المسألة ذاتها عن ظهر قلب . وبينما كانت تؤدي امتحان مادة الرياضيات في الحصبة الأولى أوقعتها كثرة عدد المسائل وتنوعها في حيص بيص رغم عدم صعوبتها ، وجاءت إجاباتها على نحو غير جيد مما أثر على معنوياتها . وأثناء امتحان مادة الفيزياء ، انتابها القلق من أجل " سونينغ " وكانت النتيجة أن ارتبكت ووقعت في خطأ بسيط . فالساعة تساوى ستين دقيقة وهذا أمر لا يخفى على طفل

فى السابعة ، لكنها وهى التى ستلحق بأحد المعاهد العليا بعد أقل من نصف عام - بسبب ارتباكها - كتبت أن الساعة تساوى مائة دقيقة ، وهذا ضرب من ضروب الخيال فى ألف ليلة وليلة .

وبعد أن فرغت " سونينغ " من امتحان الفيزياء ذهبت إلى العيادة الطبية ودهنت جيئها بزيت النعناع<sup>(١)</sup> ، ثم عادت إلى الفصل وانخرطت فى البكاء ، وأخذت تخبر زميلاتها وهى تتحب أنها لن تزيد عن صفر فى هذه المادة . كانت إجابات " ووتشانغ فو " سيئة هى الأخرى غير أنها لم تكن شديدة التأثير ، لكنها ما إن رأت سونينغ تبكى حتى حاولت تهدئتها ببعض الكلمات ثم انفجرت هى الأخرى فى البكاء وهى تؤكد لها أن إجاباتها أسوأ منها بعشرات المرات . ازدادت " سونينغ " حزنا ، وانزوت ومعها " ووتشانغ فو " بجوار منصة الفصل وتكومتا واندفعتا فى البكاء . نظرت " تشن بوا " إلى هذا المشهد فتسمرت فى مكانها ، وصارت " تشيانغ يون " بين الضحك والبكاء . وفى اليوم التالى أخذت " سونينغ " إجازة مرضية .

وبعد أسبوع جاء الأستاذ " يوان " ليجمع بالفصل ويعلن على الطالبات نتائجهن . ويبلغ الأستاذ " يوان وين داو " الواحدة والخمسين من عمره هذا العام ، وهو أطول مدرسى المدرسة فى مدة الخدمة . وقد بدأ وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، وقت دراسته فى الجامعة ، التدريس فى المدارس المتوسطة بالإنابة ، ثم زور بعد ذلك شهادة تخرج نظراً لأنه لم يستطع أن يواصل الدراسة بالجامعة لأسباب مادية ، ليعمل مدرساً منتظماً لمادة الرياضيات وقام أيضاً بتدريس بعض المقررات الأخرى مثل اللغة ، والرسم ، والموسيقى ، وغبار الطباشير دائماً يكسو ملابسه ويغطى شعره وأنفه وأذنيه ونظارته ، وهو لا ينفضه عن نفسه . وكان كثيراً ما يقول

(١) أحد أنواع الأدوية الصينية الذى يستخدم كدهان لإزالة صداع الرأس .

للآخرين مازحاً : " عندما تشرحون جسدى بعد موتى تستطيعون أن تستخلصوا منه غبار الطباشير الذى سيكفى لصنع ثلاث دست من أصابع الطباشير . "

لقد استطاع أن يحفظ الكثير من المسائل نظراً لطول الفترة التى عمل فيها بالتدريس ، عندما تطرح عليه طالبة سؤالاً ، غالباً لا ينتظر لتفرغ الطالبة من سؤالها حتى يعاجلها بالجواب مكتوباً على السبورة ، جسده يبدو هزيباً ووجهه يفيض بالثنا والتعاريج ، وقد وصف نفسه قائلاً : " لقد امتلأت تضاريس الوجه بالجبال والأنهار والأخاديد . "

لكنه لكون طبيعة عمله مدرساً يبدو معتدل القوام مستقيم الوسط صوته جهورى مجلجل بنغماته الطويلة المنسجمة ، فسمعته بوضوح جميع الطالبات من الصف الأول حتى الأخير .

لم يكن يرغب الأستاذ يوان فى تولى قيادة الفصل ، اعتقاداً منه أن طالبات الصف الثالث " ليس من السهل التعامل معهن " ، لكنه تولى هذه المهمة لأن قسم الإشراف والتوجيه طلب منه أن يقوم بهذا العمل .

وقف الأستاذ يوان بالفصل وبدأ حديثه قائلاً : " أيتها الطالبات ، لقد جاءت النتيجة على غير ما يرام ، وأظن : " لقد بلغ عدد غير الناجحات فى اختبار تلك الفترة ثلث عدد الطالبات بالفصل ، منهن خمس طالبت رسبن فى مادتين ، وثلاث رسبن فى ثلاث مواد ، ولم تحصل أى طالبة على تسعين درجة فى أى مادة من المواد ، بل سبع طالبات فقط هن اللاتى حصلن على أكثر من ثمانين درجة فى كل المواد . "

وواصل الأستاذ يوان قائلاً : " إن نتيجة فصلنا سيئة ، بل وفى واقع الأمر لم يسبق لها مثيل فى السوء ، وأنتن طالبات الصف الثالث - قدوة المدرسة إذا كنتن غير قادرات على تحقيق نتيجة متفوقة ، فلا يجب أيضاً أن تكون النتيجة على هذا النحو من التدهور ، بالطبع ستبرى من بينكن من تقول : " يا أستاذ ، أليست

طريقتكم فى توزيع الدرجات صارمة وقاسية " ؟ ، " نعم " فقد كان الأساتذة صارمين فى توزيع الدرجات هذه المرة ، فلنأخذ على سبيل المثال موضوع الرموز فى هذا الاختبار دليلاً على ذلك . كانت لا تنقص درجات من قبل على أخطاء فى كتابة الرموز ما دامت اللغة صحيحة ، ولكن هذه المرة تغير الأمر فلم نتغاض عن الخطأ فى كتابة الرموز فى أية مادة من المواد . " وهل مثل هذه الصرامة يا أستاذ واجبة ؟ " ، " نعم ، أعتقد أنك وصلت إلى الصف الثالث من المرحلة الثانوية ، وتعرفن مدى مسئوليتنا تجاه الوطن وبناتنا الطالبات . يمكن لكن جميعاً أن نتحاورن وتناقشن لإبداء آرائكن فى نتيجة امتحان هذه الفترة ، وأن تطرحن اقتراحاتكن التى من شأنها أن تصحح مسارنا فى المستقبل " .

طأطان رؤوسهن ولم تنبس إحداهن بينت شفة ، وراحت كل منهن تخمن نتيجتها فى الامتحان .

استحثهن الأستاذ " يوان " مرة ثانية قائلاً : " يمكن أن نناقش موضوع سوء نتيجة الامتحان ، وما أسباب ذلك ؟ " لاحظ أن الأساتذة ذوى الباع الطويل فى عملية التدريس غالباً ما يستخدمون عند حديثهم مع الطلاب عبارات " يمكن إثبات " " مزيداً من البحث " ، " العكس صحيح " ، " أسباب ذلك " إلخ .

قالت " تشوشيا ولينغ " وهى منكسة الرأس " الأسئلة بالغة الصعوبة " ، وقالت طالبات أخريات : " الأسئلة كثيرة ، ولم يسعفنا الوقت للإجابة عليها جميعاً " .

رد الأستاذ " يوان " عن غير اقتناع " تقصدن أن سوء نتيجة الامتحان ترجع إلى أن الأستاذ طرح أسئلة غير مناسبة ؟ " .

قالت " يوان شن تشى " لأبيها : " الاضطراب هو السبب الرئيس "

ولماذا الاضطراب ؟ "



ردت " تشوشيا و لينغ " مرة ثانية : " لأن الأسئلة كانت صعبة "  
" أتقولينها ثانية ! " .

رفعت " يانغ تشيانغ يون " يدها ونهضت من مقعدها قائلة : " أتلقين باللوم على الأسئلة ، إن أصعب الأسئلة لا تخرج عن كونها من صميم المنهج الذى درسناه . وإن أداءنا للامتحان بصورة غير جيدة جاء نتيجة لعدم استعدادنا الجيد ، أيصعب علينا الاعتراف بمثل هذه الحقيقة البسيطة الواضحة ؟ " .

قالت " يوان تشن تشى " : " لماذا اجتاحتنا الشعور بالاضطراب ؟ . . . .  
لأننا لم نعرف مفاتيح حل الأسئلة ، ولماذا لم نعرف ؟ لأننا لم نحسن الدراسة والمراجعة .

ولماذا حدث ذلك ؟ لأننا لم نجتهد بالدرجة الكافية !

سُمع صوت يتمتم فى أحد أركان الفصل : " لم نجتهد بالدرجة الكافية؟ إننا جميعا نكاد نسقط من فرط التعب والإرهاق !

قالت " تشن بوا " : "إننا جميعا منذ بداية الدراسة ، وخاصة فى الأسابيع الأخيرة نواظب على المذاكرة ، ولكن لا يمكن القول إن هذه المذاكرة جاءت على النحو المطلوب ؛ فأنا على سبيل المثال لم أهضم الدروس هضمًا جيدًا ، وفى الآونة الأخيرة راجعتها مراجعة سريعة ، لذلك فإن جميع المعلومات تسبح داخل عقلى غير متسلسلة وغير مترابطة وأيضا غير مفهومة . لذا أنسانى الخوف من الفشل هذه المعلومات ، زد على ذلك رهبة الامتحان ، كيف لنا إذن أن نجيب على نحو جيد؟ " .

قالت " لى تشون " : "إننى أؤيد رأى " تشن بوا " ، لقد كان استعدادنا للامتحان سيئًا ، والأمر ليس موضوع يوم أو يومين " .

هز الأستاذ " يوان " رأسه قائلاً : " هذا صحيح ، جد صحيح "

ثم استطرد : " لكن ما العمل فى المستقبل ؟ " .

عادت الطالبات إلى الصمت مرة أخرى .

ود الأستاذ يوان لو تتمكن الطالبات بعد الانتهاء من بحث أسباب سوء نتيجة الامتحان من مواصلة البحث والتفكير فى المهام المستقبلية والتعبير عن عزيتمتهن على تنفيذ ذلك . وقبل أيام حدث أن أحد فصول المدرسة الإعدادية جاءت نتيجته فى الامتحان على غير ما يرام ، فأعلن أمام رائد الفصل عن قرارهن هذا وتعهدن ببذل المزيد من الجهد . وأعرب قسم الإشراف والتوجيه عن رضائه تجاه هذا العهد . ويأمل الأستاذ يوان أن تسلك طالبات الصف الثالث الثانوى نفس المسلك .

ولكن الطالبات لم يعرفن شيئاً عن تخطيط الأستاذ يوان ومن ثم فلم يساعده فى ذلك .

واضطر الأستاذ أن يطرح بنفسه هذه الفكرة قائلاً : " ألا ينبغى عليكم أن تكتبن خطاباً إلى إدارة المدرسة تعربن فيه عن شعوركن ، وتعهدن بمزيد من الاجتهاد فى المستقبل لتقليل ، بل والقضاء على ظاهرة الرسوب " .

لم تجد هذه الفكرة صدى عند الطالبات ، فمشاكل الدراسة كثيرة ومتعبة ، فما جدوى كتابة مثل هذا الخطاب إذن ؟ .

ولما لم تلق الفكرة التى طرحها الأستاذ يوان قبولاً ، سألهن فى حرج :  
" ما رأيكن ؟ أتوافقن أم لا ؟ " .

قالت " يانغ تشيانغ يون " فى صراحة ووضوح : " لا طائل من وراء كتابة مثل هذا الخطاب " .

" كيف " ؟ .

" هناك العديد من المشاكل لم يتم حلها بعد ، فكتابة هذا الخطاب تعد هباءً  
منثوراً " .

رد الأستاذ يوان وقد قطب حاجبيه : " إذن فقولى ما العمل " ؟ .

" لست أدري ما العمل "

أعربت بقية الطالبات عن اتفاقهن فى رأى مع " تشيانغ يون " . ولم يؤيدن  
فكرة كتابة الخطاب ، اشتاط الأستاذ يوان غيظاً وقال لهن : " واصلن النقاش بقيادة  
رائدة الفصل ، عندى اجتماع مع اللجنة الفرعية المنبثقة عن النقابة " . ثم خرج من  
الفصل مستاءً دون أى تعقيب .

واعتلت الرائدة " تشوشيا ولينغ " منصة الفصل دون أن تدرك الموقف وسألتهن  
ما إذا كانت هناك آراء وأفكار أخرى ؟

قالت " يانغ تشيانغ يون " : " أرى أننا يجب أن نأخذ الأمور مأخذ الجد وألا  
نعتمد إلى السطحيات ، ونمر على المشاكل مرور الكرام " ، ومضت تقول وهى تشعر  
بانفراج الجو فى الفصل بعض الشيء بعد أن تركه الأستاذ . " لقد تكلمنا من لحظات  
عن الارتباك وأن سببه عدم المذاكرة بإتقان ، لكنى أرى أن هناك سبباً آخر وهو عدم  
وضوح الهدف من الدراسة ، فهناك من تدرس من أجل الأمتحان والحصول على  
الدرجات ، ولذا تخشى الصعوبات ولا يتوفر لها شيء من العزيمة والصلابة وإذا  
ما أخفقت فى الجواب حتى عن سؤال واحد تحطمت معنوياتها ، وبذلك تزداد  
اضطراباً كلما كانت إجاباتها فى الامتحان غير جيدة والعكس صحيح . "

بعد لحظة نهضت " لى تشون " لتتحدث وقالت فى لهجة ساخرة : " أولاً  
أود ألا أتحدث طويلاً فى موضوع إتقان الدراسة من عدمه فهذا أمر كلنا نعرفه ونحن  
فى غنى عن الحديث عنه ، لقد ذكرت " يانغ تشيانغ يون " أن نتيجة الامتحان  
جاءت سيئة لعدم وضوح الهدف من الدراسة ، وهذه كلمات رنانة . بمقدورك عندما

تأخذك الرهبة أثناء الامتحان أن تنفوهى بجملة واحدة " إننى أتعلم من أجل وطنى " ، أليس ذلك كفيلا بأن يطرد عنك الشيطان ويخلصك من الارتباك ؟ "

حيثذ سألت " ووتشانغ فو " زميلاتها بصوت خفيض : " ماذا تعنى بطرد الشياطين ؟ يالها من كلمات غريبة ؟ ، إن نتيجتنا فى الامتحان سيئة ، بالغة السوء مثلما ذكر الأستاذ ، كلنا نشعر بالحزن والأسى ولكن " يانغ تشيانغ يون " تخرج علينا بهذه الكلمات الرنانة ! فلنأخذ " تشن بوا " على سبيل المثال ، إننى أذكر ما يعنى فى خاطرى ، " تشن بوا " .. لا يأخذك الغضب ، إننى أعرف أن " يانغ تشيانغ يون " لم تكن أبد تقصدك بكلامها عن الهدف من الدراسة ، ولكن تشن أخبرتنى أنها كانت أكثرنا ارتباكاً ورهبة ، حتى أنها كتبت أن الساعة فيها مائة دقيقة ، إن الأمر غاية فى البساطة ، علينا أن نحاسب أنفسنا ، ما الذى جعل نتيجة امتحاناتنا تصل إلى هذا الحد الذى نخجل معه من لقاء الآخرين " ألم يلق فصلنا الكثير من المدح والثناء من قبل ، لقد قمنا تحت قيادة أحد فروع رابطة الشبيبة بعقد الاجتماعات وإصدار الشعارات وتقديم البرامج ، ولكن من منا التفتت إلى الدراسة؟ إننى أذكر أنه عندما انضمت " تشوتشيا ولينغ " إلى منظمة رابطة الشبيبة أن امتدحتنا " يانغ تشيانغ يون " ولم يكن ذلك لتحليلها بنكران الذات أو لغيره من المعانى بل لأن " تشوشيا ولينغ " تقوم بالأعمال العامة دون اهتمام بما إذا كانت تؤثر على دراستها ! إن مقولة " تشن بوا " صحيحة فلم نكن نستذكر بإتقان ، الأساس ليس جيداً ، أساسنا جميعاً ليس جيداً .

" إننى أنصح " تشن بوا " من صميم قلبى ، وبالطبع فإنه من حقها أن تأخذ أو لا تأخذ بهذه النصيحة ، لا حاجة إلى عقد الاجتماعات والحديث مع الزميلات واحدة واحدة ، لتهتمى أولاً بدراستك ، وأيضاً أتوجه بالنصيحة إلى " يانغ تشيانغ يون " وأنا أعرف أنها تكرهنى ، أقول لها ابتعدى عن التشدد بالعبارات السياسية ، أليس من الأفضل إذا توفر لك وقت فراغ أن ترسمى بعض الرسوم الهندسية ؟ وبقيّة

طالبات فصلنا علينا جميعاً أن ندرس بجدية، أما أن تتخيني أو أنتخبك ، أو الحديث عن الأفكار السياسية، أن تتقديني أو أنتقدك ، أن نطلب عضوية الحزب ، فهي كلها أمور مستقبلية وعلينا أن نرجئها الآن . " انتهى كلامي ، وبالطبع هو خطأ من وجهة نظركن ، ولكني أستأذنكن في أن تمعنوا فيه الفكر ، اختتمت لي تشون كلامها وألقت بنفسها في تأثر على المقعد.

لم تتوقع إحداهن أن تتحدث " لي تشون " طويلاً بهذه الصورة ، وما لبث هذا الحديث أن أثار نوعاً من النقاش والجدل بينهما . وقد جاء الحديث كما لو كان حبيساً بين ضلوعها فلم يهدأ لها بال حتى أفرغت كل ما في جعبتها دون لف أو دوران ودون خوف أو وجل . كانت هناك بعض الزميلات اللاتي لم يدركن المقصد الرئيسي من كلام " لي تشون " ، وأخذن يتساءلن : " هل وصل فصلنا إلى هذا الحد من السوء الذي نتحدث عنه لي تشون ؟ " إن الحديث عن الهدف من الدراسة هو في حقيقة الأمر حديث معنوي " ألا ترحب " لي تشون " بانضمام طالبات أخريات إلى صفوف الحزب؟ "

حارت " تشوشيا ولينغ " في أمرها ، ووقفت تنادى " على من ترغب في الحديث أن ترفع يدها بسرعة " قالت " يوان شن تشي " : " إنني أرجو من لي تشون أن تشرح لنا المغزى النهائي الذي يكمن وراء فكرتها "

- " إن فكرتي تتلخص في أن نستذكر دروسنا جيداً "

- " ولا نشارك في الأنشطة العامة؟ "

- " لم أقل ذلك "

- " ولا نهتم بالاتجاهات الفكرية ؟ "

" لم أقل ذلك أيضاً "

نظرت " يانغ تشيانغ يون " إلى " تشن بوا " ، وهى تنتظر منها أن تلقى الضوء على هذا الموقف لكنها لظمت الصمت برهة ، ثم نهضت من مجلسها وتحدثت لكن كلامها جاء مخيباً لآمال " تشيانغ يون " .

قالت " تشن بوا " : إننى أرى أننا لم نستعد جيداً لعقد اجتماع الفصل ، أيضا الأستاذ غير موجود ، ولا يمكننا على هذا النحو المفاجئ أن نقلب آراء " لى تشون " ، لذا فإننى أقترح أن ننهى الاجتماع ونفكر جميعاً فى هذا الأمر من جديد

أعلنت " تشوشيا ولينغ " عن انتهاء الاجتماع .

ذهبت " تشيانغ يون " تسأل " تشن بوا " : " لماذا لا تتكلمين ؟ "

- " ماذا أقول ؟ "

- " ماذا تقولين ؟ بالطبع سيكون معارضا لكلام لى تشون ، وكلام لى تشون به أيضا بعض الجوانب الصحيحة "

- " طبعا ! طالبة صينية تتحدث اللغة الصينية ، فهى تتكلم بلغة صحيحة من حيث القواعد على الأقل ، أعتقد أنه يجب ألا تراجعى ! "

- " إذن على أى أساس أشهر سلاحى "

- " أهكذا تقولين ، هل لك أيضا أن تأخذى بنصائح لى تشون "

- " عزيزتى يانغ ، أنت تعرفين أن هناك الكثير من المشاكل والهموم لأن حالتى الدراسية ليست على ما يرام ! وغالبا إذا لم نستطع تحقيق نتائج فعلية فإننا لا نستطيع سوى التشدق بالكلام تعبيراً عن صحة موقفنا ، ولكن ماذا نجنى من وراء ذلك ؟ حتى إذا لم تكن " لى تشون " موجودة فإننى أخشى اتهام زميلات بقولهن لى :

"سيادة سكرتيرة اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة، حضرتك لا تعرفين أن الساعة  
تساوى ستين دقيقة. "

- "كفاك أنانية إن " شونينغ " لم تحضر إلى المدرسة لأكثر من أسبوع، وربما  
وقعت في حالة نفسية سيئة بسبب سوء أدائها في الامتحان . وأيضاً ووتشانغ فو  
التي أخبرتني أنها شربت شربة الأرز في طفولتها<sup>(١)</sup> لأن لبن أمها لم يكن كافياً ،  
ولذا فهي على درجة خاصة من الغباء ولا سبيل أمامها للتفوق في الدراسة . وقد  
ثارت قبل وبعد هذا الامتحان عديد من المشاكل ، ليس بسبب نتيجة الامتحان،  
وإنما السبب يكمن في نفوسنا نحن ، إنك تستغرقين في الخجل ولوم النفس ، فهل  
يحق لك هذا الاستغراق في الخجل على طول الخط ؟ "

نظرت " تشن بوا " إلى " تشيانغ يون " وأحست أنها محقة في كلامها .

فأحياناً ما تتكلم " تشيانغ يون " كلاماً جاداً غير متوقع ينم عن الذكاء وهي  
نفسها لا تشعر بذلك، لكن " تشن بوا " أحست بروعة هذا الكلام، وعبرت عن  
شكرها لتشيانغ ووصفتها بأنها شجاعة لذلك كثيراً ما تصيب ، وبطبيعة الحال كثيراً  
ما تخطئ أيضاً ، ولكن إذا ما حدث هذا الخطأ فتصحححه أمر يسير . وعلى أي  
حال فشعور " تشن بوا " بالخجل ولوم النفس لم تخف حدته بعد ، لذلك  
سمرت ناظرها على " تشيانغ يون " دونما أن تنبس بينت شفة .

جاء العامل المختص بحجرة التحضير الخاصة بالأساتذة يخبر " تشن بوا "  
بأن الأستاذ " يوان " يريد لها في أمر هام . عادت " يانغ تشيانغ يون " إلى  
مجلسها وأخذت تفكر بعض الوقت ثم ذهبت إلى مكتبة اللجنة الرئيسة لرابطة  
الشبيبة .

(١) هناك اعتقاد سائد في الصين بأن من يشرب شربة الأرز في طفولته يصير غيباً في شبابه .





(٧)

توجه الأستاذ " يوان " إلى مكتب التحضير الخاص بالمدرسين بعد أن غادر الفصل ، وفي ذلك الوقت لوحت له مديرة المدرسة السيدة "قوا" التي كانت تقف عند باب مكتبها فغير وجهته نحو مكتب المديرية التي طلبت منه الجلوس ، وسألته : " هل كان اجتماع الفصل على ما يرام ؟ "

- " لا ، لا ، لقد قلت من قبل إننى لا أستطيع القيام بمهام قيادة هذا الفصل وعلاوة على ذلك فهن طالبات الصف الثالث ، وكلهن أعضاء فى الحزب الشيوعى أو فى رابطة الشبيبة ، وهن على درجة عالية من الوعى السياسى ، ومن الصعب التعامل معهن " .

سألت المديرية فى دهشة : " أعضاء فى الحزب الشيوعى وفى رابطة الشبيبة فكيف يكون التعامل معهن صعب ؟ " .

أخذ الأستاذ " يوان " يقص عليها كيف أن يانغ تشيانغ يون أفسدت ، فى غير احترام ، خطته فى كتابة خطاب موجه إلى المديرية يحيطها فيه بحديثيات الاجتماع .

وما أن انتهى من كلامه حتى بادر المديرية سائلاً : " هل تريد المديرية منى شيئاً؟ " .

أرادت المديرية أن تتحدث معه فى موضوع " ماري " وهى طالبة بالصف الثالث انتقلت إلى المدرسة فى أول العام الدراسى ، وهى مسيحية كاثوليكية ، ماضيها غير معروف على نحو واضح ، تقيم الآن فى إحدى دور الراهبات الكاثوليك ، يقوم على رعايتها كاهن يدعى " لى " ، وقد أجابت هذه الطالبة إجابة غريبة عن أحد

أسئلة امتحان التاريخ الذى أجرى مؤخراً ، مما جعل مدرس التاريخ ينقل هذا الموقف إلى مديرة المدرسة ، وكان السؤال هو : " اسردى تاريخ نضال حركة " لى خه توان " (١) وكانت إجابة مارى : " إن الحركة هى أكبر كارثة وقعت فى الصين على رأس الكاثوليك ، حيث قام الأبالسنة من أعضاء الحركة بحرق الكنائس وقتل رجال الدين حتى إن الكثيرين من الكاثوليك قد راحو ضحية لهذه الكارثة ، فأرسلت السيدة العذراء ابنها يسوع لينزل عقابه بهؤلاء الشياطين ويلقى بهم فى الجحيم .

وأسفل هذه الفقرة كتبت ( الإجابة الأخرى المطابقة ) للمعلومات التى قرأتها فى كتاب التاريخ ، وكتبت تحتها: " هذا هو الجواب المطابق لشرح الأستاذ ، وأرجوه أن يضع الدرجة حسب هذه الإجابة " .

سحبت المديرة ورقة الإجابة الخاصة " بمارى " وأعطتها للأستاذ " يوان " يقرأها ، والذى حمله فى الورقة مذهولاً وهو يقول : " هذه الفتاة لم أشهد لها مثيلاً من قبل . "

اقتربت المديرة من الأستاذ " يوان " وقالت له فى حزم : " إن الأمر ليس هيناً . "

فالسوم تسرى فى عروقها ، حيث تقوم ذيول الإمبريالية داخل الجمعية الكاثوليكية بحشو عقلها بمثل هذه الأفكار السامة ، وهذه هى الاستفزات التى تعلنها علينا الذيول الإمبريالية داخل الجمعية الكاثوليكية محاولة أن تدخل معنا فى صراع على عقول الشباب . هل نسمح لإحدى الطالبات بأن تنظر الى أبطال بلادها

(١) هى حركة منبثقة عن ( انتفاضة الفلاحين ) فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهدفها هو محاربة الإمبريالية التى كانت تعتدى على الصين .

الوطنيين على أنهم أبالسة ، وتصف الغزاة من جيوش التحالف الثمانية<sup>(١)</sup> بأنهم رسل قديسون ؟ " .

رد الأستاذ " يوان " : " سوف أستدعيها لأتحدث معها فى هذا الأمر " .

هزت المديرية رأسها وقالت : " فلنستطلع الأمور أولاً ، ونتحدث مع اللجنة الفرعية لرابطة الشيبية ومجلس الفصل ، ولنعرف من زميلاتنا من هى الأكثر قرباً منها ؟ . ومن هنا تبدأ العمل . لأنك إذا استدعيتها مباشرة سوف يصيبها الخوف والوجل " .

بعد انتهائهما من التشاور حول هذا الموضوع ، عادت المديرية تسأل : " هل كانت يانغ تشيانغ يون غير مهذبة مع أستاذها ؟ " .

أشعل الأستاذ سيجارة وسحب منها نفساً عميقاً وقال : " فى حقيقة الأمر لم تفعل تشيانغ يون شيئاً ، غير أن زيادة هذا الفصل من الأمور الصعبة ، فهن يشاركن فى كافة الأنشطة والتنظيمات ، ومعرفتهن تفوق دائرة معارف الأستاذ فهن وثيقات الصلة برابطة الشيبية الشيوعية ، وكثير من الأمور التى لم نعرفها بعد ، هن على دراية تامة بها . إنهن يمضين فى وثبات متتالية ، ورائد الفصل لا يستطيع أن يلاحقهن فى ذلك ، لقد حدد مكتب الإشراف والتوجيه المهمة الرئيسية لرائد الفصل فى حدود التربية الفكرية للطالبات ، ولكن أعباءنا الفكرية فى حقيقة الأمر تزيد على أعباء الطالبات بكثير ، وإذا تولينا زيادة الفصل عجزنا عن القيام بمهامها وإذا لم نقم بها فهذا أمر غير ملائم وفى غير موضعه ، هناك عدد غير قليل من رواد الفصول فى مدرستنا يعانون من هذه المشكلة . "

(١) جيوش التحالف الثمانية هى جيوش " روسيا وأمريكا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا واليابان والنمسا " المتحالفة التى كانت تعتدى على الصين فى سنة ١٩٠٠ وتحتل كثيراً من أراضى الصين وتجبر حكومة الصين على قبول شروطها .

هزت المديرية رأسها بالإيجاب وقالت فى تأثر شديد : " نعم " ، فجيلنا جيل  
سئء الحظ فعندما كنا طلاباً لم ننخرط فى صفوف الطلائع ولم ننضم إلى رابطة  
الشبيبة ، ولم نتلق مبادئ وتعاليم الحزب الشيوعى ، لكن يجب ألا تتحطم معنوياتنا  
وعلىنا أن نساير الركب ونلاحق العصر ، وليكن ارتياد الطلاب لهذا المجال  
وانطلاقهم فيه حافزاً ودافعاً للطالب . وإذا تفوق تلاميذنا علينا فهذا هو غايتنا  
ومبعث سعادتنا . وإذا استطعنا أن نمد لهم يد العون ونساعدهم فهذا يزيد من سعادتنا  
وبهجة نفوسنا . . . . . " .

شعر الأستاذ " يوان " من كلام مديرة المدرسة ولهجتها وملامحها أن لديها  
فيضاً من الحب العميق للشباب والطلاب ، وشعر أن عدوى هذا الحب قد انتقلت  
إلى قلبه هو الآخر فصمت ، ومر على سكوتها وقت طويل وهما يفكران فى  
ظروفهما وظروف وأحوال الطلاب وأحوال الجيل الحالى وجيل المستقبل . ولم  
يتوقف الأستاذ " يوان " عن التدخين بينما أخذت المديرية تنقر بأصابعها على  
المكتب .

عاد الأستاذ " يوان " إلى حجرة التحضير وطلب " تشن بوا " وتحدث معها  
فى موضوع مارى ، وما لبثت " تشن بوا " أن عادت إلى الفصل واستغرقت فى  
التفكير فى هذا الموضوع حتى جاءها العامل يطلبها مرة أخرى لترد على التليفون .

كيف تأتيها مكالمة تليفونية على حجرة المدرسين ؟ انتابها القلق وذهبت لترد ،  
إنه صوت خالتها ، وما إن سمعته حتى خفق قلبها بين ضلوعها .

" تشن بوا ؟ عودى على وجه السرعة ، أمك مريضة ، . . . . . لا ،  
عودى فوراً ، ماذا تقولين ؟ تراجعين دروسك ؟ على راحتك . . . . . "

ثم أغلقت التليفون فى وجه تشن بوا .

اصفر وجهها ، وطلبت إجازة واستعدت للعودة .

\* \* \*

ذهبت " يانغ تشيانغ يون " إلى رابطة الشبيبة بالمدرسة ، ولم تكن " لوى تشن " سكرتيرة الرابطة موجودة ، بحثت عنها طويلاً وعرضاً حتى وجدتتها -  
فقدمت لها تقريراً شفويّاً عن أحوال ما بعد الامتحان ، وطرحت أمامها العديد من الملاحظات عن " لى تشون " ، والأستاذ " يوان " و " تشن بوا " .....  
.....

أبدت " لوى تشن " تأييدها لآراء " تشيانغ يون " ، وقالت : " نعم لقد انتهيت من فوري من مناقشة مشكلة المزج بين الدراسة وتعزيز التوعية الفكرية فى لجنة رابطة الشبيبة بالحى ، إن آراء لى تشون غير صحيحة ! فهى تتنافى مع الاتجاهات والأفكار السياسية وأن " سونينغ " و " وتشانغ فو " يجب أن تحظيا بالمساعدة حتى تستطيعا تصحيح أفكارهما ، بشىء من الجد والمثابرة سوف تتحسن دراستهما ويحصلان على الدرجة النهائية ، وعلى تشن بوا أن تتمسك بآرائها وأفكارها الصحيحة ، غير أنه يجب أن تولين الاهتمام بدراستكن بالفصل ، حتى إذا ما تحسنت أحوالكن استطعتن أن تلعبن دوراً أكبر وأعمق . وهذا الطريق بالطبع لا يخلو من العقبات ، ولكن متى كنا نحن شابات رابطة الشبيبة نخشى هذه العقبات !

\* \* \*

استعارت " تشن بوا " من المكتبة بعض الكتب التى تسجل أحداث حركة " بى خه توان " التى قام بها الفلاحون ، وأثناء خروجها من باب المدرسة شاهدت مارى وهى تحمل حقيبة كتبها وتسير إلى جوار سور المدرسة ، نادتها : " مارى ! " التفتت نحوها وتوقفت ، وقعت عيننا " تشن بوا " أول ما وقعت على عيني مارى اللتين يغلفهما حزن دفين ، وجفنيهما المسدولين على العينين كأنهما جفنان مزدوجان

هاتان العينان تبدوان أكثر اتساعاً وسط وجهها النحيل الشاحب ، ترى البلادة فى عينيها حيناً وتراها متوقدة براقه أحيانا ، ترى فيهما الشك والخوف حيناً ، والصدق والإخلاص أحياناً أخرى . لها نذب وسط الحاجب الأيسر وآخر أسفل ذقنها . ساعدها الهزيل يجعلك تشفق عليها من حمل حقيبة الكتب ، يبدو جسدها كأنه شجيرة ذابلة هزيلة تكاثرت عليها نكبات الدهر ونوائبه . هزت رأسها بالاستفهام .

سألته تشن بوا : " أتعودين إلى المنزل ؟ "

أومات بالإيجاب .

قالت تشن بوا : " وأنا أيضاً أعود إلى المنزل ، أمى مريضة "

نظرت إلى تشن بوا وأومات معبرة عن التعاطف معها .

سألته تشن بوا : " أين تسكنين ؟ " أشارت بيدها وقالت : " فى هذه

الناحية " .

وعندما وصلتا إلى الشارع العمومى ، أرادت " مارى " أن تأخذ جانباً ، بينما ستسير " تشن بوا " فى طريق مستقيم . قالت " تشن " : " إلى اللقاء " وكأن مارى قد تذكرت فجأة ، وقالت " أمك مريضة ، اصطحبها إلى المستشفى " .

ثم دخلت فى حارة ضيقة .

توقفت بوا عن السير برهة وراحت ترقب جسد مارى النحيل وهى تحمل حقيبتها المكتظة بالكتب وتختفى عن الأنظار شيئاً فشيئاً . فاعتمل فى قلب " تشن " شعور بالألم والمرارة لا تقدر على وصفه .

\* \* \*

عادت تشن إلى البيت ، فوجدت أمها قد ذهبت إلى المستشفى فأسرعت إلى هناك . قال لها الطبيب : " لا تنزعجى فالأمر لا يتجاوز نزلة برد حادة ، غير أن درجة حرارتها وصلت إلى أقصى حد ممكن - ٤١ درجة . إن المريضة شديدة الضعف والهزال ، وتعانى لفترة طويلة من أمراض القلب ، لذلك أصيبت بالإغماء ، وتحسنت حالتها بعض الشيء بعد أن أعطيتها جرعة من الدواء . "

حملت تشن بوا الدواء واصطحبت أمها عائدة أدارجها إلى المنزل .

ترقد الأم فى إحدى الغرف الشرقية ، تتكسر أشعة الشمس عند الغروب فوق حقيبته بالية وسرة أكل عليها الدهر وشرب .

رقدت الأم على ظهرها ، وبللت تشن بوا فوطة بماء بارد ووضعتها على جبين أمها وفقاً لنصيحة الطبيب ، وارتبت الأم عينيها الذابلتين وسألت :

"أوليس عندك دروس ؟"

- "انتهيت منها"

- « ولا اجتماعات "

- "لا"

سألت " تشن بوا " أمها عن حالتها المرضية ، فرسمت الأم على وجهها ابتسامة مغتصبة وقالت : " لا شيء " ، ألا تعرفين أننى أمرض مائتى يوم فى السنة ؟"

وقالت لها زوجة خالها مرة تلو المرة ، بأن أمها لا تهتم بصحتها ، فما إن تحسنت حالتها حتى شغلت نفسها فى أمور كثيرة لكى ترقد طريحة الفراش من جديد . إنا مازلنا فى الخريف ولكنها شغلت نفسها بإعداد معطف محشو بالقطن ترتدينه أنت فى الشتاء ، وصادق أن تساقط رذاذ مطر خفيف ليلة أول أمس حيث

كانت مشغولة بعمل المعطف ، وأضافت زوجة الخال : " ونحن الآن فى الخريف حيث يشتد البرد مع كل سخة مطر وإذا تركنا نسماته الباردة تنفذ الى العظام ، فكيف لنا ألا نمرض ؟ " .

أعدت " تشن بوا " وجبة من المكرونة ، أكلت الأم قليلاً منها ثم راحت فى سبات عميق ، كنست تشن الأرض ، ورفعت غطاء الشباك الورقى قليلاً ، ثم جاءت بفوطة أخرى مبللة بالماء ووضعتها على جبين أمها . بدأ الليل ينسج خيوطه ، جلست " تشن " وتذكرت أنها لم تتناول العشاء ، فأحضرت قطعتين من المانتو<sup>(١)</sup> ، والتهمتهما فى نهم وهى تجوب بناظرها أنحاء هذه الغرفة الصغيرة التى قضت فيها طفولتها البائسة ، وفجأة تهادى إلى سامعيها صوت دقات طبول تاجر الخردة المتجول مما جعلها تجهش بالبكاء .. . . . .

تذكرت نفسها وهى فى الخامسة ولم تلتحق بالمدرسة بعد ، كان أشد ما يؤلمها أنها لا تعرف فيم وكيف تقضى أيامها . ذات يوم من أيام الصيف القاتلة ، كانت الشمس معلقة فى كبد السماء والجو شديد الحرارة وكان الكبار يأخذون راحة وقت القيلولة فماذا عسى أن تفعل طفلة صغيرة " كتشن بوا ؟ " ، لم يكن لها صديقات ، وليس لديها دمية ولا مربية ، وإنما كان كل عالمها هو ذلك الحوش الصغير .

تذكرت « تشن » عندما التقطت عودا من الحطب وجعلت منه دميته وراحت تقذفه الى أعلى وتتلقاه وهى تكاد تطير معه من فرط النشوة والسعادة ، حتى رمته بقوة فلم تعرف له مستقراً - الحوش لا يختلف كثيراً عن الحجرة حيث يزدحم بالأشياء القديمة البالية - وبحثت عنه فى كل مكان ، على السلالم ، وراء عتبة الباب ، وحتى فى كومة الفحم فلم تجد له أثراً ، وقفت تبكى حتى تورمت عيناها ، ولكن ما من مجيب ، وفجأة سمعت أصوات دقات الطبول الخفيفة ذات الإيقاع

(١) المانتو هو الخبز الصينى ، يصنع من العجين المخمر المينزوج على البخار .



الرتيب فاندفعت نحو الباب ، وأخذت تمنع النظر في تاجر الركشة ، ووقفت كأنها تسمرت في مكانها وكأن شيئاً يجثم على صدرها . فقد سيطر على قلبها منذ عهد الطفولة البريئة شعور بالفقر والذلة والحياة الفارغة . عهد الطفولة ، والطفولة البريئة ، الوردية قضتها بين طبول تاجر الركشة الرتبية الإيقاع ووسط هذا الفراغ الكئيب والملل القاتل .

نادت الأم على تشن : " صغيرتى بوا ألم تعودى للمدرسة بعد ؟ " .

- " لن أعود حتى تتحسن صحة حضرتك يا أمى " .

- " لاداعى ، لاتأخرى عن دروسك . " .

- " لا يهم " .

اطمأن قلب الأم ، ثم تأهبت للنوم مرة أخرى .

سقط حجر فى الماء ، فتطاير الرذاذ فى كل اتجاه ، وما إن تكلمت مع أمها حتى ذهبت عنها هواجس الذكريات . غاصت الأم فى نوم عميق ، وراحت أنفاسها تدخل وتخرج بانتظام .

يبدو أن مرضها هذه المرة لم يكن مزعجاً إلى حد كبير ، وأنها سوف تسترد صحتها قريباً ، وأصبح على " تشن بوا " أن تتردد على البيت للاطمئنان على أمها ، هذا هو الواجب ، فهى تشعر بتقصير شديد فى واجبها نحو أمها .

ما إن سحبت « تشن بوا » كتاب " تاريخ الصين الحديث " من الحقيبة ، حتى تذكرت على الفور ماري وعينيها اللتين تنطقان بالحزن والأسى كما لو كان لها دين فى عنق تشن ، وتذكرت أيضاً " تشيانغ يون " ، " سونينغ " ، " لى تشون " ، والأستاذ " يوان " ، شعرت بالتقصير فى حقهم جميعاً ، فقد انتظروا جميعاً أن تؤدى الكثير من الواجبات ، لكنها لم تؤد واجباً واحداً على خير ما يرام ، وعندما

اهتدت إلى التفكير في هذا الأمر، كانت كعادتها دائماً في مواجهة هذه الأحاسيس ،  
لم تستول عليها الهموم ولكن دبت الروح والنشاط في كيانها : "إن الحياة تطالبني  
دائماً ببذل المزيد من الجهد والعرق ، ولن أتقاعس ، على إذن أن أعمل ولا شيء  
غير العمل !"

ثم عادت إلى ذكريات طفولتها التي ذكرتها "بخوان لى تشينغ" ، التي أشعلت  
نار الثورة بداخلها فبعثت نور الأمل في قلبها الذي كان يعمه الحزن ومن ثم استمرت  
على درب النضال ، لم تفر لها عزيمة ولم يفت لها في عضد .

عضت على أنيابها وتنهدت تنهيدة عميقة ثم أضاءت المصباح وثبتت عليه ورقة  
( ل تمنع أشعة الضوء من إزعاج أمها ) ، وقلبت الصفحة على انتفاضة "بى خه  
توان" وأخذت تطالعها صفحة تلو الأخرى بدقة متناهية .

عادت "تشيانغ يون" من مقر رابطة الشبيبة ، ووجدت الرسالة التي تركتها لها  
تشن بوا "لقد مرضت أمى من جديد ، وعدت للاطمئنان عليها " .

وضعت الورقة في جيبها ثم أخذت تضع برنامجاً لنفسها : " أولاً ، أذاكر  
مادة التاريخ جيداً مساء اليوم . ثانياً ، غدا السبت أذهب بعد الظهر لزيارة  
« سونينغ » . ثالثاً : أفكر في كيفية رد الصاع صاعين إلى «لى تشون» . . . . .

\* \* \*

وصلت «تشيانغ يون» إلى منزل «سونينغ» ، الباب داكن اللون ، عليه آثار  
رموز غير واضحة " النجوم سحر السماء ، والرجال العظام روعة الأرض " كل من  
حلقتى الباب مثبتتين داخل فم رأس حيوان منحوتة على الباب ، ووالد سونينغ هو  
أحد أصحاب المصانع الخاصة وقد ألقى القبض عليه أثناء فترة مقاومة عناصر الفساد  
الجسيمة بسبب تصرفاته الخطيرة التي تندرج تحت هذه العناصر ورفضه التعاون مع  
فرقة التفتيش والاستقصاء ، لكنه أفرج عنه أخيراً ؛ لذلك تشعر "تشيانغ يون"  
باضطراب بسبب هذه الزيارة .

قرعت "تشيانغ يون" الباب بخفة ولطف ، أطلت عجوز قصيرة القامة إلى حد يثير الضحك برأسها من بين فرجة مصرعى الباب ، شعرها ملفوف على مؤخرة رأسها ، وتربط حول وسطها مريلة ذات لون أبيض باهت .

سألتها : " من تريدين ؟ " .

- "سونينغ" .

أخذت عينا العجوز تجوب " تشيانغ يون" من أم رأسها حتى أخصص قدميها ، ثم كست وجهها ابتسامة عريضة ، وقالت لها بلسان بكيني ناعم ينم عن المكر :  
" سيادتك تسألين عن حضرتها ، إن حضرتها مرهقة هذه الأيام ، وعلى ما أعتقد أنها تأخذ الآن قسطاً من الراحة " .

" أنا زميلتها ، جئت للاطمئنان عليها ، ويمكن أن أنتظرها إن كانت نائمة " .

" تفضلي إذن " وقادتها من المدخل إلى داخل فناء البيت الذى تحوطه الغرف من الجهات الأربع ، أشارت إلى أحد الممرات القريبة وقالت : " تفضلي بالسير فى الممر حتى تصلى إلى الحوش الخلفى الصغير حيث تسكن الأنسة سو فى الحجرة الشرقية من الصالون الشمالى "

لم تفهم "تشيانغ يون" ماذا تعنى العجوز بكلمة الأنسة ، وعندما استوعبتها فيما بعد حارت دمعة فى المآقى وبسمة مرة على الشفاه .

وصلت «تشيانغ» إلى الحوش الخلفى ، صعدت الدرجات المؤدية إلى الصالون البحرى ونادت : " سونينغ " .

انفرجت ستارة من الحرير الأبيض عن شباك شرقى من الزجاج ، وأطلت «سونينغ» بوجهها ، لم تطق «تشيانغ يون» صبراً حتى تهلل وجهها لرؤية «سونينغ» واندفعت كالريح إلى داخل الحجرة .

سلمت تشيانغ على زميلتها سو ، وجلست إلى جوارها عند رأس السرير الذى يوضع إلى الجنوب ، ويستند إلى جوار الشباك ، وسونينغ تجلس نصف جلسة على السرير ، واللحاف مكموم على طرف الفراش بشكل لا يبعث على الراحة، سحبت "تشانغ يون" طرفه المتدلى على الأرض ، وجابت الحجرة بطرف عينيها فإذا بالركن الشرقى الشمالى ترى فيه مكتبة صغيرة مهملة تتكدس فوقها كومة من الكتب والجرائد ، بجوارها منضدة صغيرة من الخيزران عليها مقلمة من البامبو وليس بها أقلام ، ومزهريه من الصينى ، خالية من الزهور أيضا، وفى مواجهة المكتبة توجد أدوات الغسيل والاستحمام.

وعلى الحائط تعلق لوحة من البامبو للرسام الشهير تشن باى تشياو، (١) وصورة أخرى مبتذلة فى حجم لوحة نتيجة الحائط لفتاة حسناء ترقص على الأرجوحة ، ثم صورة فوتوغرافية بالألوان الطبيعية للبحيرة الغربية.

وبجوار فراش «سونينغ» توجد منضدة صغيرة عليها بعض زجاجات الدواء، وترمس وكوب ماء.

شمت " تشيانغ يون " بما تتميز به من حاسة شم قوية رائحة غريبة غير متجانسة، هى خليط من رائحة الدواء والصابون والأوراق واللوحات القديمة ورائحة لحاف سونينغ . قالت تشيانغ "افتحى الشباك ، جددى الهواء الفاسد" .

قالت سونينغ فى تردد : "إن الشعب الهوائية ... .."

أطلت «تشانغ يون» برأسها إلى الخارج وقالت : "اليوم لا توجد رياح، والشمس مشرقة ومن الأفضل لصحتك أن تفتحى النافذة" .

صعدت «تشانغ يون» إلى قاعدة أرضية النافذة لتفتح الجزء العلوى الصغير منه، لمحت عيناها كتاب "عشق الأرواح" للكاتب شويو، موضوعاً على قاعدة النافذة.

(١) شاعر ورسام وخطاط شهير فى الصين فى أواخر القرن الماضى .

هبطت «تشيانغ يون» والتقطت الكتاب وأخذت تقلب صفحاته في ريبة وشك،  
بينما أحنت سونينغ رأسها وكأنها ارتكبت فعلاً شائئاً.

- " يا للسماء، ما هذا الذى تقرأين؟ " .

ردت " سونينغ " فى لهجة التى تبرر خطأها : " إننى مريضة وقراءة الكتب  
الأخرى فيها مشقة على النفس " .

قالت " تشيانغ يون " والغیظ يكاد يفتك بها : " عشق الأرواح ، هذا  
الكتاب يبدو من عنوانه أنه فارغ عديم الفائدة؟ تتعبين من قراءة الكتب الأخرى  
ولا تنزعجين من قراءة مثل هذا الكتاب " ؟ .

تلعثمت " سونينغ " ولم تجد ما ترد به ، بل أخذت أصابعها تفرك طرف  
اللحاف وبدت فى حالة يرثى لها . سألتها " تشيانغ يون " عن صحتها ،  
قالت : " لا شىء سوى نوبات من وجع الرأس وهذا ليس ليوم أو يومين ، ولكن  
كلما تكدرت نفسى داهمنى صداع قاتل ، وأشعر برأسى أصبح بلا فائدة . " .  
- " رأسك أصبح بلا فائدة " .

ردت " سونينغ " وقد حملت مخدتها ووضعتها فوق ركبته وأخذت تداعبها  
فى لطف ومودة : " أشعر أننى ، أصير غبية شيئاً فشيئاً ، ذاكرتى وقدرتى على  
الفهم انخفضتا بشكل غير معقول ، أحس وأنا فى الفراش بدوار فى رأسى ، وآلام  
مثل وخذ الإبر ، إننى أخشى ..... " .

قالت " تشيانغ يون " فى عطف يشوبه القلق : " لا توهمى نفسك ،  
ليست هذه أول مرة أعرفك فيها ، أعرف أنك لست غبية ، لكن تحيين أن تصبغى  
نفسك بلون من التشاؤم ، وربما تسلفت إليك هذه الأفكار بسبب وحدتك فى هذه  
الحجرة السقيمة " .

نظرت " سونينغ " إلى " تشيانغ " نظرة حب وارتياح ، واقتربت منها وأومأت قائلة : " نعم عندي بعض المخاوف ، وأخشى ألا أتمكن من متابعة الدروس ، والرسوب في الامتحان وعدم النجاح في الدور الثاني ، ثم التخلف " .

ردت " تشيانغ يون " في غضب : " يا لك من فتاة ! إن الإنسان تكون صحته على أحسن ما يرام ، فيقول في نفسه : " ويحتمل أن أمرض إذا أصابتنى نوبة من البرد ، وإذا لم أشف من هذا المرض يحتمل أن أصاب بعاهة ، وإذا لم أعالج من هذه العاهة يحتمل أن أموت . . . . . ، أليس هذا لون من الهذيان ؟ إن فصلنا جميعا يستذكر دروسه بكل الجد والحماس ، لم تتكسر معنوياتنا، ويبدو كأنه قد ثارت ثورته ، فلماذا تفكرين أنت بمثل هذه السلبية وفقدان الأمل في المستقبل؟ " .

قطع كلام " تشيانغ يون " الحماسى وقع خطوات ، إنها خطوات شاب نحيف طويل القامة ، فى ظهره انحناء خفيفة ، يتقدم فى أدب ولياقة نحو الحجرة ، وعندما رأى " تشيانغ يون " تراجع إلى الخلف وهو يهز رأسه تعبيراً عن التحية .  
قدمته سونينغ : " أخى الأكبر " .

نهضت " تشيانغ " فأسرع قائلاً : " تفضلى بالجلوس " ثم مد يده وصافحها بلطف بأصابعه ذات الأطراف الصفراء الشاحبة من فرط تأثير دخان أعقاب السجائر . نظرت " تشيانغ " إلى شعره الطويل المجعد الذى يسقط على عينيه وجبهته العريضة ذات الخطوط المتوازية ، تبدو عليه مسحة من الوسامة المشوبة بالضعف والهزال ، قدم نفسه : " سوجون " ، وقدمت " تشيانغ يون " نفسها هى الأخرى . نظر إلى تشيانغ وهمّ أن يقول شيئاً ولكنه صمت لحظة ، ثم استدار واتجه نحو المكتبة .

أخذته فجأة نوبة قوية من السعال ، حتى أحنى وسطه .

تذكرت " تشيانغ يون " حديث سونينغ عن أخيها . إنه أخوها لأبيها من زوجته الأولى ، يكبرها بنحو سبع سنوات ، تحبه سو وتخشاها في الوقت نفسه . كان في صغره يرافق جده لوالدته في الريف لدراسة اللغة الكلاسيكية وفن الرسم التقليدي ، وكان جده قد حصل على شهادة التعليم المتوسط في عهد أسرة تشن القديمة ، بعد ذلك التحق سوجون بالجامعة لدراسة اللغة الصينية ، وكاد ينتحر لفشله في الحب، ثم أصابه بعد ذلك مرض السل اللعين، ومكث في البيت طلباً للنقاهة والشفاء منذ عام ١٩٤٨ .

ترك سوجون الكتاب الذي كان يتصفحه وأحضر من التفاح ثلاثة، أعطى أكبرها " لتشيانغ يون " وأوسطها لأخته سونينغ واستبقى لنفسه الصغرى، لم تستعمل " تشيانغ " سكينه الصغير ولكن مسحتها بمنديلها وراحت تقضمها في سعادة.

" هل أنت يانغ تشيانغ يون؟ " .

- " نعم ، هي أنا " وابتسمت تشيانغ وهي تحاول أن تكسر الحاجز بينها وبين ذلك الشخص الغريب عنها في شجاعة وبراعة .

بادلها الابتسامة وقال: " رائع ، إن أختي كثيراً ما تحدثني عن مساعداتك الكثيرة لها ، وأنت صديقتها الصدوقة، أليس كذلك؟ .

- أشكرك على هذا " .

ردت في شيء من الخجل والحياء : " علام تشكرني؟ " .

رمقها بطرف عينه وأجال بصره فيها بنظرة سريعة فاحصة . وكنوع من الأدب واللياقة غلف نظرتة لدرجة يصعب معها الإحساس بها .

ثم سألتها بلهجة الرجل الكبير الذي يسأل الأجيال الأحدث سناً : " ما هي أحوال وظروف طلاب المرحلة المتوسطة في هذه الأيام؟ "

- " ماذا تقصد حضرتك ؟ .. كل شيء على مايرام " .

- " هل تجدين فى أختى ما لا يرضيك ؟ " .

" أختى ، ماذا تقول ؟ .. . . . . . " اعترضته سونينغ فى ارتباك واستنكار .

لكنه أشار لها بيده أن تهدأ .

أجابت " تشيانغ يون " فى صراحة " سونينغ حسنة الطوية ، لكنها غير نشيطة ، وتميل إلى السكينة "

قال " سوجون " وهو يحنى وسطه ويضرب الأرض بسن حذائه فى خفة ،  
إننى أغبط طلاب المرحلة المتوسطة فى هذا الوقت ، فهم يعيشون ظروفًا أفضل مما  
كنت أعيشها وقت دراستى ، غير أننى أشفق عليكم أيضاً من الأعباء التى تثقل  
كاهلكم ، وآسف على المشاغل عديمة الفائدة والحماس الأجوف ، أنت تساعدين  
أختى وأنا أشكرك على هذا ، لكنى أتمنى ألا تدفعيها إلى مثل هذه الدوامة . "

لم تجد " سونينغ " مفراً من أن تنادى فى استنكار : " أختى ...  
..... " .

وطالبت " تشيانغ يون " فى حزم : " لو تكلمت حضرتكم فسروا ما ذكرتم " .

وقد نشط ذهنها وأحست بأنها مقبلة على مناقشة جدلية ساخنة .

أخرج " سوجون " منديلاً حريراً من الحرير الناعم وأخذ يمسح جبينه على  
طريقة النساء .

ثم أعاد المنديل إلى جيبه وقال فى تودة : " أهنأك حاجة إلى تفسير؟ إن  
دروسكن كثيرة ، وأنا لست ضد المواظبة على هذه الدروس ، ولكنى أيضاً  
لا أحبذ أن تغلقن أنفسكن على الدراسة فقط . وأغلب الظن أنك عضو فى تنظيم  
الشبيبة الشيوعى ، أنا لست ضد تكوين المنظمات وعقد الاجتماعات ، لكنى أيضاً



لا أشجع هذا الحزم وهذه الصرامة فى مثل هذه السن الصغيرة. إن الشعارات والنداءات فى حياتكن كثيرة ، بطبيعة الحال يمكن أن تكون الحياة بها بعض الحماس والحمية ، ولكن أعنى أن أى عمل من شأنه إثارة الحماس الرخيص يعد عملاً من أعمال الجريمة . . . . ؟"

- " إذن ، كيف يجب أن تكون الحياة فى اعتقادك ؟ "

- " هذا السؤال غير موفق ، فالحياة ، لها مجراها الطبيعى الذى لا يتغير ، ولا يمكن أن نقول هكذا يجب أن تكون ؛ فالإنسان وهو أذكى وأقدر المخلوقات يحيا بين السماء والأرض ، ويرتمى فى أحضان الأيام والليالى ، وبطبيعة الحال لا يمكنه أن يتجنب كافة أنواع العثرات والملمات التى تأتية من خارج نفسه ومن داخلها، لكنه رغم ذلك عليه ألا يبخل على نفسه بشئ من الراحة والترويح عن النفس . . . . . فمثلاً ، ومد " سوجون " يده وأخذ المقلمة الموضوعة على المنضدة الخيزران وأشار إلى الصورة المرسومة عليها لترها " تشيانغ يون " . وهى صورة لفتى وفتاة فى الملابس التقليدية القديمة وهما يرفعان كأسى الخمر . ومكتوب ، " الإنسان خالى البال ، قرير العين ، وحياته هنيئة فى عقب الورد والرياحين " وقد نعى العفن الأخضر بين هذه الرموز .

- " أليست الحياة بهذه اللذة الطبيعية السلسلة نوعاً من الأحلام ؟ "

أطرقت " تشيان يون " مستغرقة فى التفكير ، دون أن تتلقى كوب الماء الذى تقدمه لها سونينغ ثم هزت رأسها تجاه سوجون وقالت فى حزم وثقة : " إن كلام حضرتكم ليس فيه شئ من الصحة أو ربما أننى لم أستوعبه بعد ، فهذا الكلام فيه شئ من الغرابة على مسامعى ، غير أننى أشعر أن حضرتك لم تستوعب أسلوب حياتنا أنا وسونينغ ، إن كلامك مثله تماماً كمثل هذه المقلمة ، أكل عليه الدهر وشرب ، أى أعباء جسام تلك التى تتحدث عنها ، إننا نعيش حياة إيجابية

ذات هدف واضح ، وإن مانتحملة ليس بالأعباء الجسام لكنها المسئوليات التي تكسب الزهو والفخر ، إن اهتماماتنا ليست جوفاء ، فمثلا عند دراسة لغة أجنبية ، تكون أول الأمر لا تعرف عنها شيئاً ، لكنك ما إن تشغل بها حيناً من الوقت حتى تعرف أبجديتها وتفك رموزها وتركب جملها ، فكيف يمكن أن يكون ذلك عبثاً؟ على العكس ، إن أولئك الذين يبعثون أعمارهم دونما عمل حقيقى تعتبر حياتهم نوعاً من الراحة الجوفاء التي لا معنى لها ، وبالنسبة للحماس فالإنسان مثل شعلة من النار ، إذا احترقت لم يتبق منها غير الرماد . والشعلة ليست عبثاً لأنها تبعث الدفء والضوء . أما الرماد فتذروه الرياح ، وأولئك الذين يطلبون الحياة الرغدة الناعمة دون عمل أو تعب كما ذكرت حضرتك ، أفكارهم قديمة وأحلامهم بالية- مثل الضفائر الطويلة عند الفتيان ، وأقدام النساء ذات القوالب الصغيرة - وليست فقط بالأفكار الجوفاء ، لكنها أيضاً تبعث على الضحك والازدراء . ثم ضحكت "تشيانغ يون" ضحكة عالية مجلجلة تعبر عن النصر ولا تخلو من الاستخفاف بخصمها " سوجون " الذى دحضت أفكاره وآراءه بأسلوب صريح ساخر.

قال سوجون وهو يفرك في يده " أنت خطيرة " .

ورغم أن النقاش بين " سوجون " و " تشيانغ " فى أول لقاء يتم بينهما بالصدفة كان حاداً على نحو غير متوقع إلا أن " تشيانغ يون " شعرت بأن هذا الحديث جاء صريحاً وبلا قيود ، وربما ربط كلاهما بالآخر ذلك الاهتمام المشترك بسونينغ ، فكانت تواصل حديثها فى شجاعة وحماسها يتدفق من بين ثنايا كلماتها لدرجة لا تسمح لها بالتوقف من آن لآخر .

"أشد سونينغ إلى الدوامه ، إذا كنت حضرتك ترى أن الحياة هى الدوامه ، فعليك إذن أن تفتح قلبك لها ، ألا يعنى عدم دخولك فى خضم هذه الدوامه أنك تلقى بنفسك فى ركن معزول ميت ؟ لكن عليك ألا تضيع شبابك هباءً مثوراً . "

كسى الوجوم وجه " سوجون " النحيل ، وكبس شعره الطويل بيده ،  
وقال بشيء من الحزن والكآبة : " يا ذات الحظ السعيد ، إننى أغبطك .. " ثم  
انفجر فى سعال شديد حتى احمر وجهه واستدار منصرفاً عن المكان فى خطى وثيدة  
تاركا تفاحته فوق الكرسي بعد أن قشر نصفها .

أمسكت " تشيانغ يون " بيد " سونينغ " وقالت " إن الجو فى منزلكم غير  
صحي ، ففى رتى أخيك جراثيم وكذلك كلامه ، أخشى أن تنتقل إليك ! وهناك  
أيضا مربيتكم المتحذلة التى فتحت لى الباب ، إنها تدعوك " الأنسة " ثم لا تنسى  
كتاب " عشق الأرواح " هذا ... .. "

قالت " سونينغ " وقد اغرورقت عيناها بالدموع : " لا يأخذنا الغضب من  
أخى ، فقد أصيب ذات يوم بمرض ، إنه فيما عدانى على خلاف بين مع كل أفراد  
الأسرة : أبى ، أمى ، أعمامى ، أخوالى ، حتى هذه المربية التى حدثتني عنها ،  
كلهم لا يبالي بأحد منهم ... .. "

- " أهكذا يكون الحال ؟ فى حقيقة الأمر ، إن الحياة فى بيتكم تخلو من أى  
معنى للسعادة ... "

قالت سونينغ والدموع تترقرق فى عينيها : " نعم إن حياتنا غير سعيدة ،  
وأنت لم تعرفى بعد أكبر أسباب تعاستنا . إن أبى الذى أفرج عنه من السجن  
مؤخراً ، يهدد ويتوعد بأنه سيتوقف عن تجارته ليقطع مصدر الرزق عن كل أفراد  
الأسرة . وأمى - التى تشفق على أكثر من أى شخص آخر - إذا استبد بها الغضب  
يخيل إلى أنها تكاد أن تخنق أبى ، وإذا صارت كسيرة الفؤاد أراها تكاد يغمى عليها  
من فرط البكاء ، ولى أخت كبرى ذهبت مع زوجها الأخرق إلى تايوان ، وهناك  
أيضا هذه الدادة وهى أستاذة فى الفتنة والوشاية وتسرق الكحل من العين ... ..  
إننى أفكر أن أهجر هذا البيت ، ولكنى أخشى أن يموت أخى حزنا وكمداً ... "

وقعت تشيانغ يون فى حيرة وارتباك بسبب بكاء سونينغ ، وشعرت أنها أخطأت ، فقد جاءت زيارتها لتزيد متاعب سونينغ . أرادت أن تنقذ الموقف فقالت فى اضطراب : " لا ، لا تبكى فليس هناك ما يدعو للبكاء ، لقد كان كلامى طائشاً ، وكنت متهورة . وكان حديثى مع أخيك جارحاً أيضاً ، وأرجو أن تبلغيه اعتذارى . إن الحياة فى أسرتم بطبيعة الحال ليست على ما يرام ، غير أن هذا الأمر لا يحتاج سوى بعض من التغيير بالنسبة لوالديك ، وصحة أخيك يمكن أن تتحسن بصورة ملموسة ، ومرض السل ليس من الأمراض الخطيرة كما يتصور العامة ، وأنت مما لا شك فيه فتاة من الجيل الجديد ولك الكثير من الزميلات والصديقات وتتمين إلى مدرسة لها مكانة مرموقة عودى إلى مدرستك بمجرد أن تتحسن صحتك ، ومن ثم تحل كل المشاكل " .

قالت سونينغ فى صوت مختنق بالبكاء : " فى أول الأسبوع " .

خرجت " تشيانغ يون " تصحبها الدادة إلى باب المنزل مرة أخرى ، وبينما كانت أقدامها على وشك تجاوز عتبة الباب قفزت إلى ذهنها فكرة فصاحت " آه ، نسيت شيئاً " وأسرعت عائدة إلى حجرة سونينغ .

" سونينغ " ، نادى تشيانغ يون بسعادة ولهفة : " نريد أن نساعدك فى ترتيب هذا المكان ليصبح أكثر بريقاً وجمالاً ، سوف نحضر غداً ، ما رأيك ؟ "

وكان اليوم التالى هو عطلة نهاية الأسبوع ، واصطحبت تشيانغ يون " تشوتشيا ولينغ " وزميلة أخرى إلى منزل سونينغ ، تشاورن معها ثم شمرن عن سواعدهن وبدأن العمل ، قمن بتنظيف الأتربة والأوساخ العالقة بجدران الحجرة والمترامية فى أركانها ووضعن فى أحد هذه الأركان تمثالاً نصفياً من الجبس للزعيم " ماوتس دونغ " .. ولصقن على الحائط صورة لينين بين الأطفال " المرسومة بالرصاص ،

وصورة المناضلة صوفيا<sup>(١)</sup> . وأهدين إليها مجموعة من الكتب مثل "حياتنا فداء للحزب" و "السيرة الذاتية لليوخنولان" و "المعارف الأساسية حول رابطة الشبيبة" ، وضعت سونينغ هذه الكتب في أبرز مكان بمكتبتها ، وبناء على رأى "تشوشيا ولينغ" قمن بلمصق بعض الشعارات على الحائط مثل "أهلا بتيار بناء الوطن! و "تعلم ، تعلم ، ثم تعلم" وبعد أن انتهين غرقن فى الضحك كمن قهرن المستحيل . وضحكت معهن "سونينغ" .

(١) فتاة روسية شاركت فى الدفاع عن الوطن ضد ألمانيا وقبض عليها الجنود الألمان وقتلوا .



(٨)

انقضى أسبوع ، وذات يوم بعد انتهاء الدراسة ذهبت الطالبات لمشاهدة إحدى المباريات فى كرة القدم ، ولم يتبق فى الفصل سوى " ماري " . عادت " تشن بوا " بعد أنت انتهت من مناقشة أحد الموضوعات مع سكرتيرة رابطة الشبيبة ، واقتربت من ماري .

التفتت ماري نحوها كأنها تسألها بطرف عينيها " ماذا تريدين ؟ " جلست " تشن بوا " إلى جوارها وسألتها : " لم لا تذهبين لمشاهدة المباراة؟ "

- " لم أنته من أداء واجباتى "

- " هل تحبين لعب الكرة ؟ "

- " لا أعرف "

ثم لاذت بصمت محرج ، سألتها تشن بوا : " هل أنت مريضة؟ يبدو من لون وجهك أنك لست على ما يرام "

- " لا ، لا شىء "

- " ما هى أحوالك فى هذه الأيام "

- " كالعادة "

توقفت ماري عن الكلام ، وعادت تنظر فى دفاترها من جديد .

" وتشن بوا " مازالت جالسة إلى جوارها ، شعرت ماري أن ذلك ليس مناسباً فاستدارت مرة ثانية نحو تشن بوا وأخذت تنظر إليها نظرات عميقة معبرة عن الحيرة والتساؤل .

أحنت شن رأسها ، ثم رفعتها فجأة وقالت فى عجالة : " مارى ، أخبرينى ، لماذا تعزفين عن الحديث مع الآخرين؟ لقد مضى شهران على انتقالك إلى فصلنا ، لكنك مازلت على نفس الحال الذى كنت عليه فى أول الأمر ، يفصل بينك وبيننا حاجز الشعور بالغربة : إننا فى آخر فترة دراسية فى المرحلة الثانوية ، فياله من شىء رائع إذا أصبحنا أخوات متحابات تربطنا روح الأسرة الواحدة المتماسكة .

تكهرب وجه مارى وسرت فى وجنتيها حمرة قانية ، ورفعت عينيها وأخذت تحملق فى تشن بنظرات لا تخلو من الريبة والشك .

وقالت : " فيما بعد ، فيما بعد سأحاول أن أقرب من الزميلات . "

هزت تشن رأسها وقالت : " لا ، لا تأخذى الأمر بمثل هذه البساطة ، أخبرينى ، هل تحبين فصلنا ؟ هل تحبين زميلاتنا؟ هل ترغبين فى أن يتعانق قلبك مع واحد وخمسين قلباً فى فصلنا؟ "

ارتعد قلب مارى من هذه الأسئلة التى لم توجه لها من قبل ، ولكن أليست أيضاً هذه هى الأسئلة التى ألحت عليها كثيراً ؟

قالت مارى : " أنا ..... أنا لا أعرف ، إننى أعيش وحيدة ، تعودت على ذلك ، ليس لى أقارب ، وليس لى ..... صديقات ، إننى أختلف عنكن "

وأردفت تقول فى صوت خفيض : " لا داعى للإخفاء ، إننى ذات عقيدة سماوية ، أنا الوحيدة بين كل طالبات فصلنا الاثنتين والخمسين ..... " وأنتن ، أنتن لماذا لا تؤمنن برب السماء ؟ "



مارى ابنة التسعة عشر ربيعا ، قضتها جميعاً بين البيؤس والوحدة ، فمنذ نعومة أظافرهما ، منذ بدأت تعى ما حولها وجدت نفسها يتيمة فى " دار الرحمة " للمسيحيين الكاثوليك ، لم تعرف هل كان ذلك بسبب الفقر ، أم أنها جاءت سفاحاً ، أم أن أبويها وافتهما المنية ، فقد أودعت هذه الدار منذ ولادتها ، لا أب لها ولا أم ، ولا ذلك " البيت " الصغير الذى يوفر لها الدفء والحنان .

وتقع " دار الرحمة " بجوار القاعة الشمالية للكنيسة الكاثوليكية فى شارع الخزان الغربى فى بكين ، ويتضح من الاسم أن " دار الرحمة " ملجأ الايتام مكان لرعاية الأطفال والحنو عليهم ، ولكنها فى حقيقة الأمر مكان لمص دمء الأطفال والتجارة فيهم ، وهى جهنم التى تفرغ الأطفال وتثير الرعب فى نفوسهم ، وقد ارتكب الاستعماريون فى الجمعية الكاثوليكية ما لا يحصى من الجرائم ضد أطفالنا .

كان الأطفال فى " دار الرحمة " ينهضون من نومهم فى الرابعة صباحاً ، يؤدون صلوات الصباح ، ثم يعملون طوال اليوم ويطالعون الكتب ساعتين ويؤدون صلاة أخرى فى المساء ، قبل كل وجبة من الوجبات الثلاث وقبل النوم يقرأون شيئاً من الإنجيل . وكان كل طفل فيها يبدأ العمل من سن الخامسة كصبي مساعد لمن يكبرهم فى العمر قليلاً ، شيئاً فشيئاً تعلموا أشغال الإبرة ، وقصص تصميمات القماش ، ونسخ الأشرطة ، وتطريز المناديل ، وتثبيت القماش أو الحرير على البراويز الخشبية . كانت ماري وزميلاتها يعملن يوماً كاملاً فى البرواز الواحد . وكن فى أول الأمر قصيرات القامة ، والبرواز منصوب على قوائم طويلة ، ومن ثم تقفن طوال النهار على أقدامهن وأعناقهن ممدودة حتى يصيبهن التعب لدرجة لا يقدرن معها على الحركة فى المساء ، وعندما كبرن وصرن طويلات القامة أصبح البرواز قصيراً ، فرحن يحنن ظهورهن حتى يعجزن عن الاعتدال بها فى المساء من فرط الألم ، بعد ذلك ترسل هذه المشغولات اليدوية الجميلة الدقيقة إلى السوق لتباع بأسعار عالية لبنات الأكاير اللاتى يرتدين معاطف من الفراء .

أما أصحاب دار الأيتام " دار الرحمة " فكان يدعِين بالراهبات ، وترتدى كل منهن لباساً أسود من رأسها حتى إخمص قدميها ، لا يظهر سوى الوجه والكفين ، يتدلى على صدرها صليب فضي اللون معلقاً في سلسلة من البرونز مدلاة من الرقبة، منظرها يبعث على النفور وعدم الارتياح ، وطباعها غريبة في معظم الوقت لا تتوقف عن ضرب الأطفال وكيل السباب لهن دون أى سبب .

وهكذا بدأت ماري حياتها بين تراتيل الإنجيل التي تشبه صرخات الشياطين ، وبجوار قوائم التطريز التي تُعد لونا من ألوان التكدير والتعذيب ، وتحت نظرات الراهبات الأجنبية القاسية التي يتطاير منها الشرر .

وعندما بلغت ماري الثانية عشرة من عمرها ، قدم إلى الدار طفل جديد في السابعة من عمره لا يعرف له اسم ينادونه " ماوماوجوان " وقد روى طفل أكبر منه سناً أن والدي هذا الطفل قد زج بهما في السجن مؤخراً ، وكان شعره خفيفاً ضارباً إلى الصفرة ، عريض الجبهة ، غائر العينين طويل الأنف ، يقولون عنه إنه يشبه الدمية " . فمه صغير وشفته السفلى دائماً ممطوطة كأنه يعبر عن سخطه على الآخرين ، صوته رنان وواضح ، وهو يتكلم لهجة بكين ثم يمزجها ببعض الكلمات من لهجة أهل الجنوب .

من الواضح أن ظروفه المعيشية في سنواته السبع الماضية لم تكن سيئة ، فقد بدت عليه علامات الصحة والحيوية والشقاوة بين أطفال " دار الرحمة " الآخرين . وبدا أنه لم يكن في إمكان الكنيسة المظلمة ووجوه الراهبات الكئيبة العابسة أن تخنق حيوية هذا الطفل دفعة واحدة ، وبعد أن انتقل من بين أحضان والديه إلى دار الرحمة بكى لمدة يومين ثم هدأت ثورته وسكت ، وما لبث أن كسب حب الآخرين وأثار شغفهم به ، كان يطيع أوامر الراهبات كلما طلبن منه أن يفعل شيئاً ، وكان كلما انصرفت الراهبات يلعب بقسمات وجهه فيثير جواً من المرح والبهجة في نفوس زملائه من حوله ، لم تكن تتوافر سعادة الطفولة في دار الرحمة حينذاك ، ولكن

الأطفال ما أن تعرفوا على "ماوماوجوان" حتى دبت فيهم روح الطفولة من جديد، كان الكل يتودد إليه ، يتمنى أن يمسك يده أو يهدى إليه الخيوط الملونة الباقية من العمل. وخاصة ماري التي كانت تهرع بحثاً عنه كلما فرغت من عملها ، تستمع إلى أغانيه ونكاته أو تثبت له أزراراً في سترته ، كانا مثل الأخت وأخيها.

حل خريف العام التالي ، وقد دبت النحافة والهزال في جسد "ماوما وجوان" ، ذات يوم فقدت "لى" نائبة رئيسة جمعية الراهبات كعكيتين ، وكانت فى ذلك اليوم قد استدعت "ماوما وجوان" لتنظيف حجرتها ، فاتهمته بأنه السارق، وأتت به وأخذت تستجوبه وتؤنبه وتقرصه فى خده حتى بكى وهى تعتقد أن هذا البكاء هو دليل على ارتكابه للجريمة، ثم عاقبته فى تلك الليلة بعدم السماح له بالنوم فى داخل الحجرة ، وكان الوقت فى منتصف الخريف حيث الجو البارد وسقوط الأمطار المنهمرة ، والرياح الباردة، ولم يغمض لكل الأطفال جنف فى تلك الليلة بسبب قلقهم وخوفهم على "ماوما وجوان" ، ولم يظهر فى اليوم التالى.

سبته الراهبة "لى" قائلة "إنه لص وقد هرب" . لكن الجميع لم يصدقوا ذلك: فدار الرحمة "أسوارها عالية ، فكيف يستطيع طفل فى الثامنة الهرب من فوق هذه الأسوار؟"

ذهبت فى ذلك اليوم كان دور ماري لتحضر المياه ، ذهبت إلى البئر وأرسلت بصرها فيه فإذا بها ترى جثة "ماوما وجوان" ، استبد بها الرعب ، ألقت بالدلو وعادت مهرولة ، وقفت جامدة كالصنم ثم انفجرت بالبكاء وغرقت فى بحر من الدموع، مات، جثته طفت فوق سطح البئر وجنحت نحو حافته ، مات "ماوما وجوان" وجهه منكمش ومتيبس ، وقد ظهرت عليه تجاعيد كأنه رجل عجوز ، وبقع الدم على وجهه . اقتربت ماري فيه وتسمرت فى مكانها وهى تحملق فيه برهة من الوقت ، كان فى جيبيها لعبة على شكل طائر ورقى صغير صنعتها لتهدئها إليه، ولكنه الآن لم يعد يريد هذه اللعبة ، ولا أى شىء آخر . . . . .

شتمت الراهبة "لى" الأطفال ، وقالت لهم إن روح الصغير "ماوما وجوان" قد صعدت إلى السماوات العلى ، وعليهن ألا يبكين حتى لا يعذبنه ، وشرحت الراهبة للأطفال النعيم الذى يتمتع به هناك ، فكفت ماري عن البكاء حيث إنها على ثقة من أن طفلاً صغيراً مثل "ماوما وجوان" يمكن أن يحظى بنعيم الجنة ، لكن الحزن مازال يعتصر قلبها من أجله .

توجهت ماري بعد أداء صلاة القديس الجنائزى نحو قس صينى عجوز يدعى القس "خوان" وقالت له فى تأثر وندم : مات "ماوما وجوان" ، وقالت الراهبة "لى" إنه دخل الجنة ، ويجب علىّ ألا أبكى لكننى بكيت ، فارتكبت بذلك ذنباً ، سيدى القس ، إذا كان من يموت يدخل الجنة فإننى أطلب منك أن تعجل بموتى . .

لم ينطق القس خوان بينت شفة ، وإنما سلمها جثمان الطفل المقدس وفرائضه ترتعد ، واكتشفت ماري أن هناك دمعين تحدرتا على خديه من عينيه الجامدتين ، ثم لم يلبث أن انصرف .

فى عام ١٩٤٨ كانت حرب التحرير فى أوج مراحلها ، وأطفال "دار الرحمة" لا يدرون شيئاً عما يجرى خارج الأسوار وخلف ظلال الأشجار . بدت ماري نحيفة وضميلة البنيان بسبب نقص الغذاء والعمل المرهق فى الطور المبكر من عمرها . لكن عينيها تغيرتا بوضوح ، اتسعتا ، وطالت رموشهما ولم تعد ترقصان ذات اليمين وذات اليسار كأنهما عينا دمية . ومنذ ذلك الوقت بدأت فى مراقبة كل ما حولها من أشخاص وأشياء فى اهتمام وحزن ودعة فى وقت واحد .

دخلت ماري مرحلة جديدة من حياتها هى أجمل المراحل بالنسبة لغيرها وأتعتها بالنسبة لها وهى مرحلة المراهقة . اتسعت مداركها ونشطت حواسها ، حياتها غير الواعية بدأت تكسبها نوعاً من الخبرة ، فى الربيع عندما تتطاير أزهار

الصفصاف، تمسك ماري بعض هذه الأزهار المتطايرة في الهواء في رفق وتنفخها فيها وترقبها وهي تطير في الفضاء الذي تظله السماء الزرقاء . وفي الصيف تحب المطر الذي يهطل بعد حرارة الشمس المتلهبة، فتمتع ناظرها بأغصان الأشجار ومدرجات الأحجار التي غسلتها مياه الأمطار ، حيث تشعر بسعادة وفرحة عارمة تحت وطأة حرارة الجو الشديدة كأنها بدأت الحياة من جديد، وفي أمسيات الخريف الباردة عندما تسرى أصوات الوطاويط المتقطعة، تحب ماري أن تلتصق عند نومها ببعض الأطفال الآخرين حتى تشعر بالدفء ، وعندما تتطاير الثلوج في عيد الميلاد المجيد ، يخيل إليها أنها تستمتع بنعيم الجنة " .

بدأت ماري - مثلها في ذلك الوقت مثل كل المراهقات اللاتي بدأن يشعرن بنبض قلوبهن- تتوق إلى الحنان والشفقة، وهذا بالطبع لا يمكن أن يأتي من جانب الراهبات، وبطبيعة الحال فإن الأطفال الآخرين الذين شوهتهم حياة "دار الرحمة" ، وأصابتهم بالبلادة والعاهات النفسية والفكرية ، ليس بمقدورهم أن يرووا ظمأها الروحي ، ويعد أن أصبح "ماوما وجوان" يسكن في واحة الذكريات ، وهناك شيء آخر جميل ؟ هناك شيء جميل بين هذه الحياة المهلكة ، بوجباتها الثلاث اللاتي يتناولونها من الخبز المعجون من الردة والخضروات المملحة الملوثة التي لا تخلو من المرارة؟

تعلمت ماري الكثير من الرموز وعرفت معانيها ، وبدأت تشعر بقوة تأثير الإنجيل وتراتيل صلاة القديس . كانت هذه الطفلة البائسة لا تشعر بالحب والرحمة والشفقة التي لم تعرفها من قبل في " دار الرحمة " إلا في أداء الصلوات كانت تقرأ :

" يا بنت رب السماء المقدس تقبلي صلواتنا الخالصة المتبتلة "

ارحمي عذابنا ، لينى القلوب القاسية ، امسحي دموع الأشقياء

ساعدى الضعفاء والمساكين ، وامحى الحقد والبغضاء . . . .  
باسمكم العظيم ، باسمكم المقدس ، المدوى فى علياء السماء ،  
استحلفك أن تؤاخى بين كل شعوب الأرض ، لتصبح كأسرة واحدة . . . . "

ثم انهمرت الدموع من عينيها ، وشعرت أن الروح القدس قد حل بقلبها ،  
وأن الخشوع قد حل فى هذه اللحظات القصيرة محل ألم ومرارة وشقاء السنين ،  
وأن قوة العقيدة فى قلبها تنساب مثل مياه النيل العظيم - كما وصفه الإنجيل - فى  
قوة وصفاء وعدوية لتروى ظمأ نفسها مثلما يروى الأرض الظمأى .

وكلما حل عيد من الأعياد الدينية الرئيسة الأربعة ، ميلاد المسيح ، وعيد  
القيامة ، ويوم نزول العذراء إلى الأرض ، ويوم ذكرى وفاة العذراء ، توقف الصبية  
والأطفال عن أعمالهم وذهبوا إلى القاعة الشمالية ، وخاصة فى عيد الميلاد حيث  
شجرة الميلاد ذات الأضواء المتلألئة والمسيحيون المريدون يتدفقون من كل حدب  
وصوب .

وترسم ابتسامة باهتة على وجه الراهبة "لى" - التى تدعو ملامحها دائماً إلى  
النفور - وهى توزع قطع الحلوى وبعض الصور على الأطفال . ثم يدق صوت  
الجرس المهيب ، ويقف الكاردينال أو نائبه بملابسه الحمراء بين مئات من الكهنة  
الصينيين والأجانب فى الكنيسة ، يتلون الصلوات .

وتشعر مارى بسعادة غامرة كأنها فى حضرة الروح القدس ، غير أن يدها كانت  
تقبض على صورة صغيرة لمنظر يوحى بالقسوة والألم: إنها صورة المسيح وهو  
مصلوب ، ورأسه تتدلى على صدره والدماء تسيل من جسده . . . .

وذاة يوم استدعيت مارى إلى حجرة الراهبة "لى" فوجدت بالحجرة شخصاً  
ذا ساق عرجاء يربو على الثلاثين من عمره ، وفى الجزء الأيمن من جبهته ندب  
كبير ، والعروق بارزة من ساعديه ، ورائحة الخمر تفوح من فمه .

وأخبرتها الراهبة أن هذا الشخص سوف يكون زوجها المنتظر، وأنها سوف  
تصعبه بعد أيام ثلاث، وقالت:

"لقد جمعت بينكما إرادة السماء ، وإننى أصلى من أجلكما . . . . ."  
لكن ذلك الأعرج مط شففيه وتمتم قائلا : "يالها من فتاة صغيرة، سأدفع من  
أجلها ورقة بخمس يوانات. . . . ."

وهكذا حال كل فتيات "دار الرحمة" ، عندما يبلغن سن الخامسة عشرة أو  
حتى الثانية عشرة من عمرهن يتم تزويجهن عن طريق الراهبات ، ولكن أولئك  
الرجال الذين يقدمون إلى الدار سعياً للزواج البخس لا يدفعون سوى بضع يوانات  
من الفضة تعبيراً عن تقديرهم واحترامهم للراهبات وأنصار السيدة العذراء.

وبكت ماري بكاء مرّاً وراحت تتوسل في كل مكان : " لا أريد أن أبرح  
الكنيسة ، لا أريد أن أترك الراهبات والكهنة، إننى أقطع العهد على نفسى راضية  
بأننى لن أترك الكنيسة حتى أصبح من الراهبات. "

حيث تقدم معلمها الكاهن "جوزيف لى" وأنقذها ، حيث قال للراهبة "لى"  
"أبدليها بفتاة أخرى ، فهذه البنت نشيطة، ولعل فى بقائها هنا فائدة . . . . ."

ردت الراهبة "لى" فى اعتراض : "أليس هذا هو حال كل فتاة مقبلة على  
الزواج؟ وإذا تزوجت هدأ كل شيء ، آمين!".

بعد ذلك أصبح الكاهن "جوزيف لى" هو صاحب الفضل الوحيد على  
مارى.

فلم يشعر أحد مثله بالأمها ومعاناتها ، ولم يحترم أحد رغبتها ويخلصها من  
ورطتها سواه، وهى لن تنسى له ذلك أبداً، كانت تعامله كأنه أبوها، كانت تعامله  
بكل ما أوحى به الإنجيل وتعاليم الصلوات من معانى الأخلاق.

أقسمت بينها وبين نفسها على أن تظل طوال عمرها خادمة للكاهن جوزيف لى، وكانت تتبعه حيثما ذهب، وعلى استعداد أن تضحي من أجله بكل شيء. كانت تناجي السيدة مريم العذراء فى تعبدها فى جوف الليل أهذا صحيح أم لا ؟ ولم تجبها العذراء، ولكنها استشعرت بالطمأنينة فى نفسها ، واعتقدت أن ذلك عبارة عن الرد الأكيد لمناجاتها، وأن خدمة الكاهن "جوزيف لى" هى من إرادة الله.

وبعد تحرير بكين انتقل الكاهن "جوزيف لى" مصطحباً معه ماري إلى منطقة "لوان" الدينية فى مقاطعة شانشى ليشارك فى أنشطة نشر الدين المسيحى وتعاليمه التى تقوم بها "جمعية الزهد فى الحياة" الموجودة فى هذا المكان برئاسة الأسقف الأجنبى "قانغ شيان تشى" وهذا هو اسمه الصينى.

والتحقت ماري بالمدرسة الإعدادية فى منطقة "لوان" (اسمها الحالى تشانغتشى).

وكان الكاهن "جوزيف لى" يحشو رأسها يومياً بقوله : "إن الحزب الشيوعى هو الشيطان بعينه، وأن المصائب سوف تحمل بالدين لمجرد وجود هذا الحزب ، وأن كل من لا يعتنق الدين سوف يقذف به فى السعير، وإذا اتبعت كلامهم سوف يلقى بك فى جهنم وبئس المصير ". وكانت ماري تواقفة إلى أن تحسن الدراسة وتحسن الاستماع إلى دروسها من ناحية ، لكنها من ناحية أخرى تود لو تصم آذانها لأنها تخشى أن تحشو رأسها "الأيدولوجيات المتطرفة والأفكار الشيطانية".

تحدث إليها مدرس التاريخ فى المدرسة عن عدوان الجيوش الثمانية المتحالفة والنضال البطولى لحركة "إيخه" ، وقد جاء هذا الشرح مناقضاً لما سمعته من الكاهن "جوزيف لى" من قبل ، فاختلطت عليها الأمور ووقعت فى حيص بيص.

وعادت إليه تسأله فحملق الكاهن فيها متعجباً وقال : " ماذا دهاك؟ ألا تثقين بكلامى ؟ وأعطيت أذنك للشائعات والأكاذيب ، نسيت كلامى ونسيت كلام



السماء" . (رسم صليبيًا على صدره بإصبعه وهو يكاد يشتاظ غيظًا) وهو يقول:  
" يجب أن تلغني هؤلاء دون تفكير، ارسمي الصليب واحفظي الإنجيل وادعي  
السيدة العذراء لإنزال العقاب بهم، ولا تخشيهن ، أفأخذك الخوف منهم؟" .

تراجعت ماري من شدة الخوف والرغبة ، وتابت في قرارة نفسها .

وأخذت على نفسها موثقًا بالألا تستمع لأية كلمة بعد ذلك سوى كلام الكاهن .  
وكان ذلك هو السبب أنها عبرت منذ ذلك الحين ، في إصرار وعلانية ، عن موقفها  
تجاه حركة "إيخه" .

ولكن لم يكن من السهل أن تسلم بأن المدرسة وكر للشياطين .

فالمدرس لطيف معها ، يتحمل مسؤولياته نحوها ، وزميلاتها يساعدها مساعدة  
صديقة من أجل تحصيل دورسها التي تخلفت عنها، ومهما بلغت درجة عزلتها داخل  
المدرسة ، إلا أن جو الحياة المدرسية بما فيه من الصداقة والمرح ، هو في مجمله  
أفضل وأكثر تشويقًا وجاذبية من ظلام وكآبة "دار الرحمة" وعزلة "جمعية  
الزهد في الحياة" . بدأت حياتها تأخذ مسارها الطبيعي - تذاكر دروسها جيدًا ،  
وتختلط بالزميلات ، وتشترك حتى في الحفلات العامة - لكن التعاليم الدينية  
الراسخة والمخاوف والشكوك المتأصلة مازالت تجثم على صدرها ، مما جعلها في  
حالة من التعب والهزال واللاوعي كأنها في شبه غيبوبة .

وكانت الحياة في منطقة "لوان" الدينية أكثر صعوبة من ذي قبل ،  
"وجوزيف لي" الذي اعتاد حياة الكهنة منذ عشرين عامًا ، يصبح مبكرًا ، وينام  
مبكرًا ، يتمشى ، ويقرأ في الإنجيل بعد تناوله الطعام ، أصبح يميل شيئًا فشيئًا إلى  
العصية وحدة المزاج .

وذات مرة اكتشف أن الأسقف "قانغ شيان تشي" اختلس بعضًا من المال من  
"جمعية الزهد في الحياة" واشترى به (لحمًا) يأكله ، فانفجر غاضبًا وانقلب عليه ،

وقد اشتاط "قانغ" غيظًا هو الآخر وقال باللغة الصينية في صعوبة: "أى نوع من رجال الدين . . . . أنت؟".

عاد "جوزيف لى" إلى حجرته وأخذ يسبه بصوت عال غير مبال بالدهشة التى بدت على وجه ماري قائلًا: "يا له من أسقف وقح، إنه اليهودى الذى خان يسوع!"

ومرة أخرى كان يريد أن يدخن، ولفحت ماري يده بالنار فى غفلة منها وهى تشعل له الغليون، فوضع الغليون من يده وصفحها على وجهها.

لقد بدأت الهالة التى تحيط بالكاهن جوزيف لى - والتى تتوهمها ماري - تذوب وتزوى شيئًا فشيئًا من خلال معاشتها له، وأخذت تكتشف يومًا بعد الآخر أنه يفتقد حب يسوع، وليس فيه صدق تلميذ يسوع الأكبر، بل على العكس ظهر أنه يتصف بقدر غير قليل من الوقاحة والرذيلة.

لكن ماري كانت عندما يعترها حزن أو يجتاحها خوف سواء بسبب أو بدون سبب، كانت تسرع وتركع أمام "جوزيف لى" الذى يستمع إلى اعترافاتها وتوسلاتها فى مهابة يغلفها الغموض، حيث أصبح هذا الكاهن فى نظرها صورة مجسدة لإله السماء، كانت تندم غاية الندم على ما سبق أن بدر منها من عدم احترام تجاه الكاهن "جوزيف لى" لاعتقادها أن ذلك يعتبر إثما عظيمًا فى حق قداسته.

وفى عام ١٩٥١ طرد الأسقف "قانغ شيان تشى" من البلاد لأنه أخفى جهازًا لاسلكيًا سرّيًا، ونشر الآراء الرجعية المناهضة للثورة.

وعاد الكاهن "جوزيف لى" إلى بكين ومعه ماري بعد أن قرأ معًا فى جمعية الزهد فى الحياة آيات طرد ومقاومة الشيطان فى الإنجيل، وكانت الحكومة فى ذلك الوقت قد تسلمت إدارة دار الرحمة فبحث جوزيف لى عن حجرة وجعل منها كنيسة

صغيرة يتعبد ويقيم فيها . أما ماري فقد دخلت إحدى المدارس الثانوية المقامة حديثاً في أطراف بكين ، ثم انتقلت عام ١٩٥٢ إلى المدرسة الثانوية السابعة للبنات القريبة نسيباً من مسكنها .

\* \* \*

تساءلت ماري في لهجه لا تخلو من الألم والمرارة : " لماذا لا تؤمنون بوجود الله ؟ ولم تشعر إطلاقاً بأن زميلاتك في الصف الثالث بالمدرسة من ذلك النوع المتردى الشرير ، بل على العكس ، شعرت أنها أقل من غيرها في كل النواحي ، فهي لا ترقى إلى مستواهن في الدراسة ، وأقل منهن شجاعة ، بل وأقل منهن أيضاً في أداء الخدمات للآخرين ، أو ليس العمل لخدمة الغير من أهم تعاليم الرب ؟ لقد شعرت أن الكثيرات من زميلاتك \_ فيما عدا ما يبدو عليهن من بعض الغرور وعدم التواضع \_ يمكن أن يكن جميعاً من أتباع تعاليم المسيحية ، واللاتي يستطعن إظهار بهاء الدين الأكثر تألقاً وبريقاً .

آه لو أن " تشن بوا " من أتباع المسيحية ، وأيضاً " يوان شن تشي " ، آه لو تدعو " يانغ تشيانغ يون " في حماس عن البشائر المسيحية ، آه لو أن كل هذا الفصل أعلن عن اجتماعه حول دين المسيح . . . . . ، لكن شتان لا يؤمن بدين المسيح في الفصل سواها ، بينما هذا الحشد من الزميلات وقعن في حبال الشيطان ، وأصبحن عدوات لدين المسيح . "

سمعت " تشن بوا " كلام " ماري " فودت لو تناديها من قلبها بصوت عال : " ماري ، تعالي انضمي إلى صفوفنا وامتجعي بنا ! " ثم نذاكر دروسنا معاً بعد ذلك ، ونخرج إلى بحيرة بيخاي لنجدف بالقوارب الصغيرة ، ونغني معاً ثم نضحك ثم نغني ثم نغرق في الضحك . . . . . لكن " تشن بوا " أدركت أن ذلك ليس من الممكن ، فذمت عينها اليسرى حتى انكشمت وضافت ، وحدجتها بعينها اليمنى ، وهي علامات تظهر عليها كلما ألمّ بها ضيق وحزن شديد . . . . .

وقالت تشن : "الأئنا لا نعتنق دينك ، تبعدين عنا ، ولا تردين لنا تحية ، ولا تثقين فى صدق نوايانا ، أيمكن أن تبقى وحدك فى هذه العزلة إلى الأبد؟" .

بدا على مارى أنه كان من الممكن أن تمد يدها إلى يد "تشن بوا" التى انتظرتها طويلا ، لكن كلمات الكاهن "جوزيف لى " دوت فى أذنيها فى ذلك الوقت : " إن أعضاء الحزب شياطين ، وكلام الشياطين معسول ! " إن كلام تشن بوا من غواية الشيطان ! ولكن كيف لها أن تنظر إلى " تشن بوا " التى تحظى باحترام زميلاتها وحب أساتذتها ، الصادقة ، البسيطة ، والمحبة للآخرين ، كيف تنظر إليها على أنها شيطان ؟ ولم يكن أمام مارى إلا أن تذرف عيناها الدموع فى صمت .

(٩)

بعد امتحان الفترة الأولى ، كانت " لى تشون " أكثر زميلاتنا حيوية ، كانت تستيقظ قبلهن بنصف ساعة ثم تخرج إلى الفناء تدرب حنجرتها على الغناء: " دومي سودا ، آه ، آه ، آه ، آه "

ثم تقوم بأعمالها اليومية في نشاط وانسيابية ، وهي أكثر زميلاتنا تدوينا في دفاترها أثناء الشرح ، بل لا تتوقف عن تبديل الأقلام في الكتابة ، قلم الحبر ، قلم الرصاص الأحمر أو الأزرق . حتى إذا بلغ مسمعها " ما يعجبها " ضربت على فخدها = فمن كانت تستطيع أن تكون بهذا " التحرر " داخل الفصل ؟ وعند انتهاء الدروس بعد الظهر ، كانت تحمل حقيبتها المحشوة بالكتب والكراسات والأدوات الكتابية وتسرع نحو المكتبة ، وتختار مقعداً بعيداً عن الباب وقريباً من النافذة وتخرج كل ما في بطن الحقيبة وتكومه أمامها على المنضدة كأنه جبل صغير . ثم تبدأ المذاكرة ، وكانت تحب عادة أن تضع أمامها أشياء كثيرة حتى لو كانت ستستخدم كراسة واحدة فقط . ولا يدب " الحماس الذهني " في عقلها إلا إذا فعلت ذلك ، تبدو أمام زميلاتنا مفعمة بالحيوية ، وكعادتها دائما تشتري الفول السوداني وتوزع عليهن وتشرح لهن القصص المسلية ، ومن ثم تزداد الزميلات التفافاً حولها وهن يأكلن ويستمعن إلى الحكايات . أما بالنسبة إلى " يانغ تشيانغ يون " ، فيبدو أن " لى تشون " قد أدركت وضعها المتميز ، فكانت كريمة معها على نحو خاص ، حيث لوحث لها مجيبة وأعطتها كتابا تطالعه . ولو أن الأمر التالي لم يحدث لكانت حياتها قد استمرت على هذا النحو من السعادة ولتقبلت أي هجوم من " تشيانغ يون " بصدر رحب ونفس مفعمة بالثقة .

بمناسبة الاحتفال بعيد ثورة أكتوبر ، نظم اتحاد الطلاب حفلات عديدة لمشاهدة الأفلام الروسية ، وكان اليوم التالي هو نهاية الأسبوع ، حيث تجمعت " لى تشون " وزميلاتها بالفصل " يعلقن " على الرقصات الروسية . قالت إحدى الطالبات العائدات إلى الصين الأم من ما وراء البحار الجنوبية " إن من خصائص الرقص الروسى أنه يركز على حركات الأقدام فترهق الساقان ، أما رقص ما وراء البحر الجنوبي فيعتمد بصفة أساسية على حركة اليدين ، سألت إحدى الطالبات عن سبب ذلك ، فأجابت أخرى بأنه ربما يرتبط ذلك بالأحوال المناخية والجغرافية ، فمنطقة روسيا شديدة البرودة ، والروس حينما يرقصون يضربون الأرض بسرعة هائلة وذلك للتخلص من لسعة البرد. أما ماذا يكون الحال فى مناطق الجنوب؟ فهذا الموضوع فى حاجة إلى بحث . .

انتقدت " لى تشون " هذا الكلام فى شدة وقالت : " لا تشوهى صورة الرقص الروسى فى نظر الآخرين ، وما علاقة الرقص بالتخلص من لسعة البرد؟ إن الرقصات الروسية والأوكرانية ذات سمات واحدة ، فهى رقصات حماسية مليئة بالحركة والدوران من أعلى لأسفل ومن اليمين إلى اليسار أو بالعكس ثمانى عشرة دورة فى الرقصة الواحدة كألن الراقصين لديهم نوع من الطاقة لا ينفد . . . . . "

هزت " ووتشانغ فو " يدها المستديرة المكورة بالنفسى قائلة : " لا ، غير صحيح. فمثلا فى رقص الباليه ، هل ترقص راقصة الباليه المشهورة " أولاننوا " بهذا الأسلوب ؟ (ومدت " ووتشانغ فو " يديها ومالت بوسطها ورفعت إحدى ساقها محاولة أداء رقصة أميرة بحيرة الإوز العراقى ) .

ربما كان كلام " ووتشانغ فو " ، أو لهجتها ، أو ، بالأحرى هيئتها هى التى أثارت ضحكات وقهقهات زميلاتنا ، وشعرت أنها مثار ضحكات الأخريات ومحور

حديثهن ، فانبرت تطلق آراءها فى غير انقطاع وهى تمد عنقها لقصر قامتها:

" إن الرقصات ألوان وأنواع مختلفة ، تختلف كل منها عن الأخرى ، فمثلا تختلف رقصات الجيش الأحمر عن رقصات الباليه وكذلك رقصات الأولاد عن رقصات البنات . . . . . "

صاحت " تشوشيا ولينغ " ضاحكة " : "كلام فارغ " .

فاعترضتها ووتشانغ فو قائلة : " اسمعن ، هل تعرفن ما هى أكثر الرقصات التى أعجبتنى ؟ ( ثم جابت وجههن ببصرها ) ، لاتعرفن ، إننى أرى أن رقصة الطائرین الصغيرین فى فيلم (الحياة السعيدة) هى أفضل الرقصات . ألا تفهمن ؟ هاتان الراقصتان البديتان، انظرن ، وما إن ذكرتهما حتى غرقن جميعاً فى الضحك ، إنهما بديتان ، (واستمرت تقول وهى تمثل) ، ترتديان التنورة الواسعة الفضفاضة ، أردافهما ممتلئة ( وهى تمثل ) ، أيديهما اليمنى تمسك بطرف التنورة ، ترقصان وتغنيان تارة ، وتتصايحان تارة أخرى . نعم ، هذا هو الفن . إن من يتمتع بمشاهدة هذا الرقص مثل من يتمتع بحمام بارد فى عز الصيف أو يأكل رأس فجل فى الشتاء<sup>(١)</sup> أو مثل من يسلك حنجرتة فيشعر براحة فى الكلام ، وإن هذا الرقص ليساعد على الهضم والتنفس السليم ويطيل العمر .

ضربت الزميلات بأيديهن على كتفى " ووتشانغ فو " ، وغرقن فى الضحك .

وقالت " لى تشون " وهى تغالب الضحك : " الهدوء ، الهدوء أيتها الزميلات ، إننى اقترح أن نطلب من ممثلتنا الرائعة ، أستاذة الباليه الموهوبة ، وراقصتنا الفاتنة " وو - تشانغ - فو " أن تقدم لنا رقصة " الطائر الصغير " ، فماذا ترون؟

- " اقتراح رائع ! "

(١) جذر الفجل الصينى من النوع الضخم الذى يقترب وزنه من واحد كجم ، وبه نسبة من السكر ، يقطعه الصينيون إلى شرائح ويأكلونه فى الشتاء ، ويمكن أن يصنع منه حساء .

وتدافعت الطالبات وتزاحمن حتى دفعن " ووتشانغ فو " إلى أعلى منصة الفصل ، وأسرعت " تشوشيا ولينغ " إلى إحضار ملاءة سرير ، وقامت " لى تشون " نزولاً على رغبة الجميع بوضع الماكياج " لووتشانغ فو " تزيينها . وأحضرت كرة من خيط الصوف الأحمر وصنعت منها ضمير قصيرة لها . . . . .

شعرت " ووتشانغ فو " أن ، زميلاتها يجعلن منها مادة للضحك ، فحاولت أن تمتنع ، لكنها لم تكن حازمة فى ذلك ، لأنها هى الأخرى تحب جو الضحك والمرح .

أحضرت " تشوشيا ولينغ " ملاءة السرير وربطتها " لى تشون " حول وسط " ووتشانغ فو " ، ثم ابتعدت عنها وصاحت : " واحد - اثنين - ثلاثة " ، وحاولت تشانغ فو أن تتراجع ، لكن لى تشون اعترضتها ، وتجمعت الأخريات حولها يصفقن لها تصفيقاً إيقاعياً راقصاً ، استحييت تشانغ فو فى بادئ الأمر ثم بدأت تتحرك فى بطء وعلى استحياء ، حتى أسرعت من إيقاع رقصها الارتجالي مع نغمات تصفيق زميلاتها . ضج الفصل بالضحك ، وأخذت الطالبات يتمايلن على بعضهن البعض وقد غرقن فى ضحك مستمر .

وأخذت " لى تشون " تنادى بصوت عال : " أقبلن ، أسرعن ، هنا رقصة الخنزير السمين ، بدون تذاكر ، بدون فلوس ! "

تجمعت الطالبات عند نافذة الفصل وأخذن يتدافعن ويتساءلن :

" من هذه الراقصة الشيطنة؟ .

جاء الأستاذ يوان إلى الفصل على إثر صياح لى تشون ، معتقداً أن شيئاً قد وقع فى فصله ، ومرت " لوى تشن " بهذا المكان فدخلت هى الأخرى .

وقد أثار نداء " لى تشون " " رقصة الخنزير السمين " الإحساس بالغرابة لدى



زميلاتها بما فيهن " ووتشانغ فو " والأستاذ يوان " ولوى تشن " على حد سواء .  
وعندما رأين الأستاذ تجمدن فى أماكنهن ، وتوقفت كل مظاهر الهرج والمرج .

جاء نظر الأستاذ يوان ، ولوى تشن وجوه الطالبات حتى وقع نظرهما على  
منظر " ووتشانغ فو " المزرى ، وللوهلة الأولى ظنت لوى تشن أنه ربما يكون شيئاً  
قد أصاب " تشانغ فو " حتى خرجت عن طورها ، وسألها الأستاذ يوان فى  
استغراب ودهشة : " ماذا دهاك ... ؟ "

نكست رأسها واحمر وجهها من شدة الخجل ، ونسيت أن تنزع الضفيرة  
القصيرة المعرقصة التى ترفع ذيلها فى وجه الأستاذ يوان كأنها عصا خشبية .

سأل الأستاذ يوان : " ماذا حدث ؟ وقد تراجعت الطالبات عن المنصة كأنهن  
لا من شاف ولا من درى (وهذا هو حال الطلاب دائماً فى مواجهة أستاذهم) ، ولم  
يعد على المنصة سوى " ووتشانغ فو " المسكينة ، " لى تشون " المضطربة ،  
والأستاذ يوان ولوى تشن . بحيرتهما وقلقهما أمام المنصة .

حملت لوى تشن فى وجه لى تشون وكأنها عثرت على ضالتها فى صورة  
" لى " المسئولة الأولى عن هذا المشهد ، سألتها : " ماذا تفعلين ؟ "

أجابت لى تشون فى شىء من الكبرياء : " نلعب "

" وفيم كنت تتصايحين من لحظات؟ "

" أدعو الجميع للفرجة " وكانت " لى تشون " بعد أن أطلقت صيحاتها قد  
أحست أنها أخطأت . وعندما سألتها لوى تشن ، فكرت على وجه السرعة ماذا  
تفعل ، أتذكر أم تعترف . . . . .

وعادت لوى تشن تسأل : " وماذا أيضاً ؟ "

" لا أعرف "

"كنت تتصايحين عن رقصة الخنزير السمين ، وسمعتك الجميع !"

هز الأستاذ يوان رأسه مستنكرا : "كلام فارغ !"

وقالت لوى تشن : "حدثيني ، ماذا تقصدين "برقصة الخنزير السمين ؟" .

اتجهت لى تشون نحو الأستاذ يوان وقالت فى خضوع : "لن نفعل ذلك مرة

ثانية" .

ثم اتجهت نحو "ووتشانغ فو" لتزيل "آثار الزينة" فدفعتها "تشانغ فو" ونزعت بنفسها ضفيرة خيوط الصوف الحمراء ، وخلعت عن نفسها تنورة الرقص "الملاءة" وألقت بها على الأرض ، ونظرت "تشوشيا ولينغ" إلى ملاءتها فى ضيق وحزن دون أن تستطيع مد يدها لالتقاطها ، وحملت الزميلات الأخريات كتبهن استعدادا للانصراف ، وانسحبت المتفرجات من أمام النافذة .

وقال الأستاذ يوان مخاطباً الجميع : "مثل هذا الهرج نوع من العبث الخاطيء ، والضحك من الآخرين (وأخذت لوى تشن منه خيط الحديث) وأكملت : يعد إهانة لهن واستخفاً بهن ! ، أين إذن روح الزمالة التى يجب أن تسود بينكن ؟ أنتن طالبات الصف الثالث - أعلى صفوف المدرسة - تقفن تلميذات الإعدادية الصغيرات يتفرجن عليكن من النافذة ، أى قدوة تلك التى تضرينها لهن ؟

أجابت لى تشون : "لن يتكرر ذلك" .

وتوجهت لوى تشن بكلامها إلى "تشانغ فو" قائلة : "أما أنت فقليلة الاحترام لنفسك إلى هذا الحد!" .

وكانت "تشانغ فو" قد أدركت من جراء الانتقادات التى وجهها إليها الأستاذ يوان ولوى تشن أنها فقدت ماء وجهها ، فما إن سمعت كلمات لوتشن هذه حتى أجهشت بالبكاء كالأطفال وخرجت من الفصل مهرولة عائدة إلى غرفتها وقد دفنت وجهها بين يديها .

دخلت " ووتشانغ فو " إلى الغرفة ، وألقت بنفسها على سريرها وتمددت على بطنها ودفنت وجهها في الفراش ، وساقها اليسرى مدلاة من فوق السرير ، وهي تجهش بالبكاء تارة ، وتسترجع الأحداث وتحاسب نفسها تارة أخرى :

" ووتشانغ فو ، يالك من غيبة بلهاء . لقد فقدت كرامتك في عيون الآخرين ، وأصبحت مادة للهو والملهاة ، قالت لى تشون إنك خنزير سمين ، وقالت بسكرتيرة رابطة الشبيبة إنك لا تحترمين نفسك ، فماذا بقى لك . . .

" الزميلات يهزأن بك ، ألا تدركين ذلك ؟ يجعلن منك مادة للتسلية ، ألا تبدين أى اعتراض على ذلك؟ "

" ووتشانغ فو " ، هكذا تكون نظرتهن لك ! وبرغم أنك لست متفوقة فى دراستك ، ولست عضواً فى رابطة الشبيبة ، ولا يستدعونك للمشاركة فى اجتماعات اللجنة الفرعية للرابطة لكنك تحاولين أيضاً فى سبيل الدراسة الجادة ، فما إن بدأ العام الدراسى الحالى حتى ذهبت تبحثين عن " تشن بوا " لتساعدك فى وضع خطة للمذاكرة، وكثيراً ما تستعيرين "مجلة شباب الصين " التى تشترك فيها رابطة الشبيبة لتطالعها ، وخلال حملة النظافة الماضية، عملت طوال اليوم وبذلت جهداً أكبر من " لى تشون " ، " ويانغ تشيانغ يون " ، حتى إنك أنت التى أفرغت سلة القمامة .

" اشحذى عزيمتك ، اتخذى قراراً حازماً بالألا تمزحى مع الآخرين بعد ذلك ، وأن يكون كلامك معهن فى حزم وصرامة ، وأن تحدى من سخريتهن منك ، ولكن . . . . . "

وعندما اقترب موعد تناول الغذاء ، هدأت ثورة " ووتشانغ فو " شيئاً فشيئاً فأحضرت وعاء الماء وغسلت وجهها . وفى ذلك الوقت جاءت إليها " تشوشيا

ولينغ " لتعتذر لها ، وظلت ساكئة صامئة وعلامات الغيظ تملو وجهها في أول الأمر ، غير أن الحياء أخذها عندما كررت " شيا ولينغ " اعتذارها ، فوجدت نفسها مضطرة إلى الضحك معها ، ثم ذهبت إلى المطعم تتزاحم من أجل الحصول على الحساء (حيث إن كل طالبة لها نصيب محدد من الخضار المطهو تحصل عليه دون تزاحم ، لكن الحساء يلحق به من يبكر ، ومن يتأخر لا نصيب له فيه ، ولذلك لا بديل عن التزاحم ) وعندئذ انقضت عنها تماماً غيوم الكآبة التي كانت قد خيمت عليها .

\* \* \*

ظهرت صحيفة الحائط بالفصل تحمل مقالاً جديداً بعنوان " أهذه روح الزميلة تجاه زميلتها ؟ " ينتقد "حادثة ووتشانغ فو " بشدة ، ويدين " لى تشون " على وجه الخصوص . والتوقيع على المقال "إحدى طالبات الفصل " . وما أن قرأت " لى تشون " هذا المقال حتى أسرعت تبحث عن رئيسة الفصل " تشوشيا ولينغ " وتسألها " من كاتبة هذا المقال؟ "

- " ولماذا تسألين هذا السؤال؟ " .

- " إن هذا تهويل من حجم الأمور البسيطة وانتهاز الفرصة لضرب الآخرين " .

- " إذا كان لك رأى مخالف يمكن نشره أيضا " .

- " باختصار ، من كتبت هذه المقالة ؟ أليست يانغ تشيانغ يون؟ " .

- " ليس من شأنك " .

" ليس من شأنى ؟ " واجتاح لى تشون الغضب وقالت فى لهجة أمررة :

" أطلب بنزع هذه المقالة من الصحيفة " .

" هذا ليس من سلطتك " . وانصرفت " تشوشيا ولينغ " عنها إلى الاهتمام بأعمال أخرى .

فنظرت " لى تشون " وقالت ، " حسنًا ، إن " تشوشيا ولينغ " تتشبث برأيها وترفض آراء الآخرين فيما يشبه مزاح الأطفال . ثم أسرعت إلى صحيفة حائط الفصل ونزعت عنها المقالة ومزقتها .

بعد مضي يوم عقدت اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة اجتماعا موسعا لأعضائها ، ناقش تصرف لى تشون ، وقد شارك فى هذا الاجتماع جميع الأعضاء وغير الأعضاء باستثناء ماري ، ورغم أن الجميع يعرفن القصة ، قامت " شيا ولينغ " بسرد الأحداث كاملة ، وعندما وصلت إلى موقف تمزيق لى تشون لصحيفة الحائط ، أخذها الغضب وقالت :

" لقد اشترك الجميع فى إحداث الجلبة والضوضاء مع " ووتشانغ فو " فى ذلك الوقت ، وكنت أنا واحدة من هؤلاء ، لكننا جميعًا لم نعمل عقولنا فى ذلك الوقت ، بل على العكس رغبتنا جميعا فى المزاح والتهريج ، لكنه بطبيعة الحال زاد عن حده . لكن لى تشون ليست هكذا تمامًا ، إنها - لست أدري ماذا أقول - إنها حقيقة عندها شيء من الاستهتار بالآخرين ! ومتسرعة ، وخير دليل على ذلك تمزيقها لصحيفة الحائط بقوة وعنف يفوقان قوتها عندما تصوب الكرة الطائرة محرزة نقطة فى الفريق المنافس ! "

أعطت " تشن بوا " رئيسة الاجتماع الكلمة إلى " لى تشون " التى نظرت إلى الأخريات وقالت وهى تتنهد :

" لقد أخطأت ، ويجب أن أصحح خطئى ، آسفة يا ووتشانغ فو ، لن أمزح معك مرة ثانية " . تشوشيا ولينغ " ، تقبلى اعتذارى ، لن أصدر أى تعليق بعد ذلك على صحيفة الفصل . ومثل هذا الأمر المؤسف يجب أن تقع مسؤوليته على شخص واحد - وبالطبع هذا فى صالح الآخرين - وأنا أرغب أن أكون ذلك الشخص . . . . . "

صاحت زميلاتنا :

- " ماذا تقصدين بعدم المزاح ؟ "

- " ومن تلك التي تمنعك من التعليق على صحيفة الفصل ؟ "

- " وما هي المسئولية التي تقع عليك على حد زعمك ؟ "

رفعت لى تشون يدها وقالت لتشن بوا : " يا رئيسة الاجتماع ، هذا العدد الكبير من الزميلات يتكلمن فى وقت واحد ، وهذا يصعب من عملية الاستقبال عندي " .

وتحدثت يوان شن تشى فقالت : " لم أكن موجودة فى ذلك الوقت ، وعندما سمعت بما حدث لم يمكنى تصديقه . فهل من الممكن أن تفعل زميلة ذلك إزاء زميلة أخرى ؟ "

لم تكن يانغ تشيانغ يون تحب أن تسمع يوان شن تشى تتكلم بمثل هذا الرفق واللين ، فلم تمهلها حتى تنتهى وقاطعتها قائلة :

" إننى أرى ألا يقيم هذا الموقف بمفرده ، لأنه جزء صغير من مجموعة الأقوال والأفعال المشينة التي صدرت عن لى تشون فى الفترة الأخيرة . وإن ، الزميلة لى تشون من ذلك النوع المتغطرس المستبد برأيه الى حد بعيد . . . . . "

قالت لى تشون : " يبدو أن موقف تشيانغ يون تجاهى سوف يتحسن إذا ما فقدت أنا ميدالية التفوق الدراسى وفازت هى بها . . . . . "

نهضت تشيانغ يون من مجلسها وقالت : " أنت . . . . . "

قالت لى تشون : " تفضلى اجلسى " .

ردت تشيانغ يون : " دنيئة ، تافهة " .

نهضت لى تشون وهمت بالانصراف .

صاحت تشن بوا " : " لى تشون ! " فتوقفت وظهرها لهن ووجهها نحو الخارج ، قالت تشن بوا : " ارجعى ، مازال هناك موضوع أهم يجب مناقشته " سألت لى تشون دون أن تنظر إلى محدثتها : " أى موضوع هذا ؟ " ، قطبت تشن بوا حاجبيها وبدا صوتها متهدجا بعض الشيء فقالت فى تمهل : " مثلاً ، ناقش ما إذا كنت قد حافظت على صورتك كعضو فى رابطة الشبيبة ؟ " : استدارت لى تشون " إيه " ؟ " .

وخيم صمت مطبق على الفصل إذ تجمدت لى تشون فى مكانها ، ولم يكن أحد يتوقع هذا الكلام حتى تشيانغ يون نفسها التى راحت تتفرس فى وجه " تشن بوا " أكثر مما تتفرس فى وجه لى تشون . مازالت تشن بوا جالسة ، رفعت رأسها ونظرت إلى لى تشون نظرة تعبر عن الحزن والألم أكثر مما تعبر عن الضيق والغضب ، وراحت تشد المحاة التى كانت بيدها من طرفيها حتى قطعتها .

وقالت : " لى تشون ، لا يمكن أن تستمرى على هذا الحال ! " ثم انصرفت بنظرها عن لى تشون ، وخاطبت جميع الزميلات : " لقد شاهدنا جميعا تصرفات لى تشون ، وسمعنا كلامها ، وأخذتنا الدهشة والتعجب لأن ذلك يختلف كثيراً عن الأفكار والسلوك التى يجب أن يكون عليها العضو برابطة الشبيبة . ثم أى أمر مؤسف ذلك التى تقع مسؤوليته عليها وحدها؟ لأن فى ذلك نفع للآخرين ، أى نظام هذا وأية قوانين ؟ وفى أية دولة وفى أى مجتمع توجد هذه القوانين ؟ أى أناس نحن ؟ وما موضوع " يانغ تشيانغ يون " والميدالية ، عليك ألا تحاولى استخدام أساليبك الخاصة فى الضغط على الآخرين ، أعتقد " لى تشون " أنها بتفوقها فى دراستها تكون قد حققت كل شىء . لا بأس ، إنه أمر طيب أن تتقنى دراستك ، وعلينا جميعا أن نحذو حذوك ونطلب مساعدتك . ولكن هل يكون للنجاح من قيمة أو فائدة إذا افتقد الإنسان الأخلاق والمثل العليا وافتقد احترامه

لزملائه ، حتى ولو حقق كل الدرجات النهائية أو ضعفها ، إذا كنت ترين أن تفوقك الدراسى سيحد من جرأة الزميلات على انتقادك ، فأنت مخطئة ، وإنما لن نسمح لك بأن تتماذى فى الخطأ ، ولا نستطيع أن نتركك تخرجين عن طريق رابطة الشبية . . . ! "

مازالت لى تشون جامدة فى مكانها ، والكلمات تجرى على شفيتها .

وقد راحت تراجع حساباتها تحت ستار الليل فى أناة رغبة فى معرفة أخطائها . فإن كانت قد أخطأت فلن تتراجع عن تصحيح تلك الأخطاء ، وإن لا ، فلن تدع نفسها نهبا للاستسلام والخنوع .

وقد عاشت لى تشون منذ نعومة أظفارها فى كنف عمها . كان والدها من صغار الملاك فى مقاطعة خنيان ، ومات وهو فى ريعان شبابه ، فذهبت زوجته ومعها طفلتها بنت الحولين لى تشون - إلى عم البنت الذى يعمل فى بنك تيانجين - ولم يرغب العم " لى جه شيان " الذى تخطى الأربعين بقليل ، والذى لم يرزق أطفالا ، لم يرغب عن وجود لى تشون وأمها فى بيته . ولكن زوجته لم تكن ترحب أبدا بهاتين " الرزيتين العاطلتين " ، فلم تدخر وسعاً فى استغلال سلفتها (أم لى تشون) ، وجعلت منها خادمة للبيت كله ، وفى الوقت نفسه كثيرا ما كانت تعبس وجهها وتهكم عليها وتستكثر كميات خبز الذرة التى تأكلها . فأخذت أم " لى تشون " تدبل شيئاً فشيئاً ، فقد سلبها موت زوجها نصف عافيتها وروحها ، وذهب تعذيب وتأليب زوجة العم بالنصف الآخر ، فلم يمض عليها عامان حتى لفظت أنفاسها الأخيرة متأثرة بمرض الربو .

وفى آخر لحظات العمر ، تركت لابتتها ذات السنوات الأربع كلمات أربعة :

" لا تكونى قليلة الحيلة مثلى " . وبعد موت أمها كانت لى تشون تتلقى عطف وحنو عمها وتعانى قسوة وذل زوجة عمها فى الوقت نفسه ، وأخذت لى تشون



تفهم شيئاً فشيئاً أنها إذا أرادت البقاء فلا بد لها أن تتودد إلى عمها وتستدر عطفه ، وتتجنب زوجته قدر استطاعتها . وأثناء وجود عمها في البيت ، كانت تنزوي في أحد الأركان ، تنتظر أى عمل تأمرها به زوجته فتقوم به طواعية خير قيام . وفي عدم وجوده ، كانت تهرب إلى مكان بعيد من الصعب الاهتداء إليه . وكانت إذا اشترى لها عمها لعبة أو قطعة من الحلوى لا تخبر زوجته بذلك ، وإذا ضربتها فكرت في حيلة لتجعل عمها يعرف ذلك ، وقد نجحت بهذا الأسلوب في اكتساب المزيد والمزيد من حب عمها لها ، مما أدى إلى تشاجره مع زوجته أكثر من مرة بسببها . وهكذا اعتمدت " لى تشون " الصغيرة على ذكائها ونباهتها حتى استطاعت الوقوف على قدميها في غياب والديها .

لذلك تعدت " لى تشون " منذ صغرها على تدبير أمورها بنفسها ، وأن تكون مفعمة بالثقة في نفسها . وكانت تجتهد في دراستها لشعورها - إلى حد ما - أن الآخرين إذا لم يحسنوا الدراسة فسوف يعيشون في كنف ذويهم ، أما هي فلا سبيل أمامها سوى الاعتماد على نفسها . كانت تزدرى الأطفال الذين يجيئون إلى المدرسة ويغادرونها في صحبة أهليهم . هؤلاء الأطفال ليست لديهم همة وشجاعة ، لكن " لى تشون " لا تخشى شيئاً ، بل تعتمد على نفسها في كل شيء . وفي الماضي كان من السهل على التلميذ أن يكتسب الشهرة ، حيث كان في استطاعته أن يحظى بإطراء جميع زملاء في الفصل خلال مدة أقل من أسبوع إذا كان مجداً في الدراسة ، وأنيقاً في الملابس ، وفصيحا في الكلام ، ويشتهر في المدرسة كلها إذا وازب على الدراسة شهراً كاملاً . هكذا كانت " لى تشون " في فترة المرحلة الابتدائية ، وعندما جاء وقت تخرجها من المدرسة طلبت من أساتذتها أن يسجلوا لها كلمة في الأوتوجراف ، فكتب لها معظمهم : " متميزة ومتفوقة " وعندما التحقت بالمرحلة المتوسطة (الإعدادية) ، أدركت لى تشون بالتدريج أنها رغم تميزها وتفوقها ، فإن المستقبل أمامها ليس مشرقاً في واقع الأمر ، وذلك بسبب

عهد الظلام لحزب الكومينتانغ ، فقد كانت تمتعت هذا الحزب ، تمتعت المجتمع القديم ، لأن الشباب ، وإن كان ذكياً ومجداً في هذا المجتمع ، لم يكن ليستطيع الوصول إلى أهدافه ، كادت تطير من فرط سعادتها بثورة التحرير ، فلم تتردد لحظة واحدة منذ اليوم الأول للتحرير في المشاركة الإيجابية في كافة الأنشطة التقدمية ، وسرعان ما انضمت إلى رابطة الشبيبة الشيوعية .

وأصبحت على ثقة ويقين بأن ، آفاق المستقبل أمامها - كفتاة ذكية ومجتهدة وعانت من "الاضطهاد" في الماضي - هي آفاق "رحبة وبلا حدود" .

ماذا لو لم تكن الدعوة إلى الانضمام لمدارس الكوادر العسكرية . . . . .

وعندما اهتدى تفكير " لي تشون " إلى هذا الحد أحست أنه ما كان من السهل عليها أن تصير إلى ما هي عليه الآن . وأي طالبة أخرى - مثل سونينغ مثلاً - لو مكثت في بيتها هذا لكانت قد ماتت كمدا من قسوة زوجة عمها ، ومثلاً ووتشانغ فو التي لا تتمتع بهمة عالية ، لو كانت في محلها ، لدرست عامين فقط على أحسن تقدير ثم ينتهي أمرها بأن تتزوج عندما تصل السابعة عشرة من عمرها وينتهي الأمر ، أما هي فقد واجهت الظروف البائسة التي عاشتها منذ مطلع طفولتها ، لم تذوق طعماً للراحة والطمأنينة في يوم من الأيام ، بل ذاقت ما لم يذوقه غيرها من المرارة ، وبذلت ما لم يبذل غيرها من الجهد حتى أصبحت - على عكس ما كان متوقعاً - طالبة متفوقة ، درست مجاًناً طيلة السنوات الخمس ، حصلت خلالها على ميدالية التفوق ثلاث مرات . . . . . آه ، فمن يعلم عنها كل ذلك؟ وقد شعرت بالندم على أنها لم تسجل اسمها عند التقدم للالتحاق بمدرسة إعداد الكوادر العسكرية ، وإنها متفوقة في الدراسة ، ويؤمل لها أن تصبح عالمة كبيرة في المستقبل ، فكيف يسمح لها بدخول صفوف الجيش ؟ ألم يحدث أيضاً أن تقدمت " يانغ تشيانغ يون " ، و " تشن بوا " ولم تقبلا ؟ .

لقد أخطأت في هذه الخطوة .

لم يكن يسيراً على " لى تشون " أن ترفع رأسها خلال هذه الفترة الدراسية الأولى من العام ، فلماذا فاجأها وقوع هذا الأمر المؤسف !؟ .

رقدت " لى تشون " فى الفراش ، تتقلب ذات اليمين وذات اليسار ، وكأن صوت " تشن بوا " يرن فى أذنيها : "ناقش ما إذا كنت مثالا طيباً لعضو رابطة الشبيبة ! " كيف أمكن لشن بوا أن تقول مثل هذا الكلام فى اجتماع اللجنة الفرعية للرابطة ؟ تذكرت العبارة الملحقة بلوائح حب الوطن القائلة : " فيما عدا لى تشون " فعادت جراح كبريائها وكرامتها تؤلمها من جديد. نعم ، لقد كان فى تصرفها مع " ووتشانغ فو " شىء من الازدراء ، ولكن ألم يكن فى سلوك تشن بوا ، ويانغ تشيانغ يون تجاه تشانغ فو ازدراء أكبر ؟ إنه من الحقائق الموضوعية أن تواضعهما كاذب وعدم تقديرهما واحترامهما لتشانغ فو على حد سواء ، فلماذا إذن تتحديانها إلى هذا الحد؟ .

ولم تعد لى تشون تفكر ملياً فى تمزيقها للمقالة التى نشرت عنها فى صحيفة الفصل ، ولا فى المناقشات التى جرت فى اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة ، أو فى الموقف الذى وقفته فى الاجتماع ، لأنها أدركت خطأها حينذاك ثم زادت إدراكا لهذا الخطأ بعد ذلك ، وما دام قد وقع الخطأ فليس هناك داع لكثرة التفكير .

وفى النهاية استتجت لى تشون بأنها لم ترتكب خطأ فادحاً ، أما عن كلام تشن بوا ، فإما أنه للتخويف والتهديد وإما أنه جاء اعتباطاً من عفو الخاطر . لكن الاحتمال الثانى ضعيف ، إذن فمن المؤكد أن هذا الكلام كان للتخويف والتهديد . وكلما أمعنت " لى تشون " التفكير اشتد بها الغضب ، فبعد أن كانت عضو اللجنة الرئيسية للرابطة وهى فى تيانجين ، هوت إلى الحضيض الأسفل لتتهمها سكرتيرة اللجنة الفرعية للرابطة بأنها لم تعد تحتفظ بمواصفات عضو الرابطة . وإذا

استمر الحال على هذه الصورة فهذا يعنى أن حياتها لن يعود لها قيمة ، قض القلق والضجر مضجعتها ، فأخذت تتقلب فى الفراش ، أزاحت الغطاء عن نفسها بقدميها ، لكنها شعرت كأن المرتبة من تحتها خشنة وغير مستوية ، فنهضت تسحبها وتفردها ، لكنها كلما سحبتها زادتها طيا فجلست فوقها وهى تكاد تشتاط غيظاً . وفجأة اهتدت إلى فكرة ، ارتدت معطفها الرمادى الداكن بسرعة ، وجرت حذاءها فى قدمها كالشيشبب منطلقة نحو فصلها فى جناح الظلام ، حيث أخرجت قلما وورقة ، ثم أسرعت إلى الممر الجنوبى ، وجلست تحت أحد المصابيح ، أخرجت جلدة من الورق المقوى لتستند عليها ، ثم أخذت تكتب خطابين أحدهما إلى مديرة المدرسة والآخر إلى الأستاذ يوان ، المصباح يرسل ضوءاً أصفر باهتاً نحوها فيرسم لها ظلاً خلفها ، رياح ليل الخريف الباردة تلسع قدميها العاريتين ، كانت تسكب غضبها على الورق تارة، وتتنهد فى أسف تارة أخرى وهى تسترجع " مسيرة تاريخها النضالى " .

وقد اجتاحتها رغبة عارمة فى الثأر ورد الاعتبار .

كان الأستاذ يوان وين داو يعتز بتلميذته النجبية لى تشون ، لأنها متفوقة فى دراستها وخاصة مادة الرياضيات ، بل إنه على حد تعبيره هو نفسه له " دوافعه الخاصة " فى اعتزازه بهذه الطالبة . فقبل أكثر من عشرين عاماً عندما بدأ العمل كمدرس ، قال له أستاذه المخضرم الذى كان يعتبره مثله الأعلى : " عندما تعمل فى مهنة التدريس يتعلم على يديك الآلاف من التلاميذ والتلميذات ، فإذا صاروا جميعاً من ذلك النوع العادى غير المتميز ، فأنت كأستاذ لهم لن تحوذ إعجاب الناس وانتباههم ، أما إذا ظهر بين أفواج تلاميذك عشرة أو خمسة أو حتى تلميذ واحد من ذوى القدرات المتميزة ، يحق لك حينئذ أن تفخر بما قدمت من أعمال جليلة " .

ثم ربت المدرس المحنك بيده على كتف الأستاذ يوان قائلاً : " يجب أن تهتم باكتشاف المواهب من التلاميذ ، وتقوم على رعايتها ، ومن ثم يكتب لك البقاء لأنهم لن ينسوك! " وانطلاقاً من هذا المبدأ راح الأستاذ يوان يبحث ويفتش عن

"الموهوبات" بين تلميذاته، قبل التحرير وقع اختياره على بضع عشرة طالبة، لكنهن بعد التخرج، ويا للأسف، منهن من انقطعت أخبارها، ومن وقعت فريسة للمرض ورحلت عن دنيانا، ومنهن من تزوجن وعملن ربوات بيوت، (ومما يأسف عليه الأستاذ يوان أنه يعمل دائما في مدارس البنات).

وقد خلف هذا الأمر جرحاً غائراً في نفسه، أما بعد التحرير، وخلال هذين العامين، فقد وقع اختياره على "لى تشون" ويأمل أن تصبح هي "الطالبة الممتازة ذات القدرة الخاصة" وقد ظل ذلك من مكنونات نفسه، حتى ابنته لم تكن تعلم به.

قرأ الأستاذ يوان خطاب "لى تشون"، وأول ما أزعجه أنه لم يعرف نبأ اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشيبية قبل انعقاده، فأخذ يتساءل في نفسه: "من يقوم بحل مشاكل هذا الفصل، الأستاذ الرائد أم اللجنة الفرعية للرابطة؟"

وبالتالى أثارت كلمات لى تشون التى، قصدت بها التهويل والتضخيم، تعاطفه معها إذ قالت فى هذا الخطاب: "عقدت اللجنة الفرعية لرابطة الشيبية اجتماعا ليشنوا ضدى حربا شعواء، وأرادت تشن بوا أن تنزل بى العقاب..."، ورأى الأستاذ يوان أن تشن وزميلاتها ليس عندهن نوع من التسامح والحلم، غير أنه رأى أيضا أن هذا يعتبر من الأمور الداخلية للرابطة، وتردد لأنه رأى أنه ليس من المناسب أن يتدخل فيه، عاد إلى البيت ونادى ابنته يوان شن تشى يسألها: "بنت، قولى الحقيقة، أيرى فصلكن أننى كرائد فصل ليست لى أهمية؟".

وبعد أن باحت يوان لوالدها بكل ما حدث بالتفصيل، قالت له: "لقد أخطأنا عندما عقدنا هذا الاجتماع دون الرجوع إلى حضرتك، ولكن هفوة واحدة لا تعنى أبدا أننا لا نحترم رائد الفصل". وزاد من غضبه أن ابنته "يوان شن تشى" نصبت نفسها ممثلا "للجنة الفرعية لرابطة الشيبية" وقامت أمامه بدور الوساطة (الدبلوماسية).

قرأت مديرة المدرسة خطاب " لى تشون " ، ثم ذهبت تسأل الأستاذ يوان الذى قام بدوره بتسليمها الرسالة التى تلقاها هو الآخر وقال : " اننى أقوم فى هذا الفصل بدور الريادة الروتينية وما عدا ذلك فأنا لا أعرفه ! " ، استتجت مديرة المدرسة ما يرمى إليه الأستاذ يوان ، وقالت له : " يمكنك أن توجه انتقاداتك إلى اللجنة الفرعية لرابطة الشيبية ، وتسألهن لماذا عقدن الاجتماع دون التشاور معك ؟ " ضحك الأستاذ يوان وسلمته المديرية الخطابين وقالت : " ناقش هذا الأمر مع فرع رابطة الشيبية ، وابحث عما إذا كانت هناك خلافات بينهن وبين لى تشون ؟ إنهن جميعاً دون العشرين ، ويجب بطبيعة الحال أن نوجه إليهن النقد ، ولكن إذا كان الحال كأن هناك شيئاً يلمع وقوساً يشرع حسبما ورد فى خطاب لى تشون ، فإن الأمر يكون خطيراً ، وعلينا أيضاً أن نفكر فى السبل التى تدفعهن على طريق التضامن والاتحاد " .

كان الأستاذ يوان يرغب فى أن يسلم الرسالة إلى المديرية ويتركها تتصرف فى الأمر كيفما تريد ، لكن كلامها هذا يعنى أنها - ألقت الكرة فى ملعبه - وتركت له الموضوع وهذا وضع طبيعى ، وهل يمكن لمديرة المدرسة أن تضطلع وحدها بكل هذه الأمور ؟ ولكن كيف يتصرف هو فى هذا الأمر ، فهو لم يوجه انتقاداً إلى اللجنة الفرعية قط من قبل . وأخذ يفكر ويمعن التفكير بينما انصرفت مديرة المدرسة .

فى ذلك الوقت كانت " يوان شن تشى " قد أخبرت " تشن بوا " بآراء والداها فى اللجنة الفرعية للرابطة ، وكانت " يانغ تشيانغ يون " تقف إلى جوارهما تسمع هذا الكلام ، قالت تشن : " نعم فقد كان تنسيق أمورنا مع رائد الفصل فى الآونة الأخيرة قليلاً حقاً " .

ردت " يانغ تشيانغ يون " : " لكن الأستاذ يوان لم يطلب الاجتماع بنا قط ! " فقطعتها " يوان شن تشى " : " إن والدى لم يرغب أصلاً فى أن يكون رائداً للفصل " .

قالت " تشن بوا " : " وهذا يحتم علينا أن نسعى إليه من آن لآخر " . وبعد أن تشاورن فيما بينهما ، انطلقت بوا و " يوان شن تشى " إلى مكتب شئون تدريس وأبحاث مادة الرياضيات لزيارة الأستاذ يوان .

هذا المكتب عبارة عن حجرة صغيرة ، يعمل بها - فقط - أربعة أساتذة لمادة الرياضيات ، وعندما وصلتا لم يكن هناك سوى الأستاذ يوان الجالس بجوار النافذة يطالع العدد الأخير من مجلة " علم الرياضيات " .

طرقت " تشن بوا " الباب ، ولم تجد رداً من الأستاذ يوان ، نظرت من خلف زجاج الشباك فرأته يطالع المجلة فى شغف ، ثم يقربها من الشباك فى اضطراب وهو يتمتم : " هو ، ليس هو ؟ " وقفت تشن بوا وتشيانغ يون برهة على وجهيهما علامة استفهام ، ثم طرقتا الباب مرة ثانية فانتبه الأستاذ والتفت فرأهما من زجاج النافذة .

طلب الأستاذ منهما الدخول والجلوس وطوى المجلة التى كانت فى يده ، ثم فتحها ثانية بسرعة وطوى طرف الصفحة التى كان يقرأ فيها ، وقبل أن يسألها الأستاذ بادرته تشن بوا بالحديث عن الاجتماع الذى عقده اللجنة الفرعية لرابطة الشبية مع الاعتراف بأنها نسيت أن تتشاور فى ذلك مع رائد الفصل قبل موعد انعقاده .

هز الأستاذ يوان رأسه وأعطاهما رسالة لى تشون ، وما أن رأت " تشيانغ يون " الرسالة حتى اشتاطت غضباً وقالت : " لقد شوهت . . . " .

فجذبتها تشن بوا من طرف قميصها فسكتت ولم تكمل ، قصت تشن وقائع الاجتماع كاملة على الأستاذ يوان .

سأل الأستاذ : "ماذا ترون بالنسبة لشخص لى تشون؟ . "

رفعت تشيانغ يون رأسها وقالت : "أنانية . . . . . " .

سأل الأستاذ يوان مستنكراً وكأنه لم يتوقع ذلك "أنانية؟" .

أجابت "تشانغ يون" وهى تستعين بإشارات من يدها : "حضرتك لا تعرف، إنها لا تتصف بهذا النوع من الأنانية ، لكنه نوع آخر ، إنها فى حياتها اليومية ليست بخيلة أبدا ، لكنها فى كل شىء ترسم وتخطط لنفسها فقط . . . . . "

وقالت تشن بوا : "إنها تنتفخ غرورا !"

سأل الأستاذ يوان : "وأنتن هل تكرهنها؟" .

ردت تشيانغ يون : "لا ، إنها لا تدفعنا إلى كراهيتها ، بل إلى الغضب منها . . . . . " .

وأضافت تشن بوا : "وتدفعنا أيضا إلى القلق عليها" .

سأل الأستاذ : "أى المواقف التى تدفعكن إلى الغضب منها . . . " .

وأضافت تشن بوا : "وتدفعنا أيضا إلى القلق منها؟" .

انبرت تشيانغ تعدد عيوب ومساوئ لى تشون : "إنها مغرورة ومتغترسة ، تنأى بنفسها عن الجماعة ، لا تشارك فى الأعمال العامة ، لا ترغب فى خدمة الجماهير ، تميل إلى التفوه بالتعبيرات اللاذعة . . . . . " .

رد الأستاذ يوان بعد أن أمعن التفكير : "اسمعا رأبى وأرجو ألا يغضبكما ، إن رأبى فى زميلتك لى تشون لا يتفق تماما مع رأيكما ، فهى منكبة على دراستها



ومحبة للعلم ، ولديها القدرة على الاستنتاج والاستنباط وهذه قدرة وكفاءة جديدة بالثناء . وبطبيعة الحال فإن لديها بعض جوانب النقص التي تحتاج إلى مساعدتك . . . . . " .

لم ترد تشن بوا وزميلتها وأطرقتا تفكران في كلمات الأستاذ يوان الذي تناول مجلة "علم الرياضيات" من جديد، ورسم على شفثيه ابستامة صفراء مفاجئة ، وقال لتشون وصاحبته : "أترغبان أن أحكى لكما قصة؟" .

أمعنت تشون بوا النظر في الأستاذ يوان ، وطرفت تشيانغ يون بعينها دون أن تفهم ما يقصده .

بدأ الأستاذ يوان يقول : "وقعت هذه القصة منذ ثلاثين عاماً ، حيث كنت أدرس في جامعة تشاويانغ ، وأقوم في الوقت نفسه بالتدريس بالنيابة لمادة الهندسة المستوية لطلبة الصف الثالث بإحدى المدارس الإعدادية للبنين ، كان في هذا الفصل تلميذ - لا داعي لذكر اسمه - حاد الذكاء متوقد الذهن ، نحيل قصير القامة ، ملابسه رثة بالية ، وكان له عيب خلقي في عينه ، حيث يتراقص جفناه في حركة مستمرة ، لا يحب شيئاً سوى مادة الرياضيات ، وهي عشقه الأول - حتى إنه تفوق على في ذلك - وقيل إن والده ضربه ذات مرة لأنه ظل ممسكاً بكتاب الحساب طوال اليوم . في يوم من الأيام ، بعد انتهاء الحصة الأولى جاء يبحث عني وهو يحمل إحدى المسائل التي واجهها في الهندسة المستوية ، يطلب مني الحكم على صحتها . ماذا كانت هذه المسألة في اعتقادكم ؟ إنها تقول إن النقطة لا يمكن أن تتحرك ! لأن أي نقطة عندما تتحرك فإنها يجب أن تمر بأقرب نقطة لها ، غير أن هذه النقطة لا يمكن تحديدها . ما إن قرأت هذا الكلام ، حتى قلت في نفسي : أليس هذا ضرباً من ضروب اللهو والعبث ! فكيف يمكن إذن أن يظهر تلميذ يدرس الهندسة المستوية ولم يتجاوز العاشرة سوى ببضع سنوات ، إنه يتعمد أن يضعني أنا - المدرس الشاب الذي يتدرب على التدريس - في مأزق . ثم أصبح بعد ذلك

يسبب لى متاعب أكثر أثناء الدرس ، إذ كان يطاردنى أثناء الشرح بإتمام كلامى ، ويستوعب المعلومات قبل أن أفرغ من شرحها ، وأحياناً يقومونى أو يصحح كلامى . كان زملاؤه يحاولون إسكاته ويسخرون منه ، بل ويوجهون إليه الألفاظ النابية . وفى بعض الأحيان ينسى نفسه أثناء الدرس ويجلس ذاهلاً معقود اللسان ، حيث يتوقف جفناً عينيه عن الحركة ويتأمل فى عمق ، وأنظر إليه فأجد فمه فاغراً كأن شيئاً فى حلقه . وأحياناً أخرى أجده يقذفنى بكومة من الأسئلة المعقدة التى لا أدرى من أين أتى بها ، فأجدنى أفكر بينى وبين نفسى هذا التلميذ يريد أن يجرى قبل أن يتعلم المشى ، ويحاول أن يخوض البحر وهو يكاد يغرق فى ساقيه ، وكان المدرسون الآخرون يقولون أيضاً إنه يطالع كتب الرياضيات أثناء حصص المواد الأخرى . وذات مرة لاحظته يقرأ فى كتاب الجبر المقرر على الثانوية فى أثناء حصتى . فاشتد بى الغضب ، وطلبت منه أن يغلق الكتاب ، لكن لم تمض لحظات حتى فتح كتاب الجبر من جديد ، فدفعتى حماس الشباب ولطمته لكمة قوية على خده - وكان ضرب التلاميذ فى ذلك الوقت من الأمور العادية المستباحة - ثم رحت ألومه وأوبخه لمدة ثلاث ساعات بعد انتهاء الحصّة . . . . . "

وساد الوجوم وجه الأستاذ يوان واستطرد قائلاً : "أصر هذا التلميذ ألا يحضر حصتى بعد ذلك أبداً ، ذهبت إلى مدير المدرسة وعرضت عليه الأمر ، مصراً على طرد هذا التلميذ الذى فصل بالفعل من المدرسة . . . . . ولم يمض وقت طويل حتى تركت هذه المدرسة أنا الآخر . . . . . "

وتنهّد الأستاذ يوان تنهيدة عميقة ، ورفع النظارة عن عينيه ، وأخذ يمسحها بطرف المنديل ويده ترتعش رعشة خفيفة .

اتسعت عينا يانغ تشيانغ يون وسألت فى لهفة : "وماذا بعد؟" .

أجاب الأستاذ يوان فى صوت أجش تشوبه بحة خفيفة : "وبعد ذلك" .

وسعل فذهب وبصق فى السلة ثم عاد وتناول مجلة "علم الرياضيات" وقال  
لتشن بوا ويانغ تشيانغ يون : "انظرا ، إنه كاتب هذه المقالة " .

وأخرج الأستاذ يوان سيجارة ، ومن عادته أنه لا يدخن أمام الطالبات . لكنه  
لم يطق صبراً وأشعل السيجارة وراح يسحب نفساً بعد الآخر وينفث الدخان فى  
الهواء .

اقتربت تشن بوا ويانغ تشيانغ ببصرهما من المجلة ، وأخذتا تطالعان فى إجلال  
وإكبار عنوان المقال الذى يوحى بأن الموضوع صعب وعميق وغير مطروق ، وراحتا  
تتهدان بعمق فى وقت واحد .

أطفأ الأستاذ يوان السيجارة وألقى بها جانبا ، وقال : "لنرجع إلى موضوعنا ،  
لقد عملت بمهنة التدريس ثلاثين عاما ، وتوصلت إلى أن الطالب كلما كان متفوقا  
فى دراسته ، كان عييه كبيراً وواضحاً . . . . . وأن المعلم إذا لم يكن حذرا  
قادرا على استنتاج العواقب فإنه يكلف تلاميذه حياتهم التى تذهب هباء ثمنا لخطئه ،  
ثم أتم كلامه قائلاً : "أرى أنه يحسن بكن أن تتصرفن مع لى تشون بشيء من الحذر  
. . . . ."

قالت تشن بوا : "شكرا يا أستاذ على ما زودتنا به من خبرات ، فقد كان  
تفكيرنا قاصرا ودائرة معرفتنا محدودة للغاية ، ثم نظرت إلى الأستاذ يوان فى ارتباك  
وسألت : "لكن حضرتك ذكرت أن الطالب كلما كان متفوقا فى دراسته كانت عيوبه  
كبيرة وواضحة ، أليس هناك مناص من ذلك ؟ ربما كان ذلك واقعا قبل التحرير ،  
أما الآن لماذا لا يتطور الطالب حتى يصبح كاملا متكاملا من جميع  
النواحي ؟"

كانت تشيانغ يون تنصت إلى حديث الأستاذ يوان بمشاعر وأحاسيس من تستمع  
إلى قصة ، وقد استطاعت بخيالها الواسع أن ترسم فى عقلها صورة لهذا التلميذ

النحيل الجسد ذى الجفنين المتراقصين ، المولع بمادة الرياضيات؛ فشعرت أن قلبها يفيض تعاطفا معه، بينما استمعت إلى حوار تشن بوا والأستاذ يوان بلا اكتراث .

هز الأستاذ يوان رأسه موافقا على رأى تشن بوا : " نعم ، إننى أحكى عن موضوع قديم ، وربما اختلف الحال اليوم . لقد عملت بالتدريس لسنوات طويلة، وتعرفت على نماذج ونوعيات مختلفة من الطلاب والطالبات، ومازلت أذكر الكثير من الأحداث ، ووقعت فى عديد من الأخطاء . . . . . لنعد مرة أخرى للحديث عن لى تشون ، إنها طالبة متميزة ومجتهدة ، فهى من ناحية قوية الشخصية ، عالية الهمة ، واثقة بنفسها ، محبة للعلم ، تعمل ذهنها فى التفكير ، وكل هذه خصال وصفات طيبة ومحبية إلى النفس ومن ناحية أخرى نجدها متكبرة، عنيدة ، تركب رأسها، وأحيانا تفكر فقط فى الارتقاء بنفسها دون الاهتمام بمن حولها ، وإننى أرى أنها بخصالها وصفاتها الطيبة يمكن أن تكون نموذجا للفتاة التى تبشر بالآمال إذا حظيت بالإرشاد والتوجيه ، أما بالنسبة لأسلوبها الفكرى وعلاقتها بمن حولها فإن ذلك يحتاج إلى المزيد من التوجيهات من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإننا لا يمكن أن نطالب كل الزميلات بأن يكن مثل سكرتيرة اللجنة الفرعية لمنظمة الشبيبة ، وإن معلوماتى محدودة فيما يتعلق بنظريات التربية الحديثة ، هذا هو رأى فى هذا الموضوع ، ولست أدري إذا كان صادفه الصواب أم جانبه ، " وعند هذا الحد انتهى كلام الأستاذ يوان .

فكرتا برهة من الوقت ، ثم أومأت تشن بوا وقالت : " لقد كنا نأخذ من لى تشون موقفا معارضا من قبل على طول الخط ، ويمكن القول إن هذا الموقف ميراث "تاريخى" ، حيث إن المهمة الأساسية للجنة الفرعية للرابطة تكمن فى تعبئة الجماهير للمشاركة فى مجالات التحرك السياسى ، ومن يتقاعس أو يخرج عن هذا الخط نسب له المتاعب ، وفيما يتعلق بالزميلة لى تشون ، فإننى أعتقد أن هناك فى

شخصيتها بعض الجوانب التي لم نستوعبها بعد بالدرجة الكافية . فماذا ترين يا تشيانغ يون ؟ " .

نظرت تشيانغ يون بطرف عينا وقالت : " آه يجب أن أعيد التفكير ، فأنا دائما أتقبل ما أراه صحيحًا ، وأرفض ما أراه غير ذلك ، ولا أفكر في احتمالات أخرى ، لكن فيما بعد يجب أن أفكر في روية وأناة " .

أتى كلام الأستاذ يوان ثماره ، حيث بدأت - منذ برحنا المكان - في التشاور والتفكير في كيفية الالتقاء والتآلف مع لى تشون .

\* \* \*

أصاب البرد لى تشون عندما كانت تكتب الرسائل في منتصف الليل ، علاوة على أنها لم تنم جيدا ، فشعرت في الصباح بأن رأسها ثقيلة وأنها غير قادرة على فتح عينيها . غسلت وجهها بالماء البارد لعلها تنتعش بعض الشيء ، تمكنت من حضور الحصبة الأولى بمشقة ، ثم بدأت تشعر بألم في صدغى رأسها من آن لآخر ، وخمول ينتشر في الكتفين كأنها حملت عليهما ما لا طاقة لها به من الأحمال ، ولما لم تقو على المقاومة ، استأذنت وعادت إلى حجرتها وألقت بجسدها في الفراش .

الحجرة واسعة ، يفتح بابها في الجهة القبليية ، ينتشر فيها شيء من رائحة الرطوبة التي تختلط برائحة الصابون ، تسكن فيها اثنتا عشرة طالبة ، وينزوى سرير لى تشون في أحد أركانها البعيدة المظلمة . رقدت لى تشون على الفراش وسحبت اللحاف على نفسها ، وبصرها معلق باثنتى عشرة منشفة وتنورة واحدة منشورات على الحبل داخل الحجرة . لا تعرف أيا من هذه المنشفات تخص أيا منهن . هذه المنشفة الناصعة البياض المكتوب عليها " صباح الخير " هي على الأرجح منشفة الأنسة تشانغ ، أما تلك القديمة البالية ذات الخطوط الحمراء والتي تصرخ من كثرة الثقوب الصغيرة ، فأغلب الظن أنها منشفة ووتشانغ فو ، أما هذه الجميلة الجديدة

ذات اللون السماوى ، فلمن تكون؟ إنها لا تستطيع أن تتذكر ، عندئذ هبت ريح عاصفة فأحدث الباب صريراً ، وفى الوقت نفسه تهادى إلى الأسماع صوت جرس المدرسة ، وأصوات ضجيج وعجيج مختلطة مع صياح الطالبات اللاتى انتهين من الحصّة الثانية، وخيل إليها كأن صوتاً ما يناديها. أخذت نفساً عميقاً فشعرت أن أنفها امتلأ برائحة الرطوبة ورائحة الصابون ، ثم راحت تستعرض من جديد تلك المنشفات واحدة تلو الأخرى . وفجأة اكتشفت أن منشفتها لم تكن موجودة بين منشفات زميلاتها ، بل وجدتها ملفوفة على أحد طرفى الحبل ، عندئذ هاجمها ما يشعر به المريض غالباً من هواجس الإحساس بالغربة والعزلة والضعف ، وتساءلت لى تشون: " هل أصبحت أنا منفية معزولة مثل هذه المنشفة؟ " .

دق الجرس من جديد ، وبدأت الحصّة الثالثة ، إنها حصّة القواعد التى تلقىها الأستاذة ليو ذات الشعر الناعم الطويل ، القادمة من مقاطعة سيتشوان ، إنها ذات أسلوب رشيق وطريقة عرض شيقة ، ما أجمل الحياة المدرسية ، تلك الحياة الجماعية المنظمة التى يحكمها جرس المدرسة ، لكنها متعبة ومريضة.

وماذا لو لم تكن مريضة؟ هناك من ينتقدنها ، من تنفرن منها ، وأيضاً من يأخذن منها موقفا عدائياً . ليست لها صديقات مقربات ، لا ، بل ليس لها صديقة واحدة . لا تحب من تتود إليها وتقرب منها من زميلاتها.

وعندما كانت بالمدرسة الإعدادية فى تيانجين ، كانت نشيطة مفعمة بالحياة منفرجة الأسارير، لا يعلو صوت على صوتها بين جموع الزميلات ، كانت عضواً باللجنة الرئيسة لرابطة الشبيبة هناك، كانت مشاغلها كثيرة، ودائماً تلتقى مع طالبات المرحلة الثانوية ، وتقوم بتنسيق بعض الأمور مع كوادرات الاتحادات الطلابية فى مدارس البنين ، وكذلك الصحفيين بجريدة الشباب .

أما الآن فقد تخلت عن كل ذلك وتركته لغيرها ، وتفرغت لدراستها وأصبحت غير راغبة في ذلك . لا ، يجب ألا تخدع نفسها ، فهي مازالت تواقفة إلى القيام بهذا الدور ، وتحتاج إلى الصديقات كحاجة الظمان إلى الماء، تحتاج إلى الشعور بالدفء بين الجماعة ، في شوق إلى أن تحظى بشرف خدمة الآخرين . لكن ما العمل ؟ .

أتذهب إلى تشن بوا تستجديها السماح لها بالقيام ببعض الأعمال العامة؟ لقد سبق أن قررت بنفسها ترك العمل العام، فما الداعي إذن لأن تتوسل وتحنى رأسها ؟ إذن ، ماذا عساها أن تفعل بعد كل ذلك حتى تستطيع إظهار قدرتها الحقيقية ، وإسكات الألسنة التي تتقول عليها ، وكسر الجمود الذي يسود حياتها ، بل وتحقيق المزيد من التلاحم مع عدد أكبر من الزميلات اللاتي يحترمنها؟ .

اختلط عليها الحابل بالنابل وغالبها النعاس حتى استغرقت في النوم .

وعند الظهيرة جاءتها بعض الزميلات للاطمئنان عليها، وقد حملن إليها طعام الغداء ، وعدد اليوم من صحيفة "الشباب" اليومية. تناولت قليلا من الشعرية ثم نحت الطبق والعصى جانبا ، ووضعت يدها على خدها ورجعت بجسدها إلى الوراء ، وهي تطالع الصفحة الأدبية التي نشر فيها نثر عن الحياة الطلابية. فرأته فلم تشعر بارتياح تجاه هذا المقال ، فما يكتب عن الطلاب الآن لا يعدو كونه قشورا تتناول صغائر الأمور مثل إعارة الشمسية لزميل عند سقوط المطر، وإهدائه تفاحة إذا أصابه مرض . . . . . دعك من التفاح فإن لي تشون ليست بحاجة إلى التفاح حتى وإن اشتد بها المرض . إنها إذا قدر لها أن تكتب عن الحياة الطلابية ، فلن تكتب مثل هذا الكلام . إنها تريد أن تسخر، تسخر من الكلمات الجوفاء ، ومن ذلك المقال المنشور في "صحيفة الشباب اليومية" ؟ إنها تجيد فن الكتابة، ولها تجربة في ذلك ، فهي تحصل دائما على أكثر من تسعين درجة في مادة المقال . وإذا حدث أن نُشر لها أحد المقالات ، فسوف تندفع تلميذات الصف الأول الإعدادي إلى الصف

الثالث الثانوى يسألن والصحيفة فى أيديهن: "هل أن لى تشون كاتبة المقال هذه هى نفسها لى تشون زميلتك؟" وما أروع هذا السؤال إذا تصادف أن وجهته الصغيرات إلى تشيانغ يون! وربما تلقت لى تشون رسالة من أحد طلائع الأطفال فى جزيرة هاينان وهو يخاطبها بلقب "الحالة لى تشون" اعتقاداً منه أنها أستاذة متقدمة فى السن، إزاء ذلك ازدادت دقات قلب لى تشون، وقد قرأت المقال سبع مرات، وفى كل مرة اكتشفت فيه عيباً جديداً، إنها إذا كتبت مقالا بنفسها، لن يكون فيه هذا العدد الكبير من النقائص والمآخذ، ازدادت ثقتها بنفسها وإيمانها بقدراتها، لكن جسدها المريض لا يستطيع أن يقاوم انفعالات الكتابة القوية.

وفى الخامسة بعد الظهر، جاءت تشن بوا إلى الحجرة، حيث كانت لى تشون قد أحست بشيء من الراحة وجلست تقرأ فى الفراش، سألتها تشن عن صحتها وأخذت فى الوقت نفسه تقص عليها وقائع اليوم الدراسى. قالت تشن إن الأستاذ طرح سؤالاً فى حصة اللغة الروسية، ووقعت تشوشيا ولينغ فى خطأ فى النطق عند إجابتها على السؤال، صحح لها الأستاذ خطأها، لكنها لم تستطع النطق السليم، وكلما حاولت وقعت فى نفس الخطأ مما أثار موجة من الضحك بين الزميلات، أمرها الأستاذ بالجلوس، فتمتت وهى تجلس "بكلمة نائية"، سمعها الأستاذ واعتقد أنها تسبه فثارت ثورته ولم يهدأ إلا عندما أكدت له "يوان شن تشى" أن هذه الكلمة هى "لازمة" تشوشيا ولينغ التى تقولها دائماً عن غير عمد. وغلب الضحك لى تشون عندما سمعت ذلك.

وبعد أن انتهت من سرد هذا الموقف سألتها تشن بوا: "لقد أخذت على بعض المآخذ بسبب الاجتماع الماضى، أليس كذلك؟".

بدأ التوتر على لى تشون ظناً منها أنها علمت بموضوع الرسائل، ردت لى تشون، وقد اكتسى وجهها بالحزن: "نعم، لى عليك بعض المآخذ".



احمر وجه لى تشون ، إنها لا ترغب فى الدخول فى حديث ، "من القلب للقلب" ، "حديث يقوم على النقد والنقد الذاتى" . شعرت أنها إذا دخلت فى هذا الحديث سوف تقع فى الفخ الذى نصبته لها تشن بوا . فقالت فى نفسها "نعم ، إن لى مآخذ عليك ، أما ما هى ، فاذهبى إلى مديرة المدرسة واعرفى منها" .

غير أن لسانها ظل صامتا .

رأتها تشن بوا على هذا الحال ، فقالت فى إيجاز : "لقد قلت فى ذلك اليوم إن سلوكك لا يتفق مع ما يجب أن يكون عليه عضو الرابطة ، ولم يكن هذا الكلام ملائما ، وما كان يجب أن أتهور فى الحديث وأجرح شعورك ، أرجو أن تصفحى عنى . أما بالنسبة لآراء بقية الزميلات . . . . . فبالطبع لنا كلام آخر بعد أن تشفين من هذه الوعكة الصحية" .

خرجت تشن بوا ، وشعرت لى تشون بنوع من الراحة . فقد جاءتها تشن بوا الآن "تعترف بخطئها" وهذا فيما يبدو يشير إلى أن الخطاب "المحبوك" الذى صبت لى تشون غضبها فيه قد نجح وأتى ثماره .

ولكن ماذا عاد عليها من ذلك ؟ لقد أخذها القلق والتوتر وقتاً طويلاً ، وبدت كما لو أنها قد أصيبت بحمى الملاريا . بينما تشن بوا فى حالتها الطبيعية ولم يقع عليها أى ضرر . كانت لى تشون تفضل ألا تعترف تشن بوا بخطئها بل تمنى لو شب الغضب فى حناياها ، لكن تشن بوا - على العكس - ظلت هادئة . فماذا عسى لى تشون أن تفعل معها؟



أجرت تشن بوا تقييما شاملا لحالتها الدراسية وقت مرض أمها، وأعلنت في اجتماع الفصل الذي انعقد بعد امتحان الفترة الأولى أنها لم تكن قد استعدت على نحو جيد . إن الجميع يدرسن نفس المقررات ، وفي الأوقات نفسها ، بل إن وقت المذاكرة بالنسبة لتشن بوا يكون في بعض الأحيان أقل من زميلاتها لكثرة ما تضطلع به من الأعمال العامة فكيف لها إذن أن تلحق بهن في أسرع وقت ممكن، وكيف لها أن تتقن دراستها؟ .

أدركت تشن بوا أن ذلك لن يتأتى إلا بزيادة الفعالية الدراسية داخل الفصل . فالأخريات يمكن ألا يفهمن وألا يحفظن أثناء الدرس ، لكنها يجب أن تفهم ، بل وتحفظ أيضاً في الوقت نفسه ، وأن تجتهد لتؤدي في ساعة واحدة ما تؤديه الزميلات الأخريات في ساعتين . ويجب أن تستجمع طاقتها البدنية والذهنية وصولاً إلى زيادة الكفاءة والفعالية الدراسية .

وفي الوقت الذي أرهقت فيه مشكلة لى تشون أعصابها ، أعلنت تشن بوا حملة الهجوم على جبهة الدراسة . .

أحضرت كرتا وكتبت عليه بخط واضح ومنظم: " دعنا نستغل كل دقيقة وكل ثانية الاستغلال الأمثل ! ، ثم ثبتته بدبوس على الجانب الأيسر من سطح المنضدة . وكلما قرأت هذا الكارت مع بداية كل درس، تولدت لديها إرادة وطاقة جديدة . فتستقيم قامتها وتتسع عيناها ، وتطبق قبضتها ، وتنصت لكل كلمة وكل جملة في انتباه شديد .

قالت تشن بوا في نفسها في سعادة : " إن هذا الكرت يمكن أن يدفعني إلى الاستماع إلى دروسى بتركيز وانتباه شديدين . "

لكن ما إن جاء اليوم التالي ، حتى وقع منها أمر بسيط فى الحصبة الأولى من دروس اليوم وكانت حصبة اللغة الروسية ، حيث كان الأستاذ يشرح القواعد ، ووجدت تشن بوا نفسها لا تفهم بعض ما يشرحه ، وفى ذلك الوقت لاح خلف زجاج الشباك شىء يقفز قفزات متتالية فيخايل عينيها ، نظرت بطرف عينيها فإذا به عصفور صغير يقفز فوق البلاط بجوار الفصل ، وقد ربط فى ساقه شريط أحمر صغير . أدركت تشن بوا أن هذا المخلوق الصغير من المؤكد أنه كان أسيراً لأحد الأطفال وقد انطلق الآن مكبلاً بالقيود والأغلال باحثاً عن حرته ، شاهدت تشن بوا هذا العصفور الصغير الهزيل يقفز قفزات متتالية فى صعوبة بالغة ، وكأنها قرأت عينيه الزائغتين الحائرتين ، بينما ظهر ظل شخص مقبل نحو الطائر ، إنه فراش المدرسة يقترب منه شيئاً فشيئاً ، وهو يمد يده خلسة محاولاً الإمساك بهذا العصفور الصغير . . . . .

كادت تشن بوا تنادى : "قف ، لا تفعل !" ، وتحرك جسمها فاصطدم مرفقها بالمنضدة وأحدثت صوتاً . وانتابها الفزع ، ثم هدأت من روعها ، ومضت دقيقتان لم تستمع خلالهما لشرح الأستاذ : خفق قلبها وكأنها ارتكبت جريمة ، وأخذت تنظر إلى الآخرين ، بينما لم ينتبه إليها أحد .

وضعت لنفسها بعد ذلك نظاماً تلتزم به ، وهو أن تصوب عينيها نحو وجه الأستاذ طوال شرح الدرس ، وألا تسمح لبصرها إلا بمتابعة حركاته وانفعالاته ، وألا تسرح بناظريها مع عصفور يهبط أو يطير ، وألا تنظر إلى أى طائر آخر حتى لو كانت البومة فى وضوح النهار .

كان لذلك بالطبع جوانبه الإيجابية ، فلم تفتها حركة أو انفعالة واحدة من حركات وانفعالات الأستاذ ، استطاعت أن تعيش الحصبة الأولى بانتباه وتركيز شديدين . غير أنها أحست أن هذا الأسلوب مرهق بدرجة كبيرة ، وشعرت بألم وحرقان فى عينيها ، بالإضافة إلى القلق والخوف المستمر من وقوع ما يقطع

تركيزها الشديد. ولما جاءت الحصّة الرابعة ، بلغ بها التعب مبلغا كبيرا وراحت تغالب النعاس وتقاومه وهى لا ترى من الأستاذ سوى شعره الخفيف. وتجاويد وجهه الغائرة وحركة شفّتيه . أما ما يشرحه ، فلم تمض نصف دقيقة حتى عجزت عن السمع والمتابعة وفشلت الخطة ! فأخذها الغضب وعاقبت نفسها بقرصة شديدة.

فى المساء أخذت تشن بوا تحاسب نفسها فى روية وهدوء ، وعندما وصلت إلى ما يحدث أثناء الحصص بدت وكأنها تتشاجر مع نفسها .

وفى المطعم أثناء تناول العشاء راحت تسأل زميلاتّها اللاتي يجلسن معها على نفس المائدة : " كيف تركزن انتباهكن أثناء الدرس؟ كيف أعجز أنا دائما عن ذلك ! "

ردت بعض الزميلات : " هذا السؤال من الصعب الإجابة عليه " . إننا نحاول الاستماع إلى الشرح ، وكفى ، أما عن كيفية تركيز الانتباه فهن أيضا لا يعرفن إلى ذلك سيلا .

أخذت ووتشانغ فو تنقل العصى بين طبق الأرز وصحن الخضار فى سرعة ولهفة بينما تقول ضاحكة " : إذا أردت تركيز الانتباه ، يجب أن يتوفر لديك أولاً عامل الرغبة والتشويق . فأنا مثلا أكون فى غاية التركيز والانتباه عند تناول اللحم ، بينما يقل ذلك عند تناول الكرنب المطبوخ ، وذلك لأن شوقى ورغبتى فى أكل اللحم أكثر من رغبتى فى أكل الكرنب " .

ضحكت يانغ تشيانغ يون حتى كاد الحساء يتطاير من فمها وسألتها : " إذن ، أيهما أحب إليك ، حضور الدرس أم الأكل؟ " .

لم تعرها ووتشانغ فو اهتماما وواصلت كلامها : " وتزداد قوة التركيز عندى عندما يحل بى الجوع ، وأحيانا أسرح ويشرد ذهنى عند الشبع " .

توقفت تشوشيا ولينغ عن الطعام ، وفكرت قليلاً ، وانبرت قائلة:

" إن قوة التركيز عندى تبلغ ذروتها عند لعب الكرة الطائرة ، ولا يمكن أن يشغلنى شىء آخر حتى لو انطبقت السماء على الأرض . "

ثم ساد الجميع موجة من الضحك ، ونسين السؤال الذى طرحته تشن بوا عن كيفية التوصل إلى التركيز أثناء شرح الدرس ، وراحت كل منهن تذكر الشىء الذى عندما تفعله تصل إلى ذروة التركيز المعنوى والنفسى .

قالت إحداهن إنها عندما تشاهد مسرحية - بشرط أن تكون من النوع المأساوى - تبلغ قوة انتباهها الذروة . وقالت أخرى إن انتباهها يزداد عندما يبشهن الأستاذ نصائحه وتعاليمه . وقالت ثالثة إن تركيزها وصفاءها النفسى يأتى عند الإقبال على النوم - حيث لا تفكر فى شىء .

قالت لهن يانغ تشيانغ يون : " إنى أرى أنه ليس هناك ما يشد انتباهكن أكثر من هذا الكلام الفارغ " فشمتهن جميعا فى وقت واحد .

عادت تشن بوا إلى الفصل ، وأخذت تفكر فى صمت ، كيف تركز انتباهها أثناء الدرس ؟ إن ما جرى الآن رغم أنه حديث ضاحك من قبيل التهريج ، إلا أنه لا يخلو من بعض الحقائق .

قالت ووتشانغ فو إن تركيزها يزداد عندما يتوفر لديها عنصر الرغبة والتشويق ، وهذا يحدث لها عندما تشعر بالجوع ، هل تشعر تشن بوا إذن بالرغبة والتشويق أثناء الدرس ؟ وهل تكون جائعة؟ .

بدأت تشن بوا فى إعداد دروس اليوم التالى ، الحصتان الأولى والثانية فزياء ، فتحت الكتاب ، الكتب العلمية مترجمة ومنقحة ، والمشكلة لا تكمن فى صعوبة المضمون العلمى فحسب ، ولكن أيضا فى عبارات الكتاب التى تفتقر إلى السلاسة .

قرأت تشن لأول مرة ولم تفهم ، ثم قرأت قراءة جهرية ولم تفهم أيضا ، وضعت الكتاب وأخذت تفكر قليلا فى صمت ، وفهمت قليلا ، لكنها مازالت غير

قادرة على الاستيعاب الكامل . فأمسكت بالقلم الأحمر ووضعت علامة وانتظرت  
لسماع شرح المدرس فى اليوم التالى . . . . .

وبدأت الحصه ، وأخذت تشن بوا تنتظر على أحر من الجمر أن يجيب الأستاذ  
على تساؤلاتها الصعبة من خلال تناوله للدرس . لكنه لم يبدأ بشرح هذه  
التساؤلات ، بل بدأ بإعادة شرح بعض القواعد والنظريات الأساسية . لا تدرى تشن  
بوا لماذا يبدأ بتكرار شرح هذه القواعد ، إنها قلقة من أجل الوقت الذى يمضى ثانية  
بعد الأخرى ، وهل يجد الأستاذ وقتا كافيا ليشرح الدرس الجديد بإيضاح؟ الأستاذ  
مستمر فى شرح الدرس ، بينما تشن تفكر ، هل يمكن أن تكون هذه القواعد  
والنظريات هى الأساس الذى يؤدى إلى الإجابة على تساؤلاتى ؟ ثم انتابها شىء من  
التوتر ، وراحت تحاول البحث عن ذلك الخيط الذى يربط بين القواعد التى يشرحها  
الأستاذ والتى سبق لها معرفتها من قبل وبين المشاكل والتساؤلات الصعبة التى  
واجهتها أثناء تحضير الدرس . وهذا الخيط يسبح داخل عقلها ، كلما اقتربت منه  
وكادت تمسك به هرب منها .

وأخيرا وصل المدرس إلى هذه النقطة وشرحها .

تنفست تشن بوا الصعداء بعد أن فهمت . وانحنت بصدرها نحو المنضدة  
وغاصت كلتا يديها فى شعرها تصففه وتدفعه إلى الخلف ، وأخذت ترهف السمع  
فى سعادة وارتياح .

لكن الأستاذ لم يمر على هذه المشكلة مرور الكرام ، بل طرح عدة احتمالات  
مختلفة للحل .

اختلط عليها الحابل بالنابل ، تشتت أفكارها ، وحاترت تشن بوا ، أهو  
هذا؟ ، أهو ذلك؟ تعبت رأسها وأخذت تشد شعرها .

قالت فى نفسها يجب أن يكون الحل هكذا ! وفى الوقت نفسه الذى استقرت فيه تشن على هذا الحل ، كان الأستاذ قد توصل أيضا إلى تلخيص لنفس المضمون . وكادت تشن بوا تصيح من فرط سعادتها : " لقد فكرت بنفس الطريقة ، وتوصلت إلى نفس النتيجة ! وأدركت فى نفسها أنها لا تجلس فى الفصل "كآلة تتلقى المعلومات" ولكنها هى الجندى المجهول الذى يشارك الأستاذ فى التنقيب عن العلوم والمعارف ، وشعرت تشن أنها زادت عزيمة وقوة على قوتها . ولم يكتف الأستاذ بالتلخيص النظرى ، لكنه استعان بالرسوم التوضيحية .

وكان قد أعد الرسوم والوسائل التعليمية اللازمة قبل بداية الدرس ، فهمت كل ما يتعلق بالدرس فهماً كاملاً دون أن يساورها شك فى ذلك ، ولم يقف الأستاذ عند الشرح على الرسوم التوضيحية فقط ، بل الأكثر من ذلك أنه يعدد عيوب وأخطاء الطرق الأخرى للحل ، وأخذت تشن بوا تهز رأسها فى رضاء تام واقتناع عميق .

ما أروع أن تتحول الفكرة الهلامية فى لحظة واحدة إلى حقيقة منطقية واضحة ، وما أجمل أن تتحول الحيرة والتردد إلى ثبات وثقة ، تنفست تشن بوا الصعداء ، وأحست بالراحة تسرى فى جسدها ، فقد كسبت الكثير من وراء هذه الحصبة ! وأخذت تنظر إلى الأستاذ فى تأثير بدور ألفة وامتنان ، حتى انتهت الحصبة فصاحت الطالبة التى تقوم بألفة الفصل : " قيام ، تحية " وانحنت انحناءة كبيرة تحية واحتراماً للمدرس .

بمثل هذا الأسلوب تكون الحصبة التى تستغرق خمساً وأربعين دقيقة ثرية ومفيدة وكأنها حقبة طويلة من الزمان ، وبعد ذلك جاءت حصبة التاريخ التى تناولت



الإمبراطور ليويانغ (١) بذكائه الشديد وحيلته البارعة والجنرال تساو هوى (٢) بجراته وشجاعته العسكرية. ثم جاءت بعدها حصّة الجغرافيا التي تناولت بناء قناة الفولجا والكفاح البطولي لشعب أمريكا اللاتينية. ثم حصّة تناولت استخدام الأشعة في العلاج والتهديدات التي ينطوي عليها الانشطار النووي. وأخرى عن آفاق المستقبل الريح للبناء الاشتراكي الشيوعي في بلادنا، الحصص تمضى تباعاً، واحدة تلو الأخرى، وأنا أشعر أنني أستزيد شيئاً جديداً وأتقدم خطوة للأمام بعد كل حصّة جديدة. وبمرور الحصص والكثير من الدقائق على مثل هذا النحو من الروعة تتحول الفتاة الغريبة شيئاً فشيئاً إلى شابة ثرية بالعلم والمعرفة الغزيرة !

يجب علينا ألا نترك الوقت يمر سدى في أثناء المراجعة الذاتية أيضاً ، فتحاول تشن بوا أن تستغل كل دقيقة من وقتها. كانت دائماً تعد الكتب والمذكرات وأوراق التجريب قبل المراجعة وتضعها بالترتيب ، عندما يدق الجرس تكون أول من يدخل الفصل ، وفي الوقت الذي تكون فيه زميلاتها مشغولات بفتح أدراجهن ، تكون هي قد أخرجت أدواتها وهيأت نفسها . وعندما تشعر بحاجة إلى الراحة بعد دراسة لوقت طويل ، تستغل تشن بوا وقت الراحة في أن تبرى القلم الرصاص ، ثم تبرى قلماً آخر ، ثم تواصل مذاكرتها ، وخلال ذلك إذا أصبح سن القلم غير خاد أو انقصف فإنها تبده بسرعة بالقلم الآخر حتى لا تضيع وقتاً في إعادة برى القلم . . .

وإذا جلست للمذاكرة لا تهتم بما يدور حولها. أحيانا تعلق وجهها ابتسامة، ثم تبدو ملامحها جادة بشكل مفاجئ ويتقطب جبينها كأنها تشعر بشيء من المرارة ، وأحيانا تبدو عليها علامات الضيق والقلق ، ترفع رأسها وترسم عدداً من الدوائر على سطح المنضدة تارة ، وتدفن رأسها بين كفيها وتلوذ بالصمت تارة أخرى ،

(١) اسم أول إمبراطور في أسرة هان الملكية ، وهو مؤسس الأسرة .

(٢) اسم قائد عسكري برتبة جنرال وهو قائد شجاع جسور ، وكان في عهد الإمبراطور ليويانغ في أسرة

هان .

أحيانا تتسع عيناها وتنظر إلى الأفق البعيد، وأحيانا أخرى توارب عينيها  
جبينها ويتفخ أنفها وينكمش.....

وهكذا اقتنصت تشن بوا كل دقيقة من وقتها بفعالية وإصرار، وتمك  
بعد الأخرى من ملاحقة أكثر زميلاتها تفوقا وفي الوقت نفسه كان ذلك ر  
مجلجلا على نتيجتها السيئة في امتحان الفترة الأولى.

إذا جاز لنا القول إن لى تشون عندما تؤدي واجباتها تأخذها الشجاعة والحماسة وكأنها تكتب بحثًا علميًا ، وإذا قلنا إن يوان شن تشى أثناء أدائها واجباتها تبدو خفيفة ماهرة وكأنها تحكى قصة ، وإن تشن بوا تبدو مكدودة وكأنها ثور يدور فى ساقية ، فإن يانغ تشيانغ يون تبدو أحيانًا لطيفة هادئة كأنها تغنى ، وأحيانًا أخرى تبدو عنيفة ثائرة كأنها فى عراك مع نفسها .

كانت تنهض فى الصباح الباكر لتحفظ مفردات اللغة الروسية ، ومن ذا الذى يستطيع أن يكتشف أنها تحفظ المفردات؟ إنها تستند بظهرها إلى جذع إحدى الأشجار الضخمة المواجهة للمكتبة ، ساقاها متشابكتان ، فمها يتمتم بكلمات ذات نغمات غريبة ، عيناها تغمضان وتفتحان ثم تعيد الكرة من جديد ، وفى النهاية تمد ساقها وتضرب بحدائها قطعة من القرميد المكسر فتقذف به فى الهواء وتصيح "برافو" ، فماذا حدث؟ حفظت إحدى المفردات .

إنها موسيقى ! تكتشف يانغ تشيانغ يون فى كل مادة من المواد نوعًا من الموسيقى . فمثلا اللغة الروسية ، يالها من لغة موسيقية ذات إيقاع مريح على الأذان غير أن الكثيرين يكرهون فى هذه اللغة التحول بين المفرد والجمع ، والتذكير والتأنيث وإعراباتها المختلفة ، ولكن تشيانغ يون تشعر بأن هذا التغيير يجعل القراءة مريحة وشيقة . وهناك أيضا الحروف الساكنة التى تدفع المبتدئين فى دراسة اللغة إلى الشعور بالضيق ، والتى تصبح ذات إيقاع جميل على الأذان عندما تتحد مع أحد الحروف اللينة . حتى الحساب تشعر أن فيه موسيقى ، بل وغناء ، فأنت عندما تعرفين النظرية ، تصبح كنغمة أو معزوفة أو أغنية معروفة . ما إن تبدأ حتى تستطيعي إكمالها . وعندما تنتهين من حل المسألة ، تكونين كأنك قد انتهيت من الكوبليه

الأخير من الأغنية ، ورفعت طبقة صوتك ، وأخذك الحماس وأنت تعلنين النهاية وسط تصفيق المستمعين بحرارة .

وعندما تواجه أحد الاسئلة الصعبة ، تبدو يانغ تشيانغ يون كأنها تعارك نفسها وتنظر إلى السؤال وهي تقطب جبينها وتهمهم قائلة : " أيها السؤال الصغير ، أتريد أن تضعني في مأزق ؟ هه ، هه ، هاه . ! " وإذا اكتشفت أن طريقته في الحل ليست صحيحة ، قالت للسؤال : " حسنا لقد كسبت هذه الجولة ، لكني لن أياس ، صبراً جميلاً ، سأفكر في طريقة أخرى أجيب عليك بها على وجه السرعة . " ولا تترك هذا السؤال الصغير " حتى تتوصل إلى إجابته .

وذات مرة سألتها إحدى الزميلات : " كيف أراك لا تبذلين مجهودا كبيرا أثناء أداء الواجبات ؟ " أجابت تشيانغ يون والابتسامة تملو شفيتها : " إنني أستطيع أن أفكر في الفيزياء حتى وأنا أرقص . " أحقيقة ذلك الأمر ؟ وكانت اللواتي سبق أن جلسن بجانبها قد سمعن هلوسة تشيانغ يون التي تطاردها في نومها بعد انتهائها من أداء واجباتها ، حيث تردد في نومها دائما : " صحيح ، صحيح ، آه تنقصها نغمة خفيفة ، لا ، ليس ثلاثة ، أربعة ، سبعة . . . . . " .

لكن كانت هناك مادة تتكسر عندها الروح الحماسية لتشيانغ يون ، إنها مادة الرسم الهندسى ، وبدأ الأمر بعدم حبها لمدرس هذه المادة ، فهو رجل طاعن في السن ، يقوم بالتدريس في عدة مدارس ، أحيانا كان يعلق على صدره عدة شارات بأسماء المدارس التي يعمل بها ، وما إن يبدأ الدرس حتى يفتح الكتاب ويقرأ ، فإذا ما انتهى من القراءة أمسك بإصبع الطباشير واندمج في الرسم على السبورة وبينما يرسم يهمهم ببعض الكلمات كأنه يحفظها ، وإذا طرحت عليه إحدى الزميلات سؤالا أجاب بلا اكتراث : " نعم ، نعم " ، حتى إنه ذات مرة سألته زميلة : " أليس واجبا اليوم هو أن نجيب على أسئلة التدريب الخامس ؟ " أجاب على

الفور : " نعم " وسألت زميلة أخرى : " أليس ذلك بالإضافة إلى أسئلة التدريب السادس ؟ أجاب أيضا : " نعم ، نعم " فضج الجميع بالضحك ، وبدا هو وكأن شيئاً لم يكن .

وأیضا لا تحب يانغ تشيانغ يون "المجهود الآلى " الذى يبذل فى حصة الرسم الهندسى . إنها تشعر أن هذه المادة لا تتيح لك فرصة الإبداع ، بل عليك فقط أن تنفذ ، لست مطالباً بالحكمة ولكن بالحذر، فقط عملية مرهقة وعملة ، ولكن يجب أن تتحمل حتى ترسم شكلا من الأشكال ، على الرغم من أن ذلك فى النهاية لا يضيف شيئاً إلى دائرة المعرفة الشخصية .

وكان هناك أحد الرسوم الهندسية الشديدة التعقيد التى يجب أن تنتهى منها من قبل ، ولكن تشيانغ يون أجلتها بضعة أيام حتى جاء يوم السبت - آخر الأسبوع - بعد أن انتهت من تناول الغداء ، ضغطت على نفسها وجهازت المحاة والورق والقلم البوص . . . . .

لقد نفذت معظم الزميلات هذا الرسم ، بعض طالبات الفصل يرددن الأغنيات بصوت خفيض ، وهناك من تقرأ رواية ، ومن تسمع لنفسها النصوص بصوت عال . وتشيانغ يون تغبطهن على ما هن فيه ، لكن لا سبيل أمامها ، أمسكت القلم الرصاص وضربت به بشدة فوق المنضدة .

تنتمى الطالبة التى تقرأ النصوص بصوت عال إلى مقاطعة شانشى ، إنها تجتهد من أجل دراسة لهجة بكين ، لكن شانشى تعلن عن نفسها بين الحين والحين فتبدو النغمة نشازا غريبا ، وتسببت فى إرباك تشيانغ يون التى كانت لاتزال تمسك بقلمها وتواصل رسم المسودة ، فلم تطق صبيرا وألقت بالقلم واتجهت ناحية طالبة شانشى وقالت : " هلا غضضت من صوتك هذا قليلا ؟ " فضحكت وأمسكت بيدي تشيانغ يون وطلبت منها المساعدة لتصحيح وتقويم لهجتها المحلية . أطلقت

تشيانغ تنهيدة عميقة وجلست بجوارها وأخذت تصحح لها النطق ، وفى أثناء تعليمها تضحك منها قائلة : " لا ، غير ممكن ، مهما تعلمت ستبدو فى لهجتك رائحة الخل " (١) .

عادت تشيانغ يون إلى مكانها لتواصل الرسم مرة أخرى حتى انتهت من الرسم الكروكى بشق الأنفس ، وفى ذلك الوقت جاءت سونينغ تبحث عنها وطرحت عليها أحد الأسئلة ، فأجابتها تشيانغ : " هذا السؤال فى غاية السهولة ! إنه طويل ويبدو كأنه صعب ، لكنه فى حقيقة الأمر ليس كذلك ! لا تأخذك الرهبة أبداً من أى سؤال ، فمهما كانت صعوبته ، إلا أنه لا يخرج عن المحتوى الدراسى . . . . . " وواصلت كلامها فى لهجة قاطعة ، لو أن سونينغ لم تشعر " برهبة " من هذا السؤال ، لكانت " عرفت الجواب بمجرد التفكير فيه " ثم أخذت تشجع سونينغ على التفكير حتى بدأت تمسك بطرف الخيط ، هزت تشيانغ رأسها وكأنها تشجعها : " نعم ، صحيح ، إنه هو . . . . . "

لم يكن يستغرق شرح هذا السؤال أكثر من خمس دقائق وينتهى الأمر ، غير إن هذا الأسلوب قد أخذ منها أكثر من ساعة كاملة .

عندما انتهت من شرح السؤال كان قد حان موعد تناول العشاء ، فاضطرت تشيانغ يون أن تلملم أوراقها وأقلامها حتى تواصل العمل فى المساء .

حان وقت المساء ، ولم يعد فى الفصل غير نفر قليل ، فغداً عطلة نهاية الأسبوع ، منهم من رجعت إلى أسرتها ، ومنهم من ذهبت إلى السينما ، ومن خرجت تمشى فى الشوارع الكبرى .

(١) إشارة إلى مقاطعة شانشى حيث تنتشر عادة كثرة استعمال الخل فى الطعام .

ركزت تشيانغ يون انتباهها هذه المرة وسخّطت على نفسها : " يا لك من فتاة متراخية ، أيمكن أن تنهزمى أمام هذا الرسم " الملعون " ؟ وردت على نفسها " لا ، لا بد أن أنتصر عليه ! " . ثم استأنفت الرسم فى حذر شديد .

حدث عيب فى سن القلم البوص فرسم خطأ جانبيا خفيفا . حقيقة إن هذا الخط لا يمكن ملاحظته ما لم تدقق النظر فيه ، غير أن تشيانغ يون حزمت أمرها على أن يخرج الرسم دون عيوب . تناولت המחاة وأخذت تمسح ، ياللهول ! إن המחاة من نوع ردىء ، لقد مسحت الخط الجانبى لكنها تركت بقعة كبيرة قدرة على سطح الورقة الشفافة البيضاء .

شعرت تشيانغ يون بالإحباط ، كيف تتصرف ؟ عليها أن ترسم من جديد بعد أن أمضت عدة ساعات ساكته جامدة كالموتى . عدة ساعات ، هذا الوقت الثمين ، ضاع كله فى هذا الرسم الملعون ! اضطرمت نيران الغيظ فى صدرها ، مدت يدها ، أمسكت بالرسم ، نظرت فيه ثم مزقته .

مزقت تشيانغ يون الرسم ، ثم انطلقت تعدو إلى خارج الفصل ، مرقت من الفناء وخرجت من بوابة المدرسة ، استندت إلى سور المدرسة من الخارج بجوار البوابة ، وأخذت تن من الضيق والألم وهى تكلم نفسها :

" أريد أن أبكى ، ليت عيني تجودان بالدمع "

لكن ذلك لم يحدث . هبت ريح عاصفة ، تشيانغ يون تقاوم الإحساس بالبرودة ، شعرت كأن هذه الريح حملت إلى سمعها هذه الكلمات تنهادى عبر الأثير من بعيد :

الخيوط السوداء ، والخيوط الزرقاء

الخيوط الزرقاء ، زرقة كالسماء

.....

كأنتى سمعت هاتين الجملتين فقط ، ثم انقطع الصوت .

أليست هى ؟ أليست لان خوا خوا<sup>(١)</sup> ؟ كانت يانغ تشيانغ يون أول من استمعت إلى هذا الأغنية من بين زميلاتها، فقد بدأت الإذاعة تذيعها فى عام ١٩٥١ ، سمعتها تشيانغ يون وأحست على الفور بروعتها وبساطتها وقدرتها على تحريك المشاعر، فكرت فى طريقة تحفظ بها هذه الأغنية ، نادى إحدى الزميلات لتسمعا هذه الأغنية . قالت الزميلة : " أى غناء هذا الذى يؤدى بهذه النغمات الركيكة المرتجلة ؟ " غضبت تشيانغ يون . وبعد ذلك انتشرت هذه الأغنية وذاع صيتها يوماً بعد يوم ، فرحت تشيانغ يون وقالت : " رأيتن ، ما أروع ذوقى ! "

ما مصدر هذه الأغنية التى تتهدى إلى أذنى ، من تحب الاستماع إليها وهى فى مازق حرج بسبب عدم الانتهاء من الرسم؟ .

ثم سارت تشيانغ يون تجاه الشارع الرئيسى .

يأست من أن تعرف فى أى متجر يوجد المذياع الذى تنساب منه هذه الأغنية ، بل إنها لم تسمع الأغنية من بادئ الأمر ، فقد كانت أجهزة المذياع الموجودة فى عدد من المتاجر تذيع أوبرا بكين الليلية .

تجمدت فى مكانها ، مر بجوارها شاب وشابة متحابان ، أيصعب عليها أن تميزهما ؟ شاب على ضوء حكم تشيانغ يون فى أغلب الظن أنه موظف بإحدى الهيئات الحكومية ، يضع على كتفيه معطفاً من الصوف ، لا يكف عن الكلام والضحك وطرح الأسئلة ، وماذا عن تلك الفتاة ذات الضفائر التى ينسدل عليها منديل أبيض مزهر ؟ شعرت تشيانغ يون بما لا يدع مجالاً للشك أنها ممرضة ، وإلا فكيف تبدو على هذه الدرجة من النظافة؟ إنها تبتسم فى صمت ، كلما أطلق

(١) اسم فتاة ورد ضمن كلمات هذه الأغنية وهى إحدى الأغاني الشهيرة فى مقاطعة شانشى .



الشاب قهقهة عالية، انفرجت أسنانها عن ابتسامة خفيفة ، رأت تشيانغ يون "أنهما مثيران للضحك " لكنها شعرت في الوقت نفسه "أنهما سعيدان !"

ثم راحت تشيانغ يون تحلق ببصرها فى الأفق البعيد ، شاهدت النجوم الصغيرة المتناثرة فى صفحة السماء ، إنها صغيرة ، غريبة ، تشعر بالوحشة لأنها ليست بها حياة ، ولأنها بعيدة عن تشيانغ يون . تذكرت تشيانغ يون مشاهدة النجوم أثناء المعسكر ، ألم يكن وقتاً جميلاً مع الزميلات؟ .

ألم يكن تشانغ شى تشون لطيفاً ؟ ثم هبت ريح باردة ، ارتعدت تشيانغ يون من البرد ، تلفتت حولها ، فشاهدت الأشجار على جانبي الطريق قد عريت من أوراقها . وبائع يرتقال عجوز يدفع أمامه عربة يد صغيرة فى روية وأناة . . . . .  
. . . . . أيمكن أن يكون قد حل فصل الشتاء ؟ لم يخبرها أحد بذلك . وفى الوقت الذى كانت فيه تملى انتقاداتها على لى تشون ، والوقت الذى لم تطق فيه صبراً على الرسم الهندسى ، لم تتوقف عجلة الزمن ، بل دفعت عام ١٩٥٢ إلى حافة النهاية .



سقطت الثلوج لأول مرة خلال هذا الشتاء .

بعد الظهر ، تلبدت السماء بالغيوم القاتمة ثم سقط رذاذ خفيف .

الناس فى كل مكان يقولون : "يا للعجب ، أتسقط الأمطار فى الشهر الحادى عشر من السنة القمرية ! وبعد لحظات تحول المطر إلى برد صغير يدعو أهله بكين "كريات ثلجية صغيرة " وهناك من يسمونه "حببات الأرز" . كريات الثلج الصغيرة التى تشبه حبوب الأرز البيضاء تتساقط بغزارة ، وتذوب وتتلاشى عندما تصل إلى الأرض . والناس بصفة عامة يكرهون هذه الكريات الثلجية لأنها سريعة الذوبان فعندما تسقط على الجسم تذوب قبل محاولة إسقاطها على الأرض - ولأنها ليست نظيفة ، والأهم من كل ذلك أنها لا يمكن الاستمتاع واللهو بها مثل الأمطار أو الثلوج . فى ذلك اليوم سقط الكثير والكثير من هذه الكريات ، ثم أظلمت السماء ولم يعد يسقط شىء .

كانت تشيانغ يون هى أول من عرفت بسقوط الثلوج حيث كانت تحمل الإناء فى طريقها إلى حجرة غلاية الماء لتحضر ماء الشرب ، فشاهدت وهى تسير فى أحد الممرات بضع كريات من الثلج تتسلل من إفريز السطح تحت أشعة الضوء ، فتبدو تحت خيوط الضوء التى تخترق الثقوب الصغيرة الضيقة وكأنها لا تتساقط مباشرة ، بل تتراقص فى شكل يأخذ بالألباب وهى فى طريقها إلى الأرض . وقفت تشيانغ يون بأحد الأركان ، نظرت حولها ، لا توجد ثلوج ، نظرت أسفل أشعة الضوء فشاهدت بعض الكريات الثلجية ، أسرعته هناك ، كأن الثلوج تسقط فقط فى هذا المكان ، حيث تتساقط تحت هذه الأشعة بضع كريات ثلجية قليلة من الأفق البعيد الذى يسوده ظلام دامس ، تتساقط على فترات متباعدة وكأنها تهبط على استحياء لأنها جاءت قبل موعدها ، أو كأنها تنزل خلسة لتستطلع أحوال وأخبار البرية .

ومدت تشيانغ يون يدها وبسّطت كفها تستقبل الثلج ، لكن لا شيء ، بينما أرنبه أنفها تلسعها برودة شديدة. أخيراً ، وبعد طول انتظار ، سقطت قطعة ثلجية فى راحة يدها ، وما إن أسرع تنظر إليها تحت الضوء حتى ذاب ضلعان من أضلاعها الستة . هذه القطعة الثلجية المسكينة المبتورة المشوهة تلمع وتتألاً تحت أشعة الضوء . بسّطت تشيانغ يون جناحيها وطارَت نحو الفصل ، وصاحت فى زميلاتها : " الثلوج تسقط ، الثلوج تسقط . "

ومدت يدها لتريهن ، لكن ماذا كان فيها ؟ لم يكن بها أثر لثلج .

وهذا هو حال الثلوج التى تتساقط قبل موعدها ، تكون قليلة وسريعة الذوبان لا تتحمل حرارة يد الفتاة ! .

وبالرغم من عدم وجود أثر للثلج فى يدي تشيانغ يون ، إلا أن زميلاتها لم يأخذهن الشك فى حقيقة "الخبر" الذى حملته لهن . وخرجت مجموعة من الزميلات اللاتي كن فى الفصل ومددن أيديهن ووجوههن ، وألستهن تستقبلن باكورة الثلج الباردة المنعشة التى تسقط لأول مرة خلال العام .

وعندما تلمس إحدى الكريات الثلجية أى جزء من أجسامهن ويشعرن ببرودة الشتاء المنعشة تسرى بينهن موجة من الضحك والإثارة والسعادة .

\* \* \*

فى ذلك المساء الذى سقطت فيه الثلوج لأول مرة كانت تشن بوا قد ذهبت للمشاركة فى زفاف خوان لى تشينغ . وصلت تشن بوا إلى المركز التجارى للمدينة ، دخلت غرفة الاستعلامات ووقعت باسمها فى سجل الضيوف ، ثم توجهت إلى قاعة الحفلات حيث كان يقام حفل الزفاف وما إن دفعت الباب حتى تدافعت إلى مسامعها موجات من الضجيج والعجيج ، قاعة الاحتفالات صالة كبيرة مستطيلة الشكل ، تتوسطها مائدة طويلة عليها بطانية مزركشة فوقها مفرش سفرة ،

مرصوص عليها أكواب الشاي والمأكولات الباردة . فى أول الصلاة وآخرها يوجد موقد من الفحم . تعلق على الحوائط أحجام مختلفة من اللوحات والكلمات التى تعبر عن الحب والتهانى . أشار إليها شخص يقف لدى الباب بأن توقع باسمها ، وقفت أمام منضدة صغيرة ، وأمسكت بفرشاة صغيرة مصنوعة من شعر الماعز تستعمل كقلم وسجلت اسمها على قماش من الحرير الأحمر .

بحثت عن مكان تجلس فيه حيث يوجد حشد هائل من المدعوين ، وقد ازدحمت الأماكن القريبة من المائدة عن آخرها ، والأطفال المنتشرين فى كل مكان عدا الكوشة ، لم ينتظروا حتى تبدأ مراسم حفل الزفاف ، وتسلقوا سيقان أمهاتهم وأخذوا يتخطفون المأكولات . وبدا أن المدعوين الجالسين فى الدائرة الخارجية زملاء العروس فى العمل ، فكلهم يلبسون ثياباً أنيقة نظيفة ، الزملاء ينفثون دخان سجائرهم ، الزميلات يرتدين المعاطف الصوفية ، وتبادلن الحديث الهامس والضحكات تنبعث من كل مكان .

وقعت عينا تشن بوا على خوان لى تشينغ وقد ارتدت فستاناً جديداً بسيطاً أزرق اللون لم يستطع رغم بساطته إخفاء روح العروس المتدفقة . أمسكت يد تشن بوا وحيثها وشكرتها قائلة : " لقد حضرت ، يالك من صديقة مخلصه ، كنت أخشى ألا تحضرى . . . . . " كلماتها تفيض باللطف والحيوية ، الابتسامة لا تفارق وجهها ، تهز رأسها وفى عيناها بريق لا يزول .

أخذت تشن بوا تمنع النظر فى خوان لى تشينغ ، إنها سعيدة بالطبع لما تراه من علامات السعادة البادية على خوان ، هنأتها ومزحت معها وتبادلتا الضحك . غمزت خوان لى تشينغ بحاجبها ، وأخذت تشن بوا من يدها وأسرعت بها ، سألتها تشن : " ماذا تفعلين؟ " .

قالت خوان : " نبحت عن شخص " . " من ؟ " " حاولى أن تخمنى ؟ "

أسرعتا إلى أحد جوانب القاعة ، جابت عينا خوان المكان ، ثم جذبت تشن بوا إلى الجانب الآخر المواجه للمكان الذي كانتا فيه من قبل ، كان هناك شخص ينكب على أحد الكتب ، يطالع ويقرأ حتى فى هذا المكان ، إنه حقيقة أمر غير مناسب ، اقتربتا من هذا الشخص ، نادى خوان لى تشينغ : "انظر ، من أحضرت معى ؟" .

رفع رأسه ونهض واقفا ، نظر إلى تشن بوا ثم ألقى بالكتاب جانبا ، أطلق ضحكة مجلجلة وأشار بيده نحوها قائلا: " أنت . . . . . القزعة !"

" وأنت تيان لين !"

هز تيان لى رأسه : " نعم "

وتيان لين هو ابن خال خوان لى تشينغ ، كان قبل التحرير يدرس فى المدرسة المتوسطة رقم ٦٥ ، تعرف على تشن بوا فى إحدى الجماعات الفرعية لمنظمة الشبيبة الديمقراطية ، كانت تشن آنذاك قصيرة القامة ضئيلة الحجم ، وكان تيان لين يناديها "قزعة" .

سألت تشن بوا فى تعجب : "ألست تعيش فى . . . . كيف جئت إلى هنا ؟"

قال تيان لين : "جئت بالطائرة من أجل حضور زفاف ابنة خالتي" .

أشاحت خوان لى تشينغ بيدها : "يا سلام عليك " وقالت تشن بوا : "لقد انتقل إلى جريدة الشباب اليومية " منذ أسبوعين "

سأل تيان لين : " وأنت يا تشن بوا ، أين أنت ؟" .

ردت تشن بوا فى شىء من الحرج والخجل : "مازلت هناك" .

كانت تشن بوا أصغر سنا من الرفقاء الذين كانت معهم فى نفس المنظمة قبل التحرير ، فمنهم من التحق بالعمل ومنهم من دخل الجامعة ، أما هى فمازالت طالبة فى المدرسة الثانوية .

غادرت خوان لى تشينغ ، ثم عادت تحمل صينية عليها الفول السودانى والتمر والبرتقال ، سحبت أحد المقاعد ووضعت عليه الصينية أمام تشن بوا وتيان لين ترحيباً بهما . وهمّت خوان لإحضار الشاى لكن تيان منعها قائلاً : " لا داعى لإحضار الشاى ، أنا أعرف أن تشن بوا لا تشربه . إنها لا تشرب الشاى أبداً . من الأفضل أن تأتى بسيجارة " . " ماذا " ؟

سألته تشن بوا فى تعجب : " أنت هذا الشاب الصغير تدخن ؟ " أخرج تيان لين لسانه وقال لخوان لى تشينغ : " لن أدخن إذن ، اذهبي أنت إلى حال سبيلك ، واتركينا نتحدث ثم اعتذر لتشن بوا قائلاً : " يحدث ذلك أثناء العمل فى الليل فقط ، لكنى فى أغلب الأمر لا أدخن " .

ثم نهض واقفاً ، تمطع ، وجلس يقشر برتقالة .

قالت تشن بوا : " يا لك من طويل القامة ! "

" نعم واستطرد تيان لين : أصبحت طويلاً ، عريضاً ، ولكن نحيفاً " ، يتكلم وهو لا ينظر إلى الآخرين ، وإحدى قدميه تهتز بعصبية .

ضحكت تشن بوا قائلة : " أنت حقيقى . . . . . " .

لم يتمكننا من الاستمرار فى حديث القلب إلى القلب . حيث ظهر شخص بدين فى حوالى الثلاثين من عمره ، وأعلن فى صوت جهورى عن بداية فقرات حفل الزفاف . أعطى تيان لين نصف البرتقالة التى قشرها إلى تشن بوا ، ثم استدار واعتدل وراح يرقب منظم الحفل .

أحست تشن بوا خلال الوقت القصير الذى اقتربت فيه من تيان لين أنه شاب ذو صفات متميزة ، كل تصرفاته تأتى ترجمة لأسلوبه وفكره المستقل ، أحيانا يتصرف على سجيته بلا قيود ، وأحيانا أخرى يكون جاداً صارماً ، يبدو فكهاً مہرجاً حيناً ، ورزينا هادئاً لدرجة البرود حيناً آخر . أفعاله وأحواله غالباً ما لا تتفق مع البيئة والظروف المحيطة به ، لم تتعرف تشن بوا ، على وجه التحديد ، على مواطن الجاذبية فى شخصية تيان لين ، لكنها فقط شعرت أنه شاب لطيف ، حسن الطوية ونقى السريرة .

وأخذ الضحك يغالبها كلما نظرت إلى هيئة تيان لين الوقورة وجلسته المعتدلة بدون حركة .

بدأت مراسم الزواج ، المدعوون كثيرون ، المحيطون منهم بالعريس والعروس يطمون أعناقهم لمشاهدتهما ، لذلك لم تتمكن تشن بوا من رؤية خوان لى تشينغ وعريستها . بعد ذلك أعلن منظم الحفل عن قيام العروسين وتبادل التحية بانحناء الظهر ، وعندئذ تمكنت تشن من مشاهدتهما ، وانتشرت فى أرجاء قاعة الزفاف موجات متفرقة من التصفيق والضحك المجلجل ، واصطدم العريس قومينغ بأحد الكراسى مما أثار جواً من الضحك والمرح بين الحضور ، وبعد انتهاء المراسم طلبوا من مدير المركز أن يلقي كلمة ، وأثارت كلماته الضحك بين المستمعين . لقد أصبحت حفلات الزفاف بعد التحرير أكثر بساطة ، فلم تعد تشهد وجود الفرق الموسيقية أو نثر الزهور أو إقامة المآدب ، ومن ثم فإن المدعوين يعوضون كل ذلك النقص بالضحك والبهجة .

هكذا أقيم الزفاف السعيد وسط بحر خضم من البهجة والفرح .

وجاء الدور بعد ذلك على العروسين ليقصا على المدعوين قصة حبهما .



قبلت خوان لى تشينغ الدعوة ونهضت دون تردد وقالت فى ذكاء ودهاء : " ربما تريدون إيقاع العروس فى شرك الخجل ، لكننى أكثر جرأة من الجميع ، فليفضل من لديه سؤال ، ويمكن أيضا إرسال الأسئلة مكتوبة . . . . . "

وهكذا اجتازت خوان لى تشينغ أكبر المواقف حرجاً فى حفل الزفاف ، بعد ذلك بدأ الحديث الحر . أخذ المدعوون واحداً بعد الآخر يعبرون عن أطيب أمنياتهم للعروسين . خشيت تشن بوا أن يغلق عنبر نوم الطالبات أبوابه ، فكتبت ورقة وأعطتها إلى خوان ، وتسلمت فى خفة مغادرة المكان قبل انتهاء الزفاف .

كانت الثلوج تسقط فى الخارج بغزارة والطريق مفروش بطبقة بيضاء ، وقد طردت برودة الثلوج المنعشة الإحساس بالإرهاق عن تشن بوا .

وقفت على جانب الطريق وترددت برهة من الوقت ، كأن هناك شيئاً لم تنته منه ، ثم استدارت وبدأت تمضى نحو محطة الترمواى .

" قزعة ! " لم تلتفت تشن بوا . نادى نفس الصوت مرة ثانية " قزعة ! " ، أدركت تشن أن هذا النداء لها ، التفتت فإذا بتيان لين يلاحقها فى سرعة .

" لماذا انصرفت دون وداع؟ "

ردت تشن بوا: " وأنت؟ "

" جئت أودعك " .

واستطرد تيان لين : " لا يصح منك ذلك ، فنحن لم نلتق منذ فترة طويلة ، وأنا دائم التفكير فىك ، وعندما التقينا اليوم بعد طول انتظار وبمحض الصدفة ، تنصرفين دون كلمة وداع . . . . . "

" متأسفة " .

أخذهما الحديث فتجاوزا محطة التراموى ، فكرت تشن فى أن تركب من المحطة التالية ، وواصل السير .

سألت تشن بوا دون أن تنظر إلى تيان لين : " لماذا تتزوج خوان لى تشينغ؟ "  
ضحك تيان قائلا : " هذا سؤال مضحك " .

نظرت تشن بوا إلى وجهه النحيل والخطوط المنتشرة فى صفحة جبهته عندما يتكلم والتي لا تتناسب مع عمره ، وقالت : " أمازلت تذكر ؟ ذات يوم من أيام عام ١٩٤٨ أو ربما من عام ١٩٤٧ تساقطت أيضا كريات الثلج ، ذهبنا نتجاذب أطراف الحديث مع خوان لى تشينغ ، ويومها أعطتنا "مذكرات وين بى دوا" ، فى ذلك الوقت كنت لم أسمع عن وين بى دوا بعد، كنت لا أزال صغيرة ، شرحت لنا خوان تشينغ كيف أنه لم يحلق ذقنه إلا بعد الانتصار فى حرب المقاومة ضد اليابان احتفاء بهذا النصر ، وكيف كان حبه للشباب واعتزازه بهم ، وأنه أقام النصب التذكارى لشهداء أول ديسمبر الأربعة ، وكيف قتله عملاء حزب الكومينتانغ . . .

لقد كان حديثها عميقا قاطعا مؤثرا . . . . . " واستطردت تشن بوا فى حماس " : إن خوان لى تشينغ فتاة رائعة . فى فترة ما قبل التحرير ، كانت كل كلمة تقولها تنطلق إلى أعماق قلبك . . . . . "

" هل تذكرين ؟ " قال تيان لين فى حماس هو الآخر : " أتذكرين كيف كانت توصينا وتوجهنا قبل انسحابها إلى المناطق المحررة؟ كانت آنذاك لاتزال طالبة بالثانوية! ، لكننا كنا ننصت لها ونهتم بكلامها أكثر من أساتذتنا وهم يشرحون لنا الدروس . . . . . "

" هل مازلت أنت الآخر تذكر ذلك جيدا؟ "

" طبعًا ، كل رفقاء ما قبل التحرير ، وكل عمل ومهمة ، وكل مكان من أماكن الاتصال واللقاءات ، مازلت أذكر كل ذلك جيدا . . . . . لقد كنا جميعا

صغار . . . . يسعدنى كثيرا أن أراك اليوم ، لأننا بالذات من بين رفاق النضال  
السرى ، وكأن شيئاً خاصاً كان يربط بين قلوبنا . . . . "

وصلا إلى محطة ترمواى أخرى ، نظرت بلمحة سريعة وقررت فى نفسها :  
" أركب من المحطة القادمة . "

وعادت تشن بوا تسأل : " لكن لماذا تتزوج خوان لى تشينغ ؟ "

هز تيان لين رأسه وهو غارق فى التفكير : " إن هذا أمر طبيعى " ألا تعرفين  
أن خوان لى تشينغ تملك قلبا شابا نابضاً بالحياة؟ ألم يكن من الأمر المستحسن أن  
تنمو وتنضج ؟ "

أحست تشن بوا بالسعادة ، وشعرت أنها تكاد تثنى على هذه الإجابة الذكية  
والكلام الجميل ، لكنها لم تفعل ، وقالت :

" انظر ، ثلوج كثيفة تراكمت على ملابسك . " ثم ساعدته فى نفض هذه  
الثلوج عن كتفيه وظهره .

بعد ذلك تحدث كل منهما عن حياته الخاصة . فى عام ١٩٤٩ ذهب تيان لين  
إلى مقاطعات جنوب الصين للعمل فى المناطق المحررة حديثاً ، عمل فترة من  
الوقت فى التوعية الثقافية داخل كوادر الجيش ، وانخرط بعد ذلك فى أعمال رابطة  
الشبيبة الشيوعية . وبعد انتهاء حركة المقاومة الثلاثية (مقاومة الفساد ، والإسراف ،  
والبيروقراطية ) ، انتقل للعمل فى تحرير الصفحة الأدبية فى " صحيفة الشباب  
اليومية " . . .

قالت تشن بوا يخالطها شعور بالسعادة : " أنت محرر صحفى ، عظيم . "

أشار تيان لين بيده : " أتعرفين كيف تأهلت للعمل كمحرر صحفى ؟ فقط هناك شرط واحد وهو أن أقرأ الروايات الأدبية دائما - مهما كنت مشغولا - حتى الساعة الثانية عشرة مساء . "

"تقرأ الروايات؟ إنك فعلا مجتهد ..... "

"مهما اجتهدنا لن نتمكن من اللحاق بكن ، فأنت على أعتاب التخرج من الثانوية وبعدها تلتحقين بالجامعة حيث الظروف المواتية للدراسة والاطلاع . . . . . "

تجاوزا محطات الترمواى واحدة تلو الأخرى ، واكتشفت بوا فجأة أنهما اقتريا من الناصية المؤدية إلى المدرسة الثانوية السابعة للبنات فصاحت فى ارتباك : "إننا على وشك الوصول إلى مدرستى ، توقف هنا . لكنك . . . . . "

" إن الإدارة التى نعمل بها هناك "وأشار تيان لين بيده : " قرية جدا من مدرستك . . . . . إذن ، على أن أغير مسارى من هنا . "مع السلامة " وتشابكت يدهما وتصافحا فى حرارة ، ونظر تيان لين إلى تشن بوا تحت الضوء الخافت المنعكس على صفحة الجليد فشهد الوجه المستدير والحاجبين الطويلين السوداويين ، والعينين الوديعتين الصافيتين والذقن الجميلة التى تنم عن الصحة والحيوية ، وعندها اكتشف سر القوة التى تكمن وراء هذه الملامح المألوفة المحبوبة .

قال تيان لين وهو يهم بالانصراف : "أحب أن أراك " أومأت تشن بوا بالموافقة، مشى تيان وظلت تشن جامدة فى مكانها تتبعه ببصرها وهو يمشى متمايلا فوق الجليد الذى يكسو الأرض ويخلف وراءه آثار أقدامه الواضحة ، وأسرع حتى اختفى فى الحارة دون أن يلتفت إلى الوراى .

ضحكت تشن بوا ضحكة نابغة من القلب .

ثم ضحكت طويلاً وهي لا تعرف علام تضحك . حسنا إنها أول ليلة تسقط فيها الثلوج ، الشوارع هادئة وخالية وليس هناك من يسمع ضحكاتي ، ولن تزعجني كريات الثلج الصغيرة المتساقطة . ولكن ألا تعرف هذه الثلوج بسر سعادتها؟ بلى ، إنها تعرف . وإذا لم تكن تعرف ، فلماذا إذن تتزاحم وتتراقص هكذا في الفضاء ؟ ولماذا تلف هذه الكريات الثلجية وتدور حول تشن بوا ؟ إنها تتساقط على شعرها ، على حاجبيها ، على أذنيها ثم سرعان ما تذوب . بل إنها تداعب قلب تشن بوا في خفة ودعة . وتوقفت تشن بوا بلا حراك ، أثارت هذه الثلوج عواطفها الفياضة الكامنة . فعندما تهطل الأمطار الغزيرة ، وتهب العواصف الرعدية يشعر الناس بويلات الطبيعة . لكن تشن بوا تنظر إلى باكورة الثلوج الناصعة الخالدة وهي تشعر بعظمة الطبيعة ، ومن مثلها في هذا الوقت وهي أسعد إنسان في الوجود؟

تشابكت يدا تشن بوا ، وأخذت تفكر ثم انطلقت وهي تغني هذا المقطع من أغنية كانت أمها تغنيها لها وهي في الرابعة من عمرها:

لا أريد سراجاً ، لا أريد شعلة ،

فقط أريد ندفة ثلج صغـــــيرة

تضيء لي الطريق ،

تهديني إلى بيتي . . . . . -

وقرعة الثلوج تحت قدميها تجاوبها وتردد معها .

. . . . .



(١٣)

بدأت حصة الرسم الهندسى ، أعاد الاستاذ كراسات الواجب إلى الطالبات ، اتجه نحو يانغ تشيانغ يون ، وقال لها : أنا متأسف ، لقد فقدت الرسم الذى سلمته لى هذه المرة ، لكن أذكر أنه كان على مستوى طيب ، وقد أعطيتك فيه خمسًا وتسعين درجة .

نهضت تشيانغ يون من مجلسها واحمرت وجنتاها وتلعثمت وقالت "أستاذ ....."

بدا أستاذ الرسم الهندسى وقد انزلت نظارته من فوق أنفه ، وهو ينظر إلى تشيانغ يون من فوق النظارة ويقول لها مرة ثانية : "أنا فى غاية الأسف ."

ردت تشيانغ يون : " لكنى فى الأصل لم أسلم الواجب هذه المرة ."

سمعت الزميلات هذا الكلام ، فرحن يتبادلن الضحك فى صوت هامس .

وشعر كل من الأستاذ والطالبة بالارتباك ، وانفجر الأستاذ غاضبًا من شدة الحرج ، وسأل تشيانغ يون فى لهجة لا تخلو من الاتهام : "أيه ؟ ألم تسلمى الواجب؟"

قالت تشيانغ : "جاء رسمى هذه المرة غير دقيق ."

"أو يستدعى ذلك ألا تسلمى الواجب؟ وأنت طالبة فى الصف الثالث ا "

ولم يكن شرح المدرس فى هذه الحصة هادئًا ومرتزنا كعادته ، وجلست تشيانغ يون على مقعدها يساورها القلق وعدم الراحة .

وعندما جاء مساء يوم السبت ، انتهت تشيانغ يون من تناول العشاء ، ثم حزمت أمرها وعادت تحاول من جديد تنفيذ الرسم الهندسى المشئوم . بينما هناك بعض زميلاتها يستعدون للذهاب للتزحلق على الجليد ، وتشوشيا ولينغ بجوارها تنصحها وهى تغير ملابسها :

" كيف لك ألا تذهبي معنا ؟ واليوم يوم افتتاح موسم التزحلق على الجليد . وكم مرة يمكن أن نتزحلق فيها معاً طوال العام ؟ إن عدد مرات التزحلق سوف تنقص بالنسبة لك إذا تخلفت هذه المرة . ولقد اتسعت مساحة أرض التزحلق هذا العام بمقدار النصف ، وتم بناء مقصفين جديدين وثلاث غرف لتغيير وحفظ الملابس . وسمعت أنه من المحتمل قدوم فريق من شمال الصين أو لاعبي الفريق القومى الصينى لتقديم عرض بمناسبة بداية موسم التزحلق على الجليد . "

ردت تشيانغ يون فى ضيق : " اذهبي وشأنك ، يجب على أن أنتهى من الرسم " .

" ترسمين ، تجلسين هنا ترسمين ولا تشاركين فى افتتاح ملعب التزحلق على الجليد ! لقد مضى وقت هذا الرسم ، وإذا رسمته وأعطيته للأستاذ لن يقبله منك . أتعتقدين أنك صديقة بمعنى الكلمة ؟ لقد وعدتني عندما كنا نسبح معاً فى الصيف بأنك سوف تذهبين معى فى الشتاء للتزحلق على الجليد . واليوم سيذهب جميع الزميلات ، لكنك تتخلفين وتخرجين عن روح الجماعة ! "

قالت تشيانغ يون وهى تنقر المنضدة بالقلم الرصاص : " اذهبي بدلاً منى " .

انتهت تشوشيا ولينغ من ارتداء الزى الرياضى ، لكنها لا تريد أن تغادر وحدها فتجر تشيانغ يون لتصحبها . وتشيانغ يون ساكنة لا تتحرك . أمسكت شيا ولينغ بحذاء التزحلق على الجليد وأخذت تلوح به أمام تشيانغ يون وأشعة الضوء تنعكس على سكين الحذاء وهى تضربهما ببعضهما فيصدر عنهما صوت رنين قالت تشوشيا



ولينغ : " أعتقدين أن ساحة الترحلق على الجليد يمكن أن تفتح إذا لم تذهبي معنا؟ لقد ذهبت كل زميلات، وكلهن الآن يترحلقن لكن لا توجد بطلة الترحلق على الجليد يانغ - تشيانغ - يون ! وضربت تشوشيا و لينغ على فخذيها فى أسف : " يا للروعة ، النسماة المنعشة تتراقص فوق سطح الجليد ، اللاعبون يتزاحمون ، أضواء المصابيح مشرقة ساطعة كالقمر فى ليلة الخامس عشر من الشهر القمري تتكسر فوق السطح الجليدى الفضى الأبيض . . . . . " . أغمضت شيا و لينغ جفنيها تريد أن ترتجل من الكلام العاطفى الموزون ما يشبه الشعر ، لكنها سرعان ما شعرت بالضيق لإدراكها فقر حصيلتها من مفردات اللغة ، وأخيرا أشارت نحو تشيانغ يون وهى تقول : " لن نستمتع بأى شىء إذا لم تذهبي معنا . " نهضت تشيانغ يون من مجلسها وقالت فى غضب : " أتمشين أم لا ؟ سوف أضربك إذا لم تكفى عن هذا الكلام الفارغ! "

حينئذ تنهدت شيا و لينغ فى غضب و حملت حذاء الترحلق على الجليد و ذهبت تبحث عن زميلاتها .

وخرجت تشوشيا و لينغ و تشيانغ يون قلقة لا تستقر فى مكان ، لقد تعلمت الترحلق على الجليد منذ الصغر ، وكان عشقها للترحلق يزداد يوما بعد يوم ، وبعد أن سمعت كلام تشوشيا و لينغ الذى يشبه حواديت خيالية ، تمت لو تطير إلى ساحة الترحلق على الجليد فى بحيرة " شيشا " لتمارس هوايتها التى تعشقها . أحضرت أوراق الرسم الهندسى ، لكنها رغم كل شىء لا تستطيع تذكر ما يجب أن ترسمه ، وأخيراً مطت شفيتها وقررت : " أن أذهب هذا المساء أولاً للترحلق على الجليد ثم أقوم بتنفيذ الرسم غدا وهذا ، أفضل كثيراً من ضياع ساعتين من وقتى هنا الآن فى عذاب نفسى وأخرجت حذاءها للترحلق وخرجت للحاق بتشوشيا و لينغ .

عشة تغيير أحذية الترحلق على الجليد مكتظة عن آخرها ، منهم من يحمل حذاءه ولا يجد لنفسه موضعاً يجلس فيه ، ومنهم من غير حذاءه ويسير فوق الألواح

الخشبية متمايلا مسرعا نحو حجرة حفظ الملابس . تتناثر فوق أرض العشة أوراق الحلوى وأربطة الأحذية المقطوعة والخرق البالية والأوراق القديمة المستخدمة في تنظيف ومسح سكين حذاء التزحلق على الجليد . تدور على ألسنتهم في سعادة وحماس بعض التساؤلات : " ما ثمن هذا الحذاء؟ " هل انتهيت من شحذ سكين الحذاء ؟ ، هل ساحة التزحلق في قصر ثقافة الشعب العامل تعادل هذه الساحة في روعتها أم لا؟ ، وهناك بعض من الشباب المخلص الصدوق الذين انحنوا يساعدون زميلاتهم في ربط الأحذية .

نظرت إلى كل هذه المشاهد المألوفة بالنسبة لها ، وتلك الصورة التي تمر بها كل عام وضربت تشيانغ يون بيدها على فخذاها وقالت : " نعم ، لقد أصبت " . وانطلقت في رشاقة وتزاحمت وجلست في أحد الأماكن ، خلعت الحذاء ولبست حذاء التزحلق ، وضعت ملابسها في مكان حفظ الملابس ، تسلمت قطعة معدنية برقم هذا المكان ، وضعتها في أحد جيوبها الصغيرة وربطت الحبل المعلق بها في أحد أزرار قميصها .

وأطلقت صفارة من فمها وانطلقت في حماس شديد وبثقة كبيرة نحو أرض ساحة التزحلق على الجليد .

أخذت تشيانغ يون تدور من أجل التسخين . الأضواء تتلألأ فوق صفحة الجليد الذي يبدو مشرقا كأننا في وضوح النهار . بينما الظلام الحالك يلف الأفق البعيد بعد أن غاب نور الهلال والنجوم المتناثرة .

الفتيات يرتدين معاطف صوفية حمراء ، وترفرف حول أعناقهن كوفيات مزركشة ، يتراقصن في خطوط ملتوية ويخلفن وراءهن آثار أحذيتهم متشابكة ومتقاطعة تختلف ما بين ضحل وعميق وقصير وطويل . هناك بعض المتسابقين من الشباب يضعون على رؤوسهم قبعات حمراء صغيرة ويرتدون فانلات مقلمة باللون

الرمادى ، ويحنون هاماتهم وينطلقون فوق سطح الجليد مثل عصافير السنونو ، يظهر بجوارها فجأة أطفال صغار يلبسون فى رؤوسهم طواقى صوفية مثبت فى أعلاها زر مكور ، وعندما تدور دورة أخرى تشاهد المتشدئين ينقلون أقدامهم فى خوف وحذر وقد وضعوا على أكتافهم معاطف القطن الثقيلة .

نظرت تشيانغ يون إلى الجليد تحت قدميها ، إنه يبدو اليوم غاية فى الروعة ليس رخواً ولا صلباً ولا توجد به أى تشققات ، رفعت قدمها اليمنى سكين الترحلق الموجود أسفل الحذاء يبدو لامعاً تحت أضواء المصابيح ، نقرت به على الساحة الجليدية فسمعت صوت "تشاتشا" وجرفت منها قطع الثلج ، أحنى وسطها ومدت يديها لتلامس سطح الجليد ، فلم تشعر بشيء من البرد لأن القفاز يحميها ، اعتدلت ولامست خدها بالقفاز ، وسقطت بعض الكريات الثلجية الصغيرة على جيدها فشعرت بالبهجة والانتعاش حتى إنها ودت لو لم يوجد أحد من الناس لتحنى وتقبل أرض هذه الساحة الجليدية المحيية إلى نفسها القريبة من قلبها .  
فيالروعة الساحة ، وبالجمال الشتاء ، وبالبهجة الحياة ! .

تنهدت تشيانغ يون وقالت وهى تبسم : " لو لم يكن هناك رسم هندسى لكان الوقت أكثر روعة وبهجة .

شدت تشيانغ يون حزام الوسط ، ووضعت يدها فى جيب البنطلون وقالت فى نفسها : " انظري ، إننى أتقن كل فنون الترحلق ! ، ثم انطلقت تجرى وتدور فوق أرض الساحة فى سرعة مجنونة .

دارت عدة لفات حتى أصيبت بشد عضلى فاستندت إلى الدرايزين المحيط بالساحة حتى وصلت إلى عشة تغيير الأحذية . شعرت بالظماً الشديد ، تراحمت حتى وصلت إلى الكافتيريا المعلق على واجهتها أوراق الزينة الحمراء والزرقاء أشارت

إلى مشروب فواكه أحمر اللون ثقيل القوام تطفو على سطح الكأس فقاقيع ، ونادت على البائع وقالت : " من فضلك " أعطني كأسا ، "

في ذلك الوقت شعرت بيد عريضة تنبسط على كتفها ، وسمعت صوتًا هامسًا لأحد الشباب : " تعزميني " .

التفت تشيانغ يون : " معقول أنت ، تشيانغ شى تشون الذى لم أره من زمن طويل ! "

كان يرتدى معطفًا أسود ويبدو أنه ازداد طولاً وعرضاً ، نزع القفاز عن يده ، وصافح تشيانغ يون .

رفعت حاجبيها وسألت فى دهشة : " متى جئت إلى هنا ؟ " .

" منذ وقت غير قصير ، وأنت ؟ " .

" منذ لحظات ، حقيقة أنها مفاجأة غير متوقعة ، فلم أكن أعتقد أنني سوف أراك مرة ثانية " .

طلباً كأسين من مشروب الفواكه الأحمر ، ودفعت الحساب ، رفع كل منهما كأسه إلى فمه وأنزله فارغاً فى نفس واحد . زاد هذا المشروب المثلج ذو الطعم السكرى اللاذع من حماسهما وبعث فيهما روحاً جديدة مفعمة بالحياة ، أمسكت تشيانغ يون بالكأس الفارغة فى يدها اليسرى وراحت تنقر عليها بإصبعيها الوسطى والسبابة من يدها اليمنى .

وسألت تشانغ شى تشون ، " أتشرب كأساً أخرى ؟ " ، هز رأسه بالنفى .

بحثاً عن مقعد وجلسا ، تأخر الوقت ، لم يعد هناك سوى نفر قليل يغيرون أحذيتهم ، وتنبعث فى آفاق الساحة موسيقى مقطوعة " الدانوب الأزرق " ، التى تأخذ بالألباب للموسيقى النمساوى العظيم شتراوس .

قالت تشيانغ يون : " لقد كنا معاً آخر مرة في الصيف ، والآن نحن في بداية فصل الشتاء .

قال تشانغ شى تشون : " لقد فكرت أكثر من مرة في الذهاب إليك ، لكنى لم أجرؤ على ذلك . وفكرت أن أكتب لك خطاباً ، لكن لم أتشجع على ذلك أيضاً . "

ابتسمت تشيانغ يون ابتسامة خفيفة وقالت : " هل أنا مخيفة إلى هذا الحد ؟ " .  
" وسألته : " أين أنت الآن ؟ " .

" فى معهد الجيولوجيا ، إنه معهد ممتاز ، سوف نتقل فى الربيع إلى مبنى جديد خارج المدينة ، لقد قررت أن أكون من ملاك الأراضى ، وأن أعيش فى الصحراء . . . ، . . . "

سمعت تشيانغ يون حديثه عن معهده ، وأومات ثم سألته : " هل تحب التزحلق على الجليد ؟ " .  
نعم ، وأنت ؟ " .

" أحبه جداً ، إننى أشعر أن التزحلق على الجليد يجمع بين الرياضة وفن الرقص " .

" هذا صحيح ! إن السعادة بالتزحلق على الجليد تشكل وحدة متكاملة . . . " .

ردت تشيانغ يون ضاحكة من كلامه : " وحدة متكاملة ؟ أتريد أن تنشر بحثاً ؟ " .

واصل تشانغ شى تشون حديثه فى دقة وإتقان : " مثلا ، عندما تأتى إلى هنا تذهيبين أولاً لشحذ سكين حذاء التزحلق على الجليد ، ومن أجل ذلك تقفين فى طابور طويل فى قلق ولهفة للحصول على المارك ، وبعد طول انتظار يأخذ العامل الحذاء ، ويمرر سكين التزحلق على المشحذ الكهربائى فيتطاير الشرر هنا وهناك وحيثئذ تشعرين بسعادة كبيرة ! وبعد ذلك تخلعين حذاءك ثم تبحثين عن مكان بين الزحام لتجلسى فيه وتلبسى حذاء التزحلق وتصبحين جاهزة وعلى أهبة الاستعداد للانطلاق إلى ساحة التزحلق ، وعندئذ تشعرين بنوع آخر من السعادة ! وعندما تذهيبين مثلاً إلى الكافيتريا لشراء بعض المأكولات ، أو تسمعين موسيقى الفالس الراقصة التى تبثها إذاعة الساحة بالإضافة إلى لقاء الرفاق والأصدقاء فى أرض الساحة ، ومقابلة صديق تتوقين إلى رؤيته من زمن طويل ، هذا أيضاً من المبهج التى يحققها التزحلق ، وكل هذه الألوان السابقة من السعادة بالإضافة إلى سعادة التزحلق فى حد ذاتها تتحد وتتجمع وتكون الوحدة المتكاملة لبهجة وسعادة التزحلق على الجليد .

أنك تحلل وتفند التزحلق على الجليد كأنك تحلل الطبقات الجيولوجية " .

ضحك تشانغ شى تشون فى براءة ودعة . وشعر بشيء من التوقد والحماس لأنه وجد الفرصة المناسبة والشخص المناسب الذى يفضفض أمامه عن مشاعره ، وأفكاره الخاصة .

صمت تشانغ برهة من الوقت ثم قال : " احكى لى قصة " .

رقت تشيانغ يون يبصرها فى تعجب وقالت فى دهشة : " احكى لك قصة ؟ أنت لست طفلاً فى الثالثة ، بل إننى أراك لا تتوافر لديك الرغبة الصادقة فى الاستماع " .

أخذ تشانغ يلح عليها إلحاحاً شديداً ، وكأنه طفل يتوسل إلى جدته كى تحكى له حدوتة .

ثم بدأت تشيانغ يون تحكى .

"بمناسبة أننا فى فصل الشتاء سوف أحكى لك قصة عن سقوط الثلوج " .

" كان ياما كان ، كانت هناك سيدة عجوز تعيش وحدها حياة منعزلة بائسة ، تعمل بجد وإخلاص ، قلبها يفيض بالطيبة والبساطة ، لم يكن معها إنسان آخر فى المنزل ، فكانت تجتر آلام الوحدة ، وفى أحد فصول الشتاء أخذت تجمع الثلوج وتكومها حتى صنعت من الثلج فتاة فائقة الحسن والجمال ، وأخذت طوال اليوم تناجى هذه الفتاة الثلجية : " سوف أجعل منها ابنة لى فإن الوحدة تكاد تخنقنى . وفجأة دبت الحياة فى الفتاة الثلجية - إننى أحكى بإيجاز - أصبحت فتاة ترتدى ثيابا بيضاء ، عندما تغنى ينصت إليها كل شىء حتى ذئاب الجبال تتوقف عن العواء ، عندما ترقص تبدو كأنها زهرة ندية بيضاء . كانت تساعد العجوز فى حمل الماء وغسل الملابس وطهو الطعام وأعمال التطريز ، وتظل على هذا الحال طول النهار بلا كلل ولا ملل . وتغير شكل حياة العجوز المسكينة بعد وجود هذه الفتاة ، لكن الجو بدأ يسرى فيه الدفء شيئاً فشيئاً ، وخيم الحزن والوجوم على الفتاة الثلجية ، وأصبحت عينها كثيراً ما تذر فان الدموع ، وسألته العجوز عما يكدر صفوها ، لكنها لم تتكلم ، كانت هناك عادة معروفة فى قرية العجوز وهى الاحتفال بدفء الجو ومقدم الربيع ، حيث يشعلون النار عند سفح الجبل ، ويلتف الشباب حولها فى دائرة وتتشابك أيديهم ويرقصون ويغنون ثم يقفز كل منهم على حدة من فوق النار ، وبذلك يكون قد ودع الشتاء .

وأثناء حفل استقبال الربيع ، جاء الدور فى النهاية على الفتاة الثلجية لتودع الشتاء ، فغنت أغنية حزينة ترقرت لها دموع كل الحاضرين ثم قفزت من فوق النار وذابت واختفت من الوجود .

"بكت العجوز بكاء مرّاً على الفتاة التى فقدت حياتها بصورة مفاجئة بسبب الدفء والحرارة ، فحياتها ستصبح أكثر قسوة ووحشة من ذى قبل ، ولم يعد

لحياتها قيمة ، فاتجهت نحو أحد جيوب الجبل سعياً إلى الموت ، وعندما وصلت إلى الجبل سمعت هذه الأغنية :

لا تحزنى يا أمى الحبيبة ،

فقد مضت أيام سقوط الثلوج .

نزلت إلى الأرض الفسيحة وتركتها إلى الأفق البعيد ،

لتذيب أشعة الشمس الذهبية أنهار الجليد .

بعد اثني عشر شهرا ، بعد أربعة فصول ،

سوف أعود إلى الأرض من جديد . . . .

غرق تشانغ شى تشون فى تفكير عميق ، توقفت الموسيقى وتهادى صوت المذيعة الداخلية يعلن : " . . . . . سوف تغلق الساحة أبوابها اليوم فى التاسعة والنصف ، ومازالت هناك خمس عشرة دقيقة من الآن . . . . . وبدأت الجموع تتدافع نحو عشة تغير الأحذية فى موجات متتالية . . .

قفزت فكرة فى نفس تشيانغ يون ، فدفعت تشانغ شى تشون ، ونهضت فجأة من مجلسها واتجهت نحو ساحة التزحلق ، رفعت يدها وصاحت فى غير تردد: " تشانغ ، اتبعنى بسرعة "

نهض تشانغ وتبعها قبل أن يفهم حقيقة الأمر ، ومد يده يريد أن يمسك بيدها ، وفى لمح البصر كانت تشيانغ يون فوق صفحة الجليد .

أخذت تقفز نحو الأمام فى وثبات واسعة متلاحقة ، لم تفتر لها عزيمة ولم تهن لها قوة وهى فوق سطح الجليد ، تنحنى بوسطها وتثنى ساقها فتندفع إلى الأمام .



تمايلت تشيانغ يون بجسمها وهي تطلق ضحكة عالية ، والتفتت فإذا بجماعة من الأطفال يمسك بعضهم بأيدي بعض فسدوا طريق تشانغ شى تشون فعاقوه عن التقدم ، فحاول اللحاق بها لكنه لم يستطع . لوحت له تشيانغ يون بيدها فى تحدٍ بين وقالت فى أسلوب استفزازى :

" هيا ، هيا بنا نتسابق . تشيانغ يون تطير فوق صفحة الجليد ، وقد فكت أزرار الملابس الخارجى فظهر من داخله الفانلة الصوف وحركت يديها بقوة تعبيراً عن التحدى والكبرياء .

كلما زادت سرعتها شعرت أنها خفيفة ، وازدادت قوة الرياح المعاكسة لها ، الهواء يداعب شعرها ، يطير ملابسها ، يحرك شال رأسها . لكن ما إن تحنى رأسها حتى ترى الجليد الأبيض الناصع فتراجع قدماها ثم ترفع رأسها من جديد . وتشعر بالأضواء المرتعدة تخيم عليها وتقترب منها وتنعكس عليها لترسم ظلالات على الأرض ، قدماها تتبادلان أوضاعهما على التوالى ، وهى تشعر فى نفسها بالرغبة فى الغناء مع هذه الإيقاعات المنسجمة .

هناك شاب وفتاة يرقصان رقصة السامبا فى رشاقة وانسيابية فوق أرض ساحة الجليد ، وتظهر أيضا ثلاث فتيات صغيرات يتراقصن ويلعبن وقد تشابكت أيديهن ، وهناك شاب يافع يرقص ويدور فوق الجليد بسرعة فائقة كالنحلة ( لعبة خشبية ) . هذه المشاهد تبدو غير واضحة الرؤية لتشيانغ يون ، لكنها فقط تبدو وكأنها ترى شخوصاً فوق صفحة الجليد ، بعضهم منتصب القامة ، وبعضهم يتمايل ويتراقص ، والبعض الآخر ينحن ويبدو وهو يتزحلق وكأن جزعه يتحرك فى خط متوازٍ مع الأرض . كلهم لا يختلفون عنها فى الجمال وقوة البنيان . آثار التزحلق والخطوط الكثيرة المتنوعة المختلفة فوق صفحة الجليد تداعب خواطر تشيانغ يون ، " هذه هى الحياة التى أحبها " . " أليست هذه هى الحياة التى تحبها ؟ " . وانطلقت

تشيانغ يون وسبقت الجميع ، بينما كل ما يحيط بها من مظاهر ثراء الطبيعة وجمالها المدهش يجذبها ويثيرها ويملؤها بهجة وسعادة .

إنها عادة ما يكون تأثرها بما حولها كبيراً وعميقاً ومثيراً للمشاعر .

فقد أخذت المظاهر والمناظر الغنية التي تلوح لها الليلة وهي تطير فوق صفحة الجليد ، ونسمات المساء الساحرة الرقراقة التي تداعبها ، مشاعر الصحبة والصدافة التي انبعثت من حيث لا تدري ، تهز أوتار قلبها وتداعبها مثلما يداعب موج البحر أحجار الشاطئ ، لكن تشيانغ يون لا تدري كنه هذه الأشياء وجوهرها ، فكلها أمور يصعب الحديث عنها ويصعب وصفها . وبينما كانت تشيانغ يون تحاول استجلاء أسرار غموض هذه الأشياء المثيرة ، تكشفت وانقشعت كلها في خفة ونعومة مثلما ينقشع الضباب .

ثم شعرت أن جسمها الضئيل غير قادر على احتواء قلبها المضطرب القلق الذي تستعر به نيران الحماس المتوقدة

وشعرت بالإثارة والحماس اللذين لا يكفيان لتلبية رغباتها ، ولكن هذه الدرجة غير العادية من سرعة الترحلق جعلتها تشعر للحظات بالطمأنينة وهدوء البال .

سمعت صوتاً عالياً ينادى " يانغ تشيانغ يون ، يانغ تشيانغ يون ،

إنه صوت تشوشيا ولينغ ، ألم تحضر تشيانغ يون سعياً وراء شيا ولينغ ؟ كيف نسيت ذلك ؟ قفى بسرعة . وعندما أرادت تشيانغ يون أن تتوقف اعترض طريقها فتى صغير ، ترددت لحظة وقبل أن يصطدمان غيرت اتجاهها فجأة وهي تندفع إلى الأمام ، واختل توازنها، وسقطت على أرض ساحة الترحلق .

وقد زحفت على الأرض مسافة ليست بالقصيرة بعد وقوعها متأثرة بقوة اندفاعها إلى الأمام ، نهضت من وقعها وقد علق الكريات الثلجية بملابسها

وجسمها وكأنها قد سقطت عليها لتوها موجة من الثلوج . خلعت القفاز من يدها وأخذت تتراقص في حركات ارتجالية لتنفض عن نفسها هذه الكريات الثلجية ، وخطر ببالها " لم يذكر تشانغ شى تشون أحد ألوان المتعة ، فيجب على الوحدة المتكاملة من متعة وسعادة التزحلق على الجليد أن تشتمل على الوقوع فوق أرض الساحة على الأقل مرة واحدة .

ضحكت تشيانغ يون في سعادة ونظرت حولها فإذا بتشوشيا ولينغ تقبل نحوها في ود للاطمئنان عليها ، أما تشانغ شى تشون فقد اختفى ولم يظهر له أثر .



يبدأ العام الجديد بعد أسبوع ، كل من بالمدرسة من المدرسين والطلاب والموظفين والعمال مشغول بالإعداد للاحتفال بهذه المناسبة . كل يوم بعد الساعة الرابعة بعد الظهر تجدهم فى كل مكان يستعدون لهذه الأعياد ، منهم من يتدرب على رقصة الأشرطة الحزيرية الحمراء ، ومن يستعد لتقديم أوبرا غنائية قصيرة ، بل وهناك بعض الأستاذة يستعدون لتقديم أوبرا بكين فتسمع أصوات " لونجا لونج ، لونجا لونجا . . . . . " ، أصوات الآلات الموسيقية الوترية وغير الوترية ، أصوات المقطوعة الموسيقية الأوبرالية " أيتها السماء جودى بريح شرقية . . . . . " ، تنبعث فى كل ركن من أركان المدرسة .

أقام اتحاد الطلاب معرضاً تحت اسم " كل شىء من أجل الوطن العظيم " ، يحتوى على ثلاثة أقسام رئيسة ، قسم يسمى " بشائر مشروعات البناء فى الوطن الكبير " يدور حول مراحل بناء شركة الحديد والصلب فى مدينة آنشان ، القسم الآخر بعنوان " دعم وتأييد أبطال الشعب " ويتحدث عن الانتصار المظفر والمآثر البطولية على الجبهة الكورية فى حربها ضد أمريكا ، والقسم الثالث والأخير " غزو قلاع العلم " ومضمونه فى الأغلب يحتوى على النتائج الدراسية المتميزة لطالبات المدرسة ، والمقالات والإنتاج الفنى خارج نطاق الدراسة . . . . . يانغ تشيانغ يون هى المسئولة عن تنظيم وترتيب القسم الأول ، وهى سعيدة بالطبع بتحمل هذه المسئولية ، وجميع زميلاتها فى الفصل يساعدها باستثناء لى تشون ، ذهبت بنفسها تبحث عن لى تشون لمساعدتها ، لكنها رفضت لأنها كانت لا تزال مشغولة بكتابة مسرحية تنبئ عن موهبة تثير الدهشة والإعجاب ، ويبحث الطالبات فى كل الصحف والمجلات عن الأخبار والتحليلات والصور التى تتعلق بمراحل بناء مصنع الحديد والصلب فى مدينة آنشان ، وأرسلن خطاباً الى العاملين فى المصنع ، وقامت فتيات الطلائع اللاتى تشرف عليهن يوان شن تشى بإرسال بعض الزهور التى جمعنها فى دقة واهتمام إلى العمال يلححن عليهم فى الرد بخطاب تفصيلى عن

أحوال المصنع ، وبدأت ردود العمال تتوالى بسرعة ، بل إنهم قاموا بإرسال نموذج لأحد الأنايب المعدنية تعبيراً عن تهنتهم للطالبات بقرب حلول العام الجديد ، وهز هذا الخبر كل أرجاء المدرسة وراح الجميع يتحدث عن هذا الحدث السعيد .

لم يكن مجتمع المدرسة يتحدث عن الهدية فقط ، بل أيضاً عن مصنع الحديد والصلب فى مدينة أنشان . كل يوم ، وفى الصباح الباكر ، وبعد أن ينطلق صوت المذيعة الحماسى المثير من إذاعة الشعب من بكين تشرح للطلاب مراحل بناء مصنع الحديد والصلب فى أنشان ، ينهض الكل من مجلسه بصورة تلقائية ويهتفن ويصفقن بحماس منقطع النظير . وبعد ذلك تدور المناقشات حول هذا الموضوع فى حجرات الدرس وفى ممرات المدرسة وحتى فى المطعم :

" هل تذكرين ؟ أتذكرين كم طناً من الورق استخدم فى رسم التصميمات الفنية والهندسية لهذا المصنع ؟ " .

" نعم ، لقد استهلكت تصميمات حفار القلاووظ فقط عدة أطنان . "

" صه ! ليس اسمها تصميمات حفار القلاووظ ، ولكن التصميمات الخاصة بحفر الأساس ! . "

" تعالى نتأكد ، أليس هذا هو المشروع الهندسى رقم ١٩٢ . أليس هذا هو الموقع رقم ١١ الذى بلغت كميات الحفر فيه سبعة آلاف وبضع مئات من الأمتار المكعبة ؟ ألم يتطلب ذلك أكثر من مائتى طن من المعدات وقطع الغيار ؟ . "

( الطالبة التى قالت هذه الفقرة من الطالبات ذوات المستوى الضعيف فى مادة الرياضيات لكنها أعملت كل ذهنها من أجل حفظ هذه المجموعة من الأرقام ) .

" انظري . ( وأشرن إلى اللوحة ) عاملتا اللحام الكهربائى هاتان كانتا قبل ستة أشهر فقط تقومان بتربية الخنازير فى الريف ، أما الآن ستة . . . . .

حل شتاء عام ١٩٥٢ ، ومن ذا الذى لا يرنو ببصره نحو مدينة آنشان ، نحو أول قلعة صناعية عصرية تبدد وحشة البيداء تقيمها بلادنا بقطرات العرق والدموع ! إن مثل وطننا العظيم كمثل عملاق عظيم : يد تخترق اللهب والدخان لتحمى جبل شانجيان فى كوريا ، ويد ترتفع وسط أصوات العويل تغسل مخلفات وسموم العصر القديم

" المقاومات الثلاث " ، (١) " المقاومات الخمس " (٢) ، وهناك السواعد القوية التى تصنع أسس الاشتراكية القائمة على تحقيق السعادة والرخاء .

وكان الجميع يعلمون أن البناء قادم على الطريق ، لكن لا يتوقعون أن يكون بهذه السرعة ! وعلى هذا النطاق الواسع . وبمثل هذه المعدات الفنية الجديدة ! هذه الأيام ، من ذا الذى يستطيع أن يذكرها دون أن يترقرق الدمع فى عينيه وتهتز نفسه من فرط التأثر ، سواء أكان من أصل الجيش الأحمر القديم الذى ذاق الأمرين وبذل الدم والدموع من أجل الصين الجديدة ، أم كان من أجيال المستقبل التى تتطلع إلى المجد ؟ .

فى هذه الأيام تفرز لى تشون عصارة مخها من أجل كتابة مسرحية من فصل واحد ، ولم تكن فترة مرضها الأخير سوى محاولة من جانبها للكتابة واختبار مقدرتها فى هذا المجال ، وأيضا كى تشتاق إليها زميلاتها ؛ ولكن ما إن تولدت الفكرة حتى تقافزت إلى رأسها أشياء كثيرة . " آه لو استطعت أن أكتب هذه المسرحية . . . . . كانت هذه الفكرة تسيطر على عقلها دائما ، أثارت فى نفسها كوامن السعادة والشعور بالتوقد والحماس ، وشعرت أنها قد حددت لها هدفاً عملياً وهو كتابة مسرحية " تنبئ عن موهبة تثير الدهشة والإعجاب " وأصبحت هذه

(١) مقاومة الفساد والإسراف والبيروقراطية .

(٢) مقاومة الرشوة ، التهرب الضريبى ، السطو على المال العام ، التحاليل على التعاقدات الحكومية ، سرقة التقارير الاقتصادية .

الفكرة تلح عليها وتطاردها كالشبح : تفكر فيها وهي تأكل وهي تقرأ ، وفي أحلامها حتى إنها تشعر بالرهبة والخوف يداخلانها عندما تبتسم ، وعندما كانت تلتقى بيانغ تشيانغ يون ، كانت تخاطبها في نفسها : " انتظرن وسوف ترين وعندما تمر بمسرح بكين تقول : " يا سلام لو تم تقديم مسرحيتي على هذا المسرح ... .. " نشرت صحيفة تياجين اليومية قصة كتبها طالب بالمرحلة الثانوية وأنا أيضا طالبة في نفس المرحلة ، هل أنا ... .. أقل منه كفاءة ؟ " تغبطه حيناً وتحسده حيناً آخر ، شعرت طيلة هذه الليلة بالسهد والأرق .

بدأت الفكرة كأنها واضحة في ذهنها ، تريد أن تكتب عن طالب ذكي ، صريح ، دغرى وذى عقل راجح ، وكيف أنه يتعرض لسوء فهم من جانب زملائه ، وكيف يتعرض لهجومهم عليه ، وفكرت أيضا في الكلمات التي ستختم بها المسرحية ، وهي على النحو التالي :

يخاطب سكرتير اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة ( هذا الطالب قائلا ) : « لن نبالى بك مرة أخرى ، أنت إنسان متخلف ، وأفكارك لا تتماشى مع المبادئ والأيدلوجيات الماركسية اللينينية .. .. ( انصرف ) .

يرد الطالب الذى تعرض للهجوم : سوف أجعلكم تضحكون من أنفسكم ، وتبكون على أنفسكم ، وأنا هو أنا ! إن الوقت يمضى مثلما ينساب سلسيل الماء ، عجلات الزمن تدور دون توقف ولكن قلبى ، قلبى ! " .

هذه هي كلمات فقرة الختام التي كثيرا ما ترن في أذنى لى تشون .

إنها نفسها لا تفهم مغزى هذه الكلمات ، لكنها تشعر أنها عكست نوعاً من المشاعر وأن هذه الكلمات تبدو كأن بها شيئاً من " العمق " .

وعندما بدأت لى تشون تسكب هذه المشاعر على الورق ، اكتشفت عدم قدرتها على كتابة أى شيء ، لم تذهب في عطلة نهاية الأسبوع لمشاهدة الأفلام ، ولم



تخرج إلى الشارع ، بل ذهبت بمفردها إلى مكتبة بكين وهى تصارع الشعور بالألم والمرارة ، عثرت هناك على بعض الأعمال المسرحية ، وأخذت تطالع حتى اكتسبت بعض المهارات ، وكتبت بضعة سطور ، فشعرت بسعادة غامرة .

احتفظت بما كتبه سرّاً ، ووضعت المسودات التى كتبتها بين فكى مشبك وأخفتها داخل دوسيه ووضعتة فى حقيبة كتبها .

كانت تشعر وهى تحمل حقيبتها أن هذه الحقيبة كأن بها كنزا ثميناً فريداً من نوعه ، وأنها أصبحت خفيفة ناعمة تحوى حصاد صاحبته .

بدأ الجميع يلاحظ التغير الذى طرأ على لى تشون ، بعد فترة مرضها أصبحت على غير عاداتها صامتة ، لاتدخل فى مناقشات مع الآخرين ، لكن كثيراً ما ترسل عيناها نظرات تعبر عن التيه وإكبار الذات والاستخفاف بالآخرين ، كانت تخرج فى يوم العطلة من نهاية كل أسبوع ، تسألها زميلاتهن أين تذهب وماذا تفعل ؟ تتمتم ولا ترد . أحيانا تنكب على المنضدة وتكتب بعض الأشياء ، وعندما تمر واحدة بجوارها تسارع إلى إخفاء الورق داخل الدوسيه ، تساءل الجميع فى حيرة ودهشة ، ما هذا الذى يحدث ؟ حاولت تشن بوا الاقتراب منها والحديث معها ، لكنها لم تبج لها بشيء .

كان آخر أيام عام ١٩٥٢ . كل الفصول تلمع من شدة النظافة .

ارتدت الطالبات حللهن الجديدة بياقاتها الناصعة المزهرة ، ورحن يلتقن بوجوه مستبشرة ، ويتبادلن الأحضان الدافئة بحرارة متدفقة على غير العادة .

المدرسون يشرحون دروسهم بوجوه متهللة مشرقة .

كانت الحصّة الأخيرة للأستاذة تشونغ مدرسة الكيمياء ، إنها مدرسة صارمة تزيد على الأربعين بقليل ، غير متزوجة ، لكنها اليوم تلبس حذاء جلدياً فاخراً ذا كعب عال ، تتكلم بلطف حتى إنها أبدت شيئاً من التحرر والانطلاق فى تعاملها

مع الطالبات . علامات القلق وعدم الاستقرار بادية عليهن أثناء الحصة لكنها تتسامح معهن أيضا .

انتهت من شرح الدرس ، بقيت عشر دقائق على انتهاء الحصة ، طوت الكتاب وأخذت تحدثهن عن مشاعرهما ، وانطباعاتها حول العام الجديد :

" غداً يبدأ عام جديد ، ويبدأ معه تنفيذ الخطة الخمسية ، حقيقة !

إننى دارسة للهندسة الكيميائية ، لكن لم تكن هناك فرصة لإقامة صناعات فى المجتمع القديم . ولقد استقبلت من قبل كثيرا من الأعوام الجديدة ، ولم ألمح فى أى منها بارقة أمل فى تحقيق الرخاء والازدهار ، لكن مع بداية عام ١٩٥٣ ، حقيقة! أتمنى لَكُنَّ عامًا جديدًا سعيدًا !

احمرَّت عيناها وهى تواصل الحديث عن آمالها فى جيل الشباب.

" . . . . كيف لا تستطعن إتقان دراسة مادة الكيمياء ؟ اسمعن قول العالم رومرسوف :<sup>(١)</sup> « لقد دخلت الكيمياء إلى كل مجالات حياتنا . . . . ، إنكن لم تخضن العذاب ، لذا لا تعرفن مدى الظروف الدراسية المواتية والسعيدة التى تمررن بها فى هذه الأيام ، إن أيام الشباب هى أئمن أيام حياتكن ، بل وأقصرها أيضًا ، سرعان ما تمضى إذا أضعتموها فى شىء من عدم الأكتراث واللامبالاة . ومن ثم عليكم استغلال كل دقيقة، وكل ثانية فى الدراسة وفى العمل ! .

دق الجرس ، انتهت آخر حصص عام ١٩٥٢ . حيت الطالبات مدرستهن بأنحناء كبيرة وتدافعن فى مرح وسعادة نحو الفناء . . . .

يوان شن تشى هى " المسئولة عن خطة تزيين وتجميل الفصل ، الطالبات المرافقات لها يحملن " فروخ الورق الحمراء والزرقاء ويحملن سلة من البامبو بها دبايس وخيط ومواد لاصقة ومقص ، ويسرن فى ركبها .

(١) أحد كبار علماء الكيمياء الروس ، وكان أيضًا شاعرًا وأديبًا معروفًا .

تشعر يوان شن تشى بالإعجاب تجاه تصميماتها لهذا العمل وفهمها المسبق له ، وأخذت تشرح لزميلاتها المراحل والتخطيط الذى وضعتة لتنفيذ هذا العمل :

« لقد كانت طريقتنا فى تجميل وتزيين الفصل فى الماضى طريقة تقليدية ورتيبة، حيث نقصُ الورق الملون إلى قصاصات طويلة رفيعة ونعلقها فى أشكال متقاطعة ونعلق عند نقطة التقاطع فانوساً كهربياً كبيراً على شكل سمكة ذهبية ذات عينين مستديرتين كعينى التنين . وهذ صورة تقليدية قديمة . . . . »

سألت سونينغ التى تشارك فى أعمال تجميل وتزيين الفصل : " وكيف تكون الصورة جديدة معبرة عن الإبداع ؟ " .

أشارت يوان شن تشى إلى أعلى وأجابت : " سوف نبقى على نظام تعليق أشرطة الورق الملون الطويلة الرفيعة فى أعلى الفصل ، بحيث تكون متقاطعة تقاطعا أفقيا ، ثم نقصُ أشرطة قصيرة من الورق ذات اللون الأخضر الفاتح ونلصقها فى الأشرطة الأفقية الطويلة بحيث تكون مدلاة بشكل رأسى وتتمايل مثل أغصان الصفصاف . ونقص أخرى صفراء على شكل عصفور السنونو الصغير ، ونلصقها جميعا فى أغصان الصفصاف " .

سألت إحدى الزميلات : " وما علاقة ذلك بالعام الجديد ؟ " .

ردت يوان شن تشى فى زهو وكبرياء : " إننا مع قدوم العام الجديد نبادر باستقبال الربيع فى فصولنا " .

وبدأ العمل .

علاوة على أعمال تزيين الفصل ، رسمت الطالبات بالطباشير الملون على السبورة المعلقة فى واجهة الفصل صورة لطفل صغير يضع على رأسه قبعة حمراء كبيرة وأخرى لطفلة ذات ضفيرة قصيرة ، الطفل يحمل حقيبة كتبه فى إحدى يديه ،

والطفلة تمسك بإحدى يديها لعبة من ريشة طويلة تصل الى منتصف صاحبيتها ، وقد تشابكت يدهما وانطلقا نحو الأمام

وفى الطرف الآخر من السبورة يوجد الهدف الذى يسعىان إليه ، رسمن قرص الشمس الحمراء التى أشرقت بنصف وجهها . وفى الوسط كتبن بخط فنى جميل ١٩٥٢ - ١٩٥٣ . أما خلفية الفصل فقد بدت أكثر جمالا ، حيث كانت عبارة عن ستارة جميلة من القماش ذات اللون الأزرق السماوى شديد الصفاء ، تلصق على طرفها الأيمن القريب من الأرض قصاصات من الورق مرسومة على شكل أوراق وأعصان الصنوبر الخضراء المتغضنة ، وتتناثر على صفحة الستارة الأوراق البيضاء المقصوصة على شكل قطع وكريات ثلجية ، تتخللها هذه الكلمات " عام جديد سعيد ، وعمر ربيعى مديد . استطاعت سواعد البنات القوية ومعنوياتهن المرتفعة أن تحول الفصل الكئيب إلى مكان ينبض بالحياة وكأنه الجنة .

وفى المكتبة ( حيث يقام معرض " كل شىء من أجل الوطن " ، كانت يانغ تشيانغ يون أكثر انشغالا من أم العروسة كانت تندفع حينما إلى خارج المكتبة لتلقى نظرة على جموع الزميلات الزائرات وتستقبل الضيوف من طالبات المدارس الصديقة "وعمال المصانع المجاورة ، حينما آخر إلى معرض " صرح أنشان للحديد والصلب" ، لتستمع إلى أقوال وآراء المحللين ، ثم نحو باب الخروج لتطالع سجل آراء الزوار والذين يثنى معظمهم على المعرض ، مما يجعلها تشعر بسعادة غامرة . هناك شخص فقط كتب بخطه الملتوى : " المضمون يفتقر إلى الحقيقة " .

لم تقتنع تشيانغ بهذا الكلام ، ثم من يكون صاحب هذا الرأى الشارد ؟ ربما كان أحد طلاب المدرسة رقم ٦٥ الثانوية للبنين ، إنهم يستخفون بنا نحن معشر الطالبات ، هه !

حقيقة أن محتويات المعرض ليست كثيرة ، لكنه يضم شيئين يجذبان الأنظار ، أحدهما عبارة عن مظلة قفز سليمة تماما أرسلها أحد جنود جيش المتطوعين الصينى فى كوريا لإحدى طالبات الصف الثانى الإعدادى عندما كانت تبادل الرسائل فى ذلك الوقت ، والشىء الثانى هو نموذج الأنبوبة المعدنية ( التى وصلتنا صباح اليوم ، وأصابتنا جميعا بالدهشة ) ، إنها جديدة تماما ، سوداء مصقولة ، جاءت فى صندوق خشبى ، تحتها شلثة من القماش ، عندما شاهدتها زملاء ، منهم من تساءل : " أهذه من مصنع آنشان ؟ معقول ؟ ما إن سمعت تشيانغ يون هذه التساؤلات حتى انبرت تقول : " أرسله عمال مصنع آنشان للحديد والصلب إلينا خصيصا ، فكيف تقولون إذن إنه مزيف .

انتهت لى تشون صباح اليوم من كتابة المسرحية ذات الفصل الواحد ، تنفست الصعداء ، وكتبت فى النهاية : " عشية عام ١٩٥٢ " مضى عام غير مأسوف عليه ، وأقبل عام ١٩٥٣ وقلبها مفعم بالأمل لأنها أنجزت شيئا ليس بسيطاً ، طالبت بإعداد بعض الأشياء الخاصة باحتفالات ليلة رأس السنة ، طُلب منها أن تصحب ووتشانغ فو وتذهبان لشراء بعض الحاجيات ، أخذت النقود من زميلاتها وذهبتا إلى الجمعية التعاونية لشراء الحلويات والأطعمة الخفيفة .

ووتشانغ فو تنتقى وتختار وتماطل أثناء الشراء ، ودت لى تشون لو تم الشراء بصورة أسرع ، كانتا تتبادلان عبارات الجدل والخلاف أثناء شراء الحاجيات .

مديرة المدرسة تجلس مع الأستاذة تشونغ على الأريكة فى حجرة المدرسين وقد استبد بهما القلق ، حيث تخشيان أن تطلب الطالبات منهما تقديم فقرة خاصة أثناء حفل المساء ، بينما لا تجيدان أداء أى نوع من الأغنيات ، أخيراً طلبتا مدرس الموسيقى ، وفكرتا فى حفظ أغنية بسيطة سريعة ، اختار لهما أنشودة " نحن زهور الربيع المتألقة وأخذت أبلة الناظرة والأستاذة تشونغ تنشدان : " . . . . . لتتقدم إلى الأمام فى حيوية وإقدام . . . . . "

وفى الساعة السادسة والنصف بدأت طقوس الاحتفالات فى كل فصل على حدة وفى مجموعات مشتركة من الفصول .

المدرسة تزدحم بالفوانيس الكهربائية والشرائط الورقية الملونة وتعج بأصوات الطبول والنواقيس النحاسية التى تصم الأذان . اشترى عامل حجرة الاستعلامات ( البواب ) بما ادخره من النقود كميات كبيرة من البمب ماركة " أرتيجياو " وأخذ يفجره فى فناء المدرسة .

وعند باب المدرسة وقفت طالبات يمثلن كل الفصول لاستقبال الضيوف المشاركين فى حفل المساء ، ومن بين الضيوف الذين دعاهم كل فصل من فصول المدرسة يوجد متفوقين فى مجالات عملهم ، جنود من جيش المتطوعين الصينى ، جنود من جيش التحرير ، ممثلون ، كتاب ، كوادر من اللجان الرئيسة والفرعية لرابطة الشبيبة فى بكين . . . . الضيوف يقبلون وتقودهم أصوات الطبول إلى الفصول .

استضافت طالبات الصف الثالث أحد الجنود من جيش المتطوعين الأبطال ، وطلبن منه أن يكون أول المتحدثين فى الحفل ، وما إن استهل حديثه بقوله " صديقتى الصغيرات . . . . . " حتى ضج الفصل بالضحك ، فقد تعود الرفيق المتطوع على لقب " العم " فى خطابه التى كان يتبادلها مع أعضاء تنظيم الطلائع ، ولذا فإنه يدعو طالبة الصف الثالث الثانوى أيضا " صديقتى الصغيرة " .

تخفت كل الطالبات فى الملابس التنكرية . منهن من تنكرت فى فستان زفاف أمها الذى كانت ترتديه منذ ثلاثين عاما ، ومنهن من تنكرت فى ملابس مشابهة لملابس أبطال الأوبرا المحلية الخاصة بمقاطعات تشجيانغ ، جيانفسو ، وشنغهاى فى جنوب الصين وتزينت لتصبح مثل الممثل ليانغ شانبو ، أو الممثلة تشوين تاي ، ومنهن من تنكرت فى أزياء بنات التبت ذات الكم الطويل .

وبعضهن تنكرت فى زى المرأة الهندية وطبعت على جبهتها وشمة حمراء . . . . .

شاهدت مديرة المدرسة والأستاذ يوان وين داو أنشطة الصف الثالث الثانوى وجلسا وسط الطالبات . أثنى الأستاذ يوان ثناء حسنا على تزيين وتجميل الفصل ، واستمر فى هذا الإطار أمام حضرة الناظرة ، وأخبرته إحدى الطالبات القريبة منه : " إن هذا من ابتكار ابنة حضرتكم " فازداد سعادة فوق سعادته .

بعد أن أنهى أحد جنود جيش المتطوعين الصينى كلمته ، دخل إلى الفصل رجل عجوز فى ملابس فضفاضة وذو لحية طويلة بيضاء ، فتغامز الجميع ، من هذا؟ وبدأ العجوز يقول: بناتى الصغار، أنا قادم إليكن من كوكب المريخ ، خصيصا لمشاركتكن حفلكن هذا . . . . . " ثم اتضح لهن من الصوت أنها تشوشيا ولينغ التى حاولت أن تغير من نبرات حنجرتها حتى تصدر صوتا رجالياً عجوزا ، لكنها لم تستطع إلى ذلك سبيلا ، فكانت النتيجة أن جاء صوتها مسخاً لاهو بصوت العجوز ولا هو بصوت شابة صغيرة ، وذهب العجوز الذى انكشف أمره ، أخرجت الطالبات كل ما فى جعبتهن عند تقديم البرامج ، حتى إنهن قدمن ما سمعنه من جداتهن عن الأوبرا الخاصة بمقاطعة خابى ، وما تعلمنه عن عم أطفال الجيران من أعمال السحر والشعوذة . وأثناء تقديم البرامج سمعن طرقات قوية على الباب وصوت يقول : "رسالة ! " .

ودخلت ثلاث فتيات تعملن بالبريد المدرسى ترتدين ملابس خضراء اللون ، وتحملن عدة أكياس ، لوحت إحداهن بيدها فى جميع الاتجاهات محيية ، وقالت : « إننى نيابة عن فريق الطلائع الذى يقوم بتوزيع بريد العام الجديد ، أهنتكن جميعا بحلول عام جديد متمنية لكن الصحة والسعادة ! " ثم أعلنت " فى هذه الأكياس بطاقات ورسائل وهدايا مرسله إليكم من أنحاء البلاد تهنئة بالعام الجديد ،

من بينها عشرة كيلو جرامات من التفاح هدية لفصلكن من الأستاذ يوان " .  
ثم وضعت التفاح فوق المنضدة ووزعت الهدايا وانصرفت - بينما أخذت  
الزميلات فى التهام التفاح وقراءة الرسائل والثناء على الهدايا . وكان كل المدرسين  
والطالبات فى المدرسة قد قاموا بكتابة هذه الرسائل وإعداد الهدايا المتبادلة قبل بداية  
الاحتفالات وسلموها إلى فريق الطلاب المعنى بتوزيع بريد العام الجديد ليقوم بهذه  
المهمة ، فمنهن من فازت مذكرة ومن تسلمت لوحة مصورة ، أو لعبة أو كتاباً  
أو حتى قلم رصاص ، تلقت ووتشانغ فو مذكرة يوميات غلافها مطلى بماء الذهب ،  
سعدت جداً بهذه الهدية ، لكنها ما إن قلبت الغلاف ونظرت فى أول صفحة  
حتى مطت شفيتها ، وقالت لسونينغ ، " انظرى . . . "

وقرأت فى الصفحة الأولى هذه الكلمات ، " أول شىء تواجهينه بعد بداية  
العام الجديد هو الامتحان النهائى ، أتمنى أن تحصلى على مئة درجة فى كل مقرر  
من المقررات ، وأن تحققى نتيجة عظيمة باهرة " .

وتلقت يانغ تشيانغ يون ظرفاً سميكاً من ورق الصحف ، مكتوب عليه :  
" فى الداخل شىء ثمين ، افتحى هذا الظرف بعد شهر " لم تهتم تشيانغ يون بهذا  
الكلام ، وفتحت الظرف فلم تجد به شيئاً سوى نموذج دجاجة صغيرة فى حجم ظفر  
اليد منحوت من الخزف فسارعت بتقديمه لزميلاتها .

ذهبن إلى صالة الرقص ، حيث أخذن يرقصن مع طالبات الصف الثالث فى  
الفصل الآخر .

داخل الصالة شجرة تنوب ضخمة تم صنعها من أغصان شجر الصنوبر  
الأبيض ، تلصق عليها نجوم متألثة وأوراق ملونة ، وقد علقت بها نماذج أشخاص  
صغيرة مصنوعة من قشور الفول السودانى وقشر البيض وحيوانات صغيرة  
من القش ، ونماذج ورقية أخرى لكافة الآلات والأدوات الموسيقية ، وتختفى داخل



شجرة التنوب مصابيح صغيرة حمراء وخضراء أضاءت جميعها عندما دخلت الطالبات إلى الصلاة .

وعندما بدأ تشغيل شريط الأغاني الراقصة ، لم تندمج في الرقص سوى بضع طالبات ، حيث إن طالبات الثانوية لم يعتدن الرقص الجماعى .

ثم جاءت تشوتشيا ولينغ أسفل شجرة التنوب ، ونادت بصوت عال : " أيتها الزميلات ، هذا هو العام الأخير لنا فى المرحلة المتوسطة ، وفى العام القادم تبدأ بلادنا بتنفيذ الخطة الخمسية بعد أن حققت نتائج كبرى . . . . . لذلك يجب أن نرقص ومهما كانت الحجج والأعذار يجب أن نرقص " .

وبعد أن رقصن عدة رقصات على مجموعة من المقطوعات الموسيقية ، تصبين عرقاً وخلعن معاطفنهن واحدة تلو الأخرى ، وظهرت البلوفرات من كل شكل ولون . وكلما اشتد سريان الحمرة فى وجوههن يدين أكثر جمالاً . وأنداك دخل الصلاة ثلاثة طلاب .

دخلو فى صحبة رئيسة اتحاد الطالبات ، قدمتهم قائلة : " إنهم وفد اتحاد طلاب المدرسة المتوسطة رقم ٦٥ ، جاءوا إلى مدرستنا لتهنئتنا بالعام الجديد ، ونشكرهم على ذلك .

وقف أحدهم وسط تصفيق الجميع وهو يلف كوفية حول عنقه وقال " لقد حملنا إلى فصلكن خطابين من زملائنا ، ولن نقرأهما لأنكن جميعا ترقصن ، وإننى نيابة عن كل الإخوة فى مدرستنا أنقل لكن تمنياتنا لكل طالبة من أخواتنا بعام جديد سعيد .

ضحكن جميعا . وأخرجت تشوشيا ولينغ لسانها قائلة : " ياله من كلام معسول ، ياله من شاب مناور " .

واستمر الحفل الراقص ، وجلس ثلاثتهم بجوار أسطوانة الجرامفون فى شىء من الشعور بالغربة ، وبعد لحظات اندمج اثنان منهم فى الرقص ، أما ذلك الذى يلف حول عنقه كوفية خضراء فقد جلس جامدا فى مكانه . شعرت تشيانغ يون تجاهه بشىء من التعاطف ، وتقدمت ناحيته ومدت يدها له فى شجاعة ، " أيمكن أن نرقص معاً ؟ " فاحمر وجهه الساذج البرىء فجأة ، وشعر بالخجل والسعادة فى الوقت نفسه ، نهض فى حرج وارتباك ، ولف يده حول وسطها فى حذر وتردد ، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب منها .

وما إن بدأ الرقص حتى أدركت تشيانغ يون أنه يجيده ، لكنه لا يجرؤ على النظر إلى وجهها ، بل يحيد ببصره الذى يرسله فوق كتفها الأيمن .

شعرت تشيانغ يون بأن ذلك شيئاً يثير الضحك . ما أعظم الفارق بين هذا الشاب وبين تشانغ شى تشون ؟ ولكنه نطق وسألها : " ما اسم حضرتك ؟ فردت عليه السؤال " ما اسمك أنت ؟ " - وهى تقول " أنت " - اسمى تشاوجيان ، طالب بالصف الثانى " ، الفصل الأول بالمدرسة الثانوية للبنين ٦٥ " .

" من سألك عن ذلك ؟ إنى أقول لك فقط أن اسمى يانغ "

أسرعت إيقاعات الموسيقى ، وأخذ الجميع يرقص ويدور فى خفة وسرعة . والمصاييح المتلاثلة فوق شجرة التنوب ترسل أضواءها المبهرة فى كل مكان ، اندمجت الطالبات فى الرقص ، تراقصت ضفائرهن وقد أشعلت مواقد التدفئة فى أركان الصالة الأربعة ، والشرر الأحمر المنبعث منها يتراقص فى خفة وحيوية . الأقدام تنفرج وتلتقى بسرعة ، والعيون تسبل وتفتح .

ويتراقص على إيقاعات أقدامهن . بحر خضم من الألوان والأضواء . تشيانغ يون ترى أن تشاوجيان يرقص بخطوات بطيئة جدا ، فاستقر رأيها على تغيير موقفها

السلبى واتخذت موقفا إيجابياً فى الرقص وقادته فيه حتى يرقصا فى سرعة وحيوية، الأمر الذى جعل تشاوجيان يتصبب عرقاً من طرف أرنبة أنفه .

ورقص الأستاذ أيضاً ، فرقص أولاً مع ابنته شن تشى التى كانت تراقصه وتعلمه فى الوقت نفسه ، وبعد أن أتقن عدة حركات ذهب يبحث عن حضرة الناظرة ليرقص معها ، رقصا بعض الوقت ثم جلسا للراحة والتقاط الأنفاس ، قال لها : " كم إن طالباتنا من ذلك النوع الممتاز من الطالبات ، إنهن سعيدات ويبحثن عن كل ما يزيد من سعادتهن . . . . " .

سمعت تشيانغ يون من أنغام الموسيقى صوتاً غنائياً رقيقاً عذبا متدفقا فشعرت فجأة أن هذا الصوت وتلك الأغنية التى لا تعرف صاحبها قريبة منها ، مألوفة لها وليست غريبة عنها ، " كأنه عصفور السنونو المغرد الصداح يعود إليها " وأخذت تفكر فى أى مكان سمعته ، دفعت تشاوجيان جانبا ، وقالت : " انتظرنى لحظة " ثم أسرعت نحو الجرامفون وسألت الزميلة المسئولة عن الإذاعة : " ماهذه الأغنية " .

" أغنية الطالب الجامعى " .

انصرفت تشيانغ يون وهى تضحك ، ولا عجب أنها طلبت منى السماع . وبعد غناء مقطع من الأغنية ، أخذت تشيانغ يون تدندن ، وأطبقت جفنيها وهى تتصور الحياة الجامعية : البالطو يثقبه حامض الكبريتيك ، بداية مسابقة عدو المائة متر ، الانتقال من صف إلى صف دراسى أعلى ، الانتقال من فصل إلى فصل آخر ، . . . . .

شعرت تشيانغ يون بالسعادة ، فأغنية " الطالب الجامعى " من الأغنيات بالغة الروعة . لقد أصبح تشانغ شى تشون طالبا جامعيا ، والعام القادم أصبح أنا الأخرى طالبة جامعية أيضا . لماذا لا توجد أغنية لطالب الثانوية ؟ "

" أغنية خاصة بهم ومعبرة عنهم ؟ "

وعادت تشيانغ يون ، بينما تشاوجيان ما زال واقفاً في أحد الأجناب ، نادته تشيانغ ، " تشاوجيان ، دعك من سباتك هذا ، هيا بنا نرقص ! " " حسنا ، يانغ .. .. " وأخذ يناديها يانغ عدة مرات وهو عاجز عن النطق باسمها كاملاً .

قرائى الأعضاء ، كيف قضيتم الساعات الأولى من ليلة رأس السنة هذه ، أيمن أن يكون بمثل هذا الحماس والتنوع الذى قضى به مجتمع الطلاب ليلتهم ؟ لقد ودعوا العام القديم فى سعادة ونشوة ، واستقبلوا عامهم الجديد المفعم بالأمل والإشراق والبهجة . إنهم يعتزون بكل الأعياد ، وكل عيد يترك لهم أجمل الذكريات . ؟ وأنتم ، يا أيها الرابضون تحت الثلوج والرياح والأنواء على الحدود وعلى الجبهات ، فى قيعان مناجم الفحم وبين أصوات الآلات التى تصم الأذان ، يا قرائى الكبار إنها سواعدكم التى تحمى شبابنا وتصنع لهم السعادة . تقبلوا خالص تقديرى وعظيم شكرى .

غير أن هناك نوعاً آخر من القراء عنده نوع من الاستهانة نحو الشعور بالوقت ، ويفتر حماسه يوماً بعد يوم تجاه هذا الوقت الذى يمضى كالسيف . لماذا يقضى رأس السنة بمثل هذه الكآبة والملل ، لماذا لا تنطلق ضحكاته ، لماذا لا يشعر بسعادة الحياة ومباهجها ؟

قرائى الأعضاء : عمال ، فلاحون ، جنود ، موظفون . . . . اذهبوا إلى المدارس عند الاحتفال بقدوم عام جديد ، لا تقاطعوا دعوة أبنائكم .

فهم فى كل المدارس ، يتزاحمون عند الأبواب ، يحيونكم ويرحبون بقدومكم فى مساء اليوم الواحد والثلاثين من ديسمبر كل عام .

انتهى الحفل الراقص فى الحادية عشرة ، وتجمعت طالبات كل فصل من الفصول على حدة فى صالة الاجتماع ، وتجمع الأساتذة والطالبات والموظفين والعمال بالمدرسة فى " حشد كبير " . وفى البداية يقوم كل من ممثل اتحاد الطلاب وممثل النقابة بالمدرسة بإلقاء كلمة التهنئة . حيث قام ممثل نقابة التعليم بإلقاء كلمته أولاً لتهنئة زملاء بمقدم العام الجديد ، ثم تلاه ممثل الطلاب تلميذ بالمرحلة الإعدادية ، قرأ على المدرسين خطاب شكر فى صوت متهدج تشوبه نبرة الطفولة :

" أساتذتنا الأعزاء ، إننا ونحن على أعتاب عام ١٩٥٣ ، نسترجع بعواطف فياضة جياشة ما بذلتموه على مدار عام كامل فى سبيلنا من جهد صادق دؤوب . . . . "

ثم قرأ بعد ذلك خطاب الشكر الموجه إلى العاملين بغرفة الاستعلامات .

وفى النهاية جاء دور الخطاب الموجه إلى الطهارة والعاملين بالمطبخ :

الرفيق العزيز كبير الطهارة ، أرجو أن تتقبلوا أسمى آيات التقدير والتحية ، لأن الأطعمة التى تطهونها ذات مذاق شهى ورائحة فواحة ، والأرز جيد الطهى ، وخبز المانتو مستدير وأملس السطح . . . .

وإننا فى حقيقة الأمر لا يمكن أن نحصى كل من يجب أن نشكرهم فى هذه المناسبة ! وبعد الانتهاء من قراءة هذه الخطابات ، كان عقربا الساعة قد أوشكا على التطابق ، نقل الميكرفون ما يذاع فى محطة الإذاعة ، وبعد أن أذيعت آخر مقطوعة موسيقية ، أعلنت المذيعة لمن فى الحفل قائلة : " الساعة الآن الحادية عشرة والدقيقة التاسعة والخمسون .

فحبس المحتشدون داخل القاعة أنفاسهم ، وأخذوا يرهفون السمع الى دقائق الساعة دا ، دا ، " باقى من الزمن عشر ثوان " ، " باقى خمس ثوان . . تن ! "

بدأ عام ١٩٥٣ ، وهلل الجميع . هناك اثنتان من فتيات الطلائع تتناقشان ، " ياه ،  
بهذه السرعة ، تدق الساعة دقة فينقضى عام ١٩٥٢ ويأتي عام ١٩٥٣ " . وبدأت  
المحطة تذيع النشيد الوطني ، ووقف الجميع فى مهابة وجلال .

صعدت مديرة المدرسة المنصة لتلقى كلمتها :

" زملائي الأساتذة ، أبنائي الطلاب كل عام وأنتم بخير !

رد الجميع فى صوت واحد : " وأنت بخير يا حضرة الناظرة " .

سندت بقبضة يدها فوق المنضدة وقالت : " إننا جميعا يغمرنا شعور بالدفء  
والسعادة ونحن نتجمع هنا فى مثل هذه المناسبة . إننا نشعر أن الصين الجديدة  
المزدهرة المتقدمة سوف يتم بناؤها بأيدينا نحن أنفسنا ، ونراها الآن ماثلة أمامنا . هل  
يعرف الجميع عن تشييد الصرح الكبير المتمثل فى قلعة الحديد والصلب فى آنشان ؟  
إن زوجى ، وربما لا ينبغى لى أن أتحدث الآن عن أحوالى العائلة ، ( ضحكت )  
قد انتقل أخيراً من كتائب الجيش إلى مدينة باتوه ، العائلية وأخبرنى أنهم سوف  
يقمىون فى هذه المدينة مجمعاً جديداً آخر لصناعة الحديد والصلب ! أيها الزملاء  
والزميلات ، إننا لا يمكن أن نكتفى بإقامة قلعة صناعية واحدة ، أو بناء مجمع  
واحد للحديد والصلب ، بل يجب أن تكون عشرة ، عشرين ، خمسين ،  
بل مائة !

ضجت القاعة بالتعليقات المعبرة عن الإعجاب والاستحسان ، وأخذ الجميع  
يتبادلن النظرات ويرددن كلمات الناظرة . ضحككن ، لكنهن شعرن أن هذا الضحك  
غير كاف للتعبير عن مشاعرهن المتأججة فرحن يشددن على أيدي بعضهن البعض  
فى قوة .

واصلت مديرة المدرسة حديثها : " أيتها الطالبات ، إننى أغبطكن على حسن  
حظكن ، فسوف تشاركن فى المستقبل فى الخطة الخمسية الثانية والثالثة ، وسيكون

لكن موقعكن الذى ينتظركن فى المصانع والمناجم والصحراء ، وفى كل مكان ! إننى أشعر بصفة خاصة فى مواجهة مراحل البناء العظيم بفقر معلوماتى وخبراتى لدرجة تبعث على الرثاء . إننى آمل حقيقة أن أبدأ طالبة بالمرحلة الثانوية من جديد ، وأدرس الجبر والفيزياء واللغة والآداب والهندسة ، وأتعلم قيادة الجرار ، حتى أجعل من نفسى أكثر نفعاً فى المرحلة التاريخية الجديدة من عمر بلادى ، لكنهم لن يقبلونى إذا تقدمت لأى مدرسة ، والتفتت نحو أحد المدرسين وسألته : " هل يمكن أن تقبلونى طالبة بالثانوى ؟ " ضحك المدرس وهز رأسه قائلاً " لقد مضى زمان حضرتك " وضجت القاعة بالضحك ، لا سبيل أمامى ، لا يمكن أن أحصل على نفس الظروف المواتية للدراسة ، لكننى لن أستسلم ، سوف أعلن التحدى . لقد نسيت معظم ما تعلمت من المعارف فى كافة العلوم فى البيئة المخضبة بدماء الحروب ، والآن على أن أبدأ من جديد . أيتها الزميلات ، لتسد بيننا روح المنافسة، ونرى من يتعلم أكثر ومن يكون أكثر نفعاً لبلاده !"

واختتمت مديرة المدرسة كلمتها بين الضحكات العالية والتصفيق الحار.

وهبطت من على المسرح ، وقد سرت فى وجهها حمرة قانية من فرط التأثر.

قام الجميع بمراسم التهنئة الجماعية بحلول رأس السنة الجديدة ، ثم اتجهوا جميعاً إلى المطعم الكبير لتناول وجبة إضافية، فوق كل مائدة طبق من ثريد الأرز الأحمر وكعكة منضوجة على البخار. دخلت مارى المطعم فى تباطؤ وتؤدة ، كانت زميلاتها بالفصل قد تجتمعن وجلست كل مجموعة أمام إحدى الموائد ، فأسرعت إلى أحد الأركان وجلست على مائدة واحدة مع بعض تلميذات الإعدادية الصغار، بينما كانت الطالبات قد تناولن أطباقهن وبدأن فى ملئها بالأرز الأحمر، طرقت رئيسة جماعة الترفيه على طبق الخضار وقالت فى صوت عال: " أيتها الزميلات ، لقد اختارت جماعة الترفيه إحدى الطالبات لتقوم بدور كبير الطهارة وتعد هذا الطعام بنفسها ، وذلك من أجل توفير الراحة اليوم للرفاق الطهارة العاملين بالمطعم ،

وتمكنت من صنع هذا الطعام ، أرجو لكن طعاماً شهياً ، ثم تطرحن آراءكن وتعليقاتكن على هذا الطعام " .

بدأت عصي الطعام تداعب الأطباق ، ورددن في أصوات مختلطة :  
" شكراً " ، انتهين من الأكل على وجه السرعة ، بينما أحنّت ماري رأسها وراحت تقرأ في نفسها تراويل ما قبل الطعام ، ويدها ترسم الصليب .

اقتربت عضوات فريق الطلائع الجالسات معها من حافة المائدة ، لم يتناولن الطعام ، بل دفعهن الفضول إلى مراقبة تصرفاتها الغريبة ، وفي النهاية فهمت إحدى التلميذات الصغيرات ، فهمست إلى زميلتها في فريق الطلائع قائلة : " الرب ، إنه الرب ! " وأخذت كل الفتيات يهمسن في آذان بعضهن البعض . ظلت ماري تقرأ في نفسها تراويل الإنجيل في شيء يدعو إلى الغرابة والتعجب ، ولم تطق التلميذات الصغيرات صبراً فانفجرن في الضحك . قالت إحدى التلميذات الصغيرات المهرجات في صوت خفيض : " لقد قال الرب إنكن جميعاً "أبنائى" . وقامت أخرى بإخفاء الطبق والعصى الخاصة بماري وهي تؤدي التراويل . رأت ماري وسمعت كل ما يدور حولها ، وبعد انتهائها من التبتلات لم تجد الطبق والعصى . رمقت الصغيرات المهرجات اللاتي تشاركنها في الجلوس على نفس المائدة بنظرة من طرف بصرها ، ولم تنبس ببنت شفة ، وانطلقت خارجة من المطعم الغضب يكاد يفتك بها وهي تغالب دموعها .

شعرت فتيات الطلائع الصغيرات في بداية الأمر بشيء من الغرابة والدهشة ، وأردن الضحك والمرح ولم يقصدن إغضاب ماري التي نظرت إليهن قبل أن تهمن بالانصراف والشرر يتطاير من عينيها . قلبت الفتيات الموضوع من كل جوانبه فاكشفن وقوعهن في خطأ ، أما الفتاة التي كانت قد خبأت طبق وعصى ماري ، فقد دفنت وجهها بين كفيها وانخرطت في البكاء ، اصطحبت كبرى هؤلاء الفتيات



تلك التلميذة الباكية من يدها وذهبت تبحث عن يوان شن تشى رائدة الطلائع ،  
اقتربت منها وقالت: "حضرة الرائدة ، حدث شىء مؤسف !"

رأتهما يوان شن تشى على هذه الحالة ، فانتفضت من مكانها وسألتهما فى  
الحال عما حدث . أجابت التلميذة الصغيرة التى مازالت تبكى : "لقد تسببت فى  
غضب الرب ، ... لا ، بل فى غضب زميلة كانت تردد التراتيل حتى إنها  
انصرفت من المكان !"

"زميلة تردد تراتيل الإنجيل ؟ من هى ؟"

"نحن ... لا ... نعرفها ، إنها ... أكبر منا ،  
يبدو أنها إحدى طالبات فصلكن ."

أعملت تشن بوا ذهنها وردت : "إنها مارى " . ثم نظرت فيمن حولها فلم  
تجد مارى بين طالبات الصف الثالث ولا فى أى مكان آخر ، وبعد أن سمعت  
تفاصيل ما حدث قالت ليوان شن تشى : "نعم، هى مارى ، سوف ألق بها .  
"ثم ألق عصى الطعام من يدها وانطلقت إلى الخارج غير مبالية بنداء يوان شن  
تشى عليها ..."

بحثت تشن بوا عنها فى فصلها أولاً ، الفصول والقاعة يلفها الظلام حيث  
تركها الجميع وذهب إلى المطعم . فكرت فى نفسها أن مارى فى أغلب الأمر قد  
عاودت أدراجها إلى بيتها وانطلقت نحو بوابة المدرسة .

وقفت عند الباب فلم تر أثراً لإنسان ، تذكرت تلك المرة التى شاهدت فيها  
الطريق المؤدية إلى بيت مارى ، أخذت تجرى فى هذا الطريق ، الرياح تهب عاصفة  
من الشمال، الجوقارس البرودة وقد انطلقت من المطعم وهى لا ترتدى سوى سترة  
خفيفة من الصوف، البرد الذى ينفذ فى العظام يلفح وجهها لفحاً ، ضمت ساعديها

إلى صدرها وأطلقت ساقها للريح ، وعندما وصلت إلى الشارع الرئيسي شاهدت  
ظل شخص من بعيد، نادى بأعلى صوتها : "مارى! توقف الظل لحظة عاود السير  
من جديد ، تبعها تشن بوا وقد تقطعت أنفاسها حتى تمكنت أخيراً من اللحاق بها.  
ونادت : "مارى" ، فتوقفت عن السير.

أمسكت تشن بوا بذراع ماري التي تكاد تتجمد وقالت "كيف تمشين وتركين  
الحفل؟"

ردت ماري "أصابني التعب والإجهاد"

"أعرف أن بعض الزميلات الصغيرات قد تكلمن عنك في غير أدب ولياقة".  
لكنهن مازلن صغيرات ولا يقصدن شيئاً ، هل غضبت منهن حقاً؟"

وواصلت تشن بوا : "كيف لك أن تغضبى ونحن نعيش أولى ساعات عام  
١٩٥٣ ، وكيف تخرجين وتغادرين الجماعة؟ بعد انتهاء هذه الفقرات هناك الحفل  
العام للمدرسة كلها. ياله من عام جديد سعيد . . . ."

تحسست ماري ملابس تشن بوا وشاهدت وجهها المتجمد من البرد ، ونظرت  
في عينيها اللتين تحملان كل معانى الود والصدقة فشعرت أنها فتاة طيبة ذات معدن  
أصيل ، وأحست بإحساس لم تجربه من قبل ، إنه تعاطف واهتمام وروح الصداقة  
التي لا تقدر بثمن ، ومن ثم أرادت أن تعبر لها عن امتنانها ، إلا أنها استدارت  
دون أن تتكلم متجهة نحو المدرسة فى صمت متقدمة على تشن بوا التي سعدت  
بعودتها إلى المدرسة لدرجة أنستها برد الشتاء القارس .

أخذت تشن بوا ماري من يدها وتزاحمتا إلى إحدى الموائد لتناول الطعام.  
وأسرعت التلميذات الصغيرات من أعضاء فريق الطلائع - كما طلبت يوان شن  
تشى منهن - بالاعتذار إلى ماري ، وردت عليهن ماري فى صوت خفيض ،

"متأسفة" . وأخذت الزميلات الجالسات إلى نفس المائدة يتسابقن في تقديم حساء الأرز إلى تشن ومارى ، وخلعت يوان شن تشى معطفها القطنى ووضعته على كتفى تشن بوا .

وما إن هدأت تشن واحتست رشفتين من الحساء حتى سمعت صوتاً ينادى :  
"تشن بوا موجودة؟ هناك شخص جاء يبحث عنها !"

خرجت تشن وفى صدرها شىء من الضيق . من ذا الذى يبحث عنى فى مثل هذا الوقت ؟ هل عاود المرض أسمى من جديد ؟ وخفق قلبها بين ضلوعها .

وصلت إلى بوابة المدرسة ؛ فشاهدت شاباً طويل القامة يقف مستندا إلى دراجته فى منطقة شبه مظلمة ، كأن ذلك الشخص لم تعجبه الأضواء المتلألئة من الفوانيس الكهربائية الحمراء المعلقة على بوابة المدرسة وتعمد أن يختبأ فى الظلام .

تعرفت عليه تشن بوا وصاحت فى لهفة ودهشة : "تيان لين !"

دفع الدراجة أمامه وتقدم نحوها يساوره شعور بالخجل ، بينما تنعكس على عدسات نظارته أشعة أضواء الفوانيس الحمراء .

" كل سنة وأنت طيب ! "

"وأنت طيبة !"

" إنه شىء رائع منك أن تأتى لزيارتى فى مثل هذا الوقت ، " قالتها فى سداجة وبراعة ، وبدا أن هذا الكلام يحمل معنى التساؤل، لكنه فى الوقت نفسه يعبر عن شكر عميق .

"جئت أبحث عنك ، وكان أشد ما أخشاه ألا أجذك ، أو ربما تكونى قد خلوت إلى الراحة ، أو لا تسمح لى الاستعلامات بزيارتك فى هذا الوقت المتأخر . . . . . "

" ماذا تخشى ، ها قد وجدتنى ، ها أنذا ماثلة أمامك . "

قال : " لقد أحضرت لك هدية بسيطة تهنته بقدم العام الجديد . " راح يتناول حقيبة معلقة فى مقود الدراجة ويخرج منها أربع حبات كبيرة من الطماطم .

تساءلت تشن بوا وهى تضحك " طماطم؟ طماطم فى الشتاء؟ "

" هل تذكرين عندما كنا نأكل الطماطم معاً فى عام ١٩٤٨ ؟ عندما كنا نناقش الخطوط العريضة لقانون الأراضى ، فى الجماعة الفرعية لتحالف الشبيبة الديمقراطى ، لقد تناولت عدة حبات من الطماطم وأنت تقولين : أحب الطماطم حباً جمّاً . حتى إننى أود أن أكل منها نصف كيلو كل يوم . لكنها يا للأسف لا تزرع فى فصل الشتاء ، ولذلك أهدى إليك الطماطم مع بداية الساعات الأولى من عام ١٩٥٣ م . "

" من أين أتيت بالطماطم فى الشتاء؟ "

" فى فصل الشتاء توجد أيضاً بعض المناطق الدافئة التى تزرع بها الطماطم "

قالت تشن بوا وقد غمرتها السعادة : " حقيقة ، إنك شاب رائع . أهدى تيان لين إلى تشن بوا أيضاً شارة الطلائع ، وكان قد حصل عليها كهدية عندما كان جندياً فى المناطق الوسطى والجنوبية وقام بوضع هذه الشارة على صدرها . أحت تشن بوا رأسها ونظرت إلى الشارة ثم نظرت إلى تيان وأمسكت بإحدى حبات الطماطم وقضمت منها قضمه كبيرة .

وسألته : " كيف قضيتم رأس السنة؟ وأين استقبلت مطلع عام ١٩٥٣ م "

رد تيان لين ، وقد انفرجت أسنانه عن ابتسامة لا تخلو من الدهاء : " فى الشارع ، إننى عند ساعة الصفر كنت أركب دراجتى وأجرى بها فى الطريق ، كنت أسابق الريح ، تحركت من عندى فى عام ١٩٥٢ ووصلت إليكم فى عام ١٩٥٣ "

قالت تشن بوا فى تأثر بالغ للمرة الثالثة : " يالك من شاب رائع "

كانت صالة الطعام فى ذلك الوقت تعج بكل ألوان الهرج والمرج ، وعندما كانوا على وشك الانتهاء من تناول حساء الأرز ، أعلن رئيس نقابة التعليم بالمدرسة أن المدرسين قد اشتروا بضعة آلاف من كعك رأس السنة <sup>(١)</sup> ، وأنها مازالت فى الماء المغلى ، وطلب من الجميع عدم الانصراف وأن ينتظروا لتناول الكعك، وقد ألهبن الطالبات أكفهن بعاصفة من التصفيق الحار احتفاء بهذه الهدية غير المتوقعة . وأخذت كل مجموعة تجلس إلى مائدة واحدة تتبادل الأغاني انتظاراً لوصول الكعك . هذا الفصل يطلب الغناء من ذلك الفصل والطالبات يطلبنه من المدرسين ، وهناك من ينادى على طالبة باسمها ويطلب منها تقديم منولوج أو رقصة منفردة . وأخذن يتبادلن التهئة بالعام الجديد بين موجات الصياح وأصوات الغناء .

قامت تشوشيا ولينغ بمصافحة سونينغ قائلة : "أهنتك على أن عمرك قد ازداد عاماً !"

ردت سونينغ : "وأنا أهنتك أيضا على نفس الشيء !"

ثم فكرت سونينغ وقالت : "لا ، غير صحيح ، إننا حسب قواعد الحساب الحديثة يجب أن ننتظر حتى يأتى يوم عيد الميلاد حتى يمكن القول إن العمر قد ازداد عاماً"

قالت تشوشيا ولينغ فى حيوية : « لا بأس ، إننا نتبادل التهئة مسبقاً؟ »

هنأت يوان تشن زميلتها لى تشون قائلة : "أهنتك متمنية لك أن تكون كل أمورك على خير ما يرام" .

فكرت لى تشون لحظة وعاجلتها : "وهل كانت المسرحية ذات الفصل الواحد على ما يرام؟" .

(١) عبارة عن كريات معجونة من دقيق الأرز ومحشوة باللحوم وما يشابهها وتنضج فى الماء المغلى .

يانغ تشيانغ يون تعدو وتروح هنا وهناك، وتوزع التهاني في كل مكان . هنأت  
ووتشانغ فو قائلة : " أتمنى أن يزداد شعرك كثافة كلما ازداد طولاً " . ( وكانت  
ووتشانغ فو كثيراً ما تشكو من سقوط شعرها عند غسله ) ، وهنأت يوان شن تشى  
قائلة : " أتمنى أن تزدادى تألقاً وجمالاً بمرور الأيام " وهنأت سونينغ قائلة : " أتمنى  
لأخيك مزيداً من الصحة والعافية ! " وعندما يقع بصرها على أى أستاذ تهنته فى  
جرأة وشجاعة: " أهنتك يا أستاذى ، وأتمنى أن تكون حياتك ربيعا دائما ! "

.....

" أهنتك ! "

" أهنتك !! "

" أهنتك !!! "

تلقت يانغ تشيانغ طرداً بريدياً وخطاباً فى أول أيام العام الجديد، الطرد به كتاب جديد حديث النشر يصف مساندة كوريا فى حربها ضد أمريكا بعنوان "الجبال والأنهار على أراضى كوريا". والخطاب الذى أرسله لها تشانغ شى تشون يقول :

عزيزتى يانغ تشيانغ يون:

أهدى لك هذا الكتاب تهنئة منى بقدوم العام الجديد ، وهدية مكافأة على سرعتك الفائقة فى التزحلق على الجليد، هل تعتقدين أننى كان بمقدورى اللحاق بك فى ذلك اليوم؟ هيهات ! إننى أعلم أنه إذا أراد شخص ألا يطارده الآخرون ، فلن يلحق به أحد مهما كان .

إن حياتى الجامعية تمضى على أحسن حال. غير أن هناك أمرين لست راضيا عنهما : الأمر الأول : أن الدراسة ليست بالصعوبة التى سمعنا عنها ، حيث كنا ونحن فى المرحلة الثانوية نسمع الآخرين يقولون " إن الدراسة فى الجامعة صعبة ، أصعب من الصعود إلى السماء " ، ولقد استعددت جيداً وفكرت فى تجهيز عدة الحرب أو الاستعداد للقتال وجها لوجه بعد دخول الجامعة ، غير أننى وجدت الدراسة عادية ولا تتطلب أن أخرج كل ما فى جعبتى ، الأمر الثانى : هو أن الوقت المخصص للنوم طويل للغاية ، ثماني ساعات ونصف الساعة منذ أن تخفض الأضواء حتى النهوض من النوم ، وغير مسموح بالتأخير فى النوم أو التبكير فى الاستيقاظ . بينما تكفينى خمس أو ست ساعات نوم فقط وفقاً لحالتى الصحية والبدنية . وإننى (وفقاً لما قيل عن الإمبراطور الروسى العظيم بيذا داد وإنه كان ينام أربع ساعات فقط يومياً وعاش عمراً مديداً) لا يغمض لى جفن فى المساء فأضجع فى الفراش أفكر فى حل المسائل وأحفظ أبيات الشعر .

ماذا تخططين لنفسك مع بداية عام جديد ودخول البلاد فى مرحلة من التطور والتقدم؟ إننى أقترح عليك دراسة الأدب ؛ حيث إن لك أسلوباً مثيراً فى سرد القصص والأحداث. إننى أرى أنه ينبغى عليك فى هذا العام الجديد أن تدرسى إحدى الآلات الموسيقية ، وتتعلمى رسم المناظر الطبيعية، وتطالعى خمسين قصة على الأقل ، وذلك علاوة على المذاكرة الجيدة للمواد الدراسية، وفى مجال الرياضة يمكن أيضاً تعلم التزحلق على الجليد فى قفزات رشيقة مثل قفزات عصفور السنونو على سطح الماء، وألا تكون مثل الكلب الضال الذى يهيم على وجهه .

يمكنك بطبيعة الحال ألا تفكرى فى اقتراحاتى هذه . لكنى أرجو ألا تعتقدى أنها مستحيلة التنفيذ ! فالحياة عمل وكفاح !

سوف توافقين على هذه الاقتراحات عندما تقرأين الكتاب

التوقيع

تشانغ شى تشون

قرأت تشيانغ يون هذا الخطاب عدة مرات فى نشوة وسعادة ، قرأته أيضاً على بعض الزميلات . قالت يوان شن تشى : " حقيقة ، إنه شاب مستميت " شعرت يانغ تشيانغ يون بالرضا التام عن هذه الصفة وأخذت تفكر فى قدرات تشانغ شى تشون ، ثم تذكرت زميلاتها فى الدراسة ، وشعرت أن الشباب لديهم الكثير من المميزات التى لا تتوفر للفتيات .

كتبت خطاباً رداً على رسالة تشيانغ ، استهلته بكلمة : " أيها المستميت المحترم

..... "

لم تنته بعد من كتابة الخطاب ، طالعت اسم الرواية " كيف تصلب الحديد " . وما أن رأت هذا العنوان حتى شغفها حب الرواية ، إن فضولها يثور دائماً عندما تقرأ كتاباً أو تقوم بعمل شئ ، فما بالك بمثل هذه الرواية القيمة! عادت إلى البيت



بعد ظهر أول أيام العام الجديد، لم تتحدث مع أفراد الأسرة ، بل انكبت على هذه الرواية ، واصلت قراءتها حتى منتصف الليل ، انتهت من قراءة أكثر من نصفها في نفس اليوم .

"كيف تصلَّب الحديد" ، هذه الرواية يبدو أنها لاقت صدى كبيرا في نفسها ، شخصيات الرواية يدب فيها النشاط والجدية ، تفيض بالحماس ونقاء السريرة وإنكار الذات وهذه هي المثاليات عند تشيانغ يون . وفي مساء أول أيام العام الجديد، راح كل أفراد الأسرة يغطون في نوم عميق ، بينما ظلت هي تطالع الرواية ، تفجر في نفسها نوع من الأمل ، تمنى لو تركت عنبر النوم الضيق والفصل الدراسي الصغير وانطلقت إلى ساحة النضال الملهبة بالحماس لتعيش حياة عظيمة تختلف تماما عن الحياة الطلابية .

جاءت حصة المراجعة ولم تكن قد انتهت من قراءة الرواية فاستمرت في قراءتها في وقت الدراسة الحرة . وعندما جاء الأستاذ يوان يتفقد دراستهن الحرة ، قال لها : "إن الزميلة (يقصد تشن بوا ) تغلبت على كل الصعوبات واستجمعت كل قدراتها من أجل المراجعة ، فكيف لك تطالعين هذه الرواية في حرية واسترخاء ؟ أغلقت تشيانغ يون الكتاب دون أن ترد ، وقالت في نفسها : ألا يمكن أن أطلع كتاباً من القراءات الخفيفة؟" .

كانت قد انخرطت في قراءة الرواية ، ونسيت إتمام الرسالة التي ترد بها على تشانغ شى تشون، ثم انشغلت بعد ذلك في المراجعة ، وقالت في نفسها لا داعي للاستغراق مرة ثانية في كتابة الخطاب ، ولم ترد على تشانغ .

\* \* \*

توفيت أم تشن بوا في ثالث أيام العام الجديد ، في جوف الليل شعرت الأم باضطراب في القلب، وعدم انتظام التنفس ، وتنميل وخذلان في الأطراف ، نزلت من الفراش لتنادى من يسعفها ، وما إن تحركت حتى سقطت على الأرض ، سمعت زوجة خال تشن بوا أصوات الأم فأسرعت إليها ، كانت قد راحت في

غيبوبة ، أخذت تدور حولها فى فزع وارتباك ، وأخيرا طلبت بوليس النجدة الذى ساعدها فى نقلها إلى المستشفى حيث حجزت هناك . قال الطبيب إنها تعاني من أزمة قلبية حادة ، وطلب إحضار أقاربها . أسرع تثن بوا بالحضور ، كانت الأم قد ساءت حالتها ، الأنفاس تخرج ولا تعود ، فتحت الأم عينيها عن آخرها ورمقت تثن فى قلق وحييرة دون أن تتكلم ، قالت زوجة الخال لتثن بوا : " تكلمى بسرعة ، دعى أمك تطمئن ، دعيها تستريح وتغمض جفونها ... . . . . . " قاومت دموعها ، وقالت وهى تئن : " أماه ، أنا صغيرتك بوا ، استريحى يا أماه " . زادت أنفاسها اضطرابا وقالت فى نبرات متقطعة : " إن ... . . . . . أمك لن ... . . . . . ترعاك ... . . . . . من بعد ... . . . . . الزعيم ماو ... . . . . . سوف يرعاك . " هدأت لحظة ثم قالت فى ألم ومرارة " حتى ... . . . . . النفس ... . . . . . أصبح ... . . . . . عزيزاً " . ثم أطبقت جفنيها ، وتحدرت دمعتان من مقلتيها .

\* \* \*

أمى ، أمى الحبيبة كيف وافتك المنية مبكرا ... . . . . .

أمى ، لشد ما تحبين ابنتك ، ولشد ما تحبك ابنتك . إن أول شىء أتذكره فى حياتى ، هو أننى رأيت فى منامى ذات ليلة قطين أسودين كبيرين ففزعت ونهضت من نومى خوفا . وعندئذ رأيت ذراعيك الحانيتين تضمان رأسى فى حنو وعطف ، فذهب عنى كل خوف ، فهكذا البنت لا تخشى شيئا فى الوجود ما دامت أمها بجوارها . وأتذكر أيضا عندما مات أبى ، جاء زميله مهرولا يقول إنه مات تحت عجلات سيارة جيب أمريكية ، خيم عليك الذهول وتجمدت فى موقفك غير مصدقة ، ولما أعاد ذلك الزميل كلامه سقطت على الأرض مغشيا عليك . طلب زميل أبى أن أفيقك بسرعة ، انحنيت إلى جوار أذنك ، وصحت بأعلى صوتى : " أمى ، أنا صغيرتك بوا " تماما مثلما طلبت منى زوجة خالى أن أفيقك فى هذه المرة . آنذاك كنت تفيقين ، أما هذه المرة ... . . . . .

بعد ذلك دب في جسدي الضعف والهزال ، وغارت عينك ، واخشنت يداك ، وتورمتا ، كنت كل يوم تغسلين وتنشرين عشرات القطع من الملابس ، حتى ظهرت البراييق في جلد أصابعك الخشنة الحمراء كحمره الجزر ، وبدت التشققات كثيرة عميقة في ظهر يديك . قلت لك : أمي ، اشترى قليلاً من زيت البشرة وأمسحى به ظهر يديك ، فضحكت من القلب ورددت : " لا ، نوفر الفلوس لنشترى بها مكرونة نأكلها " .

وقد كنت دائما غير مطيعة لك عندما تطلبين منى أن أكل المكرونة .

فقد كنا ذات مرة نأكلها معاً ، وغرقتى لصغيرتك شيا وطبقا من الإسباجتى ، ثم سكبت عليها الخل الذى جاء أكثر من اللازم ، وعندما تذوقتها أحسست بطعمها اللاذع ، وصرخت بصوت عال ، أسرعته تهدئين من روعى ، وسكبت كل طحينة السمسم فى طبقى حتى تزيلين منه المذاق الحامض اللاذع ، ثم تذوقت وأطلقت ضحكة مجلجلة وولت : " غير لاذع ، ورائحته طيبة " غير أننى لم أتناولها ، بل أخذت فى البكاء . . . . . لكن كيف أتت هذه المكرونة ؟ أذكر ذات يوم أن جاء رجل يقول إن أبى كان يداينه بدين قبل أن يموت . . . . .

وقد كنت غير مطيعة إلى حد بعيد .

بعد التحرير ، تغيرت ، أبصرت طريقى ، أصبح لى صداقاتى وحياتى الخاصة ، أرفض خوفك وقلقك علىّ ، وأعجب أننى ما زلت فى عينيك الطفلة الصغيرة ، لكن هل يمكن للابنة ألا تظل الطفلة الصغيرة فى عينى أمها ؟ .

أماه ، أصفحى عن ابنتك يا أماه ، إنها تحبك حبا جما ، لقد شغلت عنك ، لكنك كنت دائما ملء قلبى وعقلى ، كنت عندما أرى التجاعيد تزداد فى جبهتك يوما بعد يوم ، أتمنى أن تنأى عنك هذه التجاعيد وتنتقل إلى جبهتى أنا ، كنت أفكر فى رعايتك فى المستقبل كأحسن ما تكون الرعاية ، لكنك رحلت ولن أركعك ،

فى هذه السنوات اقتربت من كل الناس، لكن لم أقرب من أمى ، لقد كانت أوقات قليلة تلك التى جمعنا معاً.

مازال عندى الكثير لم أحدثك به . كيف أتعلم، كيف ألعب ، من هم أصدقائى، كيف يعدون لنا الطعام فى المدرسة ؟ كل ذلك لم أحدثك عنه . لكن كيف يمكن للأم ألا تهتم بكل أمور ابنتها هذه ؟ هكذا ، حتى عندما كنت على مشارف الموت ، لم يمهلنا القدر لتحدث معاً حديث القلب إلى القلب . . . .

يوم لم تطلع له شمس ، السماء ملبدة بالسحب والغيوم، دفنت تشن بوا أمها. وشارك فى مراسم الوداع مأمور القسم ونائبة رئيسة جمعية المرأة، كانت أم تشن بوا قبل أن تتدهور صحتها تساعد قسم الشرطة وجمعية المرأة فى أداء كثير من الأعمال. أخذت يانغ تشيانغ يون وعدد آخر من الزميلات إجازة وذهبن إلى هناك . ولحقت بهن خوان لى تشينغ بعد أن أخبرتها تشن بوا بوفاة أمها ، لكنها لانشغالها بأمر ما سارعت بالعودة قبل انتهاء الجنازة .

وبعد ظهر ذلك اليوم ، أقامت الزميلات - بناء على مبادرة من اللجنة الفرعية لمنظمة الشبيبة - مراسم حفل تأبين متواضع لأم تشن بوا ، علقت كل طالبات الفصل على صدورهن الزهور البيضاء . لم تتوقف سونينغ عن البكاء ، دموعها أكثر انهماكاً وتدفقاً من تشن بوا . ومارى تربت على يدي تشن وقد جلست بجوارها ذاهلة . تشيانغ يون تقطب حاجبيها . ووتشانغ فو تنظر ذات اليمين وذات اليسار ويعلو وجهها شحوب واصفرار .

ترأست يوان شن تشى حفل التأبين . وبعد أن وقفت لحظة حداد قالت :

"إننا نعيش داخل أسرة كبيرة، ويجب أن نشارك أصدقاءنا أفراحهم ونشاطهم أحزانهم . لقد وافت المنية أم تشن بوا ، وهى بطبيعة الحال فى غاية الحزن ، ونحن لسنا أقل حزناً منها . لقد ذهب بعضنا إلى بيت تشن بوا وشاركنا فى وداع أمها الودودة الكادحة . . . . . "

عندئذ ، لم تستطع يوان الاستمرار ، وخيم السكون على الفصل ، ولم تسمع سوى دقات عقارب ساعات بعض الزميلات " تن ، تن . وبعد لحظة استجمعت يوان أفكارها ولملمت شتات نفسها واستطردت تقول " نأمل ألا يستبد الحزن بتشن بوا ، وألا يؤثر على حالتها الصحية . إنها إحدى زميلات فصلنا الطيبات ، ولم ترض علينا بالعون والمساعدة فى كل المجالات ، كلنا نحبها ونتوق إليها " .

جلست يوان شن تشى ، وأجهشت سونينغ فى البكاء بصوت مسموع .

قالت تشن بوا : " لا تبكى يا سو " . وتحرك حلقها كأنها تبتلع شيئاً ما ، ثم قالت فى صوت خفيض : " أشكرن جميعاً على حضوركن هذه المناسبة . لقد رحلت أمى ، ولم يعد لى من أهل لكنكن جميعاً أهلى .

« إن أمى لم تكن من النساء الثوريات ، لم تزد عن ربة بيت عادية ، لكنها كانت طيبة القلب ، صادقة ، مخلصه ، أمينة ، لم تفعل قط شيئاً يسىء إلى الآخرين : تحملت طيلة حياتها صنوفاً شتى من المشاق والصعاب ، وعندما تحررت البلاد اعتلت صحتها ولم يمهلها القدر لتعيش فى المجتمع الجديد ، لذلك أشعر تجاهها دائماً بالأسى فقد أمضت حياتها تكافح من أجل المأكل والملبس ، من أجل ابنتها ، تشقى ، تكدح ، تتعب ، ثم رحلت .

لم تبرح مقاطعة خابى طيلة حياتها . درست المرحلة الابتدائية ، لكنها كانت قلما تطالع كتاباً ، فمن أين لها بالوقت ؟ وأين المعنويات التى تسمح لها بالقراءة فى ذلك الوقت ؟

كنت أشعر بالتقصير فى حق أمى خاصة عندما تتجمع أنا وزميلاتى ونقضى معا وقتاً ممتعا ، أليس من حقها أن تسعد هى الأخرى ؟ لكن حياتها ..... لا حاجة الآن إلى الكلام ، إنها لا يمكن أن تعود إلى الحياة من جديد " . وانطلقت

فجأة من عينيها الساهدتين نظرات حادة كأنها تنذر بالثأر ، وقالت : ماذا أفعل بعد ذلك من أجل تخليد أمي ، من أجل إحياء ذكرى حياتها المريرة ؟ يجب أن أعيش ! إنني أمل أن يعايش الفرد قضايا الجماعة ، وأن يعيش الفرد حياة الجماعة ! وبذلك يمكن لأمي - إذا علمت بذلك - أن تقر عينا وتقول : " لقد كانت حياتي وأبناء جيلي مفعمة بالمرارة والأسى ، لكن الجيل التالي يعيش حياة كريمة وذات قيمة ا .

توقفت سونينغ عن البكاء ، وأخذ الجميع يستمع إلى تشن بوا في صمت وسكون. شعرها منكوت ومبعثر ، تحيط بعينيها هالة سوداء، بينما رفعت هامتها في شموخ وكبرياء. شعرن جميعا من كلامها أن لديها القوة التي تهزم كل الظروف وتتخطى كل الصعاب. انتقلن من "الموت" إلى "الحياة" ، من مآسى ومرارة الجيل الماضي إلى التفكير في حياة أبناء جيلهن ورسالتهم التاريخية، وشعرت كل منهن بقلبها الذي يستعر حماسا يكاد يقفز من بين ضلوعها . أخرجت سونينغ منديلاً وأخذت تمسح الدموع التي أغرقت وجهها .

وبينما كانت الزميلات على وشك الانصراف ، جاء الأستاذ يوان ، سأل تشن بوا عن البيت وعن أحوالها الصحية. أجابت بأنها انتهت من ترتيب البيت وأن صحتها ما زالت طيبة، وليس هناك ما يدعو إلى القلق . وأخبرها الأستاذ يوان أنه اتصل بقسم التوجيه والإشراف واتفقا على أنها يمكن أن تؤجل امتحان نهاية الفترة على أن تؤديه بعد إجازة الشتاء . ردت تشن من فورها : " لا داعي للتأجيل يا أستاذ، يمكنني أداء امتحاناتي كالعادة " . هز الأستاذ يوان رأسه وقال " أعرف أنك ذات عزيمة قوية ، ولكن لا تتعجلي ، ولتستريحى بعض الوقت . طالبت تشن بإلحاح بأن تؤدى الامتحانات مع زميلاتهما . توصلت إليها زميلاتهما : " لقد تغيبت عدة أيام ، يمكن أن يؤثر ذلك على نتيجتك " .

عضت بأنيابها على شفتها السفلى وهى توضح قائلة : " ما لم تعرفوه عنى ،  
أننى كلما ألم بى خطب ، ازدادت عزائمي ، ولن تهدأ نفسى إذا لم تتركونى  
لدراستى وامتحانائى .

بعد هذا القول ، وافق الأستاذ يوان وقال لها:

"يمكنك الحضور إلىّ فى أى وقت إذا واجهتك صعوبات فى مراجعة  
الدروس .

رحبت تشن بوا وانصرف الأستاذ يوان .

تسبقت الزميلات لكتابة الدروس التى لم تحضرها تشن ، كأن كل منهن ترى  
سعادتها فى أن تقدم لها بعض المساعدة . رفعت تشن غطاء درج كتبها فى تأثر بالغ  
لتخرج دفاترها ، وشممت الزميلات عن سواعدهن ، ماهى إلا لحظات وينتهين من  
تكملة الدروس الناقصة . لكن لا توجد الدفاتر ، اندهشت تشن بوا، أيمن أن  
أكون فقدتها فى مكان ما ؟ مستحيل ، لأننى عندما أسرعت إلى المستشفى فى  
منتصف الليل هذه المرة لم أخذها معى . فى ذلك الوقت تقدمت ماري وأعطت  
الدفاتر لتشن بوا ، وقالت لها : " إن مستواى الدراسى ليس جيدا، وليس بمقدورى  
أن أقدم لك مساعدة تذكر ، وإنى أعتذر لك إذ قمت قبل أيام-دون إذن منك - بأخذ  
دفاترك ، وسجلت نيابة عنك الدروس التى لم تحضرها . " تأثرت تشن لذلك تأثراً  
بالغاً، إنها ماري التى سجلت لها دورسها ! وهذا أكثر شىء أسعدها ، وقالت  
الزميلات " حقاً ، إن ماري زميلة عظيمة " . ابتسمت ماري وانتحت جانباً فى  
صمت .

وفى اليوم التالى ذهبت تشن تبحث عن ماري : " أتوافقين على أن نراجع  
دروسنا معاً ؟ أومأت ماري بالإيجاب ، وسألت تشن فجأة: " هل تشعرين أننى  
متبلدة جامدة المشاعر ؟ " ردت تشن : «مشاعرك حماسية ومتوقدة ، لكنك كأن

ثمة حجر طاحونة ضخمة يجثم على صدرك ، تمتمت ماري ثم قالت : " أحب أن أراجع دروسى ، أحب الجلوس معك " .

وأثناء مراجعة الدروس ، كانت زميلات كثيرات تنصحن تشن بوا ، استريحى قليلا ، حتى لا تتوتر أعصابك ، فكانت تشكرهن على اهتمامهن وتواصل المذاكرة . وكلما طالبتها الزميلات بالراحة ، ازدادت عزيمتها على العمل . تشعر بسهولة فى مراجعة دروسها ، فقد ظهرت الآن ميزة انتباهها إلى الشرح أثناء الحصة ، هناك كثير من الدروس استوعبتها تماما دون الحاجة إلى مراجعة خاصة ، ثقتها فى نفسها كبيرة فى مواجهة الامتحان .

اندهشت زميلتها ماري التى تراجع معها ، سألتها : " ماذا حدث لك ، أستطيعين فى مثل هذا الوقت وهذه الظروف أن تذاكرى بهذه الجدية ؟ " .

أجابتها تشن بوا : " هل ما زلت تذكرين كلمات حضرة الناظرة فى حفل ليلة رأس السنة ؟ إن بلادنا تتطور بسرعة ، وهذه السرعة تتطلب الاستعداد ، وتدعونا إلى التحفز ، فكيف لى أن أستكين ؟ " .



كانت عزيزة بوا في مراجعة دروسها درساً لكل زميلاتها ، فبذلن قصارى جهدهن في المذاكرة . طوت تشيانغ يون الرواية وما لبثت أن استغرقت في الدراسة . وحدث تقدم في المستوى في امتحان هذه المرة عن سابقتها .

وبذلك انتهى نصف العام الدراسي الأول ، وبدأت إجازة الشتاء .

وانتهت تشيانغ يون من قراءة كتاب كيف تصلب الحديد " .

في اليوم الأول من الإجازة . . تأثرت به تأثراً شديداً ، وشعرت بوجود رابطة بينها وبين شخصيات الكتاب ، رشحت هذا الكتاب لتقرأه سونينغ ، وقالت لها في لهجة تجمع بين الأمر والرجاء : " اقرئي هذه الرواية من فضلك ، أتعرفين كم هي رائعة ! كيف لك لا تقرأين مثل هذه الرواية ؟ لابد أن تطالعيها !

وبعد أسبوع ، ذهبت تشيانغ يون إلى بيت سونينغ في وقت الظهيرة ، تريد أن تستطلع أحوال قراءة سو للرواية .

إنها الدادة تشاو التي تفتح الباب لتشيانغ يون ، لكنها لم تقل هذه المرة " الأنسة " قاصدة سونينغ ، بل سألتها : " حضرتك تريدين . سونينغ ؟ " .

ودخلت تشيانغ يون حجرة سونينغ ، شكل الحجرة وترتيبها لا يختلف كثيراً عن تلك المرة التي قمن فيها بتجميلها بأنفسهن ، اختفت الكتب القديمة التي كانت فوق المكتبة وحلت محلها كتب جديدة ، معلق على الحائط صورة زيتية جديدة بعنوان - " الزعيم ماو يقود مسيرتنا لبناء وطننا العظيم " الصورة للزعيم يممسك بقلم أحمر ويطالع خريطة القلاع الصناعية في بلادنا ، تراييزة الشاي عليها فارة بها زهور صناعية .

علقت سونينغ معطف تشيانغ يون في إحدى جنبات الحجرة ، مدت تشيانغ يديها المتجمدتين من البرد نحو الفحم لتدفئتها ، وسألت سونينغ : " كيف لا تدعوك الدادة تشاو " بالآنسة " ، أشاحت سونينغ بيدها في ضيق واشمئزاز وقالت ، بعد زيارتك السابقة لى ، أمرتها بالأنا تناديني بهذا النداء مرة ثانية .

وبينما كانتا تتكلمان ، جاءت الدادة تشاو تحمل في يدها إبريقاً معدنياً كبيراً ، وضعته فوق موقد الفحم بعد أن أيقظت نيرانه . واستدارت وسألت سونينغ : " الآنسة . . . . آه معذرة ، أيتها الرفيقة سو ، ألدى حضرتك ملابس تودين غسلها ؟ " أجابتها : " غسلت ملابسى بنفسى .

وبعد انصراف الدادة تشاو ، تمددت تشيانغ يون على فراش سونينغ وهى تضحك ضحكة طويلة ، وتقلد الدادة تارة أخرى .

" الرفيقة سو ، الرفيقة سو ، يا له من مزاح .

جلست سونينغ على الكرسي وقد وضعت يدها اليمنى على خدها ، وقالت لتشانغ يون " لقد حدثت بعض التغيرات فى أسلوب حياتى ، فلم أعد أسمح لأحد بأن ينادينى ، " الآنسة " ، كل ملابسى أغسلها بنفسى ، وعندما تعطينى أمى مصروفى آخذ منها أقل القليل . "

جلست تشانغ يون ، " وصفت خصلات شعرها بيدها ، وأومأت تعبيراً عن الاقتناع والترحيب ، استطرقت سونينغ ، " لقد انتهيت من قراءة رواية ( كيف تصلب الحديد ؟ )

سألتها تشانغ يون فى توثب واهتمام : " وما رأيك ؟ "

" رواية رائعة "

صفقت تشيانغ فى تلقائية وهى تهتف " نعم ، إنها لرواية رائعة "

قالت سو : " بعد قراءة هذه الرواية انتابتنى بعض الأحزان ، ساورتني بعض الشكوك . . . . ونهضت من مكانها ، وأتجهت نحو ترابيزة الشاي واستطردت تقول ويدها تداعب فإزة الزهور وبصرها منصرف عن تشيانغ يون " ما يحزنني أن حياة الآخرين عظيمة وذات آفاق فسيحة ، بينما حياتي ضيقة محدودة لدرجة تثير الأسى ، أشعر أنني لست مثلهم ، فليس لدى ما يتوفر لهم من شجاعة وإقدام ، وقوة إرادة ، وحمية وحماسة . وإنني ربما تسلل الخوف إلى نفسي إذا ما وضعت في هذه البيئة ، وما يثير الشكوك في داخلي ، ترى هل باستطاعتي أن أصبح مثل هؤلاء الناس ؟ "

أجابت تشيانغ يون بلا تردد : " نعم باستطاعتك " .

هزت سونينغ رأسها ، وتمتمت في نفسها : " أنا . . . . لا أستطيع أن أفعل شيئاً " .

نزلت تشيانغ يون من فوق السرير ، اتجهت إلى الناحية الأخرى من ترابيزة الشاي ، ورمقت سونينغ بنظرة قلقة حائرة ، لم تستقبل سو هذه النظرات المباشرة ، استدارت ، اقتربت إلى جوار رفوف المكتبة ، ألقت بنفسها فوق أحد المقاعد القديمة المتهالكة ، أحنّت رأسها وأخرجت منديلاً وراحت تجفف العرق من راحة يدها .

قالت تشيانغ يون في شيء من الغضب والضيق : " حقيقة لست أدري ، أليست أحوالك على خير ما يرام بعد هذه الفترة الدراسية ؟ كيف أما زالت تراودك هذه الأفكار ؟ ، إن أمرك محير دون سبب يدعو إلى ذلك .

صمتت سونينغ ، هزت كتفيها ، رشفت من أنفها كما يفعل الأطفال ، واستطردت تقول في صوت أجش : " على خير ما يرام في هذه الفترة ؟ لا يوجد سبب يدعو إلى ذلك ؟ إن أسرتي هذه ، آه هيه .

وما إن نطقت سو بكلمة " على خير ما يرام " حتى كسا وجهها الحزن والكآبة ،  
وعندما ذكرت كلمة أسرتى " تطاير من عينيها شرر حقد دفين .

لم تفهم تشانغ يون مغزى هذه المشاعر ، ووقفت تشيانغ - التى تعتقد أن لها  
القدرة على قراءة عيون الآخرين - حائرة فى فهم صديقتها . ثم لفهما الصمت  
والهدوء .

زال هذا الموقف الحرج بعد فترة من الصمت ، واقتربت سونينغ من تشيانغ يون  
وتظاهرت بالسعادة ، وقالت لها : " إنك ما إن رأيت وجهى حتى بدأت توجهين  
إلى الانتقادات ، دعينا من ذلك ولنتوقف عند هذا الحد فلقد أعددت بعض  
المأكولات الخفيفة استعدادا للترحيب بك " .

قالت سونينغ : " أتحيين تناول حبات من أبو فروة ؟ لكنها مع الأسف ليست  
ساخنة ، وهى كلما كانت ساخنة كانت حلوة وطرية ، وإننى أحبها كثيرا .

أومات تشيانغ يون ، " مدت يدها وأخذت إحدى حبات " أبو فروة ،  
إنها تريد أن تقول شيئا ، لكنها لا تجد الكلمات المناسبة . وأخذت سونينغ تحدثها  
فى صوت ناعم خفيض وهى تلملم كلمة من هنا وكلمة من هناك ، لكن تشيانغ لم  
تعرها اهتماما كافيا . واستوت نيران الموقد واشتدت حرارتها .

من يجلس فى مثل هذه الحجرات الدافئة فى الشتاء يغالبه دائما النوم . تحاول  
تشانغ أن تقشر حبة " أبو فروة " ، لكنها هيهات أن يتحقق لها ذلك ، فالقشرة  
الداخلية تلتصق بالثمرة ، فألقت بها كلها فى فمها ، أخذت تمضغها بعض الوقت  
حتى امتصت بعضها من حلاوتها ثم ألقت بها فى سلة القمامة .

تذكرت سونينغ كلمات آخر مقطوعة موسيقية سمعتها وهى مقطوعة ( شتتانيو )  
الخاصة بشمال مقاطعة شانشى

" لم تأت فى موعدك المحدد ،

لقد أبلت ثلاثة أحذية فى انتظارك عند قمة الجبل . . . . .

وأكملت تشيانغ يون الجزء الثانى من المقطوعة :

وتضربك أمك بسبب لقاء الحبيب ،

وإلا فأخبرى الحبيب لماذا أردت تجرع السموم ؟ . . . . .

لم تذكر سونينغ المقطع الثالث ، ولم تجب على السؤال الذى طرحه المقطع الثانى . أخذت المياه داخل الإبريق الذى وضعتة الدادة تشاو فوق النار تصدر أصواتا غريبة من فرط الغليان وكأنها تدندن بكلمات أغنية غير مفهومة تشبه الأصوات والهمهمات التى تصدر عن المرأة الغنية تعبيراً عن النفوذ والسلطان .

خرجت تشيانغ يون من بيت سونينغ وهى تتأبط الرواية التى أعادتها سو إليها، شعرت أن تصرفاتها مع سو لم تكن مناسبة ، فقد اعتقدت ببساطة أنها ليست لديها أى مشكلة ، بينما وجه سو مازال ينطق بالضيق والألم ، ترى ما سبب ذلك ؟ .

هبّت رياح شمالية غربية ، دفست تشيانغ يون عنقها داخل ياقة معطفها الكبيرة، سمعت وقع أصوات خطوات سريعة تلاحقها ، وتبعها صوت يخاطبها قائلاً :

" أهلا وسهلا ! أمازلت تذكيرى ؟ "

" سوجون ؟ نعم أذكرك " .

يرتدى سوجون معطفاً من الجلد رمادى اللون ، ذا ياقة طويلة مرفوعة حول رقبته مصنوعة من جلد كلب البحر ، وعلاوة على هذه الياقة ، هناك أيضا كوفية لم تشهد تشيانغ يون لها مثيلاً من قبل فى طولها وعرضها ، لفها حول عنقه عدة لفات وكأنها رباط طبي .

يلبس فوق رأسه قبة من الجلد ، ويضع على فمه وأنفه قناعاً من النسيج الرقيق<sup>(١)</sup> ؛ ولم يعد يظهر من وجهه سوى عينيه . وما ان نظرت تشيانغ يون إلى عينيه اللتين تفيضان بالعصبية والقلق حتى أدركت على الفور أنه سوجون ، فنظرت إليه فى شىء من الشك والحيرة .

قال سوجون فى صوت خفيض " أريد أن أتحدث معك فى أمر ما ، أيمكن أن نبحث عن مكان مناسب نتكلم فيه ؟ . "

" ما هو ذلك الأمر ؟ . "

لم يجبها وقال : " لنبحث أولاً عن مكان نتحدث فيه . "

طلب سوجون وهو يخلع المعطف عن نفسه : " اثنين زلابية ، وواحد بقلاوة . "

وقال لتشيانغ يون " لحظة " عندما وصلت الطلبات ثم استطرد : " سمعت أن حساء " اليوتشا " الذى تقدمه هذه الكافيتريا يمتد تاريخه إلى مئات السنين ، إنهم يستخدمون فى صنعة الدهن المستخرج من عظام العمود الفقرى للبقرة . "

سألته تشيانغ وهى تقلب الحساء بملعقة صغيرة : " فيم أردت أن تحدثنى ؟ "

رد سوجون بكلام لا يمت بصلة لسؤالها " إن مكسبات الطعم واللون من مكسرات وفواكه وتوابل فى هذه الكافيتريا . . . . كلها مصنوعة بطريقة جيدة . "

واستطرد يخبرها : " سوف أذهب بعد نصف شهر للعمل فى قوانغتشمو ، لى صديق هناك طلبنى للعمل فى ترتيب وتصنيف الآثار ، سوف أكون " موظفًا هناك " . "

" رائع ، أهنتك على ذلك "

(١) هذا القناع من القماش الأبيض الرقيق يستخدمه معظم شعوب جنوب وشرق آسيا وقاية لهم من البرد والأتربة والغازات .

" شكرا ، إن ذلك يتطلب منى أن أشكرك " .

" تشكرنى ؟ " .

واصل سوجون حديثه قائلاً " أتمنى بعد أن أسافر إلى قوانغتشو أن تهتمى كثيراً برعاية أختى " وركز على نفس المعنى مكرراً

" أتمنى أن تساعدنيها ، وألا تعتبرها متخلفة فكرياً فتستخفى بها " .

" هذا أمر طبيعي "

" أريد أن أخبرك بشيء " قالها سوجون وقد تقطب جبينه ، ورفع رأسه ، سادت وجهه صفرة وشحوب ، وقد طفرت فوق عظام خديه حمرة كرزية ، كأنه مريض استبد به المرض " وقال " اقتربى قليلاً من فضلك ، إن مرض السل الذى أعانى منه لم يعد معدياً ، لكنه أعاد الغطاء الواقى إلى فمه بعد هذا الكلام .

اقتربت تشيانغ يون منه .

" أتعرفين ، ما السبب فى أن أختى الصغيرة لا تستطيع أن تكون مثلكن ؟ "

" ما هو هذا السبب ؟ " .

أطلق سوجون تنهيدة طويلة ، وأخذ يقطع أصابعه واحداً تلو الآخر ، حتى إن عظام عقلات الأصابع كانت تصدر أصواتاً حادة وقال فى جدية وصرامة : " إن هذا الموضوع ، لا يعلم أحد عنه شيئاً ، حتى أبى وأمى ، سأخبرك به ، وأرجوك . . . . . "

" شكراً لك على هذه الثقة ؟ "

" حسناً " وبدا أنه شعر بشيء من الراحة ، دفع بطبق اليوتشا جانباً ، وتلفت حوله ليطمئن إلى عدم وجود أحد من الناس ، ثم قال فى حزن وأسى وقد ارتعدت

فرائضه : " عندما كانت أختى الصغيرة فى الحادية عشرة من عمرها ، قام زوج أختها . . . . . "

شعرت تشيانغ يون بالريح تصفر فى أذنيها ، وكادت تحبس أنفاسها .

واصل سوجون قائلاً : « كان زوج أختها الكبرى - أى زوج أختى التى تصغرنى - قائد فرقة فى جيش الكوميتانغ ، يكبر أختى بكثير ، فى تلك السنة ، لم يكن مضى كثيراً على زواجهما . وذات مساء اصطحب أختى الصغرى وخرج إلى أحد المتزهات ، وعادا فى وقت متأخر ، كان شعرها مبعثراً ، عيناها منكسرتان كأنها قد أصابها مرض الحمى ، كانت علاقتها بى طيبة دوناً عن كل أفراد الأسرة ، لذلك انتظرت حتى نام الجميع ثم سألتها ، فقالت إن زوج أختها اقتادها إلى أحد الكهوف الصناعية فى المتزه . . . . . وكانت آنذاك صغيرة وليست على درجة كافية من الوعى . . . . . وبعد سماع الحدث ، فكرت آنذاك أن أسئل سكيناً وأنحر رقبتة . . . . . "

احمر وجهها وسألته فى نبرة لوم واتهام " و لماذا لم تنحرها ؟ " .

" يقف اثنان من جنود الخدمة لحراسته ، يحمل كل منهما بندقية ، اقتحمت عليه حجرته فى اليوم التالى وصفعته على وجهه . . . . . "

" قتلته أم لا ؟ " .

" ضربنى حتى كاد يقتلنى ، ثم صحب زوجته وانتقل إلى مكان آخر .

واتهمنى كل أفراد الأسرة بالجنون ، واستدعوا لى الطيب . . . . .

" ولماذا لم تخبرهم بذلك ؟ " .

" هيه . إنهم ينظرون إليه على أنه كبير العائلة " ثم واصل حديثه فى نبرة تفيض بالتأثر : " لذلك ، عليك ألا ترمى غيرك بالتخلف ، فأنت لا تعرفين كم تكبدت من المعاناة والآلام . "



وفى لحظة ، مرت بخاطرها أفكار وأساليب لا حصر لها للانتقام لسونينغ ، ثم ما لبثت أن تلاشت جميعاً .

أرجوك أن تحيطى أختى الصغيرة برعايتك .

" سوف أفعل ، إننى أستطيع ذلك ، سوف أسرى عن سونينغ ، أكيد ، لاشك فى ذلك يجب أن أشفى جراحها وأخفف عنها آلامها .

فالأمر ليس جد خطير ، وتستطيع أن تعيش حياتها فى سعادة ، ولا بأس مما حدث . رددت تشيانغ يون هذه الكلمات وهى تلوى أصابعها فى حزن وأسى شديدين .

صافحها سوجون قائلاً : " إننى أشكرك مرة أخرى " . ونادى الجرسون ودفع له الحساب وعندما حانت لحظة الوداع ، قال سوجون فجأة فى تردد وخجل : " وأنا ، لى عندك طلب . . . "

سألت وهى تلبس القفاز فى يديها " ما هو " ؟ .

" إننى سوف أنتقل إلى قوانغتشو ، ألا أجد معك صورة لحضرتك ؟ " .

وكانت هذه المرة الوحيدة التى يناديها بلقب " حضرتك " .

احمر وجهها خجلاً ، وقالت " ليست معى صورة " .

قال سوجون وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة مريرة حزينة :

" فلتصفحى عنى إذن ، وكأن شيئاً لم يكن .

وبينما تشيانغ يون فى طريق عودتها إلى المدرسة ، كان الليل قد أسدل ستائره ، حيث إن نهار الشتاء قصير . هبت الرياح المزمجرة ، حبات الرمل والحصى تضرب

وجهها . "تشعر بنوع جديد عليها من الحزن والأسى يعتصر قلبها . فما أكثر  
الأمور التي لم تدركها بعد في هذه الدنيا .

وما أكثر مآسى الحياة ، وما أتعس أن تكونى فتاة فى هذه الأيام .

حقيقة ليس هناك أتعس من أن تكونى فتاة فى يوم هو أشبه بالكابوس الثقيل  
مثل ذلك اليوم .

كانت لى تشون قد أرسلت " بالمسرحية ذات الفصل الواحد " إلى صحيفة الشباب اليومية وذلك قبل بدء امتحانات نصف العام الدراسى . وكانت فرحتها عند عودتها من مكتب البريد أشبه بفرحة جندى المدفعية الذى يطلق قذيفة من مدفعه لأول مرة . وظلت لعدة أيام بعد ذلك تتذكر باستمرار انطباعاتها ومشاعرها وهى تلقى الظرف السميك الذى يحمل مسرحيتها فى صندوق البريد ذى اللون الأخضر . وكانت أحياناً تفكر بطريقة خرافية ، إذا أكلت أرزا ولم تأكل المانتو (الخبز الصينى) فى وجبة الغداء اليوم ، فسوف يكون هناك أمل فى نشر المسرحية ، ولن تنشر إذا حدث غير ذلك . وتكون النتيجة أن تجد المانتو على الغداء فينتابها حزن وقلق شديد . وتقول أيضاً فى نفسها إن المسرحية يمكن أن تنشر إذا لم تهب الرياح غداً ، ويأتى اليوم التالى كما تمت بجوه اللطيف ونسماته الرقراقة ، فتتشى وتسرى الفرحة فى كيانها . وعندما تخرج من حالة الأسى ، أوتتهى نشوة السعادة تسخر من نفسها قائلة " كلام فارغ . . . . .

حلت عطلة الشتاء ولم يصل خبر عن المسرحية . كل يوم تسارع لى تشون لقراءة " صحيفة الشباب اليومية " كأنها تهتم بما نشر فى الصحيفة من الأحداث أكثر مما كان فى أثناء وضع الميثاق الوطنى عام ١٩٥١ . تقلب الصحيفة ورقة ورقة ، وسطراً سطراً ، وكلمة كلمة فلا تجد أى خبر عن نشر مسرحيتها ، فتشعر بالقلق ، ألا يمكن أن يكون الخطاب قد فقد فى البريد ؟ أو يكون المحرر البيروقراطى قد ألقى بمسرحية الطالبة المغمورة فى سلة المهملات ؟ وتزداد قلقاً يوماً بعد يوم ، ولا تشعر بطعم للأكل ولا راحة فى مضجع ، كأن جسدها فى المدرسة وقلبها تركته مع المظروف فى صندوق البريد الأخضر .

وذات صباح ، بينما كانت تتناول الحساء جاءها عامل يخبرها بأن لها مكالمة تليفونية . ورفعت السماعة فقال لها الطرف الآخر على التليفون " نحن الصفحة الأدبية بإدارة التحرير فى صحيفة الشباب اليومية " . خفق قلبها حتى كاد يقفز من

بين ضلوعها ، وقالت وهى تنهته وكأن لسانها قد انعقد : " كيف - الحال ؟ " فرد الطرف الآخر : " لقد طالعنا مسرحيتك . . . . .

ردت لى تشون " حسناً ، حسناً ، " وقال الطرف الآخر " إننا نستأذنك فى الحضور إلى الصحيفة للتشاور والبحث ، ماذا ، ماذا تقول ؟ كرر على أسماعها نفس العبارة .

وسألها " متى يسمح لك الوقت بالحضور ؟ " ، " ماذا ، الوقت؟ ألو ، عندى متسع من الوقت الآن ، يمكننى الحضور الآن " .

واتفقت مع محدثها على أن تذهب إلى قسم التحرير " بصحيفة الشباب اليومية " فى الحال ، ثم عادت لى تشون إلى صالة المطعم ، فلم تستطع الانتهاء من تناول طبق الحساء . هل تنشر المسرحية أم لا ؟ إنه لم يخبرها بذلك ، لكن كلماته إليها تبدو شديدة التكلف والتصنع . . . . . دفعت الطبق فى غضب .

وصلت إلى مقر صحيفة الشباب اليومية ، بدا لها المبنى البسيط فى ذلك الوقت فخماً مهيباً ، وزاد عندها هذا الشعور عندما رأت سيارة واقفة أمام الباب .

اقتادها شخص إلى مكتب استقبال الضيوف ، وجلست على إحدى الأرائك بالقرب من مدفأة الفحم ، تسمع دقات قلبها وهى تنتظر وصول الرفيق المحرر .

دخل شاب طويل القامة ، نحيل ، يضع نظارة على عينيه ، يتهادى فى خطوات وئيدة ، ثم تبعه ساعى ليصب لهما الشاى .

سألها : " أنت الزميلة لى تشون ؟ " .

" نعم ، أنا لى تشون " .

تفضلنى ، اجلسى ، اسمى العائلى ، اسمى الكامل تيان لين " .

وسألها " هل أنتم فى إجازة ؟ " .

أجابته ، وتبادلا بعض الحديث العادى ، وهى تنتظر رده الحاسم على أحر من الجمر . أخرج تيان لين مسرحية لى تشون من جيبيه . ظهرت الثنيات على أحرف الورق مما يوحي أنها تناقلتها أيادى عديد من الأشخاص . قلب تيان لين مسودة المسرحية ، وابتسم ، وتناول سيجارة بيده اليمنى ووضعها بين شفثيه . وفجأة انتزعها من فمه وألقى بها على المكتب .

" عزيزتى لى تشون ، أسمحين لى أن أسألك ما هو هدفك من كتابة هذه المسرحية ؟ " .

صمتت لى تشون فقد كانت تتوقع أى سؤال غير ذلك الذى طرحه عليها :  
" وقالت : " أنا كتبت المسرحية من أجل .. .. "

لاحقها تيان لين : " لتحدث حديثًا عفويًا . إننى لم أفهم هذه المسرحية على النحو التام ، وقد شعرنا بعد قراءتها أن مضمونها غير واضح ، ماذا أردت أن تقولى من خلالها ؟

تمتدحين هذا البطل ، لم تمتدحينه ؟ ، تنتقدين أمين أحد اللجان الفرعية لرابطة الشبية ، لم تنتقدينه ؟ " .

تحدثت لى تشون بعدة جمل غير مترابطة ، وتيان لين يسمع بإنصات ويهز رأسه بالإيجاب ، ثم طرح عليها السؤال من جديد ، فتشجعت بعض الشيء وقالت : " أردت أن أنتقد أولئك الذين يثرثرون حول النظريات الجوفاء ، وأنتقد نماذج من ذوى المستوى الدراسى المتدنى الذين يحسدون الآخرين .. ..

ثم بحث تيان لين معها مسيرة ومصير هذه الشخصيات داخل المسرحية ، استغرقا طويلا فى البحث دون إزالة الغموض الذى يكتنف مضمون المسرحية .

قال لها تيان لين : " إن محاولتك إبراز المشاكل والتحدث عنها شيء رائع للغاية ، لكنك لم تفكري بوضوح ، وكذلك لم تعبرى بوضوح أيضا . . . . بل على العكس ، تعطى القارئ انطباعاً خاطئاً ، و كأنك تريد أن يتصرف كل شخص بصفة فردية حسبما يريد ، وترفضين الجماعة والرابطة ، نعم إنك تكتبين عن الطلاب ، ولكن ذلك مختلف عن واقع الحياة الطلابية الآن ، بل إن ما كتبه أشبه بتجميع لكثير من النقائص والعيوب . . . .

ضاع الأمل ، لا أمل فى ذلك نهائياً ،

وكادت الدموع تسيل من عيني لى تشون وهى تتسلم مسرحيتها من يد تيان لين. ما أجمل لحظة إرسال هذه المسرحية بالبريد ، وما أصعب لحظة استعادتها ، اتضح لتيان لين أنها فى أسى فقال لها وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة ساذجة كابتسامة الأطفال :

" أتمنى أن تكتبى فيما بعد لنا قصصاً قصيرة ، وألا يتسرب اليأس إلى قلبك ، فكم من كتاب وأدباء عظام ذهبت بعض كتاباتهم إلى سلال المهملات وهم فى أول الطريق . . . .

ولم تكن لى تشون بحاجة إلى سماع هذه الكلمات ، فقد دست أوراق مسرحيتها فى حقيبتها فور خروجها من مقر الصحيفة ، خشية أن تظهر أمام أعين الآخرين فيقولون : " ها هى مسرحيتها قد ردت إليها . " إن لى تشون ليست بالطالبة الغبية ، فلأنها لم تعط قدراً كافياً من الاهتمام وأخذتها نشوة الإعجاب بالنفس والخياء وقت كتابة مسرحيتها ، فنجدها قد استمعت الى تحليل تيان لين ، ثم أدركت حقيقة أن ما كتبه دون المستوى المطلوب ، ولم تفكر مقارعة آراء تيان لين ، ولن تجد إلى ذلك سبيلاً ، شعرت أنها وضعت نفسها فى موقف حرج ، وأنها أضاعت وقتاً طويلاً دون جدوى ، كان من الصعب عليها تحمل هذا الموقف " أنا لى تشون ، منذ التحاقى بالمرحلة الابتدائية ، لم يواجهنى أبداً مثل هذا الموقف

المخجل .. . " وراحت تقطع الشارع الطويل وهى تشعر أن قامتها قصرت إلى النصف فجأة .

وعادت إلى المدرسة ، الفناء المواجه لقسم التوجيه والإشراف يكتظ بالزميلات . ألفت نظرة على المكان ، وقع بصرها على تشوتشيا ولينغ التى لوحت لها بيدها قائلة ، "أسرعى ، أسرعى ، إنهم يوزعون الشهادات . "

أقبلت لى تشون ، وجهها يحمر تارة ويصفر تارة أخرى ، همست لها تشوتشيا ولينغ فى أذنها وكأنها عصفور صغير : " مالك لا تذهبين لاستلامها ؟ "

لقد تسلمت معظم زميلاتنا فى الفصل شهادتهن ، وأنت لن تقل درجاتك فى أى مادة من المواد عن مائة درجة ، حقيقى ، اذهبي وتسلميها بسرعة حتى نرى ، وتشعر تشوشيا ولينغ بسعادة غامرة ، فقد حققت نتيجة لا بأس بها فى أكثر المواد صعوبة بالنسبة لها ، مادة اللغة الروسية .

وضع مكتب الإشراف الشهادات فوق عدة مناخذ ، كل فصل على حدة حسب ترتيب الفصول ، الطالبات فى الفناء على شكل مجموعات ، كل مجموعة تتحاور فيما بينها . كل طالبة تريد معرفة درجات الأخرى ، وأن تقارن نفسها بزميلاتها ، لكن لا ترغب أى منهن أن تطلع الأخباريات على شهادتها .

اختلطت أصواتهن العالية وهن يدرن فى دورات ارتجالية .

"كيف الحال؟ هل النتيجة طيبة؟"

"اذهبي عنى ، فقد رسبت فى عدة مقررات؟"

ترد أخرى وقد قطبت حاجبيها : "يا إلهى ! لقد أخبرتيني فى الفترة الدراسية الماضية أنك رسبت فى عدة مقررات ، وكانت الحقيقة أنك حصلت على مائة درجة فى كل من هذه المقررات ،

" خست ، كفى عن هذا الهراء . . . . . "

" إذن ، دعيني أرى درجاتك . "

" أريني أنا أولاً . . . . . "

يدور هذا الحوار فى كل مكان فى المدرسة ، كانت لى تشون قد تسلمت شهادتها وسط هذا الضجيج والعجيج، نظرت إلى درجاتها فى عجلة ، إنها لا بأس بها . فقد انشغلت أثناء الامتحانات بكتابة المسرحية ، لذلك جاءت نتيجتها هذه المرة أقل من المعتاد، أقيمت تشوشيا ولينج ، تريد أن ترى شهادة لى تشون ، فأعطتها لها دون كلام ، وتريد لى تشون أن تعود لغرفتها بسرعة لتريح جسدها ، وتهد من روعها ، خاطبتها تشو فى لهجة رقيقة : " يا للروعة ، كيف حققت مثل هذه النتيجة الطبية فى امتحان الرياضيات؟ والكيمياء أيضاً. "

" أخبريني ، هل كان امتحان الكيمياء صعباً هذه المرة أم لا ؟ إن الأستاذة تشونغ شديدة المهارة، لقد تخيرت الأسئلة الصعبة ! كنت أتوقع أن يضم الامتحان أسئلة فى الكيمياء العضوية، لكنه خلا منها تماماً. . . . . "

أجابتها لى تشون بنحنة ، ومدت يدها تسترد شهادتها ، وفجأة سمعت تشوشيا ولينج تقول :

" أحصلت على تسعين درجة فى الفيزياء ، أقل من تشن بوا "

ثم خفضت صوتها، وأشارت بإصبعها ، وقالت فى صوت هامس :  
" أتعرفين ، لقد حققت تشن بوا نتيجة رائعة فى هذا الامتحان ، إنها فتاة مغامرة ! "  
" أتذكرين امتحان الفيزياء الماضى ، عندما أجابت بأن الساعة بها مائة دقيقة ؟ "



حصلت هذه المرة على مائة درجة ! "

كان وقع هذا الخبر شديداً على لي تشون ، تفوقت تشن بوا عليها في مادة الفيزياء ! بينما انهزمت هي في العمل الاجتماعي ، وفي العلاقات العامة ، وفي كتابة المسرحية ، وحتى في مادة الفيزياء ! لماذا فكرت في كتابة المسرحية الملعونة ؟ وكانت النتيجة هزيمة مضاعفة ! " وخشيت أن تلحظ تشوشيا ولينغ حالتها غير الطبيعية ، فحاولت إطلاق بعض القفشات ، ثم انصرفت .

عادت إلى غرفتها وطوت لحافها المبطن بالقطن وارتكزت عليه بكوعها ، بدت خائفة القوى ، وأخذت تارة تسترجع عزمها على كتابة المسرحية أثناء مرضها ، وتارة أخرى تتذكر انتقادات اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشيبية ، وحينما تسترجع مشهد يدها المرتعدة وهي تمتد لتسترد مسرحيتها من تيان لين ، وحينما آخر تذكر التسعين درجة ، المائة ، المائة ، التسعين .

اعترفت لي تشون لنفسها في حزن وأسى ، " تشن بوا واسعة الأفق ، وأكثر منى تفوقا ، إنها لم تخذع نفسها أبدا . وإسهامات تشن بوا في الأعمال الاجتماعية كثيرة ومتعددة ، ولقد توفيت أمها حديثاً ، وأساسها الدراسي لم يكن متينا من قبل ، لكنها انطلقت سعيدة نحو القمة ، أما أنا . . . . . " أيمن أن أكون قد أخطأت؟ ، هل أخطأت؟ " نعم ، لقد أخطأت! " ثم ألقى برأسها فوق اللحاف . .

دخلت ووتشانغ فو الحجره لتغير ملابسها ، ورأت لي تشون وقد بدت عليها علامات انكسار القلب وفتور العزيمة ، فانتابها شعور شديد بالغرابة .

فهي لا تتحدث مع لي تشون إلا نادراً ، وذلك منذ تلك المرة التي مازحتها فيها .

اعتقدت أن لي قد أصابها مرض هذه المرة ، فاتجهت نحو فراشها في حنو وإخلاص ، ومدت يدها لتحسس جبهتها وهي تتساءل : " أيمن أن تكون قد ألم بها مرض ؟ " .

وكانت لى تشون قد أغمضت عينيها ، وأخذت فى النعاس ، وعندما أحست فجأة بيد كبيرة توضع فوق جبينها ، فتحت عينيها ، رأت ووتشانغ فو ، فنهضت مفزوعة وخرجت من الحجرة دون أن تتكلم .

سيطرت الدهشة على ووتشانغ فو ، وجلست جامدة على فراش لى تشون ، دون أن تفهم شيئا .

ولم تظهر لى تشون وقت تناول الغداء ، سألت بعض الزميلات : " أين لى تشون؟ ردت ووتشانغ فو : " دعونى أقول لكن شيئا ، وأرجو أن تصدقنى ، لقد رأيت لى تشون كأنها أصابها مس من الشيطان ، فقد دخلت عنبر النوم صباح اليوم لأغير ملابسى فوجدتها وحدها هناك ، أتدرون كيف كان حالها؟ كانت تدفن نفسها حتى منتصف رأسها تحت اللحاف ، وجسمها يتلوى ذات اليمين وذات الشمال ، شد انتباهى هذا المنظر ، وما إن اقتربت منها ، حتى أزاحت الفراش كأنها ترفسه ونهضت من فورها ، وخرجت من الحجرة ! "

" هراء ! أيمن أن تكون خرافة " الأرواح الشريرة " لاتزال تعيش بيننا حتى هذا العصر؟ " .

" لكن أن تصدقن أو لا تصدقن ! غير أن هذه الفكرة تتطابق مع دراسة باييلوف ، وإنها انعكاس لظروف معينة .

انتابهن القلق عندما أكدت ووتشانغ فو على صحة كلامها فبحثن عن لى تشون وقتا طويلا دون جدوى ، وفى الرابعة بعد الظهر دخلت لى تشون من بوابة المدرسة عائدة من الخارج سألتها " أين ذهبت ؟ " ، فأجابت بأنها خرجت تمشى ، وسألنها إذا كانت تناولت شيئا ، فقالت إنها أكلت ، وسألنها كثيرا فكانت ترد قليلا قليلا .

ترى ماذا أصاب لى تشون؟ .

جاء عيد الربيع ، ولم تعد تشيانغ يون إلى بيت العائلة ، فهي تخشى أن تترك تشن بوا بمفردها في المدرسة تجتر آلام الوحدة ، وتصر على أن تقضى العيد معها . وعندما حل اليوم الثانى من العيد ذهبت يانغ تشيانغ يون ومعها تشن بوا إلى منزل يوان شن تشى وهنأتا الأستاذ يوان " بقدوم الربيع الجديد " . وكان الأستاذ يوان قد وجه لهما الدعوة لزيارته أثناء الإجازة .

دخلتا من البوابة الكبيرة ، ونادتا على يوان شن تشى . خرجت إثر هذا النداء طفلة ترتفع عن الأرض بقليل ، فى رأسها بنسة شعر صغيرة ، وعلى صدرها مريلة بيضاء ، وهى تعدو نحوهما . وعندما اقتربت منهما وقعت على الأرض ، أسرع تشيانغ يون لتساعدها على النهوض ، فسمعت يوان شن تشى تقول وهى تخرج مسرعة : " لا تساعديها ، دعها تنهض بنفسها " ثم خاطبت الطفلة الصغيرة : " هيا يا أختى ، انهضى وحيدك هذه المرة " . مكثت على الأرض لحظة ثم استجمعت قواها ونهضت مرة واحدة . ولم تبك ، بل أخذت تضرب الأرض بقدمها وهى تتمتم : " لقد أوقعتنى ، أيتها الأرض الرديئة ! " وإلى جوارها تشيانغ يون وتشن بوا تفهقهان بضحكات عالية .

استقبلت يوان شن تشى وأختها الصغيرة ضيفتيهما وقادتاها إلى حجرة استقبال الضيوف ، ولم يدخلن صالة البيت ، حتى وجدن الأستاذ يوان قد سحب الستارة استعداداً لاستقبال الضيفتين ، ولم تتوقف تشيانغ يون عن الشاء على الطفلة الصغيرة أخت يوان شن تشى ، فقالت : أولاً : إنها لا تخشى الغرباء عنها ، ثانياً : عندما وقعت نهضت اعتماداً على نفسها ، وثالثاً : إنها لا تبكى ، والطفلة التى تتحلى بهذه الصفات الثلاث ، طفلة تتوفر لديها مقومات " المستوى الاشتراكى " ، قالت يوان شن تشى مخاطبة تشيانغ يون : " كفى ، لا تغذى روح الغرور عند

الطفلة الصغيرة " . حيثذ ، وأمام هذا المبدأ " التربوى " توقفت تشيانغ عن هذا الشاء .

صالة البيت تتكون من حجرتين متصلتين مثيرتين ، يفتح عليهما جناحان شرقى وغربى وهما مصدر الإضاءة ، دخلوا جميعا الصالة ، أشار الأستاذ يوان إلى يانغ تشيانغ يون وتشن بوا أن تجلسا على أريكة جديدة بعض الشىء ، وسألها عن حياتهما فى الإجازة . أجابته تشن بوا ، بينما راحت تشيانغ يون ترسل بصرها فى كل اتجاه لتقدر مساحة هاتين الحجرتين : إحداهما صغيرة ، تزدحم بما فيها من أشياء ، هذه الأشياء تختلف فى طبيعتها وصيغتها فهى تمثل حياة أشخاص فى عدة أجيال متعاقبة .

يعلق على الحائط برواز به صورة عتيقة تحتها كتابة بالخط اليدوى ، وعلى أحد جانبيها صورة البطل دونغ تسون روى ، على جانبيها الآخر راية تقدير مكتوب عليها " العامل التقدىمى " أما الصورة العتيقة فهى على الأرجح منحة للجد الأكبر شن تشى ، وصورة دونغ تسون روى هى بالتأكيد تابعة ليوان شن تشى ، أما راية التقدير فهى بطبيعة الحال ملك للأخ الأكبر ليوان شن تشى . أما الحجر الأخرى فيوجد بها مكتبة ، ومكتب ، وأباجورة ، وهى أشياء خاصة بالأستاذ يوان ، كما توجد حقيبة جلدية وشنطة كبيرة وصرة من القماش وهى أشياء خاصة بأم يوان شن تشى ، على قاعدة الشباك عروسة من القماش ومركب صغير وهذه لعب الطفلة الصغيرة . وهكذا كان حديث تشيانغ يون " التحليلى " إلى جمهور الحاضرين ، فأثنى الأستاذ يوان على قوة ملاحظتها . قالت لها يوان شن تشى : " لقد رصدت كل شىء ، فيما عدا شيئاً واحداً ، " ما هو ؟ " ، " انظرى هناك ! " إنها سلة زهور تعبيرا عن الاستحسان ، إنها ليست سلة زهور ، بل ساق فجل كبيرة مجوفة معلقة فى وضع معكوس ، تختزن الماء بداخلها ، وقد غرست ساق كرنب فى بطنها ، ومن ثم نمت براعم ساق الكرنب وأزهرت زهوراً صفراء متجهة إلى أعلى ، بينما نمت أوراق الفجلة الخضراء متجهة إلى أسفل وظهرت واضحة على قشرة ساق الفجل .

نادت تشيانغ يون على تشن بوا لتشهد معها هذا المنظر، وامتدحت هذا " العمل  
البارع " الذى قامت به يوان شن تشى .

آنذاك حضرت أم شن تشى ، فرحبت بالضيفتين ترحيباً حاراً ، وقدمت لهما  
الشاي والبلح المخلى وكوكتيل فواكه . قالت لهما يوان شن تشى : " سأترككما هنا  
تتجاذبون أطراف الحديث ، وأذهب لأعد لكم الطعام . "

سألته تشيانغ يون : " أتعجبين الطهى ؟ " ردت أمها الواقفة بجوارها : " إن  
ابتنا شن تشى لطاهية ماهرة ، وجذبت شن تشى أمها من يدها وزهبتا لإعداد  
الطعام . جلستا على الأريكة . تشن بوا لا تتكلم إلا قليلا ، لقد تذكرت بيتها ،  
فلم تعد لها أسرة . ويبدو أن الأستاذ يوان لاحظ ذلك ، فبادرها قائلاً : " لا تحملى  
هماً ، عليك بزيارتنا كثيرا لنمرح معاً فأهل شن تشى ، هم أيضا أهل لك " .

وراحو يتجاذبون أطراف الحديث ثم قال الأستاذ يوان : " حدثانى عن رأيكما  
فى عملى كرائد لفصلكن . "

قالت تشيانغ يون : " يا للهول ، كيف نجرؤ على ذلك؟ . "

وابتسمت تشن بوا قائلة : " لقد جئنا لتهنئة حضرتكم بالعيد ، آملي أن تعرفنا  
بنقائصنا وعيوبنا فى هذه الفترة الدراسية ، وهيهات هيهات أن تطرح الطالبة رأيا فى  
أستاذها " .

رفع الأستاذ يوان النظارة من فوق عينيه ، وأخرج منديلا من جيبه وراح يمسح  
عدستها ، وهو يقول : " لا بأس فى أن تستقدي الأستاذ إذا وقع فى خطأ ، وفقاً  
لمبدأ " إننى أحب أستاذى ، لكننى أحب الحقيقة أكثر " . وفى واقع الأمر ، إننى  
على الرغم من قيامى بالتدريس لكن لعدة سنوات ، ورغم أننى رائد الفصل فى  
الوقت نفسه ، إلا أن التفاهم بينى وبينكن - بين الأستاذ والطالبات - مازال  
قاصرا . . . . . "

اقتربت تشيانغ يون وسألته : "أستاذى ، هل صحيح أن حضرتك لا تستريح إلى كثيرًا؟".

"أبدا ، كل ما فى الأمر أن احتكاكى بكن محدود جدا، وربما لأننى أشعر نحوكن بشيء من الرهبة".

تساءلت تشن بوا وتشيانغ يو معاً فى غير صبر " رهبة؟".

" نعم ، إن الجميع يسلمون برهبة الطالب من أستاذه بينما قليل منهم الذى يعرف أن الأستاذ يرهب تلميذه بنفس القدر ، وربما أكثر بكثير، فمثلا عندما اندلعت حركة مساندة كوريا ضد العدوان الأمريكى بين مختلف طوائف الشعب من عمال وفلاحين وجنود وطلاب فى أكتوبر من عام ١٩٥٠ ، عقدت مدرستنا اجتماعا واتخذ هذا الاجتماع قراراً بأن يقوم الأساتذة بتوجيه الأنشطة الطلابية والإشراف عليها. وقمت آنذاك بالإشراف على أحد فصول الصف الثالث ، وكنت حينئذ فى الصف الأول . ولكن أى إشراف وأى توجيه؟ مناقشات الطالبات تفيض حماسة ، سكرتيرة اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة تشرح فى صفاء ذهنى وتسلسل منطقى سليم. وطلبن إلى أن أفند وأضيف ، فقلت ، إننا نطالب بمقاومة أمريكا ومساندة كوريا، وحماية الديار والدفاع عن الوطن . . . . . حماية الديار والدفاع عن الوطن، مقاومة أمريكا ومساندة كوريا . . . . . وتلعثمت الكلمات على لسانى دون أن آتى بجديد ، حتى احمر وجهى.

وبطبيعة الحال ، لم يعبرن عن سخريتهن فى مواجهتى ، حيث إنهن جميعا ناضجات شابات عن الطوق، ومنذ ذلك الوقت تولد عندى شعور باحترام الطالبات - وخاصة عضوات الحزب الشيوعى ، ورابطة الشبيبة - وشعور بشيء من الرهبة أيضا" ، وسعل الأستاذ يوان عدة مرات، وأضاف فى صراحة أكبر : "لقد ترعرعتن فى كنف الزعيم ماو، ولذا فأنتن أحسن حظا منا بكثير ، وتفوقتن علينا كثيراً ، وإننى أشعر أن رسالة أمثالى من الأساتذة قد أصبحت بالغة الصعوبة".

قالت تشن بوا : " يبدو أن هذا هو حال الطالبات دائماً ، فنحن ننصت إلى شرح الأستاذ أثناء الدرس ، ثم تبدأ حياتنا الخاصة بعد انتهاء الحصص ، حيث نحضر الندوات ، ونقرأ الروايات ، ونتناقش فيما يتعلق بلوائح منظمة الشبيبة الشيوعي ، ونحاول جذب أعضاء جدد لهذه الرابطة . . . . "

"ويمكن أيضا القول " ، وتناول الأستاذ يون قدح الشاي وشربه في رشفة واحدة ، " إن عضوات رابطة الشبيبة يقدمن في هذه السنوات كثيرا من الإسهامات في مجال الأعمال والأنشطة الطلابية وإنما كأساتذة يجب أن نشعر بالخجل من أنفسنا أمام هذه الإسهامات ، لكننا مازلنا نقول إن الأستاذ لم يتفاعل بعد مع الطالبات ، وإنني ، ومنذ أن بدأت عطلة الشتاء أفكر كل يوم في هذا الأمر : كيف أقوم بعملى كأستاذ ؟ ، كيف أظهر أمام الطالبات ؟ وأخذت أقلب الأفكار في رأسي بحثا عن حلول جذرية ، هل تعرفان خوان لي تشينغ ؟ " .

أجابت تشن بوا : " نعم أعرفها " وأشارت تشيانغ يون إلى تشن بوا وهي تقول للأستاذ يوان ، " إنهما صديقتان حميمتان " .

" إنني لا أعرف بذلك أيضا ، لقد كانت خوان لي تشينغ مشار فخري واعتزاري من قبل ، لكنها منذ النصف الثاني من عام ١٩٤٧ انشغلت بإنشاء اتحاد الطلاب المستقل ، ومن ثم بدأت تهمل دراستها . وقد لاحظت في ذلك الوقت أنها على صلة بتنظيمات الحزب الشيوعي . . . . "

سألته تشن بوا في تعجب " تقول إن حضرتك لاحظت ذلك ؟ " حيث إنها تعتقد أن خوان لي تشينغ وجماعتها كن يخفين هذا الأمر جيدا .

" كيف يمكن ألا ألاحظ ذلك ؟ وقد كانت خوان كثيرا ما تطلب مني في ذلك الوقت أن أشارك في اجتماعاتهن الليلية . وقد ذهبت في أول مرة ، ولم يكن من الأساتذة سوى والأستاذ تشونغ . وبعد ذلك كنت اختلق الأعذار ، ولم أذهب مرة ثانية وقد شعرت بالحزن العميق والأسف الشديد عندما ألقى حزب الكوميتانغ

الرجعى القبض على مجموعة من طلابنا فى ظل مرحلة التحول الكبرى التى تشهدا بلادنا ، بينما نحن نتحن جانباً وقد سيطر علينا شبح الخوف والتردد ، ومنذ ذلك الحين أخذت الهوة بيننا وبين الطلاب تزداد اتساعاً بمرور الوقت " .

أخذت تشيانغ يون تستمع وهى تضع يدها على خدها ، ثم رفعت يدها بعد لحظة وانبرت تقول : " هكذا كان الحال يا أستاذ ! كنا نشعر من قبل أن المدرس لا يفهمنا جيداً ، ونحن لا نفهمه بالدرجة المطلوبة ، أذكر أننا عندما كنا فى النصف الثانى من العام الدراسى ونحن فى الصف الثانى الثانوى أن الأستاذ ليو مدرس التاريخ قال لنا ذات مرة : " يجب عليك أن تتعلمنى منى جيداً ! " ، بعدها ضج الفصل بالضحك ، كلما دخلت زميلة إلى الفصل قالت ساخرة : " عليك أن تأخذت عنى جيداً ! " . . . فقد كنا أحياناً نهمل دور الأستاذ ونتعالى عليه ، وكأننا لا يمكن أن نستفيد منه بدرجة أكبر فى غير الحصص الدراسية " .

التفت الأستاذ يوان إلى تشن بوا وسألها : " وماقولك ؟ " .

" أرى أننا مخطئات فى بعض الجوانب ، فعلى سبيل المثال لم نتشاور مع حضرتك قبل الاجتماع الذى انتقدنا فيه لى تشون ، لكننا استفدنا كثيراً من كلمتكم لنا بعد ذلك وقد ذكرت حضرتكم أن الفجوة تتسع تدريجياً وأنا أرى أن ذلك كان فى الماضى ، أما الآن . . . " .

" أود الآن أن أقول لكما ولكل طالباتى ، ونحن نتقارب شيئاً فشيئاً إنه على الرغم من تخلفى عن الركب إلا أننى على يقين بأنى لن أدخر وسعاً فى سبيل اللحاق به ، وهذا يتطلب أن تمددنى لى يد العون " .

" لكن حضرتك ستظل أستاذنا الذى يوجهنا وينتقدنا ، وإننى لا أدرى ماذا أفعل أمام كلمات حضرتك التى تفيض تواضعاً ، " وكانت تشيانغ يون تتقلقل من مكانها بينما تتكلم وكأنها تشعر بحرج حقيقى .



أقبلت يوان شن تشى على الضيوف محيية فى حيوية ونشاط ، وكأنها ربة بيت صغيرة ، قائلة : الطعام جاهز . . . . ، وقد أعدت مائدة الطعام ، ووزعت عليها أربعة أطباق ، وقطع خبز المانتو التى تزينها نقط حمراء متناسقة .

وجلس الجميع إلى المائدة ، وبينما كانوا على وشك البدء فى تناول الطعام ، دخل شاب ممتلىء قصير القامة ، إنه الأخ الأكبر ليوان شن تشى .

قالت الأم : " أسرع يا شن يو لتناول الطعام "

" تناولت طعامى يا أمى . "

" عجباً لك يا شن يو ، حتى يوم العيد لا تقضيه معنا . "

وطالبتة شن تشى فى إلحاح " أخى العزيز ، أكنت عند شياوليو ؟ "

دع عنك هذا . . . . . دعه عنك " احمر وجهه خجلاً وهو يندفع إلى الداخل ، بينما غرق الجميع فى الضحك .

وكان الأستاذ يوان يخاطبهما فى أثناء تناول الطعام قائلاً : " استزيديا من مكعبات الدجاج بالخيار المخلل المغموس فى الصوص ، إنها لذيذة الطعم . . . . إذا كانت الظروف المعيشية التى تمر بها لى تشون هى كما ذكرتما الآن ، فما رأيكما فى أن أستدعيها وأتحدث معها ؟ "

قالت تشن بوا " هذا رأى حسن ، فإنها تولى حضرتك قدراً كبيراً من الاحترام . . . . . خلى عنك ، لاتتعب نفسك ، نحن نأخذ بأنفسنا . . . . يوان شن تشى ، ماذا تقولين فى هذا الرأى ؟ "

أجابت شن تشى التى لم تكن تشاركهم الحديث " لا تناقشوا هذه الأمور أثناء الطعام ، وإلا أثر ذلك على الهضم .

سألت تشيانغ يون من جديد : " أستاذ يوان ، ما رأى حضرتك فى الزميلة سونينغ ؟ " . " هل تربطك بها علاقة طيبة ؟ "

"نعم"

"ماعمرها ؟"

"لم تتم الثامنة عشرة بعد ."

"ماذا ؟ أما زالت بنت السابعة عشرة ، يبدو أنها أكبر من ذلك ."

"بنيانها ليس بنيان فتاة صغيرة ، "واستطرد الأستاذ يوان وقد قطب جبينه  
"أرى أنها تفتقر إلى روح وحيوية الشباب، وهذا ، بطبيعة الحال ، ليس سوى انطباع  
مؤقت . أليس كذلك؟ ماذا حدث لها في الآونة الأخيرة؟"

ردت تشيانغ يون وقد نكست رأسها : "لا شيء .. لم يحدث شيء ."

بعد تناول الطعام ، انتقل الجميع إلى حجرة المكتب الخاصة بالأستاذ يوان.

قدمت أخت شن تشي الصغرى للضيفتين عديداً من الفقرات المسلية، وغنت  
لهما أغنيتين ، بينما أمها تطرح عليهما بلا كلل ولا ملل العديد من الأسئلة ،  
مثل "كم تبلغين من العمر؟" ، "ما هو مسقط رأسك؟" ، "كم عدد أفراد  
أسرتك؟" ولما علمت أن تشن بوا يتيمة الأبوين ، سكتت فجأة واستغرقت في  
تفكير عميق.

اقتربت يانغ تشيانغ يون من المكتب ، فرأت كثيراً من الصور الفوتوغرافية أسفل  
زجاج المكتب ، معظمها لمن تتلمذوا على أيدي الأستاذ يوان ، وعلى أحد جوانبه  
مجموعة من الكتب، يعلوها جميعاً كتاب بعنوان "كلنا فداء الحزب الشيوعي" ، لم  
تستطع تشيانغ يون مقاومة رغبتها في أن تقلب صفحات هذا الكتاب ، فوجدت  
تحت أسطره كثيراً من خطوط القلم الأحمر، ثم ألقت نظرة على الكتب الأخرى ،  
"جندى عادى" "سيرة ليوخولان" . . . . . سألت الأستاذ يوان فى شيء من  
الريبة ، "هل تقرأ حضرتكم هذه الكتب ؟" اقترب منها وأوماً برأسه قائلاً ، "أود

أن أنتهى خلال إجازة الشتاء من قراءة كل الكتب التى تلقى قبولاً وحباً من جموع الطلاب والطالبات " شعرت تشيانغ يون فى أعماقها بالاحترام والتقدير تجاه أستاذها، ورددت فى نفسها : " يا له من شىء رائع " .

\* \* \*

" حقا إنها عائلة محترمة " ، واستطردت تشيانغ يون مخاطبة تشن بوا وهما فى طريق العودة إلى المدرسة " لقد أحببت أخت يوان شن تشى الصغرى ، فهى طفلة لطيفة وحبوبية " سألتها تشن بوا " وما قولك فى أسرتك " .؟

" إننى لا أشعر باشيئاق شديد نحو أسرتى : فوالدى مشغول بالكتابة طوال اليوم ، وإذا رجعت إلى البيت ، وجب التزام الهدوء وحرمة على كل شىء حتى أن أسعل ، لذا فإن مسألة العودة إلى البيت ليست ذات أهمية عندى . وأنت لم تذهبي إلى بيت سونينغ ، إن أسرتها فى حقيقة الأمر أسرة بالغة السوء " .

سألت تشن بوا فى شك وريبة " هل حاق هذا السوء بكل أفراد الأسرة؟ " .

فكرت تشيانغ يون برهة من الوقت ثم أخبرتها بذلك الموضوع الذى كان سوجون قد حدثها عنه .

تساءلت تشن بوا وقد سيطرت عليها الدهشة والمفاجأة : " هل حدث ذلك فعلا؟ أحقيقة ما تقولين؟ " .

وربتت تشيانغ يون على يدي تشن بوا قائلة : " نعم حقيقة يا تشن ، حدث ذلك لسونينغ بنت السبعة عشر ربيعاً التى تعدلنى فى العمر . . . . إن زميلاتنا فى الفصل تتراوح أعمارهن جميعا حول هذه السن الصغيرة ، لكن يبدو أن كل ما يدور فى المجتمع من حولنا ينعكس ، علينا فكيف لا أفهم ذلك؟ إننى حقا ساذجة إلى حد بعيد . . . . تشن ، ماذا ترين فى هذا الأمر؟ " .

نكست تشن بوا رأسها ، مضت تقطع وتقذف الأحجار الصغيرة بقدمها وهي تقول : "كنت دائما أقول فى نفسى إننى لست سوى طالبة بالمرحلة المتوسطة ، لست سوى فتاة ككل الفتيات ، لكنى كلما تكشفت لى المأسى التى تعيشها كل زميلة من الزميلات ، استيقظت عندى روح عضو الحزب الشيوعى وروح الجندية البروليتارية ، وإننى أزداد يقينا يوما بعد يوم أن ذلك العالم القديم الذى ولى الأدبار ورحل عن دنيانا ، مازال يخلف لنا كثيرا من القاذورات التى تلوثنا وتتراكم داخلنا نحن الفتيات الصغيرات ، فمثلا ، الزميلة مارى - أعود للحديث عنها مرة أخرى - كانت علاقتها بى فى الآونة الأخيرة علاقة طيبة ، لكنى عندما تحدثت معها قبل عدة أيام فى موضوع حركة "بى خه توان" ، وما كتبته ذات مرة بخصوص هذا الموضوع فى ورقة الإجابة ، تبدل لونها فى الحال وقالت لى : "تشن بوا، إننى أود أن أبقي على علاقتى الطيبة بك ، ولكن بشرط ألا تناقشيني أبدا فى مثل هذه الموضوعات ، فأنا فى هذه الأمور لا أسمع سوى كلام الكاهن ، ما العمل؟ إننى أخشى أن تهرب من لقائى بعد ذلك ، إنه أمر محير ، يقول الأستاذ يوان إن جيلنا أسعد حظا ، ولكننا فى حقيقة الأمر نعيش أياما صعبة ، يجب علينا أن ننفض عن أنفسنا مخلفات وآثار المجتمع القديم ، علينا أن نواصل النضال ، نتحول من المعركة الصغرى إلى المعارك الكبرى ! وبذلك - بذلك فقط - نصبح حقا جيلا جديدا ، ونصبح أبناء الزعيم ماوتسى دونغ الحقيقيين" .

وعندما وصلنا إلى المدرسة ، قال أحد العمال لتشيانغ يون : "لقد جاء لزيارتك أحد طلاب معهد الجيولوجيا، إنه فارع طويل القامة ، انتظر فى حجرة استقبال الضيوف أكثر من ساعة ونصف الساعة، لقد تأخرت قليلا ، فقد انصرف قبل أقل من عشر دقائق" .

سألته تشيانغ يون : "ألم يترك لى مكتوبًا؟"

"لقد رأيته يكتب رسالة مطولة ، ثم مزقها ، وانصرف حتى دون أن يترك لك رسالة شفوية".

"يا له من شاب غريب ! " وابتسمت تشيانغ يون وأخذت طريقها مع تشن بوا إلى داخل المدرسة.

\* \* \*

وفي مساء اليوم التالي ، استمر الحديث في حجرة مكتب الأستاذ يوان بينه وبين لي تشون حتى ساعة متأخرة من الليل ، برنيطة الأباجورة ذات اللون الأخضر تعكس ظلالها في أركان الحجرة الأربعة ، الأستاذ يوان يضجع فوق مقعد مريح ، ورأسه تعلو مستوى ضوء الأباجورة ، يضع على ساقيه قطعة من اللباد ، تكورت فوقها قطة صغيرة، يربت الأستاذ يوان بيده فوق شعرها بينما راحت أنفاسها تتوالى وهي تغط في نوم عميق.

كانت تشيانغ يون في بادئ الأمر تجلس فوق كرسي متحرك، وهي تواصل حديثها مع الأستاذ يوان، ثم ما لبثت أن تناولت مقعدا خشبيا منخفضا بدون مسند وذا قاعدة مستديرة ، وجلست فوقه على مقربة من الأستاذ . ارتدت المعطف ، واشرب عنقها وهي تتحدث مع أستاذها وقد أضاءت الأباجورة النصف الأسفل من وجهها . الرياح تتسلل بخفة من ثقوب وفتحات النافذة، فتتحرك الستائر ، تُسمع أصوات المفرقات النارية . إن التي لا تتوقف ابتداء من عيد الربيع حتى عيد حلول منتصف الشهر الأول للسنة القمرية . الحجرة تفوح منها رائحة حساء الجياوزة<sup>(١)</sup>

سألها الأستاذ يوان : "أبسبب هذا الموضوع ساءت حالتك النفسية في الآونة الأخيرة؟"

(١) طعام صيني من رقائق الخبز المحشو باللحم المقروم والتوابل .

أجابت لى تشون : " نعم " .

وكانت لى تشون قد أخبرت الأستاذ يوان بموضوع كتابتها المسرحية ذات الفصل الواحد . فهي تشعر في تعاملها معه بنوع من عاطفة الأبوة؛ ففي عام ١٩٥٠ وعندما كانت لى تشون في بداية عهدها بالمدرسة الثانوية، وقعت في خطأ بسيط جدا، فخصم الأستاذ يوان عدة درجات بسبب هذا الخطأ، ولم تقتنع هي بذلك وذهبت غاضبة تبحث عن الأستاذ يوان الذي لم يتحرك له ساكن ، وسألها : "هل تعلمين السبب في أنني شديد الحزم تجاهك؟ واستطرد قائلاً : " لقد كنت أراقب عليك في امتحان التأهيل لدخول المرحلة الثانوية ، وعندما أخذت أوزع أوراق الاسئلة ، سارعت بالنظر فيها دون مبالاة بي ، فما إن تسلمت الورقة حتى سللت قلمك وأخذت في الإجابة دون إعمال للذهن، وشد انتباهي أنك سرعان ما سلمت ورقة الإجابة بغير مراجعة، وتذكرت اسمك منذ ذلك الوقت، وبعدها أردت أن ألقنك درساً ، أن أكون حازماً معك، وأن أجعلك تتفوقين أكثر في دراستك، فلماذا إذن أبديت عدم اقتناعك ؟ بدّل هذا الكلام غضبها إلى سعادة ، وقالت لى تشون في نفسها وقد غمرها شعور بالسرور " حسناً ، لقد غمرني الأستاذ يوان بالثناء والتقدير ا " ومن ثم أصبحت تشعر تجاهه بالاعتزاز والثقة .

وهز الأستاذ يوان رأسه قائلاً : " لا داعي للضييق ، فهذا أمر بسيط ، كتبت مسرحية من فصل واحد ولم يكتب لها النجاح ، فماذا يضيرك؟ " .

" أمر بسيط ؟ وانفجرت لى تشون قائلة : " يا أستاذي الفاضل ، أتعرف حضرتكم كم واجهت من الأحداث التي تثير الحزن والأسى خلال السنوات الثلاث هذه من المرحلة الثانوية ، لم أتقدم لتسجيل اسمي عندما أعلن عن فتح باب دخول الجيش ، ومن ثم لم أجرؤ على أن أرفع رأسي داخل الفصل، ولذا عندما حصلت على ميدالية التفوق في الفترة الدراسية الماضية، كانت نظرات الزميلات تنم عن عدم الارتياح، ولما تبادلت عبارات المزاح مع ووتشانغ فو ، تلقيت عبارات النقد واللوم

الشديد من اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة. وأخذت جميع الزميلات تنظرن إلى بازدرء، ولم يعد لى بينهن من صديقة . حتى تلك المسرحية التي كتبتها . . . انتهى أمرها . ناهيك عن تشن بوا وغيرها من الزميلات اللاتي اقتربن من التفوق على. ألا يعنى كل ذلك أننى لست على ما يرام؟"

اعتدل الأستاذ يوان فى جلسته ، ورفع النظارة كعادته ، وحمل القطة عن ساقه إلى الأرض ، فراحت تحرك ذيلها وتصدر أصوات "مواء" تعبيراً عن احتجاجها . انصرف عنها وقال: "لقد حضرت يانغ تشيانغ يون وتشن بوا لزيارتى بالأمس، روحهما المعنوية فى السماء، تقبلان على الحياة بصدر منشرح وقلب مفتوح ، تحدثنا عن دراستهما وعن نشاطاتهما داخل الفصل . . . ."

قاطعت لى تشون : "هذا أمر طبيعى بالنسبة لهما".

"ولماذا يعتبر ذلك أمراً طبيعياً؟"

"لأنهما من المتفوقات"

"ماذا تعنين باستخدامك ضمير الغائب (هما ، أكثر من مرة ؟ ، أنتن جميعاً زميلات دراسة ، وهما يكتان لك كل تقدير وإعزاز".

"أى تقدير وأى اعتراز ؟ وماذا عن ذلك النقد اللاذع الذى وجهته لى فى اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة؟ وهذه الشعارات الجوفاء التى يتشدقان بها فى حب الوطن والاشتراكية ، هل أعجز عن التشدق بمثلها؟ ، إننى أشعر أنه لا طائل من وراء الكلمات البراقة ، ولذا تعتقدان أننى متخلفة ورجعية ، حسناً ، تقدما أنتما يا أيتها التقديماتان".

"لى تشون ، لا أستطيع أن أوافقك على هذا ، أنت مخطئة ! " ورفع الأستاذ يوان النظارة عن عينيه ووضعها فوق اللبادة التى غطى بها ساقيه، واستطرد قائلاً:

"لقد كنت أنا الآخر فيما مضى لا تثير إعجابى تشن بوا أو ما شاكلها من الطالبات، فقد كنت أعتقد أنهن يشغلن أنفسهن بأمر تافهة ، حتى إننى كنت أشعر تجاههما بالأسف والأسى، ولكن الواقع أثبت لى - لست أدرى ، أى الكلمات يمكن استخدامها للتعبير على وجه التحديد؟ - أن لديهما روحاً عالية خلقة وعزيمة قوية، يذاكران دروسهما بروح مقاومة العدوان الأمريكى وتأييد النضال الكورى ، ولذا فلم تشتكيا أبدا من صعوبة هذه الدروس ، لديهما روح الكفاح والتغلب على الصعاب، فأى شىء - حتى وإن كان وفاة الأم - لا يمكن أن يؤثر عليهما أو يعوق مسيرتهما، أيمكن أن يكون ذلك كلاما فارغا؟ إنهما تعملان بحماس لخدمة الجميع، انظرى إلى كل مكان حولك ، إلى زميلاتك فى الفصل، ستجدين أن الجميع يحبهما ويلتف حولهما، وأن لهما الكثير من الصديقات ، هل هذه أيضا مجرد كلمات براءة ؟ إنهما لا تسعيان أبدا إلى الحصول على وضع خاص داخل الفصل ؟ أيمكن أن يكون ذلك من الشعارات الجوفاء؟ "

جاءت كلمات الأستاذ يوان متلاحقة سريعة ، مما جعله يسعل بشدة .

أسرعت لى تشون وصبت له كوبا من الشاى .

نحى الأستاذ يوان كوب الشاى جانبا ، وقال فى روية وهدوء : "أغلب الظن أنك تذكيرين أننى عرفتك منذ الامتحان التأهيلي للقبول بالمرحلة الثانوية ، فأنت طالبة مجتهدة على درجة عالية من الذكاء ، لكن فىك عيب خطير - وقد كنت وأنا طالب كثيرا ما يتطرق أستاذى إلى الحديث عن موضوع العلاقة بين الدراسة والأخلاق - وهو أنك تستطيعين تحقيق التفوق الدراسى لكنك تفتقدين تطبيع نفسك على الأخلاق الحميدة، وتزعمين أن الأخريات ينظرن إليك بازدراء، بينما الحقيقة أنك أنت التى تفعلين ذلك ! وتدعين أن الأخريات يتشدقن بالكلمات الفارغة والشعارات الجوفاء ، بينما الحقيقة أن نظرتك إلى الأمور قاصرة ومحدودة ! "



نهضت لى تشون من مجلسها ، وقالت وهى تمسح بيدها رجل بنطلونها فى عصبية ، "أستاذى الفاضل ، ربما أكون مخطئة كل الخطأ ، ولكنك ذكرت أن نظرتى قاصرة ومحدودة ، فماذا تعنى بذلك؟ ، وقد طالعت "مذكرات مدام كورى" وأنا فى نهاية المرحلة الابتدائية ، هذا الكتاب الذى ربما لم تقرأه معظم طالبات الثانوية بعد، بينما قرأته أنا فى مثل هذه المرحلة المبكرة. كنت آنذاك فى الحادية عشرة من عمري، وكنت أنهض من نومى فى منتصف الليل، وأقسم على نفسى أننى إذا لم أقدم للبشرية مثلما قدمت مدام كورى من إسهامات ، فإننى سأعتبر حياتى درياً من دروب اللهو والعبث . ومنذ نعومة أظفارى، كنت أعمد إلى الإقلال من اللهو والمرح ، بل أضحي بلحظات السعادة من أجل القراءة ، من أجل أن أقرأ كتاباً . "

رفع الأستاذ يوان النظارة من فوق اللبادة ، ونهض من مجلسه فى روية وتؤدة، وسقطت اللبادة من فوق ساقيه على الأرض . اقترب من المكتب وفتح أحد أدراجه ، وأخذ يقلب فى محتوياته ثم أخرج دفترًا قديمًا ذا لون باهت ، وأشار بذراع النظارة فاقتربت منه لى تشون:

قال الأستاذ : "انظرى ، هذه مذكراتى عندما كنت طالبا ، مضى عليها ثلاثون عاما ، انظرى !"

قلبت الصفحة الأولى ، فإذا بالكلمات التالية مكتوبة بخط ريشة جميل ومنظم:

"سوف أهب نفسى للعلم والدراسة مادمت حيا ، فإذا لم أشق طريقى بين المثالب والأشواك وأحقق ما لم يحققه السلف من المنجزات، ألا يكون هذا أمراً مؤلماً؟ وإن لم أستطع أن أكون مثل نيوتن أو أديسون ، ألا يكون ذلك أمراً مؤلماً أيضاً؟

وأعادت لى تشون قراءة هذه الفقرة أكثر من مرة .

أغلق الأستاذ يوان سجل مذكراته ، وقال ساخراً من نفسه " لقد كان عندى طموح كبير منذ الصغر ، لكنى الآن مضى بى العمر ، دون أن أحقق ما لم يحققه السلف من منجزات ، ولم أستطع أن أكون مثل نيوتن أو أديسون ، فلم يتبق لى سوى "الألم" .

وراح الأستاذ يقول وهو يقطع الحجرة ذهاباً وإياباً : " كنت آنذاك شاباً يافعاً قوى البنيان ، يتنفخ صدرى غروراً وكبرياء ، أشعر كأن الشمس والقمر يمكن أن يأتمروا بأمرى . وبعد ذلك عملت مدرساً بالمرحلة المتوسطة لأنى لم أتم دراستى الجامعية بسبب ظروفى الأسرية السيئة ، كنت أعمل بالتدريس نهاراً ، وأستغرق فى القراءة ليلاً ، لا يغمض لى جفن قبل الثانية صباحاً على الأقل ، كنت أعيش عدة أشهر على الخبز الجاف ، لا أذوق طعم اللحم أو الخضروات المطهوه كى أوفر ما يكفى لشراء كتاب ، أريد أن أكون مثل نيوتن مهما كانت السبل المؤدية إلى ذلك ! وفى النهاية انهارت صحتى ، وأصبت بالحمى التيفودية ، ونصحنى كل الزملاء ، "كفاك يا سيد يوان ، إننا من ذوى الخبرة ، ومررنا جميعاً بهذه الفترة ، وامتلأت صدورنا بغبار الطباشير وذراته حتى نكسب قوت أولادنا، وانتهى بنا الأمر عند هذا الحد ، فأى رياضيات تلك التى تبحث فيها ؟ ، وبعد أن تحسنت صحتى فصلتني المدرسة من العمل ، ولم يعد لى مورد للرزق ، فسبعت الكتب ، ومن ثم فشلت فشلاً ذريعاً فى تحقيق آمالى العريضة بسبب الحمى التى لم تبرح جسدى طيلة أربعين يوماً" .

وعاد الأستاذ يوان من جديد إلى مقعده المصنوع من الخيزران والقماش ، وأخذ قطعة اللباد من الأرض ووضعها فوق ساقيه ، وتنهى فى حزن وأسى ، فقد تجدد الجرح الذى كان قد اندمل وأصبح فى طى النسيان . . . . أسبل عينيه ، وقال محاولاً تهدئة نفسه ، " لقد كانت آمالى عريضة وطموحاتى هائلة ، بينما كنت أنا فى واقع

الأمر ضعيف القدرات محدود الهممة ! أفتر إلى رؤية واضحة وحقيقية لمستقبلنا ومستقبل بلادنا ، أفترق الهدف الأسمى الذى يوقظ فى نفسى إرادة التغلب على الصعوبات وإزالة العقبات ، فقد كنت أشعر بالوحدة ، وأفترق مساعدة التنظيمات وتأيد الأصدقاء، كانت تراودنى أحلام محمومة بالنجاح ، لكنى افتقدت القدرة على تحقيق الأحلام وإدراك النجاح ، يا لها من معاناة!

أثارت هذه الكلمات شجون الأستاذ يوان الذى أشار إلى لى تشون قائلاً : " إن الظروف الآن أفضل من ذى قبل ، وإننى على يقين من أنك - وأنت تلميذتى - قادرة على تحقيق أحلامك ، بل وتحقيق أحلام أستاذك فى نفس الوقت .

ولكن عليك ألا تركزى اهتمامك فقط على الامتحانات والدرجات وتهملى الجانب الروحى والمعنوى ، وألا تهتمى فقط بنفسك وتنصرفى عن الآخرين .

فمن يفعلون ذلك لابد أن تواجههم العقبات الكأداء التى لا يمكن اجتيازها .

إن كل إنسان نقى السريرة نافذ البصيرة يجب أن يكون على يقين بأن قدراته بمفرده محدودة . " ابنتى لى تشون عليك بالحذر واليقظة ! "

ساد بينهما صمت طويل ، واشتد برد الليل ، وشد الأستاذ يوان قطعة اللباد فوق ساقيه . وسحبت لى تشون معطفها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة وهى ترتعد قليلاً من شدة البرد .

" ربما أكون قد تجاوزت بعض الشئ فى حديثى معك ، لكن ، هل مازلت تذكرين انتقاداتى لك بسبب ورقة الامتحان؟ "

أومأت لى تشون ، واتجهت نحو النافذة وسحبت الستارة جانبا ، الليل حالك الظلمة، يتهادى من بعيد صياح الديكة " كو - كو - كو" وكاد الليل الطويل ينقضى فى حديثهما الذى يفيض حماسة وحرارة .



" . . . . أيتها الطالبات ، هناك ثلاث مناسبات ، هي أهم ما يواجهنا فى هذه الفترة الدراسية ، ألا وهى : الاحتفالات بعيد المدرسة ، ويوم الأول من مايو ، ويوم الرابع من مايو . فنحن جميعا نعلم أن يوم التاسع والعشرين من أبريل هو العيد السنوى لمدرستنا- ففى مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ ، قام جواسيس حزب الكوميتانغ الرجعى بشن هجوم مفاجئ على مدرستنا ، فاعتبر هذا اليوم يوما من أيام النضال . ونعلم أيضا أنه بعد يومين من هذا التاريخ ، وفى يوم أول مايو يحين عيد العمال العالمى ، هذا ، وماذا بعد ثلاثة أيام من عيد العمال؟ إنه يوم الرابع من مايو عيد الشبيبة ، وأيضا الاحتفال بمرور أربع سنوات على قيام رابطة الشبيبة الشيوعى .

" أيتها الطالبات ، لقد قرر مجلس المدرسة أن نحتفل بهذه الأعياد الثلاثة مرة واحدة . وعلينا أن نستقبل هذه الأعياد بإنجازات ونجاحات ومظاهر احتفالية جديدة ، وأن نعرض منجزات مدرستنا وطالبات مدرستنا فى رفع مستوى الأعمال التعليمية والتربية الفكرية وإعداد المتفوقين وأصحاب المواهب . . . . . الزميلات العزيزات ، لقد قررت اللجنة الرئيسة لرابطة الشبيبة واتحاد الطلاب إقامة مسابقات فى كتابة المقالة قبل يوم الرابع من مايو ، وكذلك إصدار مجلة خاصة بمناسبة الاحتفال بعيد أول مايو وعيد الرابع من مايو وعيد المدرسة ، وإجراء مسابقات فى النظافة والصحة وحماية البيئة . . . . وقد تم تحديد يوم "الرابع من مايو" ليكون يوم العودة إلى المدرسة ، تعود فيه الخريجات العاملات فى شتى نواحي الحياة إلى مدرستهن الأم ، نلتقى معاً ، وسوف تقام فى ذلك اليوم المهرجانات الفنية ومسابقات الخطابة وعروض الجمباز ومنافسات فى ألعاب كرة السلة والكرة الطائرة ، وبالطبع سيقام حفل تذكارى ، وهناك الكثير والكثير من الأنشطة وال فقرات الأخرى . . . .

"زميلاتى العزيزات ، علينا أن نستعد بصورة جماعية لاستقبال عيدنا العظيم !  
وإنى نيابة عن اللجنة الرئيسة لرابطة الشبيبة واتحاد الطالبات أنادى بأن يسعى  
كل فصل من أجل الحصول على المراكز الأولى فى المسابقات ، فهذا شرف وفخر  
ولكن الأهم من هذا كله هو المواظبة على الدراسة ! فهذه الأنشطة لا يجب أن  
تعوق مسيرتنا الدراسية ، ولكن تدفعنا إلى المحاولة ، بل يجب أن تشجعنا وتحثنا على  
الدرس! وبذلك ، نستطيع من خلال هذه الأنشطة أن نرفع مستوى عمل الرابطة ،  
ونرفع كذلك من مستوى الوعى عند زميلات الأخريات !"

وفى النهاية أعلنت لوتشن أن على كل فصل أن يناقش على حدة ، بأى وضع  
نستقبل أعيادنا؟ ..

وختمت لوى تشن كلمتها التى ألقته فى اجتماع العناصر الطليعية ، وخرجت  
تشوشيا ولينغ وزميلاتها من قاعة الاجتماعات ، تقلد لوى تشن وهى تمشى  
"زميلاتى العزيزات .. إننى أنادى .."

ثم التفتت تسأل يوان شن تشى ويانغ تشيانغ يون قائلة : "حتى السؤال الذى  
طرحته كان سؤالاً وجيهاً - وقهقهت - بأى وضع نستقبل أعيادنا؟ ربما كان هذا  
الوضع؟" ثم أحنت وسطها وأخذت وضع الاستعداد لعدو مسافة مائة متر.

وبينما كانت تشوشيا ولينغ على هذا الوضع ولم تعتدل فى وقفتهما بعد ،  
أحست بيد تنبسط على كتفها ، وسمعت صوت لوى تشن يقول : "كيف الحال؟  
ما رأيكن فى الترتيبات التى طرحناها اليوم؟" وفزعت شيا ولينغ وانتفضت معتدلة.

وردت يوان شن تشى : "ليست لدينا ملاحظات ، ومارلنا نفكر فيما سيفعله  
فصلنا ، فالتفتت إليها لوى تشن وسألتها "أنت يوان شن تشى ؟ لقد تم اختيارك  
رئيسة الفصل فى هذه الفترة الدراسية ، أليس كذلك ؟ ، عليكن طالبات الصف

الثالث أن تعملن بكل جدية ، وأن تكن الطليعة والقدوة فى كل شىء ، فهذه هى فرصتكن الأخيرة ! "

وأومات يون شن تشى بالموافقة

\* \* \*

وبعد الانتهاء من مناقشة هيئة ووضع الفصل خلال الاحتفالات بالأعياد ، أخذت طالبات الصف الثالث يتشاورن فى العروض والمسابقات التى يشتركن فيها ، " لا ، أنا لا أحبذ المشاركة فى عروض الرقص ، فإن رقصات قومية التبت التى أنتمى إليها قد أصبحت بالية أكل عليها الدهر وشرب. "

"ماذا تقولين ؟ لا نشارك فى مسابقات الكرة؟ هل تعلمين بأهمية التدريبات الرياضية؟"

"فلندع كل واحدة تشترك فى المسابقات التى ترغب المشاركة فيها. "

"عليك أن تدعنى لرأى الجماعة ! ويجب أن يكون لفصلنا برنامج جماعى يعبر عنه. "

"إننا ينبغى أن نشكل فريقا للغناء الجماعى . ونأخذ على سبيل المثال حنجرة شيا ووانغ فهى تطلق صوتا أجمل بالتأكيد من صوت المطربة المشهورة قولان ينغ. "

ثم قررن المشاركة فى كل النشاطات وأن يحددن دور كل منهن . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر كان الفصل مشرقا متلألئا ، فلم يكن قد مضى وقت طويل على قيام الطالبة النوبتجية بتنظيف أرض الفصل ورشها بالماء ، ورغم أن ذرات الغبار أخذت تستكين وتستقر ، إلا أن حركة الزميلات وزحامهن جعل هذه الذرات تتصاعد فى جو الفصل من جديد ، حتى إنه يمكنك أن تشاهد بوضوح أعدادا لا حصر لها من هذه الذرات التى تتأرجح وتتبختر داخل أشعة الشمس التى تتسلل إلى الفصل .

نهضت يانغ تشيانغ يون تتحدث إلى زميلاتها ، "الزميلات العزيزات ، إن ترشيحاتي تأتي على النحو التالي: أن تسند مسؤولية المسابقات الرياضية إلى تشوشيا ولينغ . . . . . وجذبتها ووتشانغ فو من الخلف ، فسألته تشيانغ يون في صوت خفيض : "ماذا حدث؟ ، فردت عليها تشانغ فو في مزيد من الاهتمام : "ابتعدى برأسك عن مسار شعاع الشمس لأنه يحمل أعدادا كثيفة من ذرات الغبار."

واستطردت تشيانغ يون وذرات الغبار مازالت تتسلل إلى أنفاسها : "وإنني أرشح سونينغ لتكون مسئولة عن فريق الغناء الجماعي بالفصل . فإن لديها حساً موسيقياً على مستوى عال علاوة على أنها تجيد العزف على الكمان .

أما بالنسبة لمسابقة الخطابة فإنني أجد ترشيح يوان شن تشي . . . . .

وقبل أن تنتهي تشيانغ يون من حديثها ، قاطعها عدد من الزميلات : "مهلا مهلا ، كيف تنتهين من الترشيحات في دفعة ؟ ألا تعطى فرصة الاختيار للزميلات الأخريات؟ "

وتولت يوان تشي عملية التصويت على الترشيحات السابقة ، وخطبت تشوشيا ولينغ بالموافقة على توليها مسؤولية المسابقات الرياضية ، بينما أبدت بعض الزميلات اعتراضهن على ترشيح سونينغ لتكون مسئولة عن فريق الغناء ، لكن تشيانغ يون استخدمت كل الأساليب الصادقة والمخلصة حتى تمكنت من إقناعهن بترشيحها لسونينغ ، وانتقلن بعد ذلك إلى ترشيح من تشارك في مسابقة الخطابة ، فقالت يوان شن تشي : "أيتها الزميلات ، دعوني أعبر عن رأيي الشخصي " . وابتسمت إلى تشيانغ يون ابتسامة تعبر عن الاعتذار واستطردت ، "إنني أقترح لى تشون لمسابقة الخطابة ، وإنني لعلني يقين من أنها ستمثلنا خير تمثيل وستحقق النجاح " .

أحنت لى تشون رأسها ، وقلبها يخفق خفقات سريعة متلاحقة .



ثم ما لبثت أن رفعتها عندما أدركت أن انحناء الرأس أمر غير طبيعي ،  
ووضعت يدها اليمنى على خدها ، وراحت ترنو ببصرها إلى صورة "جويا"  
المعلقة على الحائط والتي تنعكس عليها أشعة الشمس فتزداد إشراقا وتألقا ، وبدت  
لى تشون وكأنها لا صلة لها بما تناقشه زميلاتها.

ساد الفصل هدوء لبرهة من الوقت ، وأخذ الجميع يقارن بين الطالبتين  
المرشحتين ، بينما يوان شن تشى تجوب وجوه الزميلات بنظراتها فى محاولة للتأكد  
على سلامة وصحة اختيارها.

وحيثذ نهضت ووتشانغ فو من مجلسها دون سابق إذن ، فاصطدمت  
بالمنضدة والكرسى وأوقعت القلم الحبر على الأرض.

وانحنت تلتقط القلم من الأرض وهى تقول : "يا للحظ العاثر ، لقد انكسر  
سن القلم ، ما العمل؟ لقد كنت قد اشتريته مؤخرا . . . . . (ومطت شفيتها  
وابتسمت). زميلاتي ، إننى أرشح لى تشون لمسابقة الخطابة ، فأنا على علاقة طيبة  
بالجميع ، والكل يعرف بوقوع المناوشات بينى وبين لى تشون فى الفترة الدراسية  
السابقة ، لكنى لا أضمر لها ضيماً شخصياً فى نفس الوقت ، وقد اعتذرت لى  
فى ذلك اليوم ، وتصافحنا ثم تعاتبنا وتصافينا . . . ما علينا من ذلك ، لندخل فى  
صلب الموضوع ، إن لى تشون متفوقة فى دراستها ، وذات عقل راجح ، بل  
والأكثر من ذلك أنها تجيد الكلام ، أليست الخطابة لونها من ألوان الكلام ؟ إن كنتن  
لا تثقن فى كلامى ، جربن وتحديثن مع لى تشون وجادلنها لترين من التى تتفوق فى  
الكلام؟ هه ! هناك من يقولون إن للفم وظيفتين ، إحداهما تناول الطعام والأخرى  
الكلام ، وربما كان فمى من ذلك النوع الأول الذى خلق لتناول الطعام - هذا أمر  
ليس مجاله الآن- ولكنى متأكدة أن فم لى تشون خلق من أجل الكلام ، والكلام  
فقط !

قهقهت جميع الحاضرات ، ورفعت ووتشانغ فو قبضتها وهي تقول ،  
"علينا أن نرشح لى تشون " ثم جلست وهي على اقتناع تام بكلامها ، وكانت  
جلستها هذه المرة تعبر عن شعور بالاعتزاز والقوة لم يخالجها من قبل .

وهكذا ، وتحت تأثير كلمات ووتشانغ فو الشجاعة المقنعة ، وافقت جميع  
الطالبات على ترشيح لى تشون للاشتراك فى مسابقة الخطابة .

فى أى وقت اعتذرت لى تشون لووتشانغ فو ؟ ولماذا ؟ هذا حدث بعد  
حديث لى تشون مع يوان شن تشى وتشن بوا ويانغ تشيانغ يون .

هدأت أعصاب لى تشون بعض الشيء بعد حديثها خلال عطلة الشتاء مع  
الأستاذ يوان ، لكنها فى الوقت نفسه بدت مهمومة أكثر من ذى قبل . وقضت اليوم  
التالى كله فى المغسلة تغسل ملابسها فقد غسلت ملابسها وجواربها المتراكمة وملاءة  
السرير . استعارت طستًا كبيراً من البلاستيك أخضر اللون ، ملأته بالماء الدافئ  
ووضعت فيه الغسيل ، وجلست أمامه فوق مقعد صغير من الخشب ، عن يمينها  
الصيانة ومسحوق الغسيل ، وعن يسارها وعاء صغير من ذلك النوع الذى يستخدم  
فى غسل الوجه . واستندت بيطنها إلى لوح خشبى صغير تدعك عليه الملابس ،  
وأخذت تدعك الملابس وتغسلها ورغوة الصابون تطفو وتسيل على قدميها وقد  
انبعثت منها رائحة غير محببة للنفس هى مزيج من رائحة الملابس والصابون . وراحت  
تغسل والأفكار تدور بخلدها فى صمت ، وفى بعض الأحيان تتحدث إلى نفسها  
بأصوات مسموعة .

"أغلب الظن أننى لست على صواب ، فقد قال الأستاذ يوان أيضاً إننى  
مخطئة ، الجميع أعلنوا أننى مخطئة ، ولكن أين يمكن هذا الخطأ؟ لقد حدثنى  
الأستاذ يوان عن فترة شبابه ، فما علاقة ذلك بى ؟ وإننى فى نفس الوقت لم  
أخطئ خطأ واضحاً ! كيف تختلط على الأمور بهذا الشكل ؟ لقد أخبرنى الأستاذ

يوان أنه كانت تنقصه بعض الخبرات في شبابه مثل : تحديد هدفه في الحياة ، والقدرة على الانخراط في صفوف الجماعة، وأشعر أنني تنقصني نفس هذه الخبرات أيضا ! يساورني إحساس أنني لست مثل تشن بوا ، ويانغ تشيانغ يون وبقية زميلات، بل أقل منهن انطلاقا إلى الأمام ، أليست هذه حقيقة واقعة؟ ماذا أفعل ؟ أن أراجع نفسي . . . . ماذا أقول؟ أبعد هذا السباق والمنافسة الطويلة أذهب إليهن صاغرة مقرة بخطئي ؟ أشعر بقلبي يتفض بين ضلوعي ! لماذا لا أحاسب نفسي بنفسى ؟ ماذا أزيد أنا عنهن . . . . "

انتهت من غسل قطعة من الملابس ونقلتها إلى الوعاء الآخر وشطفتها بالماء النظيف ، حركت رأسها يمنة ويسرة واسترخت برهة من الوقت ، ثم تناولت قميصاً قديماً وفردته على اللوح الخشبي وراحت تدعك بالماء والصابون .

" ماذا يدعوني للتعالي والكبرياء؟ ملابس من النوع البسيط المألوف ، صابون من النوع الرخيص - ثمن القطعة عشرة فن - ويمكن شراؤه من أى مكان ، والماء هو الماء الذى يستخدمه كل الناس والمكون من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين ، وإناء بلاستيكي أخضر من النوع العادى المألوف ، كل شىء بسيط ، ومألوف . . . . . "

وفى اليوم التالى أرادت أن ترتق الجورب ، بحثت عن الإبرة فى كل مكان فلم تجدها ، استعارت من إحدى زميلاتها إبرة كبيرة من ذلك النوع الذى يستخدم فى خياطة نعل الحذاء ، كانت تتحرك فى بطن بذهن شارد وعزيمة واهنة وهى تشعر أنها لا حول لها ولا قوة ، وقالت ساخرة من نفسها : " ماذا أفعل الآن سوى رتق الجوارب وغسيل الملابس ؟ " ثم راحت الجورب فى خفة وسرعة وكأنها تسرى عن نفسها ، والإبرة الطويلة تدخل وتخرج فى حركات متعاقبة متوالية . وانزلت إصبعها من فوق الإبرة ، فانغرس سننها المدبب فى إصبعها الإبهام الذى يقبض على

الجورب ، وتألّمت من هذه الوخزة الشديدة المفاجئة ، وسالت من إصبعها قطرات الدم ذات اللون الأحمر القانى .

وألقت لى تشون بالقالب الخشبى الذى كانت تثبت عليه الجورب والإبرة جميعا على الأرض ، ووقع القالب فوق الإبرة فانكسر سنّها، وعلقت الأوساخ بالجورب من الأرض التى لم تكن نظيفة ، وشاهدت زميلاتّها حولها ذلك المنظر، فأسرعن وأحضرن لها الميكروكروم ، وسألنها فى حنو واهتمام ، " هل تشعرين بألم؟ "

هزت لى تشون رأسها ، ووضعت على إصبعها قليلا من الميكروكروم، ولفّته برباط أبيض ، ثم ملّمت الأشياء التى كانت قد وقعت على الأرض ، استندت إلى السرير ، وعقدت يديها على رأسها من الخلف ، وأطلقت تنهيدة خفيفة ، وفجأة اجتاحتها شعور بالسرور، لأنها اعتادت أن يقع لها مكروه بعد كل مرة تشعر بالحزن: فمثلا عندما التحقت بالمدرسة الابتدائية ، تشاجرت ذات مرة مع إحدى زميلاتّها فاجتاحتها شعور بالحزن وعدم الارتياح ، وبعد ذلك خرجت إلى الشارع فصدمتها دراجة، وعندما كانت أصغر من ذلك حدثت مشادة بينها وبين زوجة عمها والتى قامت على أثر هذه المشادة بتحطيم عروستها الجديدة المصنوعة من الخزف ، كانت لى تشون تصل إلى ذورة التعاسة عندما تقع هذه المصائب المفاجئة على رأسها ، ولكنها كانت دائما فى مثل هذه الظروف تستيقظ على تساؤل لماذا أسلم بالأمر الواقع ، ومن ثم كانت إذا ما واجهت شعورا بعدم السعادة ، إما أن تتغلب عليه وتخرج منه وإما أن تدخل فى حالة جديدة تنأى بها عن هذا الشعور.

توصلت لى تشون إلى هذه التجربة من جديد وهى تستند إلى سريرها .

وسألت نفسها : " أيمكن أن أستمّر على هذه الحالة من الكآبة وعدم السعادة؟ " .

" ماذا ارتكبت من الأعمال المشينة ؟ لم أرتكب شيئا من هذا القبيل .

"هل أنا على أحسن ما يرام؟ بل حالى لا بأس بها . نعم هناك بعض الأمور غير السارة، ولكن ألا يمكن أن أدور بنفسى مائة وثمانين درجة؟ هل يمكن أن تنقصنى الشجاعة التى تدفع إلى الاعتراف بالخطأ؟ لا، بل يجب أن يندهش الجميع لشجاعتى . . . يجب أن أتغير بداية من الفترة الدراسية المقبلة، أن أكون أكثر إيجابية، أكثر تواضعاً، أكثر رغبة فى خدمة الجماهير.

يجب أن أنطلق، أن أملك زمام المبادرة!"

ثم ذهبت تبحث عن يانغ تشيانغ يون، قالت لها فى نبرة صادقة: "هل عندك وقت بعد ظهر غد؟ أريد أن أتحدث معك، لقد كثرت أخطائى ومثالبى، وآمل أن تمدى لى يد المساعدة، واستجابت تشيانغ يون للدعوة فى سرور.

ذهبت تشيانغ يون تقول لتشن بوا، "هل تعلمين؟ لقد جاءت لى تشون أيضاً للغرض نفسه. وأخرجت تشيانغ يون طرف لسانها وهى تقول، "يا إلهى، لعلها تريد أن تعقد مؤتمراً!"

وبعد ظهر اليوم التالى التقت الزميلات الأربعة، ورأت لى تشون أن الفصل به زميلات أخريات، فاقترحت أن يذهبن إلى عنبر النوم، وهناك وجدن زميلات أخريات أيضاً. وأخيراً طلبن مفتاح معمل الأحياء من قسم الإشراف والتوجيه، وذهبن إلى هناك، وجلسن، ومن خلفهن نموذج هيكل عظمى للإنسان، وإلى جوارهن الدوارق الزجاجية بها عينات من كافة أنواع الحشرات والديدان.

وتعلق على حوائط المعمل لوحات مصورة متنوعة تبعث على الخوف، ورائحة الكحول تفوح من كل مكان بالمعمل. بدت لى تشون راضية تمام الرضا عن هذا المكان الهادئ، وبدأت الحديث وصدى الصوت يتردد فى أرجاء الغرفة الواسعة.

" كل ما أريد أن أقوله إننى خلال الفترة الدراسية الماضية ارتكبت الكثير من الأخطاء قولاً وفعلاً ، وخرجت فى كثير من المواقف عن روح عضو رابطة الشبيبة الشيوعية وأتمنى أن أظهر بمظهر جديد. ونحن الآن على أعتاب فترة دراسية جديدة، لذا أطالب ثلاثتك - يانغ تشيانغ يون، ويوان شن تشى ، وتشن بوا - أن تطرحن على مسامعى آراءكن وانتقاداتكن لى . آملة ألا تدخرن وسعا فى إبراز أخطائى ومثالبى دون أدنى تحفظ وبكل ما أوتيتن من قوة" .

وقبل أن تنتهى لى تشون من كلامها ، أطلقت يوان شن تشى ضحكة عالية، حتى تجهم وجه الأولى، وأشاحت شن تشى بيدها قائلة:

" يا إلهى ، ما هذا الذى نفعله؟ هل هو اجتماع رباعى لوزراء خارجية دول أربع؟ إن لى تشون تستخدم معنا نحن الثلاثة، أسلوب التكلف والمجاملة.

أجئنا إلى هذا المكان الموحش، وجلسنا مع الهياكل العظمية لتسود وجوهنا الصرامة ويكسوها الجمود ونبدأ فى توجيه الانتقادات ، إننى لا أحتمل هذا الجو ! فلنطلق الحديث على سجيته، تطرح كل منا آراءها فى الأخرى حتى إذا تعبنا تحدثنا فى أمور أخرى. ماذا ترون فى هذا القول؟ . "

انتقلت عدوى الضحك إلى الأخريات فضحكن، ووافقن . وهكذا - وكما تنطفئ فقاقيع الصابون - تمكنت يوان شن تشى من إزالة ذلك الجو الصارم الكئيب الذى خيم على الجلسة.

نادت تشيانغ يون " لى تشون ! " وخاطبتها وهى تنظر إليها وقد زادت عيناها اتساعا ، : " كدت أطيّر من السعادة عندما سعيت إلىّ بالأمس ، فقد كنت أريد أن أتحدث معك أنا الأخرى . لم يهنأ لى نوم ليلة أمس وأنا أفكر ما هو الجديد الذى جد على لى تشون؟ لماذا حدثت هذه الخلافات التى مزقت وحدتنا؟ ، لقد

حان الوقت لكى نتبادل الآراء . لى تشون دعينى أسألك أولاً ، هل حالتك النفسية سيئة فى الآونة الأخيرة ؟ " .

هزت لى تشون رأسها بالنفى .

" لا ، لا أصدق ، لقد كانت حالتك النفسية سيئة ، لماذا تخفين ذلك ؟ ورغم أنك لم تخبرينى بالسبب ، إلا أننى عرفته بالتخمين " .

" تعرفينه بالتخمين ؟ " .

" انظرى ، لقد اعترفت على نفسك ! " وأمسكت تشيانغ يون بشدة بطرف الخيط الذى سقط سهوا من لى تشون ، ولم تستطع أن تغالب نفسها من النهوض والاقتراب منها ، وسحبت مقعدا آخر وجلست عليه ، بينما يوان شن تشى تجلس وهى تلف يديها حول ركبتيها فى انتظار حديث تشيانغ يون ، وبدت تشن بوا وكأنها لاتعى شيئا مما يدور حولها وهى تنظر إلى لى تشون التى احمر وجهها وقد بدت عليها علامات الشك وعدم الاقتناع .

" نعم ، لقد استطعت أن أحمن ، إن حالتك النفسية ليست مستقرة وهذا ليست مرة واحدة من قبيل الصدفة ، فأنت أقل منا حيوية وانطلاقا ، أرى أن فىك كثيرا من المزايا ، فأنت ذكية ذات عقل راجح ومتفوقة فى دراستك ، لكن لست سعيدة ! وذلك لأنك - وأنا هنا أقر حقيقة - لأنك أنانية ! "

وتوقفت تشيانغ يون لحظة لترى أثر هذه الكلمة على وجه لى تشون التى ابتسمت ابتسامة صفراء ، وحيثئذ سحبت يوان شن تشى ضفيرة شعرها من فوق ظهرها وسحبت عنها الفيونكة المصنوعة من المطاط وراحت تضفره من جديد فى دعة وهدوء .

عقدت تشيانغ يون يديها على صدرها وقالت فى تأثر شديد : " أرجو ألا تغضبى منى ، فهكذا أنا ينطق لسانى بما يعتمل فى قلبى . أرى أنك تفتقدين القدر الكافى من النبل وإنكار الذات ، لأنك تعيشين وسط الجماعة بينما لا تفكرين إلا فى نفسك ، وإذا ما حققت نجاحا فى جانب ما أخذك الزهو وقلت فى نفسك هه ، إنى رائعة ، بل إنى أتفوق عليكم جميعا ، ثم تظهرين فى الفصل وكأنك طائر الغرنوق وسط جماعة الدجاج . لكنى أقول إن الإنسان إذا عاش لنفسه فقط لابد أن يصدده الحائط يوما من الأيام ، وهل يستطيع الإنسان أن يجد لكل ما يصادفه هوى فى نفسه ؟ ومن ثم تشعرين بعدم الانسجام وعدم الشعور بالسعادة مع الآخرين ! "

أومات لى تشون " نعم ، هذا صحيح ! "

وسألته تشن بوا ، هل تشعرين أن اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة تفيدك؟ "

" نعم "

" حقيقة تفيدك؟ إننا هنا نتحدث حديثا صريحا من القلب للقلب " .

" حقيقة تفيدنى ، فقد أبانت لى عن كثير من عيوبى " .

ضحكت تشن وهى تقول : " وتلك هى المشكلة ! فإن اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة تشير إلى عيوبك فقط ، لكنها لا تساعدك على إبراز وإظهار مميزاتك ، وإحداها أن روح البحث الدراسى بارزة وقوية عندك ، لكن المهام الرئيسة للجنة لا تزال تنصب على جوانب النقد والعمل الاجتماعى . . . . . وأنت لا تبدين اهتماما كافيا بهذه الجوانب مما يجعلنا نصطدم معا " .

عاودت لى تشون حديثها من جديد " لقد قررت أن أصحح نفسى ، وهذا ليس بالأمر العسير ، فسوف أكثر فيما بعد من الاشتراك فى الاجتماعات وقراءة الصحف وأقوم بالمزيد من العمل وتقديم الخدمات " .



نهضت تشيانغ يون من مجلسها، وعادت إلى مقعدها السابق ، وقالت وقد جلست فى مواجهة لى تشون " غير صحيح ، إن كلماتك هذه نوع من سوء الفهم ، هذا ، هذا . . . " ولم يسعفها الكلام لتعبر عن الحقيقة التى تريد إبرازها .

قالت تشن بوا: " إننى أوافق تشيانغ يون فى رأيها ، فالمشكلة ليست مشكلة الاشتراك فى الاجتماعات أو شيئا من هذا القبيل ، بل ليست هناك حاجة للمزيد من الاجتماعات . حيث إن آراء اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة فىك وانتقاداتها لك تدور كلها حول أسلوبك فى التعامل مع الآخرين وطريقتك فى مواجهة مشكلاتك الأساسية الخاصة . وهناك أمر ترك فى نفسى انطبعا عميقا ، هل تذكرين عندما ذهبنا فى العام الماضى لمشاهدة فيلم " لا بد أن نروض نهر خواى " ، عندما قلت ، نحن فى طريق العودة إلى المدرسة ، إن هناك بعض الأبطال يحالفهم التوفيق وحسن الحظ ، وهناك أيضا أبطال يصادفهم حظ عاثر ، أخذتنى حيثئذ دهشة شديدة ، فكيف تبرعين إلى هذا الحد فى تقييم ما يحسب للأبطال وما يحسب عليهم؟ إنهم قد صاروا أبطالا كذلك لأنهم أسقطوا من حساباتهم كل ما يتعلق بأشخاصهم من كسب وخسارة . وذكرت آنذاك أيضا أنك لا تحبين قول الحكم ومأثور الأقوال ، وأقول إذا كانت هذه الحكم صحيحة وسليمة فهى بالتأكيد لن تخدعنا ، ومن ثم أتساءل لماذا لا نطبقها على سلوكنا وأفعالنا؟ أشعر أننا مازلنا صغيرات ، وأنا عندما نطالع كتابا لا نستطيع أن نفهم ما تحمله سطور هذا الكتاب . لكننا سنكبر وتنضج أفكارنا يوما بعد يوم ، وتستطيعين فى المستقبل إنجاز المهام الجسام وتختلطين بأعداد أكبر من الناس ، ومن ثم يمكن أن تبدو فى شخصك عيوب أكبر وأكثر . ويمكن القول إنك منذ بداية هذه الفترة الدراسية ظهرت عليك علامات الغرور والكبرياء بدرجة خطيرة . وكان عدم احترامك لووتشانغ فو أحد هذه المظاهر ، ولم يكن أبدا لوثا من ألوان التهريج والمزاح " .

وقالت تشيانغ يون مؤكدة " نعم ، هذا صحيح ! "

شعرت لى تشون بشىء من الحيرة والارتباك ، وأحست بالاختناق والحرارة رغم برودة الجو . وكانت قد هيات نفسها لتلقى سيل من الشتائم من تشيانغ يون والزميلتين الأخرين ، وقالت فى نفسها فى بساطة وسذاجة : " دعيهن يخرجن شحنات الغضب ، ثم نلتقى ونتآلف فى الفترة الدراسية المقبلة ! " لكن كلمات تشن بوا جاءت شاملة وغير جائرة وعميقة فى الوقت نفسه ، غير أن لى تشون شعرت أنه من العسير عليها أن تعترف بذلك فى شجاعة ، وأن تستوعب هذه الكلمات بصورة تامة ومستفيضة ، بل إنها كان يخالطها شعور شديد بعدم الارتياح وهى تسمع هذه الكلمات التى كانت أكثر إيلاما من كل صنوف الشتم .

وراحت تضغط على ساقها فى ضيق وألم .

" صحيح كلامك ، لكن تشيانغ يون تقول إننى أنانية ، وأنا لست كذلك ! بل أشعر أننى شديدة الكرم وإنكار الذات . "

ردت عليها تشيانغ يون بقولها " إن الأنانية لها ألوان وأشكال مختلفة . . . . "

وكانت يوان تشى قد فرغت من تصفيف وضمير ضفيرة شعرها الصغيرة فأملت رأسها وقالت فى خفة وحيوية : " إذا كان على أن أتكلم فإننى أشعر أن حياة لى تشون تمضى رتيبة وعلى وتيرة واحدة بشكل يتزايد يوماً بعد يوم ، فى الوقت الذى أرى فيه الحياة ذات دروب شتى وألوان متعددة . فمثلا هل تعرفين خطوط الأتوبيسات الجديدة ، وأى طريق شيدت على جانبيه المباني العالية الشاهقة ، وما هو أحدث فيلم وردت فيه أغنية تحب الجماهير ترديدها ، هل تعرفين كل ذلك؟ أعتقد أنك لا تعرفين . . . . "

لماذا تغلقين نفسك على الكتاب فقط ؟ إن الإنسان إذا اهتم بكل ما حوله استطاع أن يقطف من كل بستان زهرة . وإن كل جديد فى بكين يمكن أن يدفعنا الى حب بلادنا ونظامنا ومدينتنا ، -خلاصة القول إن الإنسان بهذا الأسلوب يكون مثل عين الماء ، منتعشا متجددا تدب فى عروقه الحيوية والنشاط ، يتغلب بسهولة على

أى مشكلة فكرية تواجهه ، أما إذا كانت أعصابنا دائمة التوتر فى زمن الصبا والشباب ، فإننا يمكن أن يشيب شعرنا عند بلوغ الثلاثين ، وفى هذا المجال لاختلف يانغ تشيانغ يون عن لى تشون فى شىء ، فهما مثل الأختين الشقيقتين ما إن تجمعهما جلسة واحدة حتى يتبادلا إلقاء الشعر ، أو تدخلا فى مناقشات فكرية ساخنة " .

ابتسمت لى تشون دون أن تتكلم .

وبعد ذلك ذهبى لى تشون لأخذ رأى ووتشانغ فو هى الأخرى .

وكانت بطبيعة الحال قد انتقدت تصرفها مع ووتشانغ فو خلال الفترة الدراسية السابقة انتقاداً ذاتياً ، لكنها لم تقدم أى اعتذار عن هذا التصرف .

وفى الوقت الذى تم ترشيحها فيه للاشتراك فى مسابقة الخطابة ، كانت لى تشون تحاول إخفاء السعادة التى تعتمل فى قلبها . فقد كانت تتوق إلى خوض هذه التجربة ، بل وتحلم بتحقيق النجاح فيها فى الوقت نفسه ، وكانت تقول فى نفسها ، وقد تبدل شعورها بالمرارة إلى إحساس بالراحة والسعادة ، " إننى لم أمثل أى تجمع جماهيرى منذ فترة طويلة فى تقديم عمل تسلط عليه الأضواء " .

لكن فشلها فى كتابة المسرحية فى المرة السابقة هزها هزة عنيفة ، حتى إنها لم تعد تثق فى أن الحظ سوف يتسم لها من جديد . وفى الوقت الذى أعلنت فيه الزميلات موافقتهن على ترشيحها ، كانت لا تزال تحذر نفسها قائلة ، " ليس هناك ما يدعو إلى السعادة ! فأولاً يمكن أن يغيرن رأيهن ويستبدلنها بزميلة أخرى ، ثانياً يمكن أن يطرأ تعديل على خطة الأنشطة المدرسية برمتها وتلغى هذه المسابقة ، وثالثاً هب أننى تفوقت فى هذه المسابقة تفوقاً ملحوظاً ، ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ " .

لم تدعها زميلاتهما تستغرق في التفكير ، حيث انفض اجتماع الفصل ،  
واقتربت من لى تشون بعض الزميلات يتجاذبن معها أطراف الحديث ، وقالت  
ووتشانغ فو ، وقد بدت كأنها أسدت لها جميلاً كبيراً :

" لم أخطئ عندما قلت منذ البداية يجب ترشيح لى تشون ! فمن المؤكد  
أنها ... " وقالت إحدى الزميلات وهى تنهته " : إن عقابى بحل ثلاثين مسألة فى  
الجبر لأسهل من أن يسند إلى القيام بالخطابة ، حيث يمكن أن تهرب روحى إذا  
رأيت رؤوساً كثيرة متراصة أسفل خشبة المسرح " .

دخلت ووتشانغ فو فى الخط قائلة : " مالصعوبة فى ذلك ؟ ، لقد سمعت أن  
هناك خطيباً ضليعاً كان يتدرب على الخطابة واقفاً أمام أرض مزروعة بالفجل . فإذا  
أردت النجاح فى الخطابة ، يجب ألا تنظرى إلى جمهور المستمعين على أنهم  
أشخاص ، بل تنظرين إليهم على أنهم أعواد فجل " .

ردت لى تشون فى فتور متعمد : " ووتشانغ فو ، لشد ما أكرهك "

ماذا كسبت من مساعدة يوان شن تشى فى إلقاء التبعة على كاهل الغير ؟ !

لقد سعى اتحاد الطالبات خلال هذه الفترة الدراسية إلى تكليفى بمسئولية  
الإشراف على جماعة الفيزياء ، وكان فى ذلك ما يكفى ، لكن ماذا أفعل بعد أن  
أسند إلى هذه المهمة الصعبة الجديدة ؟

قالت يانغ تشيانغ يون : " لا بأس ، بمقدورنا مساعدتك ، وعليك أن تحاولى  
بكل السبل من أجل النجاح فى الخطابة . ويمكن أن نساعدك جميعاً فى الحصول  
على أى معلومات تحتاجينها . وتستطيعين أيضاً أن تجربى أكثر من تجربة فى الخطابة  
أمام الزميلات فى الفصل ، وتستمعين إلى آرائهن وتعليقاتهن .

تلعثمت الكلمات على لسان لى تشون . فهي لا ترغب في قبول هذه الفكرة الأخيرة ، لأنها ترى أن موضوع كلمتها سيكون قديما في نظر الآخرين إذا ما كشفت عنه في وقت مبكر ، وكانت شديدة الاهتمام بملاحظة انطباعات يانغ تشيانغ يون ، وراحت تنظر إليها في حذر وهي تتساءل : " هل يانغ تشيانغ يون سعيدة أم لا ؟ إنها لم ترشحني لأداء هذه المهمة . بل ألا يمكن أن تكون هي نفسها تفكر في الاشتراك في مسابقة الخطابة ؟



كان شهر مارس يطوى صفحته الأخيرة ، عندما هبت ريح عاتية مفاجئة .  
 إنها الرياح الشمالية الغربية التي هبت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وانخفضت على إثرها درجة حرارة الجو حتى وصلت إلى ما تحت الصفر ، واضطرت بعض الزميلات ممن كن قد خلعن المعاطف القطنية إلى البحث عنها وارتدائها من جديد .  
 وأخذ الجميع يسب هذا الجو المتقلب الذي لا يثبت على حال بكل أنواع السباب ورحن يتحاورن ويتبادلن الآراء فيما بينهن حول " تقلبات الطقس " فى هذا العام ، حتى تلميذات الصف الأول الإعدادى اللاتى بدان دراسة جغرافية الطبيعة ، كن يسألن أستاذهن أثناء الدرس " أستاذ ، أليس صحيحًا أن الجو لن يكون معتدلا دفيئًا هذا العام ؟ ألا يرجع سبب ذلك إلى التغيرات التى طرأت على الطاقة الشمسية ؟ " .

ولما كان اليوم الأول من أبريل ، نامت الرياح وسكنت فى هدوء، وسرعان ما كشفت عن وجهها وحرارتها التى لم تطقها طالبات الصف الثالث وهن فى حصة الرياضة البدنية . لم يدركن حقيقة الأمر فى البداية حتى إن إحدى الطالبات فكرت وسألت زميلاتها ، " هل حقًا ذهب الشتاء وقدم الربيع ؟ وكيف أننا ما زلنا نرتدى هذه المعاطف القطنية الثقيلة ؟ " .

وكانت أول من خلعت معطفها ، وتبعتها فى ذلك بصورة مفاجئة زميلاتها فى الفصل واحدة بعد الأخرى ، وعندما حل مساء ذلك اليوم لم تكن هناك من بين طالبات المدرسة من ترتدى معطفا ، شعرن جميعا بسعادة غامرة ورحن يمشين ويتنقلن فى خفه وحيوية ونشاط .

فى صبيحة يوم الأحد الموافق الأول من شهر أبريل ذى الشمس المشرقة ، الشهر الذى نعبر من خلاله إلى مايو الذى تتفجر فيه المشاعر وتستيقظ القلوب ،

جاء تيان لين يبحث عن تشن بوا ، كان مجيئه مبكراً وكانت الطالبات قد نهضن لتوهن من الفراش .

تشيانغ يون فى انتظار حلول موعد تناول طعام الإفطار ، لكنها لم تطق صبراً ، فجلست منحنية الظهر تقلب صفحات مجلة " رؤية جديدة " بصورة عشوائية ، وهى تترنم بكلمات أغنية جديدة ، وأخذت تشوشيا ولينغ تجرى تدريبات مهارية حيث راحت تضع المهفة المصنوعة من الريش رأسياً فوق أرنية أنفها محاولة تثبيتها دون أن تسقط على الأرض . أما ووتشانغ فو فقد جاءت بقميصها بعد أن جف وفردته فوق السرير وملأت فمها بالماء وأخذت " تبخ " القميص برذاذ الماء وهى تفرده وتسويه وتشده من أطرافه ، ثم طبقته بطريقة منظمة ووضعت تحت المرتبة . ولم يكن خارج العنبر سوى تشون التى حملت حزمة من الكتب منذ الصباح الباكر وذهبت إلى حجرة الدراسة لتجهز مسودة الموضوع الذى ستشارك به فى مسابقة الخطابة .

جاء تيان لين إلى غرفتهن مما تسبب لهن جميعاً فى الإزعاج ، ووجهن نظرات التعجب والفضول نحو تشن بوا وذلك الشخص الغريب الذى تصحبه معها إلى الحجرة . وأسرعت تشوشيا ولينغ إلى حمل المهفة عن أنفها ، ونهضت تشيانغ يون من فوق مقعدها ، أما ووتشانغ فو فقد ظلت تجلس جلسة معتدلة فوق ملابسها حتى تضغط عليها بينما تسمرت عيناها عليهما . بدأت تشن بوا يخالطها شعور بالسعادة والارتباك فى نفس الوقت فى تقديم كل من الطرفين للآخر قائلة : الرفيق تيان لين ، زميلاتى فى الحجرة . .

انحنى تشوشيا ولينغ برأسها انحناء كبيرة تحية لتيان الذى احمر وجهه خجلاً . وقالت يانغ تشيانغ يون ووجهها يشرق بهجة وسعادة: " أهلاً بحضرتك ضيفاً على حجرتنا المتواضعة . "



ودرات بينهم كلمات سريعة مرتجلة سرعان ما أصبح تيان لين بعدها صديقا لهن جميعا، ورغم أنه جاء يبحث عن تشن بوا بالتحديد، إلا أن الزميلات الأخريات التفنن حوله وتجادبن معه أطراف الحديث .

سألته يانغ تشيانغ يون " ما رأيك فى حجرتنا وفى ظروفها الصحية ؟ " .

هز تيان لين رأسه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة .

وسألته تشوشيا ولينغ بدورها : " هل تستطيع أن تخمن أين سرير تشن بوا ؟ " .

عاجلتها تشن بوا بقولها : " كفى ، كفى " .

لكن تيان لين ما زال يحاول التخمين ، وتساءل " هل هو هذا ؟ " .

مشيرا الى سرير مفروش عليه مفرش وطبقت فوقه بطانية صفراء من الصوف .

رددن جميعا فى أصوات مختلطة " خطأ ، خطأ " .

" إذن ، هل هو هذا ؟ وهو يشير من جديد إلى سرير آخر مفروش عليه ملاءة بيضاء وتكدس فوقه كومة من الملابس .

ارتفعت قهقهاتهن وقلن : " بل خطأ أكبر " .

وابتسم تيان لين فى شىء من التحسر والألم وهو ينظر إلى أسرة البنات المنسقة البسيطة والجميلة فى الوقت نفسه . ربما يتحسر على عهد الدراسة بالمرحلة الثانوية الذى مضى بالنسبة له ولن يعود ؟ وربما يرجع السبب أيضا إلى الروابط القوية التى تربط تشن بوا بعدد كبير من زميلاتها وقضائها معهن الليل والنهار وكأنهن أسرة واحدة ، بينما هو لم يتعرف على ظروف حياتها ، بل لا يعرف حتى السرير الذى ترقد عليه .

وسألها تيان لين فى صوت خفيض ، " ما رأيك فى أن نخرج للتنزه بعضا من الوقت ؟ " أجابت تشن بوا بعد تردد وحيرة : " علينا أن نقوم صباح اليوم بتنظيف الفصل " وأحنى تيان لين رأسه وبدأ عليه التأثير الشديد .

وسمعت الزميلات ما دار بينهما ، فقلن لتشن بوا فى صوت واحد : " ماذا يقلقك إذا لم تشاركى اليوم فى تنظيف الفصل .

وهكذا اجتمعن على مساعدة تيان لين ، واستجابت تشن بوا .

وعندما كانا على وشك الانصراف ، أصرت تشيانغ يون على أن يقوم تيان لين بأداء إحدى الأغنيات ، وخشى تيان لين من الاستعراض أمام البنات فى أول لقاء يجمعه بهن فقال إنه لايجيد الغناء ، وجاء رد تشيانغ يون بسيطا مختصرا " لا أصدق ذلك " ثم قادت الأخريات وحثتهن على التصفيق والتشجيع .

ووجد تيان لين نفسه مضطراً إلى الغناء فغنى الفقرة التالية دون إجادة ، بل ودون أن يطلق لحنجرتة العنان .

الشمس تغرب خلف الجبل لكنها تشرق فى الصباح التالى

الأزهار تذبل وتتساقط لكنها ستفتح فى الربيع القادم

وبعد أن فرغ من الغناء ، قفز قفزة واحدة صار بعدها خارج باب الغرفة ، ولوح بيده لهن قائلاً " عفواً ، أرجو أن تسمحن لى بالانصراف ، إلى اللقاء " وقد شعر أن وجوده معهن هذه الدقائق القصيرة أيقظ فيه روح النشاط والحيوية .

وراح تيان لين وتشن بوا يقطعان الشارع بخطى متهادية ، السماء لا تخلو من سحب خفيفة غير كثيفة ، والشمس تطل بوجهها من حين لآخر ، واللافتات القماشية على واجهات المحلات ذات الطراز القديم تمضى واحدة تلو الأخرى ، والزبائن يهبطون السلالم أمام هذه المحال بعد أن اشتروا حاجياتهم وفى أيديهم

لفافات حمراء أو خضراء . وهذا طفل صغير يجرى وقد حمل فى يده طبقا ، بينما تتبعه أخته الكبرى وتصيح " نريد شراء طبقاً آخر أكبر حجماً . . . . . ويرد الطفل فى غير مبالاة أو اهتمام : " أعرف ، أعرف كل ذلك " .

وعلى باب أحد محال بيع الخمر ، شاهدا زجاجات كافة أنواع الخمر معلقة فى أسلاك معدنية منها زجاجة نحاسية اللون بها بيرة ماركة الحصان الطائر، وأخرى بنفسجية اللون بها نبيذ ماركة تشانغيو ، وثالثة صغيرة الحجم بها خمر ووتهو المعروف فى بكين .

" إننى أستنشق نسمات الربيع وأنا أسير فى هذا الشارع " .

واستطرد تيان لين وهو يرفع نظارته : لا حاجة لنا للذهاب لمشاهدة الزهور والنباتات والأشجار ، فإن هذه المحال وواجهاتها وهؤلاء المشترين من الشباب والفتيان ، والأطفال الذين يغدون ويروحون هنا وهناك ، كل ذلك يجعلنى أشعر بما حولى يفيض نشاطاً وحيوية . . . . "

أومأت تشن بوا فى صمت ، سألته : " لماذا تتأخر زيارتك كل هذا الوقت ؟ "

أجاب وعلى شفثيه ابتسامه ، " إننى لم أخبرك بعد ، لقد سافرت للعمل فى شنغهاى وعدت من هناك منذ وقت قصير ، ثم أخذ يحدثها عن المناظر الطبيعية الفنية الجميلة فى شنغهاى ، ثم انبرت تشن فجأة : " لقد سرنا طويلاً فى هذا الشارع ، قل لى إلى أين المسير ؟ " ورمقته بنظرة لا تخلو من الشكوى والضجر .

قال تيان لين فى توجس وحذر " ألا نذهب إلى المنتزه ؟ "

ثم صعدا إلى ترمواى مزدحم بالركاب تقوده سيدة .

السياح ينتشرون كالنمل فى منتزه " تشونغشان " قال تيان لين مازحاً :

" كأنهم ذاهبون إلى السوق ، وبدا على تشن بوا القلق وعدم الارتياح وصامت عن الكلام كأن شخصا ما قد أغضبها وأثار حفيظتها. وأحس تيان لين بذلك ، فحار في أمره ولم يكن يكثر من الكلام .

وبعد أن اجتازا الممر المزين بالرسومات الجميلة ولوحة الإعلان عن معرض النحت على العاج وصلا إلى صالة الزهور .

وصالة الزهور هذه عبارة عن حجرة فسيحة مضيئة تنخفض عن سطح الأرض، جدرانها من الزجاج وتنفذ أشعة الشمس إلى داخلها من خلال هذه الجدران ، وترعرع النباتات والزهور داخل هذه الصالة في ظل رعاية واهتمام البستاني المسئول عنها .

وما إن دخلا الصالة حتى اقتحمت أنفيهما الرائحة الناتجة عن الرطوبة ، واستحوذت عليهما الزهور بألوانها وأشكالها المتعددة في كل جانب . وأشرق وجه تشن بوا بالسعادة بعض الشيء عندما شاهدت أنواعاً من الزهور التي لم تراها من قبل ، وبدأت تسأل تيان لين عن أسماء الزهور وهو يرد عليها بمعلومات وفيرة لا ينضب لها معين:

" انظري ، هذه الصغيرة الحمراء المفتحة اسمها زهرة الكرر ، إنه اسم جميل، وهذه ساق زهرة البرقوق الجميلة ، إنها ساق شائكة خشنة اللمس ومضلعة غير مستديرة تشبه سلسلة من عقد نبات الخننج . شمي، يالها من رائحة فواحة ، إنها رائحة زهرة " التوليب، تلك الزهرة التي تحب زوجات النبلاء في روسيا أن يزين بها صدورهن عند ذهابهن إلى الحفلات والسهرات . وهذه زهرة الجرس ، أحب الزهور إلى قلبي ، انظري إلى لونها البنفسجي الفاتح ، ذلك اللون الذي يتدرج من البنفسجي الغامق للورقة الخارجية للزهرة ثم يتحول تدريجياً إلى اللون السماوي في الوسط ويتدرج حتى يصل إلى اللون الأبيض عند حامل الزهرة . . . "

كانت تشن بوا تومى ، باستمرار ، إنها تحب فى تيان لين ثقافته ومعلوماته الغزيرة ، لكنها فى الوقت نفسه تخشى أن يلفت شرحه المستفيض انتباه الآخرين اليهما ، ولذا كانت تسارع بالتحرك إلى الأمام .

وتتوسط صالة الزهور جبلاية صناعية غنية بالأعشاب تنتصب فى وسط هذه الجبلاية نافورة طويلة بيضاء ، وتحوطها بركة ماء بها كثير من السمك الذهبى الذى يسبح هنا وهناك ، بينما تتكسد فى قاع البركة الصافية أعداد كبيرة من الحصى الصغيرة المتألقة ذات الألوان البديعة .

جلس تيان لين القرفصاء يتفرج على الحصى والأسماك ، وبعد فترة صباح فجأة بصوت عال : " سلحفاة صغيرة " فالتفت إليه الناس من حوله وقالت له تشن بوا فى صوت خفيض : " اغضض من صوتك . ثم نظرت إلى المكان الذى يشير نحوه فشاهدت أحد أنواع الزواحف الصغيرة ذات الغطاء الأخضر داكن اللون ، المستدير ، مصفح الشكل ، وقالت فى نفسها .

" إنها حيوان لطيف ، فلماذا إذن يتخذها الناس هزوا ؟ "

وبعد أن خرجا من صالة الزهور ، أراد تيان لين إضفاء نوع من البهجة والحيوية على جو اللقاء فبادر قائلاً : " هيا نستبق ، ونرى من يصل الى تلك التبة أولاً . هزت تشن بوا رأسها وقالت كفاك هراء بينما كان تيان لين قد انطلق فى العدو وهو يتمايل يمين ويسرة ، فلم تكن قدماه قد اتسقتا بعد داخل حذاءه الجلدى الجديد غالى الثمن ، شعره يتطاير مثل الحشائش الصغيرة غير المنسقة عندما يداعبها الهواء .

وكان بدال الدراجة قد مزق رجل البنطلون اليمنى ، وجوربه القديم الذى لا يتماشى مع حذائه الجديد لا يخلو من الثقوب ، عدوه بهذا الطريقة اللخمة ، سحته غير الجميلة ، وعدم قدرته على انتقاء ملابسه ، كل ذلك جعل تشن بوا لا تستطيع إخفاء شعورها بالعطف تجاهه حتى كاد الدمع يسيل من عينيها .

وفجأة تعثرت قدما تيان لين حتى كاد يقع على الأرض ، واندفعت تشن بوا نحوه قائلة : " انظر ، يا لك من . . . . "

وقالت تشن بوا فى نفسها إنه ما زال فتى غريبا يعاملنى مثل هذه المعاملة الطيبة ، يحاول أن يجد سبيلا لإسعادى ، فلماذا تبدو مشاعرى نحوه بمثل هذا البرود ؟ " ولم يساورها أدنى قدر من الخجل الذى كانت تشعر به من قبل .

ثم بحثا عن تبة صغيرة وجلسا عليها تحت ظلال شجرة كبيرة .

زهور الربيع المتفتحة تبدو أمام ناظريهما ، وزهور أشجار البرقوق الصفراء والقرنفلية اللون تغطى الأرض من حولهما ، الصبية الصغار الذين يرتدون زى العسكرية البحرية أخذوا أماكنهم بين الزهور فى انتظار قيام آبائهم وأمهاتهم بالتقاط الصور لهم ، وعلى الجانب الآخر باغودا تحوطها الأشجار ، يجلس الطلاب تحتها فى حلقه دائرية يلعبون الورق ، توقفت تشن بوا وتيان لين عن الكلام برهة من الوقت وراحا ينظران إلى المناظر الجميلة الخلابة وإلى السياح الذين تبدو عليهم السعادة ، إنهم جميعا يرون الحياة جميلة ومتجددة وهنيئة على هذا النحو . نظر تيان لين إلى تشن بوا ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى ينظر إليها وجهاً لوجه فى ذلك اليوم ، فشاهد عينيها الصافيتين الوديعتين اللتين تعبران عن شىء من الخوف ، القميص ، ذو اللون الأزرق السماوى الذى ترتديه تشن بوا ، لايعرف كم عدد المرات التى دخل فيها الغسيل ، فالياقة والأساور أصبح لونها باهتا ، نسمات الهواء تداعب رداءها ، مما أبان عن البلوفر الصوف الرمادى اللون ، هذا البلوفر به ثقب تم رفؤه فبدت فيه رقعة صغيرة ، وسرت حمرة خفيفة فى وجه تشن بوا ، وبدت عليها علامات الإثارة التى كانت تقاومها ، وقطبت ما بين حاجبيها كأن شيئاً من الضيق والارتباك يعتمل داخلها ، وما إن لاحظت نظرات تيان لين الساذجة الجامدة التى لا تتحول عنها حتى مرت ابتسامة بوجهها بسرعة، وتركت على شفثيها البارزتين الطريتين أثراً يعبر عن مشاعرها الصادقة بلا مواربة . نهض تيان لين ،

واستند بإحدى يديه إلى شجرة ضخمة ، وأخذ ينظر إلى شعر تشن بوا الرقيق الناعم وهو يقول : " أتدرين ؟ يبدو أننى تغيرت خلال هذه الأيام . إننى أفرح بسهولة وأحزن بسهولة أيضا ، لقد كنت أفكر فى أمور كثيرة متداخلة ومتشابكة وأنا أستقل القطار لدى عودتى من شنغهاى إلى بكين . . . . . بالرحابة أرض بلادنا ، مظاهر الربيع تبدو فى كل مكان ، الزهور ، الخضرة ، الأشجار العملاقة ، السحب فى السماء . إننى لا أرغب فى البقاء بالمكتب ، واستمرار العمل فى القصر واللزق ، بل أرغب بشدة فى الخروج والتنزه . لقد انتهت أجازتكن الربيعية لتوها ، أليس كذلك ؟ حسنا . . . . . أحيانا أفرح وألهو فى سعادة شديدة لبعض من الوقت ، وبعدها أشعر بالقلق والضيق يعتمل فى قلبى . فأقول فى نفسى إن على أن أضع كل طاقتى فى العمل ، ولا أستريح حتى فى يوم العطلة الأسبوعية . ولم أحقق نتائج أو منجزات ملحوظة فى عملى بعد ، لم تتفجر بعد طاقات الشباب الحقيقية . لم يعد لى حق فى اللهو ، فقد بلغت الثانية والعشرين من عمرى . . . . . قرأت فى الأيام القليلة الماضية موضوع تلميذ صغير يكتب عن الربيع ، أسلوبه جميل وجذاب . . . . . فى الأسبوع الماضى تلقيت خطابا من صديق قديم يعمل فى إحدى المناطق الحدودية ، قال فى خطابه إن أحد الجواسيس أطلق عليه الرصاص ذات مرة ، لكنه لم يصب بأذى . إن النضال مرير ولا يحتاج إلى التفكير الأعمى المشوش . . . . .

لكنى ما زلت غير قادر على منى نفسى من التفكير فى ذلك والتفكير فى تلك ، رغم معرفتى أن ذلك ليس صحيحاً . إننى أحب القراءة ، فقد انتهيت فى ليلة واحدة من مطالعة كتاب " وانغ شياو خه الذى لا يموت " وقد بهرنى هذا الكتاب بشخصياته الرائعة حتى إذا فكرت فى نفسى وجدت أن هناك بوئاً كبيراً بينى وبينهم . أريد أن أعمل ، وأعمل فقط ، فلم يعد عندى وقت للقراءة . . . . . مضت لحظة ، وعاد يسألها من جديد : " تشن بوا ، لماذا لا تعيرينى اهتماما ؟ " .

استدارت تشن بوا بوجهها بسرعة ، ورفعت رأسها ونظرت إلى وجه تيان لين النحيل الطويل وقالت " تحدث يا تيان لين ، تحدث ، فإن حديثك طيب " ، وواصلت قائلة بصوت خفيض وشعور عميق : " يكفي أنك تتحدث . وأنا أسمع ، لقد استمعت إلى كل شيء . فأنا أحب أن أسمع ، لكنى لا أجيد الكلام ، حقيقة لا أجيد الكلام ، واصل حديثك ، واعفنى من الكلام ، جلس تيان لين ، وهذا قلبه ، وانتزع غصنًا صغيرًا وراح يرسم به على الأرض .

" اقترب عيد أول مايو ، وهذه المرة الأولى التى أقضى فيها هذا العيد فى بكين . ماذا يمكن أن أقول للزعيم ما و عندما أكون وسط طوفان من البشر فى ميدان تيان آن مين ؟ إن عيد أول مايو عيد جميل ، ولكن هل أنا جميل مثل هذا العيد ؟ إننى أتساءل ، هل يستطيع الإنسان إذا كان قلبه لا يعتمل به شيء ولا يقلقه ولا يرضيه شيء - أن يجذَّ على أنيابه ويتقدم دون توقف ؟ . . . . . لقد وضعت مؤخرًا خطة لدراسة العلوم الثقافية ، إن معلوماتى فى العلوم الطبيعية فقيرة . . . . . لقد وضعت الدولة لنفسها خطة خمسية ، وأعتقد أننى يجب أن أضع لنفسى مثل هذه الخطة . . . . . "

تكلمت تشن بوا فقالت : " تيان لين . بعد أن استمعت إلى حديثك ، شعرت أن حياتى تمضى بصورة عشوائية . إننى أيضا مجتهدة ، ولم أكن أبدًا عالية على الآخرين ، ولكن هل هذا يكفي ؟ يجب أن أضعف ثم أضعف جهدى . . . . . ولكن أريد أن أقول كلمة ، كلمة تلقائية : إننى أرى أنك إنسان عظيم ، وأشعر وأنا معك أننى طفلة صغيرة . لماذا إذن تبالغ فى تعذيب الذات ؟ إن حزمك مع نفسك لا يعنى أبدا أن تتخلى عن التفاؤل والثقة والاعتزاز بالنفس . . . . . " ثم أخذنا يتبادلان النظرات برهة من الوقت ، وكل منهما يستمد من نظرات الآخر القوية طاقة هائلة لا حدود لها .



وفجأة تساقطت قطرات المطر ، فأسرعا واختبأ تحت سقف أحد الممرات .  
أغصان البرقوق الزاهرة تتمايل فى خفة وهدوء . مجموعات من سلاسل المياه تجرى  
فى رقة وعذوبة أسفل الكوبرى على هذا الجانب .

وحبات مياه الأمطار تتدحرج كحبات اللؤلؤ فوق الحشائش فى المروج الخضراء  
على الجانب الآخر ، وجرى أحد الأطفال بمحض إرادته ليقف وسط الأمطار وهو  
يقفز ، ويضحك ، ويصبح قائلاً : " أمطرت السماء

ظهرت الفقايع على سطح البحيرة ،

واختفت السلاحف تحت الأعشاب كأنها ارتدت قبعة .

هبّت ریح شرقية ، محملة برذاذ المطر الخفيف المختلط برائحة الأرض الطيبة  
الحبيبة ، وداعبت وجه تيان لين ، وهو يقول : " ياله من شعور بالراحة ، ثم راح  
يتمطع ، وعندما فرد ذراعيه ، نظرت تشن بوا إلى الساعة فى معصمه ، فإذا بها  
الواحدة والنصف ، ولم يتناول شيئاً من الطعام بعد ، ولكن لا بأس ، فلم يشعر  
أحدهما بجوع .

وكانت حملة النظافة قد بدأت فى فصل الصف الثالث بعد تناول طعام  
الإفطار . وقبل بداية عملية النظافة ، قامت يوان شن تشى بحملة تعبئة ، حيث  
قالت : " لن نتوقف أبدا عن التنظيف إذا بقيت ذرة من التراب ! " ثم قامت جميع  
الطالبات بحمل كل المناضد والمقاعد إلى الفناء ، وأنزلن ما على الحائط بما فيها  
السيبورة والخريطة ولوحات الوسائل التوضيحية . . . . . كلها تم إنزالها ، وهناك  
فريق من الطالبات يقوم بغسل المناضد والمقاعد فى الفناء ، وفريق ينفض التراب  
داخل الفصل ، ولم يكتفين بتنظيف سقف الفصل وحوائطه وأركانه فقط ، بل  
نظفن أيضا التراب المتراكم على شيش نافذة الفصل ، ومسحن زجاج النافذة مرة  
تلو الأخرى استخدمن فى ذلك قطعة من القماش المبلل بالماء ، ثم أخرى جافة ،

واستخدمن مسحوق الغسيل ، ثم مسحته بقطعة قماش جافة . . . وبينما كن يعملن  
كن يغنين أغنية جماعية عن النظافة :

هلمى أيتها الزميلة العزيزة إلى العمل ،

نريد أن نزيل كل القاذورات والأتربة ،

لا نريد فصلاً نظيفاً جميلاً فحسب ،

بل نريد عالماً نظيفاً جميلاً .

تعاونت يانغ تشيانغ يون مع ووتشانغ فو فى " كشط طبقة الطين "

( حيث إن أرضية الفصل مبطنة بقطع الأحجار ، وترسب الطين على السطح  
وكون كريات صغيرة صلبة من الطمي الجاف ) . وكانت هناك فى بكين فكاهاة قديمة  
تقول إن هذه الكريات الطينية الصغيرة عبارة عن قطع من الحلى الثمينة ولا يجب  
إزالتها ، وإلا حل الفقر بمن يزيلها من مكانها . وبطبيعة الحال تتم أعمال كنس  
الأرض والتنظيف اليومية دون المساس بها ) . أمسكت تشيانغ يون بمجرقة من الحديد  
وراحت تزيل هذه " الحلى الثمينة " بقوة ، بينما تمسك ووتشانغ فو بمكنسة  
وجاروف لتكنسها وتحملها . وقد ربطت ووتشانغ فو رأسها بمنديل ، ووضعت على  
فمها كمامة أصبحت ذات لون رمادى ، وراحت تعمل بكل قواها . وفجأة قفز إلى  
خاطرها شيء ، فبرشت بعينيها الصغيرتين تحت جفنيها المترين وسألت  
تشيانغ يون " أخبرينى، تيان لين . . . ذلك الشاب ، ما صلته بتشن بوا ؟ " .

" لأعرف "

" حتى أنت لا تعرفين ؟ "

" اسكتى ! يبدو أن هذه الكريات الطينية الملتصقة بأرضية فصلنا لم يتحرك لها

ساكن منذ بنائه ، حقيقة إنها أكثر صلابة من الحديد . "

" بم يشتغل فيما تظنين ؟ "

لا أعرف الظن ، أسرعى فى التنظيف "

" اسمعى ! . سأقول لك ، ولكن عليك ألا تخبرى الأخريات ، لقد رأيتهما يخرجان من المدرسة وقد تشابكت يداهما . . . . . "

" شىء غريب ! لقد كنت لفردھا تجلسين فوق الملابس لكيھا عند خروجھما من باب المدرسة ! ولسوف أضربك بهذه المجرفة إذا استمررت فى هزوك هذا ! "

" إن ما أقوله صدق . تصدقين أولا تصدقين أنت حرة ! إن تيان لين وتشن بوا . . . . . "

" أنسكتين أم لا ؟ " وقد رفعت تشيانغ يون عليها المجرفة وتساقط منها بضع قطع من الطين الجاف على رأس ووتشانغ فو فأسرعت وأخفت رأسها بين يديھا .

ورغم أن يانغ تشيانغ يون ترى أن كلام ووتشانغ فو محض خيال غير صحيح ، ورغم أنها شد ما تكره فى ووتشانغ فو اغتياها للآخرين ، إلا أنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من استعراض مواقف وذكريات تيان لين من جديد . وعندما انتهت من تناول طعام الغداء ، واضجعت فى فراشها منهكة متعبة ، واكتشفت أن تشن بوا لم ترجع بعد ، راحت تركز كل تفكيرھا فى موضوع تيان لين .

تذكرت ملامحه المبتسمة الممعة فى التفكير والتأمل . وتذكرت خبراته الكثيرة ونفسه التى يعتریھا شىء من الخجل . تذكرت بنظونه البالى القديم وحذاءه الجديد . تذكرت تعبيرات وجهه الموحية المعبرة ذات المغزى العميق عند الكلام .

لقد ترك لدى تشيانغ يون انطباعاً عميقاً خلال لقاء قصير . من هو تيان لين ؟

وكيف لم تحدثها تشن بوا عنه من قبل ؟ لكنه وتشن بوا على هذه الدرجة من الود . . . . .

ألا يمكن . . . . . تشن بوا ، يا لك من . . . . . ، وانطلقت تشيانغ يون فجأة تقهقه بصوت عال دون أن تعرف لذلك سبباً . ثم أخفت رأسها واستمرت تضحك خفية ، وبعد أن انتهت من الضحك أخذت تضرب جبهتها وتقول لنفسها ، " آه منك يا ذات الضفيرة القصيرة ! " ثم تقلبت وبدأت تستغرق في النوم .

عادت تشن بوا إلى المدرسة في الثالثة بعد الظهر ، دخلت الفصل الذي بدا جديداً وكأنها تدخل قاعة مبهرة ، أشعة الشمس تسطع على المناضد والمقاعد المغسولة فتبدو مشرقة متألثة ، شفافية الزجاج النظيف تجعله كأنه غير موجود ، دخلت تشن بوا في حذر شديد خشية أن تلوث الأتربة العالقة بملابسها هذا الفصل النظيف الجميل .

الركن الأمامي الأيسر تم تزيينه باللون "الأخضر " حيث يوجد حوض به أسماك صغيرة وظيفادع ومحار بالإضافة إلى شتلات الثوم الأخضر ، والركن الخلفي الأيمن مزين باللون "الأحمر" حيث علقت به لوحات توضح الموقف على ساحة الحرب في كوريا وفيتنام ، وعلقت به أيضا الميداليات والشهادات التي حازت عليها الطالبات بصفة فردية أو جماعية . . . . . وأخذن يشرحن لتشن بوا مراحل حملة النظافة وهي تومئ برأسها معبرة عن الأسف ، ولسان حالها يقول : " سامحني من فضلكن ! "

تناولت تشن بوا كتابا لتقرأ ، لكنها لم تجد إلى ذلك سيلا ، إنها تريد أن تفعل شيئاً ، أخذت تنظر نحو اليمين ونحو اليسار ، الفصل الذي لم يعد به ذرة واحدة من التراب ، لم يعد به أيضا ما يحتاج لإصلاح ، ثم خرجت من الفصل ،

وأخذت تروى الزهور أمامه ، سكبت بها بضع زمزميات من المياه ، وعادت إلى  
عبر النوم تبحث عن تشيانغ يون لتحدث إليها . لكن تشيانغ يون كانت لا تزال  
تغط في نوم عميق ، وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفثيها دون أن يتحرك لها  
ساكن . جلست تشن بوا إلى جوارها تنتظرها حتى تستيقظ ، لكن يبدو أنها كلما  
تعمقت في النوم زادت متعتها به . وتشن بوا على هذه الحالة من الانفعال وعدم  
الاستقرار ، وفي قلبها كثير من الكلام تريد أن تخرجه . وسألت نفسها " لست أدري  
ما يحسن بي أن أفعل ؟ " ثم خرجت من عبر النوم ومن المدرسة واتجهت إلى منزل  
يوان شن تشى . وهناك ، وفي جو آخر ، ربما تستطيع تشن بوا أن تقضى الساعات  
الثلاث السابقة على وقت المراجعة الذاتية المسائية فى طمأنينة وهدوء .



(٢٢)

لم تستيقظ يانغ تشيانغ يون إلا فى الرابعة والنصف .

نظرت إلى الساعة ، : " ياه ، كيف نمت كل هذا الوقت الطويل؟

نعتت نفسها بضيق الأفق ، فقد أضاعت فترة ما بعد الظهر فى يوم الإجازة الثمين هباء مثورا . وبعد أن نهضت شعرت بدوار شديد فى رأسها . لا يوجد فى العنبر سواها ، ولا تسمع إلا صوت زقزقة عصفور صغير خارج الشباك ، وأصوات وقع كرة السلة على أرض الملعب .

حملت يانغ تشيانغ يون وعاء غسيل الوجه الأبيض وذهبت إلى دورة المياه لتغسل وجهها . وما إن دخلت حتى سمعت صوت وضحكات ووتشانغ فو وقد ملأت المكان ضجة وجلبة .

كانت ووتشانغ فو تغسل رأسها وقد كشفت عن ساعديها السمينين البضاويين ، وراحت تدعك رأسها بشدة ، وشعرها المجعد ينتصب فوق رأسها وقد غرق فى رغوة الصابون .

وتجلس تشوشيا ولينغ فى أحد الجوانب وقد انكبت على غسل ملابسها فى همة ونشاط .

صاحت فيها ووتشانغ فو : " آه ، ماذا تريدون ؟ إن شعرى يتساقط كلما غسلته ! ففى كل مرة أغسله فيها يتساقط منه حوالى كيلوجرام ! فبعد عدة مرات ، لن يكون أمامى إلا العمل راهبة فى معبد بوذى " .

حملت تشوشيا ولينغ طست الغسيل وذهبت لتغير الماء، وقالت مازحة مع ووتشانغ فو : " اشترى قليلا من زيت الشعر واغسلى به شعرك " وكانت قد ركزت انتباهها فى الكلام ، فتساقط رذاذ الماء سهوا على ووتشانغ فو.

صرخت ووتشانغ فى وجهها : "أما إنك صحيح قليلة الذوق ! لقد لوثت ثيابى الجديدة بماء الغسيل " .

تقدمت تشيانغ يون منهما وسألتهما " أين زميلاتنا فى الفصل ؟ "

أجابتها تشوشيا ولينغ : "أغلب الظن أنه لا يوجد هنا سوانا نحن الثلاث ولقد نظفن الفصل فى الصباح ، ألا يحق لهن الخروج للعب بعد الظهر ؟

وقالت ووتشانغ فو فى لهجة لا تخلو من التلميح " تشن بوا لم تعد حتى الآن. "

صححت تشوشيا ولينغ كلامها وقالت : " لا ، كأنى رأيتها بطرف عيني منذ قليل " .

أومأت تشيانغ يون بأنفها لووتشانغ فو ، وانتحت جانبا لتغسل وجهها ، ولم تسمع سوى ووتشانغ فو تواصل حديثها قائلة لشوشيا ولينغ : " إن هذا الشيء الفارغ الذى يدعونه زيت الشعر لا تستعمله الجميلات المهدبات . هل رأيت كاريكاتير " العم ماوسان " ، لقد اشترى زيت شعر ودهن به إصبعه ، فثبت الشعر فى هذا الأصبع ، ويمكنه أن ينظف أسنانه بإصبعه بدون حاجة إلى فرشاة الأسنان " .

ضحكت تشوشيا ولينغ حتى انبطحت على لوح الغسيل .

ولم تعد تشيانغ يون ترغب فى سماع كلامها الفارغ ، فأسرعت بغسل وجهها وخرجت . وقالت فى نفسها ، "حقا إنه سخف لا معنى له . . . . "



إن الحجرة المجاورة لدورة المياه هي مكتب اتحاد الطلاب .

مرت تشيانغ يون من أمامه فلمحت ظل شخص . ودفعت الباب فوجدتها سونينغ .

"سونينغ ؟ كيف لم تعودى إلى البيت ؟ من لحظات إنه لا أحد هنا ، كيف ذلك وأنت هنا ؟"

أشارت سونينغ إلى الآلة التى تحت يدها ، وقالت لتشيانغ يون " لقد استعرت آلة الطباعة الخاصة باتحاد الطلاب لأنسخ إحدى الأغنيات لفصلنا " .

وضعت تشيانغ يون وعاء غسيل الوجه على الأرض ، وتقدمت إلى جوار سونينغ وقالت لها " رائع " يدا سونينغ وجهها وملابسها كلها عليها آثار حبر الطباعة . لم تكن سونينغ ماهرة فى القبض على البكرة التى تمر فوق حبر الطباعة ، ومن ثم راحت تدفعها بقوة فوق ورق الإستنسل .

وقد جاءت كلمات الأغنية المطبوعة حبرها خفيف فى اليسار وثقيل فى اليمين بسبب عدم توازن القوى الضاغطة .

قالت لها تشيانغ يون فى حماس وشجاعة " دعينى أساعدك " .

وعندما رأت سونينغ ترفض مساعدتها شرحت لها قائلة : " حقيقة إن لدى خبرة فى الطباعة بالحبر ، فبعد التحرير بعدة أيام جئت إلى هنا لأدفع ذراع آلة الطباعة . "

ثم تسلمت تشيانغ يون ذراع الآلة من سونينغ وتولت القيام بالعمل الرئيسى . ووقفت سونينغ إلى جوارها تساعدها فى قلب الورق .

سونينغ : " إنك إنسانة رائعة " . ولم تكن تشيانغ يون تنظر إلى الآلة عند دفعها للذراع ، بل كانت تركز نظراتها على وجه سونينغ واستطردت تقول :

"انظري إلى نقط حبر الطباعة التي على وجهك ، إنها أجمل وأحسن رائحة من كل الروائح ومساحيق التجميل علاوة على العلم الأحمر الذي يرسم خلفية لك من وراء ظهرك ، حقيقة رائعة الجمال " .

قالت سونينغ وقد بسطت يدها : "كفاك مزاحًا ، فإن الفضل يرجع إليك ، فقد أسندت إليّ الإشراف على فريق الغناء الجماعي . ثم أين معرفتي هذه ؟ إننى لا أقوم بهذا العمل على النحو المطلوب . . . "

"كفاك أيتها الرفيقة القائدة ، فلقد قمت بقيادتنا فى التدريب على أغنيتين " . ثم قامت تشيانغ يون بغناء عدة جمل من آخر أغنية تدرين عليها . وأضافت تشيانغ يون "ألا تشعرين أثناء قيادتك لفريق الغناء بالبهجة والسعادة حتى يصل بك الأمر إلى الشعور بأن روحك المعنوية ارتفعت عاليا فى السماء ؟ عندما يغنى أعضاء الفريق إحدى المقطوعات ويعشن جميعا فى موسيقى الأغنيات ، آنذاك ، تشعرين بـ . . . . . "

"إننى أحب الغناء ، وشعورى عند الغناء مثلما تصفينه الآن ، ولكن فى بعض الأوقات أحب أكثر أن أدندن بصوت هامس " .

قطبت تشيانغ يون جبينها ، ولم تعد تشرح لسونينغ مشاعرهما وأحاسيسهما وقت الغناء . بل أخذت تسكب الحبر وتحرك الذراع فى سرعة كبيرة ، مما يجعل حركة أصابع سونينغ رغم بساطتها عاجزة عن ملاحقتها . ونظرت سونينغ إلى تشيانغ يون، وقد تحركت شفتاها عدة مرات وكأنهما تريدان أن تقولوا شيئًا .

لكن تشيانغ يون لم تلاحظ ذلك .

ترنمت سونينغ بإحدى المقطوعات الغريبة فى صوت خفيض .

أثار ذلك دهشة تشيانغ يون ، فهذه المقطوعة من التراث القديم أصبحت في طى النسيان ، لكنها تظهر فجأة من جديد . وأدركت تشيانغ يون كلمات المقطوعة التالية والتي لم تترنم بها سونينغ .

أشجار الصفصاف اخضرت وأينعت ،

الأخت تركب الحصان ، والأخ يعدو بجوارها ،

الرحلة الطويلة الشاقة تضنى الأخ وتتعبه . . . . .

صاحت فيها تشيانغ يون : " ماذا تغنين ؟ " .

" ماذا ؟ " واحمر وجه سونينغ وقالت فى ارتباك :

" أنا . . . . . إنه كلام من عفو الخاطر . . . . . "

توقفت تشيانغ يون عن الطباعة وسألتها : " ألم تنسى بعد أغنيات التراث القديم هذه ؟ "

" استمرى فى الطباعة حتى ننتهى بسرعة ، وأنا . . . . . حقيقة إنه شىء من وحي الخاطر . . . . . "

قالت لها تشيانغ يون فى صوت هامس : " ماذا ترين إذا غنيت من وحي الخاطر أيضا نشيد جيش المتطوعين ، أليس ذلك جميلاً ؟ "

لم تجبها سونينغ .

وانتهتا من طباعة الأغنية ، وأخذت تشيانغ يون تجمع وتسوى الأوراق ، وقالت لها سونينغ :

" لقد ذهبت للبحث عنك منذ قليل ، وكنت نائمة . "

" هل هناك شىء ما ؟ " .

" أبدا . . . . لا شيء " .

تركت تشيانغ يون عدم تأثرها بأغنيات التراث القديم التي تغنت بها سونينغ منذ قليل جانباً ، وسألتها : " تكلمى ، أيمكن أن يكون هناك شيء تريدين إخفائه عنى؟ إننى متعبة وقد نمت كثيرا فى نهار اليوم . . . . "

استندت سونينغ إلى المنضدة المتهالكة التى توضع عليها آلة الطباعة وهى تداعب طرف ثيابها بأصابعها . جذبت تشيانغ يون يدها لأنها ملوثة بحبر الطباعة ، رفعت رأسها وراحت تنظر من النافذة ، حيث كانت ووتشانغ فو وتشوشيا ولينغ تحملان وعاء غسيل الوجه وآنية غسيل الملابس وتمران من تحت الشباك بعد أن طرقتا عليه .

" انظرى ، إن ووتشانغ فو تشمر عن ساعديها ، ألا تخشى البرد؟ " .

أقلق تشيانغ يون طول الانتظار ، فسألت سونينغ وهى تطرق رجل المنضدة بأطراف أصابع قدمها : " خبرينى فيم كنت تبحثين عنى؟ "

" يانغ تشيانغ يون ، إننى أخشى أن تغضبى منى . لكنك أحسن الناس معاملة لى ، لذا فإننى أتشاور معك قبل أن أقدم على عمل أى شيء " ، وما زالت سونينغ تنظر من النافذة عبر الزجاج النظيف لترى فريق شباب الطلائع يحملون الأعلام عائدين من الاحتفال بيوم الطليعة ، ضحكت تشيانغ يون حتى شعرت عن يقين أنها لم تغضب قط من قبل وقالت : " كيف لى أن أغضب؟ " ثم أمسكت سونينغ وهى تحثها : " قولى ، تكلمى . "

سحبت سونينغ يدها ، وأخذت تداعب أطراف يدها اليسرى بخصر يدها اليمنى ، وقالت " إننى كثيرا ما أكون مع مارى فى الآونة الأخيرة ، وتوقفت ونظرت لترى رد فعل تشيانغ يون .

## أومات تشيانغ يون برأسها

" كنت لا أفهمها من ذى قبل . وذات مرة خرجت جميع الزميلات الى الملعب وبقينا نحن الاثنتين ، قلت لها اليوم عيد ميلادى فسألتنى فى شىء من الغموض : " وما أدراك ؟ " ، ضحكت ، وقلت أخبرتنى أمى بذلك اليوم ، وما هى إلا لحظة حتى انخرطت فى البكاء ، وقالت : " حتى يوم عيد ميلادى لا أعرفه ، وبعد ذلك تعارفنا على بعضنا البعض وتوقفت سونينغ عن الكلام من جديد .

" كيف ؟ " وبدا أن تشيانغ يون تتحلى بأقصى درجات الصبر .

" فى الأسبوع الماضى ، خلعنا جميعًا عن أنفسنا المعاطف القطنية ، بينما لا تزال مارى ترتدى معطفها ، وسألت عن السبب فقالت إن لديها فقط معطف قطنى ثقيل وثوب آخر خفيف ، ولا شىء سوى ذلك . أردت أن أهديها ملبسا صوفيا من عندى ، ولكنها لم توافق أبداً ، قلت لها إنها لا يجب أن تعذب نفسها . لكنها ، هل تعرفين ماذا قالت ؟ . . . . قالت : " أشعر أننى أكثر الناس سعادة لأننى صاحبة عقيدة : " وأضافت : عندما أتذكر السيدة العذراء وأتذكر معاناتها التى فاقت آلامنا بملايين المرات وهى تنظر إلى ابنها المسيح المصلوب من أجل البشرية حينئذ ماذا تعنى معاناتى البسيطة هذه ؟ استمعت إلى كلامها وعيناي تحمقان فيها ، فلم يسبق لى أن سمعت مثل هذا الكلام من قبل قط . . . . . ولكن ما لاتعرفينه ، أن عينيها آنذاك كان يخرج منهما شعاعان قادران على اختراق . وكان لكل كلمة من كلماتها وزن ثقيل . . . . . " والتقطت سونينغ أنفاسها بعد أن تحدثت بمشاعر لا تخلو من النبل والاحترام .

أظلم وجه تشيانغ يون فى الوقت الذى بدأ الليل ينسج خيوطه أيضا ، ولم تستبن سونينغ ذلك .

وواصلت سوينغ حديثها فى إثارة ولهفة : " سألتها ، لماذا تعتقدى فى وجود إله ؟ قالت : لأننى ضعيفة بنفسى ، ولكنى عندما تحل روح السيدة العذراء فى قلبى ، لا أخشى شيئاً وإن كان صعود الجبال على أسنة الرماح . "

وسألتها مرة أخرى " علام تستندى فى إثبات وجود الله ؟ "

لأننى كما تعرفى لأؤمن بوجود إله ، فقد درسنا نظريات تاريخ التطور الاجتماعى والعلوم الطبيعية . آنذاك ضحكت مارى وقالت لى فى براعة وإتقان : " أنا وأنت ، نحن أنفسنا الدليل ، والدليل على وجود الله فى كل مكان . "

وأشارت إلى ، لماذا منحت الحياة؟ لماذا لم تخلقى حجراً أصم ؟ لماذا ولدت فى يوم الثانى من مارس على وجه التحديد دون تقديم أو تأخير ؟ ثم أشارت إلى نفسها، لماذا منحت الحياة أنا الأخرى ؟ بل لماذا نحن - أنت وأنا - شخصان ؟

" لماذا القمر فى السماء ؟ ولماذا الماء فى البحر ؟ "

" لماذا تتفتح الزهور ثم تذبل وتسقط ، ويعيش الإنسان ويموت؟ "

" كل ذلك لأن هناك إله " ! { كلامها بالنسبة لى كان شيئاً غامضاً مبهماً مثل الغيوم المتحركة . ثم عادت تسألنى من جديد ، ألا تشعرى فى بعض الأوقات أنك ضعيفة ؟ ألا تشعرى أن هناك كثيراً من الأمور التى تعجزين عن فهمها وإدراكها أو تجرى على عكس ما تشتهيته؟

ألا تشعرى بالفراغ ، ألا تشعرى كأنك فى مفترق الطرق لا تعرفى ماذا تفعلين ؟ كل ذلك لأنك لست صاحبة عقيدة ! "

قالت تشيانغ يون وهى تفكر أن تستدعى مارى لتجادلها :

" هراء ، إن لنا . . . . . "

غيرت سونينغ هذه المرة من عادة التوقف عن الكلام عندما يقاطعها أحد ، وانطلقت تقول ، بعد ذلك حكى لى قصة أحد الرعاة : " ذلك الراعى الذى عثر على إحدى نعاجه الضالة ففرح بها أكثر من النعاج الكثيرة التى يمتلكها . تقصد بذلك أن الرب ينتظر دائما أن يؤوب إليه كل من لا يؤمن به . وظللت أفكر طوال هذه الأيام فى كلامها هذا ، إنسى فى واقع الأمر يداخلى الشك والريبة فى أمر الأديان ، ولكن يبدو أننى قد تأثرت ، ليس بسبب كلامها ولكن بسبب روحها ومعنوياتها .

إننى أفكر ، ماذا لو جربت ، وإما أن أكون مع هذا الأمر أو أكون ضده . إننى أريد أن أدخل معها الكنيسة عدة مرات ... "

قالت تشيانغ يون وهى تضرب كفاً بكف " أجننت ؟ "

" معقول هذا الكلام ... " حيث كان كلام سونينغ مفاجأة مذهلة لها .

أحنت سونينغ رأسها قائلة : " لا تغضبى ، هذا الذى قلته ، لا ... "

عضت تشيانغ يون على شفيتها السفلى وقد انتحت جانباً ، لكنها لم تطق صبرا ، قالت وهى ترتجف :

" أنا لم اغضب ، وبأى حق أغضب ؟ إن حرية العقيدة أمر مكفول ، اذهبى ... واسجدى للعدراء ، أما أنا إذا تدخلت فى أمرك ، فيعد هذا خروجاً عن القانون . فهذه حريرتك الخاصة ... "

اقتربت سونينغ منها ، وقالت فى خضوع واستسلام : " يانغ تشيانغ يون ، ماذا دهالك؟ ماذا أصاب مزاجك اليوم ؟ إننى أتشاور معك ، ليس أكثر . "

دفعتها تشيانغ يون وهزت رأسها فى حزن وأسى .

" حقيقة إننى لم أتوقع ذلك أبدا ، واعتقدت أنك يمكن أن تسيرى قدما للأمام بتوليك رئاسة فريق الغناء الجماعى ، حتى بلغت بى الحماقة أن فكرت فى ترشيحك لعضوية الرابطة خلال هذه الفترة الدراسية . خلاص ! أعرف أنك تأثرت بأسرتك ، حيث إن صحتك تكون أحيانا على غير ما يرام ، كنت أعتقد أن ما يصيبك لا يعدو أن يكون صداعا أو سعالا أو التهابا فى الحلق وما إلى ذلك ، وما هسى إلا بضعة أقراص من آيه بى سى حتى تشفى ، وكانت النتيجة أنك تعاطيت الأفيون - الكاثوليكية - ! أمل أن تعيش حياة زاخرة رائعة ، وأتمنى أن أفعل كل ما أستطيع من أجل ذلك .

أحيانا أراك فى قمة السعادة والاجتهاد وأيضا الرغبة فى العمل من أجل الآخرين ، حينذاك أكون أكثر سعادة من سعادتى أنا نفسى إذا قمت بشيء طيب يبعث على السعادة .

فكرت ما أروع سونينغ ، فقد تزامننا واجتزنا معاً المرحلة المتوسطة ، أحيانا كان يعتربك بعض الحزن والأسى ، فكنت أحزن من أجلك أكثر من حزنى على نفسى ! آه ، لا يجب على أن أقول هذا الكلام ، ثم هدأت لهجتها الحادة وقالت ، " أنت ترغيبين فى دخول الكنيسة ، جميل ، اذهبي ! "

" مالك ؟ ألسنت صديقتى ؟ كان أخى قبل مغادرته يطلب منى أن أسمعك ، ولماذا تقسين على هكذا ؟ "

مسحت سونينغ العرق الذى تصبب من جبينها ، فتركت عليه ما فى يدها من أثر حبر الطباعة .

سمع رنين جرس العشاء " تن ، تن ، تن . . . . . ؟ "

" اذهبي لتناول العشاء ، فقد ذهبت كل الزميلات . "



"لن أذهب " ، وانطلقت تشيانغ يون دون أن تلتفت خلفها ، وما هي إلا لحظة حتى توارت عن الأنظار .

لاحقتها سونينغ " خذى وعاءك ، وعاء غسيل الوجه ! "

لكن تشيانغ يون لم تجبها . جموع الزميلات تمررن من أمام الشباك فى طريقهن إلى المطعم . الهدوء يسود الحجرة عند تناول الوجبات ، ولكن سونينغ مازالت كأنها تسمع صدى صوت كلمات تشيانغ الغاضبة .

ضربت سونينغ الأرض بقدمها من فرط غيظها ، الدموع تحوم فى عينيها وهى تمسك بوعاء غسيل الوجه الخاص بتشانغ يون ، تناولت فوطة الوجه من الوعاء وأرادت أن تمسح بها وجهها ، لكنها لم تمسح بل أعادتها . غادرت الحجرة الصغيرة - مقر اتحاد الطالبات - إلى عنبر نوم تشيانغ يون لتعيد وعاء غسيل الوجه .

\* \* \*

خرجت تشيانغ يون من باب المدرسة ، وأخذت تجوب الحارات هائمة على وجهها . الشمس جنحت للمغرب ، لم يسدل الظلام ستائره بعد ، كل شىء يقبع فى هدوء بين آخر خيوط النهار وأول خيوط الليل . وكان هناك لحام معادن يلحم إبريقا يجلس إلى جوار باب صغير مقشور الطلاء وهو يسابق الزمن لإتمام عمله ، يلبس نظارة سوداء صنعت خصيصا لهذا الغرض ، وهو يحرك نيران الفحم فى سرعة وخفة .

اقتربت منه تشيانغ يون ، وأخذت تنظر إليه كيف يستخدم كلتا يديه فى مداواة جرح الإبريق . رآها اللحام وقد مكثت إلى جواره وقتاً طويلاً ، فرفع رأسه وقال لها :  
" إذا كنت تريدين لحام إبريق أو خلافه ، أحضريه فى الغد ، فالرؤية لم تعد واضحة ، وقد انتهيت من عمل اليوم " .

انصرفت تشيانغ يون وهى تضحك . وواصلت المسير إلى الأمام ، وما إن رفعت رأسها حتى شاهدت شيئا أسود اللون معلقاً على أسلاك الكهرباء . اقتربت منه ونظرت فإذا به طائرة ورقية على شكل خفاش . تمزق نصف جناح هذه الطائرة ، بينما يرفرف الورق الذى يغطى ذيلها فى حركات ضعيفة لا حول لها ولا قوة وكأنه ينعى لتشيانغ يون حظه العاثر .

فكرت تشيانغ يون هل لهذه الطائرة الورقية صفارة ، إننى أحب صوت هذه الصفارة وما شابهها من أصوات الصفارات المصنوعة من البامبو المجوف . ولكن لماذا أحب هذه الأصوات بالذات ؟ " وأخذت تقدح زناد فكرها ، " نعم ، هذه الأصوات تسمع دائماً بعد عيد الربيع ، وتعتبر إحدى موسيقات نهاية هذا العيد . وبعد سماع هذه الأصوات ، من يريد شراء القرع العسلى أو تفجير المفرقات لا بد وأن ينظر ينتظر حتى يجيء رأس العام الجديد .

فى الوقت الذى طلب فيه اللحم من تشيانغ يون أن تحضر فى الغد للحام إربيقها ، فى الوقت الذى شاهدت فيه الطائرة الورقية معلقة فوق أسلاك الكهرباء ترفرف كالذبيح كأنها تشكو لتشيانغ يون سوء حظها ، فى الوقت الذى تذكرت فيه أصوات صفارة الطائرة الورقية و صفارة البامبو المجوف ، فى ذلك الوقت أحست تشيانغ يون بشعور غريب ومفاجئ يجثم على صدرها ، حيث شعرت أنها قضت وقتها بعد ظهر اليوم بصورة سيئة ، باهتة لامعنى لها . فما إن آوت إلى الفراش حتى نامت ثلاث ساعات كاملة ، وأصابها الدوار والصداع من هذا النوم . واستمعت إلى حديث ووتشانغ فو وتشوشيا لينغ الأجوف الذى لا معنى له ، والشائعات التى تختلقها ووتشانغ فو حول تشن بوا . ذهبت فى منتهى السعادة لتساعد سونينغ فى طباعة كلمات الأغنية ، وخرجت من عندها فى منتهى الضيق والألم . تشاجرت معها بصوت عال ، ولكن ذلك أيضا لم يفد فى شيء . وفى نهاية الأمر ليس أمامها سوى أن تراجع أسلوبها ومواقفها . إن أحزانها وأفراحها

وحماسها أكثر من غيرها ، ولكن ما تقوم به وما تحصل عليه قليل جدا . تشعر أحيانا أن حبها للآخرين يفيض عليها . إنها دائما تقدم الكثير وتحصد القليل . ؟ إنها طوال يومها تساعد هذه وتمد يد العون لتلك . فهي لم تذهب إلى اللحام بإبريق معدنى قديم ، وليس عندها وقت لتطير طائرة ورقية ، فهي فى الأصل لا تلقى بالأى إلى أمورها الخاصة ، ولكنها قالت فى نفسها : "إننى أيضا فى حاجة إلى رعاية، فى حاجة إلى اهتمام . . . . ."

ومن أحد جنبات هذه الحارة ، انبعث صوت جهورى ينادى "سمك ذهبى كبير، سمك ذهبى صغير . . . كله للبيع"

ما إن تردد هذا النداء ثلاث مرات فى أرجاء الحارة من جانب إلى آخر حتى اخترق حجب الهدوء والسكون الذى كان يخيم عليها .

رأت شاباً يافعاً قوى البنيان يحمل وعاء به السمك الذهبى والأعشاب البحرية والقواقع النيلية ، ويضع يده اليسرى على أذنه ويميل عنقه وينادى كأنه يغنى "أقبلوا . . أقبلوا"

وسرى مع الريح الشرقية الزكية صوته ذو النغمات الحلوة المعبق بروائح الريف الجميلة فى فصل الربيع .

تقدمت بضع خطوات ، فإذا بها من حيث لا تدرى أمام الباب الخلفى لحديقة بيخاى . فرحت تشيانغ يون، ما أحسن أن أزور حديقة البيخاى مساء اليوم يا لها من سعادة . لقد جاء الربيع ، ولم تفكر فى الذهاب للتنزه بحديقة بيخاى . أشجار الحور البيضاء الضخمة تقف شامخة على جانبى الطريق ، أوراقها حديثة الظهور شديدة البريق تتلامس فى خفة ودعة ، فتصدر عنها سيمفونية السعادة وكأنها تهمس بكلمات الترحيب بالزائرين . تشيانغ يون تجرى وتقفز هنا وهناك وهى تمرق بين الأشجار، ورفعت يدها ترد على هذه الأشجار بقولها:

" يا أشجار الحور البيضاء المخلصة، هل بدأت من جديد فى تقديم تحياتك الصادقة التى لا ينضب لها معين؟ ليس عندى وقت للمزيد من زيارتك ، لكنى دائما أشتاق إليك "

تقدمت تشيانغ يون نحو شاطئ البحيرة ، وكانت تعد أعمدة الدرايزين المتجمدة واحداً تلو الآخر، وتنقل أقدامها فى خطى وثيدة متهادية، محيط القلعة البيضاء والجوسق المحلى بالتنانين الخمسة يتواريان فى الظلام شيئاً فشيئاً ، ولم يعد لها وجود سوى فى المياه حيث يمكنك أن ترى ظلالهما المهتزة ، هلال القمر الأصفر يلوح فى الأفق البعيد، يكسو سطح البحيرة ضوء خفيف خافت ، فتبدو هادئة وجميلة ، عدد الزوار غير قليل ولكنهم اختفوا فى الظلام، أصواتهم وضحكاتهم فى هذا الأفق الرحب تبدو وكأنها تتهادى من بعيد ، إن تلك التى تقضى معظم وقتها فى حيز ضيق بين جدران الفصل الأربعة تشعر بسعادة وراحة كبيرة عندما تبرح هذا المكان. أغصان الصفصاف كثيفة ، عبير الزهور يتزاحم فى المكان، المروج الخضراء تكسو الأرض فى كل مكان ، فعل الربيع مفعول السحر فى نفوس الناس ، وجلب معه كثيراً من المظاهر الجديدة ، ولم تكن تشيانغ يون قد شعرت بهذا الربيع أو استمتعت به بعد ، ومن ثم أخذت نفساً عميقاً ، وعبرت لهذا الربيع المخلص عن أسمى آيات الشكر والتقدير. وفى لحظات ، سيطرت على تشيانغ يون كلمات أغنية قادمة تتهادى من فوق صفحة البحيرة:

" أرهار الكمثرى تفتتح فى كل مكان

ستار الضباب الخفيف، يتراقص فوق النهر . . . . . "

إنها أغنية "الكاتيشا" ، مرت فى البحيرة عدة قوارب صغيرة ، وهناك شخص يحمل أكورديون والجميع يغنون معه فى صوت خفيض وعلى نحو من الحرص والحذر وكأنهم يخشون أن يزاح هذا الستار.

" مدافع الكاتيوشا تسير فوق المنحدرات الحادة،

أصوات الأغنيات تبدو كالربيع المشرق الجميل ..... "

انتهوا من غناء فقرة ، ولكن النغمة لا تبدو أنها نغمة نهاية الأغنية ، ومن ثم عادوا يكررون هذا المقطع من جديد.

لم تتمالك تشيانغ يون نفسها من مشاركتهم فى الغناء.

فهذه أول أغنية روسية تعلمتها ، وهى تحب هذه الأغنية كثيراً لأنها جمعت بين الموسيقى الصاخبة ذات الإيقاع السريع ومشاعر الحب العميقة والرقيقة ، مثل مشاعر الجندى عندما يمر ببلده المحبوب، مثل عدو الفتيات فوق المروج الخضراء ..

صوت تشيانغ يون قوى وجهورى ، المركب الصغير الذى يقل العازف على الأوكرديون يتجه نحوها ، مجدافا فى المركب يرتفع أحدهما وينخفض الآخر ، ويسمع صوتهما وهما يمخران عباب الماء . وقد نهض شاب سمين ولوح بيده لتشيانغ يون قائلاً لها بلهجة أهل كانتون:

"تفضلى إلى مركبنا لتشاركينا اللهو واللعب"

ابتسمت تشيانغ يون ووضعت يدها على شفيتها على شكل بوق قائلة:

متأسفة ، شكراً ! "

تمايل المركب الصغير فجأة ، وترنح ذلك الشاب الواقف فى مكانه وتشبث بكتف جاره فى ذعر فانطلقت ضحكات كل من بالمركب عالية مدوية.

تعبت تشيانغ يون من الوقوف ، فسعت إلى جبلاية وجلست فوقها ، وإلى جوارها تقع جنبه عطرة الزهر ، مليئة بالأزهار الصغيرة المتفتحة البيضاء والقرنفلية اللون، وتصدر عنها رائحة عبقة تخب الألباب . قطفت تشيانغ يون بأظافر عصبية

صغيرة من هذه الورود ، أخذت تشمها ، ثم وضعتها في راحة يدها وراحت تلمسها في رقة وهدوء فسقطت منها عند طرف ثيابها .

عبر بضعة عشرة طالبا في ضجيج وصخب بأسفل منحدر الجبلية ، غطت ظلالهم المختلطة على أشعة الضوء التي كانت تتراقص فوق صفحة الماء ، وأثاروا التراب من خلفهم .

تسلق طفل صغير هذا المنحدر ، ولم تره تشيانغ يون إلا عندما اقترب منها ، يحمل في يده مسدسا صغيراً من الخشب ، وأخذ ينظر حوله في ترقب وحذر ، وما إن رأى أن تشيانغ يون ليست "عدوا" حتى اندفع فجأة نحو الأمام ماراً بجانبها .

غطت القمر سحابة خفيفة ، يتهادى من بعيد صوت نفير سيارة وصوت القطار المدوى . شبكت تشيانغ يون يديها ، ونظرت فإذا بها وحيدة ، أحيانا تكون الوحدة أفضل ، حيث يمكن للإنسان أن يطلق العنان لعواطفه ويترسل في أحلامه ، يمكنه أن يفكر أولا يفكر ، يمكنه أن يتكلم أو لا يتكلم ، ويستطيع أيضا أن يغنى أولا يغنى .

تذكرت ما جاء في أحد مقالات لوشين من أن بكين ليس بها ربيع . حيث كانت الرياح المزمجرة تهب بضعة أيام ، ثم تسود الطقس حرارة شديدة بعد ذلك .

أما الآن في الوقت الذي تجلس فيه تشيانغ يون بمفردها في الليل على شاطئ بحيرة تاييه تبدو الرياح نسمة رقراقة والزهور تكسو المكان ، أليس هذا هو الربيع بعينه مائة في المائة ؟

تذكرت تشيانغ يون وقت الترحلق على الجليد ، تلك الثلوج الصلبة التي  
ذابت وكونت هذه البحيرة ، أين تشيانغ شى تشون ؟ هل هو إنسان طيب؟  
ثم بدا كأن تشانغ شى تشون قدم حاملاً حذاء الترحلق على كتفه ، وتذكرت  
حديثه الشيق الفكه ، وشعوره بالزهو والسعادة .

مضت أيام تساقط الجليد،

نعم مضت وانتهت . . . . .

أخذت تشيانغ يون تدندن في صوت خفيض ، وقد أحنّت رأسها نحو  
صدرها، تشتت خواطرها . . . . . وانسدلت خصلة من شعرها فألقت ببتلات  
الزهور في الجنية العطرة إلى الأرض الطينية .

غاب القمر . وأفافت تشيانغ فجأة ، أيمن أن أكون قد أخذنى النوم مرة  
أخرى في هذا المكان ؟ .

خرجت تشيانغ يون مسرعة من الباب الخلفى لحديقة يسخاى لا تعباً  
بمشاهدة أى شىء ، نست أن تحبى أشجار الحور ، ونست أيضاً أن تودع مياه الربيع ،  
صعدت في عجلة إلى الترولى باص . أسرعت نحو المدرسة . يا للطامة الكبرى!  
لقد مضت خمس عشرة دقيقة على موعد إطفاء الأنوار ، وأغلق باب  
المدرسة الرئيسى

نادت أولاً بصوت خفيض في خوف وحذر ، فلم يجيبها أحد . لا مخرج ،  
اضطرت تشيانغ يون إلى أن تعلق بصوتها، بل دفعت الباب حتى سمع له صوت .

صاح العامل لاوخو "من بالباب؟"

وهذا العامل من مقاطعة شاندونغ ، يحب الثرثرة بعض الشيء ، ومن حظها أن تصادفه اليوم .

وبعد أن فتح لها الباب ، بدأ يثرثر ، " ياه ، حتى طالبة السنة الثالثة لا تعرف النظم واللوائح ، إنه شيء لا يحتمل ! "

عضت تشيانغ يون على شفتيها ومرقت من الباب ، وقالت كلمة "متشكرة" ، ولم ترفع رأسها واندفعت نحو عنبر النوم .  
" يا آنسة ، ألا يصح أن تغلقى الباب من خلفك؟ " .

نكست تشيانغ يون رأسها وكأنها ارتكبت جريمة ، وعادت فأغلقت الباب وقالت لعامل البوابة فى صوت خفيض : " من فضلك ، أيمكن ألا تنادينى بكلمة آنسة؟ "

وانفجر لاوخوا فيها قائلاً : " أتخضرين متأخرة دون شعور بالقلق ، ولا تقبلين منى أن أنفوه بكلمة؟ ، ماذا دهاك أيتها الطالبة؟ " ولم يتوقف حتى خرجت مديرة العنبر وبيث لها شكواه ، ثم عاد إلى حجرة الاستعلامات .

دخلت الغرفة ، الزميلات لم يأوين إلى النوم بعد ، وأخذن جميعا يسألن تشيانغ يون فى اهتمام ، " ماذا حدث؟ كيف تعودين فى هذا الوقت المتأخر؟ " لم تجبهن تشيانغ يون ، ورقدت فوق السرير ، حتى ملابسها لم تخلعها ، وأخذت فقط تحملق فى سقف الحجرة .



تلقت يانغ تشيانغ سيلاً من النقد اللاذع بسبب ما حدث فى مساء ذلك اليوم . وفى اجتماع المدرسة الأسبوعى الذى يعقد كل يوم اثنين ، قدم الأستاذ تشانغ رئيس قسم التوجيه تقريراً حول النظام ، وأشار إلى أن طالبات الصف الثالث لا يلتزم بالانظم المدرسية على النحو المطلوب ، فمثلاً عند أداء تمارين الصباح فى فناء المدرسة لا يلتزم بأداء هذه التمارين ، وعند تناول الطعام يدخلن إلى المطعم دون الوقوف فى طابور ، وما إلى ذلك . وأشار على نحو خاص إلى يانغ تشيانغ يون كمثال لذلك ، فقال :

"مساء أمس ، كان يتعين على الطالبات المقيمت بالمدرسة حضور حصة التعليم الذاتى ، لكن يانغ تشيانغ يون الطالبة بالصف الثالث لم تحضر هذه الحصة دون سبب ، ولم تستأذن أيضاً ، فقد ذهبت إلى المنتزه ومن أجله لم تحضر هذه الحصة ، وهذا أمر لم يحدث من قبل ولم تعد إلا بعد انطفاء الأنوار ، وكان يجب وفقاً للوائح ألا يفتح لها الباب . والأكثر من ذلك أنها بعد عودتها لم تقدم الاعتذار والاعتراف بالخطأ بعقل مفتوح ، بل تشابكت مع عامل غرفة الاستعلامات . . . . ."

أخذت عيون جميع الزميلات تجوب المكان بحثاً عن تشيانغ يون ، وأشارت إليها بعض من يعرفنها حتى تتعرف عليها الأخرى وهن يقلن ، " إنها هى " . ملامح الحيرة والارتباك تصارع ملامح الضيق والخجل فى وجه تشيانغ يون ، وأخذت تنظر إلى المنصة فى شىء من الشك والريبة وكأنها لا تعى مغزى كلام الأستاذ تشانغ رئيس قسم التوجيه بالمدرسة .

بعد ذلك عقدت اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة بالمدرسة اجتماعا خاصا بمشاركة لوى تشن لنقد تشيانغ يون . كان الاجتماع بغرض النقد هذه المرة مختلفاً في بعض الوجوه عن غيره من الاجتماعات . فخطأ تشيانغ يبدو بسيطاً سهل الإدراك ، ولكن شرحها للموقف أثناء الاجتماع لم تفهمه بعض الزميلات ولم يقتنع به البعض الآخر .

قالت : " لقد أخطأت ، وأنا مستعدة لتلقى الانتقاد والاتهام من الجميع . لست أدري ما حدث في ذلك اليوم . . . هل أننى أعرضت عن المذاكرة من أجل النزهة المتواضعة؟ لا ، ليس الأمر كذلك ، إذن ما هو السبب ، لقد فكرت طويلاً ، ولكنى لم أهتد إليه . والآن لست أدري ماذا أقول . . . . .

أبدت الجماعة التي لم تقتنع بهذا التبرير اعتراضها على الفور قائلة ، هذا " ستار للخطأ "

كانت سونينغ هي العنصر الرئيسي في فض هذا الاجتماع ، فبعد أن انضمت الكثير من الزميلات إلى تأييد تقرير الأستاذ تشانغ رئيس قسم التوجيه وبدأن شن حملة النقد على تشيانغ يون ، نهضت سونينغ التي لم تتكلم من قبل قط في اجتماعات اللجنة وانبرت تقول:

" الزميلات أعضاء الرابطة ، إننى السبب الرئيسي في الخطأ الذي وقعت فيه تشيانغ يون . . . . . " نهضت تشيانغ يون في ذلك الوقت تنكر هذا الكلام إنكاراً قاطعاً . وطلب الجميع من سونينغ مواصلة الحديث ، لكنها لم تستمر . وفي النهاية انفض الاجتماع بعد أن تحدثن عن أهمية النظام وعدم التساهل مع من يخالفن هذا النظام .

كانت تشيانغ تتلقى الاتهامات التي تكاثرت عليها بضمير مستريح ونفس راضية . حتى إنها في الأونة الأخيرة كانت تقول في نفسها في سعادة : " كان

ينبغي أن ينتقدونى بشدة وقسوة . ألم يحدث أن وجهت إلى انتقادات كثيرة من ذى قبل؟ وإن السبب فى الخطأ الذى وقعت فيه مؤخراً يكمن فى قلة الانتقادات التى وجهت لى .

ولكنها أيضاً تغيرت بعد جلسة توجيه النقد بعدة أيام . فقد لاحظ الجميع أنها تشرد كثيراً وتتكلم وتضحك قليلاً . كانت تعمد إلى أن تبدو فى غاية الود وأن تبدو طبيعية جداً عندما تصادف أولئك الزميلات اللاتى انتقدنها بحدة وقسوة . وكان أكبر هذه التغيرات قد طرأ على شفيتها ، حيث شعرت مؤخراً أن شفيتها أصابها جفاف شديد .

أخذت تتحسس شفيتها السفلى بيدها ، فإذا هى ببساطة تشبه كعكة القمح المحروقة . فقد ظهر عليها كثير من القشور البيضاء ، وما أن تلمس تشيانغ يون هذه القشور حتى تنزعها بلا رحمة . وعندما تنزع هذه القشور الجافة ، تبدو شفيتها رطبة ولكنها هزيلة ضعيفة فى الوقت نفسه . وفى اليوم التالى تكونت قشرة جافة أخرى فنزعتها تشيانغ يون من جديد . وكانت النتيجة أن تورمت شفيتها ، وأصبح يصدر عنها صوت " صفير " عند الكلام . قالت تشوشيا ولينغ لتشيانغ يون " أسرعى وانظرى فى المرآة ، انظرى لترى ماذا أصاب شفيتك؟ إذا استمرت على هذا النحو سوف تصبح أشبه بشفة حيوان آخر . وانطلقت تجرى ، بينما لم تكن تشيانغ يون تفكر فى معاقبتها .

بعد ظهر اليوم ، بينما كانت سونينغ تحمل حقيبة كتبها وتتأهب للعودة إلى البيت أعطتها تشيانغ يون ورقة كتبت فيها :

" صديقتى العزيزة سونينغ ، سامحيني ! فقد ارتكبت كثيراً من حماقات فى ذلك اليوم ، حماقات يمكن الصفح عنها ، ولكنك تعرفيننى جيداً ، أليس كذلك ؟ سونينغ ، إن حياتك فى الفترة الأخيرة تمضى على أحسن وجه ، هذه حقيقة ،

ولكن لماذا فى بعض الأحيان . . . . ؟ أخبرينى ، إذا كنت تثقين فى كلامى .  
"أمازال هناك قرح لم يندمل بعد ؟"

وضعت تشيانغ يون الورقة فى يد سونينغ ، وانصرفت .  
ذراع سونينغ الهزيلة الطويلة ترتعش بالوريقة الصغيرة .

عادت تشيانغ يون إلى الفصل واستمرت فى تنفيذ الرسم الهندسى ، فقد بدأت العمل به بعد انتهاء جلسة النقد ، كان يراودها فى بادئ الأمر شعور بالرغبة فى عقاب النفس وكبح جماح المشاعر ، فكانت فى كل مرة عندما تقيس ، تعيد القياس وتقارن ثم تعيد المقارنة ، وتحاول جاهدة رسم خط مستقيم ، أو عندما ترسم محيط دائرة فى خفة وسلاسة ، كثيرا ما كانت قدماها تلعبان داخل الحذاء ، وكثيرا ما كانت تطالب نفسها بالالتزام بشعار " يجب أن أقهر النفس حتى أتقدم ! "

إنها تتعامل مع هذا الرسم كما لو كانت هناك عداوة بينها وبينه ، تبحث عن كل عيب به ، تفكر حيناً فى تعديل هذا ، وحيناً آخر فى تصحيح ذلك ، ثم تفكر فى إعادة الرسم من جديد ، كانت تصارع نفسها أثناء هذا العمل الدقيق والشاق ، وقد هدأت بعض الشىء نفسها الكسيرة التى أرقها الشعور بالخزى .

والآن ، انتهت من الرسم ، قطبت جبينها وأخذت تنظر إلى كل نقطة ، إلى كل خط ، إلى كل دائرة وكل نصف دائرة ، إن كل خط من خطوط هذا الرسم يمثل مقدار ما لاقته من آلام ومعاناة وتحمل ، وشيئا فشيئا ، انفرجت أسارير وجهها وهدأت نفسها ، وشعرت أن هذا الرسم رسم دقيق ، حتى إنها لا تلاحظ به عيبا ! الألوان زاهية وبراقة ، درجة اللون الغامق والفاتح متناسقة ، وباختصار القول إن هذا الرسم فى مجمله جاء أجمل من المناظر الطبيعية! نظرت بطرف عينها إلى نصف الدائرة وهى تتخيل نصف الدائرة الآخر الذى لم يرسم ، وقالت فى نفسها :  
"يالها من دائرة ، إنها رائعة الاستدارة . . . . "

لم تطق صبرا وذهبت تبحث عن "عيقرية الرسم" يوان شن تشى . كانت شن تشى مشغولة بكتابة موضوع إنشاء . لم تشأ تشيانغ يون أن تزعجها ، فانتحت جانباً . تنبّهت شن تشى إلى وجودها ، فأغلقت كراسة الإنشاء وسألتها:

"أتريدينى فى شىء ؟ "

أومات يانغ تشيانغ يون برأسها .

وأخذت يوان شن تشى من يدها إلى خارج الفصل ، واستندتا إلى السور . وأعطت تشيانغ يون رسمها ليوان شن تشى لتطلع عليه .

أمالت شن تشى رأسها ونظرت إلى الرسم نظرة عميقة ثم أثنت عليه قائلة "رائع ! " .

ابتسمت تشيانغ يون وقد احمر وجهها ، وشعرت بسعادة مثل التلميذ الصغير الذى يمتدحه أستاذه عندما يكتب الإملاء لأول مرة .

وقالت يوان شن تشى وهى تشير بخنصرها " فقط عندما اقتربت من نهاية هذا الخط ، جاء سميكا بعض الشىء ، ولا شىء غير ذلك . " وكانت تشيانغ يون تمضى ببصرها مع شن تشى فى اهتمام ، وتكاد تنبرى دفاعاً عن رسمها قائلة إن هذا العيب لا يمكن ملاحظته بسهولة ، ولكنها فى مواجهة يوان تشى ، اضطرت إلى أن تبلع كلامها .

تذكرت يوان شن تشى ، وقالت فى تعجب وهى تداعب شعر تشيانغ يون بإصابعها " ولكن ماذا جرى ؟ إن هذا الرسم من واجبات الفترة الدراسية الماضية ! قد سبق أن درسناه من قبل . كيف تملكك فجأة فكرة رسمه من جديد؟ "

ردت يانغ تشيانغ فى حزم : " إننى لم أسلم هذا الرسم إلى الأستاذ من قبل . فقد بذلت فيه قصارى جهدى ولم أرسمه جيداً . وبعد ذلك مضى الوقت دون أن

أقوم بهذا العمل . وقد تذكرته مؤخراً من جديد، فقد كان عبثاً على كاهلي لمدة نصف عام ، واليوم فقط تمكنت من إنجازه، ولكن لا فائدة من هذا الرسم الآن فالأستاذ لن يتسلمه .

" بل هناك فائدة ، نعم له فائدة ! "

أومات شن تشى تعبيراً عن إدراكها ، " ماذا أصاب شفتك ؟ وأعدت السؤال ماذا أصاب شفتك ؟ ما لها قد تورمت كثيراً بهذا الشكل ؟ يجب أن تذهبي إلى العيادة الطبية بالمدرسة " وكانت هي في الوقت نفسه تصفف لها شعرها وتمسكه بمشبك الشعر .

" أولاً دعيك من شفتي ومن تورمها ، وأخبريني ! واستطردت تشيانغ يون التي رفعت رأسها ونظرت بعينها اللامعتين قائلة في صدق وإخلاص ، " يوان شن تشى ، لماذا يأتي رسمك بهذا المستوى الرائع ؟ لماذا يكون أداؤك لهذا النوع من الأعمال على هذا النحو من المهارة والدقة ؟ إننى أدرك يوماً بعد الآخر أنك منفذة موهوبة ، وأن لديك يدين ماهرتين !

ضربت يوان شن تشى تشيانغ يون بيدها ضربة خفيفة ونهضت واقفة . أمسكت تشيانغ يون بيدي شن تشى بسرعة وتبعثها واقفة هي الأخرى قائلة : " إننى أغبطك على يديك هاتين ، إنهما قادرتان على القيام بالواجبات الدراسية والرسم وإعداد الطعام والقيام بالأعمال المنزلية ، ولديهما القدرة والمهارة أيضاً في أعمال التطريز والنحت وزراعة الزهور . . . . . "

" كفاك ، إن يدي تستطيع أن تصنع تمثالاً من المعجون وأن تصنع الطائرة أين ذلك الذى تدعين ! كفى هزوا . . . "

قالت تشيانغ يون في أسف " لكن لديك نوعاً من القدرات الخاصة التي ليس لي منها أدنى نصيب! "

كانت يوان شن تشى تعتقد في بادئ الأمر أن إطراء تشيانغ يون لها لا يتجاوز حد التهريج والمزاح ، ولكن تشيانغ يون كانت تسعى إلى أخذ النصح والمعرفة في صدق وإخلاص ، ومن ثم فكرت شن تشى قليلا ثم قالت لها:

" لا ، ليست لدى قدرات خاصة ، إننى إنسانة عادية جدا ، استحضرى في ذهنك طالبات فصلنا ، ولن تجدى بينهن من هى أقل منى مقدرة . وإذا كانت هناك بعض الأعمال التى أقوم بأدائها على نحو طيب ، فهذا لا يعتبر موهبة على الإطلاق ، بل إنه أمر طبيعى ، وقد تعودت على مثل هذه الأمور منذ الصغر ، فلم تعتد يداى أن تكونا عاطلتين عن العمل . فإذا كنت أسير فى الشارع ورأيت شيئا من القاذورات على زجاج نافذة أحد المحال ، فإننى أشعر بالحرج وعدم الارتياح كأن هناك بقعة من الحبر على وجهى ، ولا أجد مناصا من الاندفاع إلى داخل المحل والاقتراح على العاملين به إزالة هذه القاذورات . وإذا قطع ثياب واحدة من الزميلات فإننى أرتقه لها عن طيب خاطر . تشيانغ يون ، إننى أقل منك مقدرة ، فهناك الكثير والكثير من الأمور التى لا أستطيع فهمها ولا أستطيع التعبير عنها . فسواء كنت حزينة أو سعيدة ، كل شىء يظهر من خلال يدي . إننى أتذكر عندما كنت طفلة صغيرة - فى الحقيقة لم أكن صغيرة جدا - كان عمري اثنى عشر عاماً ، وقتها توفيت جدتى ، وحزنت العائلة من أجلها حزناً شديداً . كانت تحببني حبا جما ، وكثيرا ما كانت تصحبني إلى شارع لونغ فوتسى لأأكل السرغوم<sup>(١)</sup> . فى تلك الأيام كان أفراد العائلة مشغولين بأحزانهم ، لا توجد من تعد الطعام أو من تكنس البيت أو من تغسل الملابس . كنت فى غاية الحزن والألم فى تلك الأيام ، وأخذت على عاتقى القيام بكل الأعمال المنزلية . أخذت إجازة لعدة أيام .

(١) نبات كالذرة يستخرج من بعض أنواع عصير سكرى .

وكنت كل يوم أشعل النار وأحضر الماء وأكنس الحوش ، وأعجن العجين وأخبز الفطير وأطهو الطعام من الصباح حتى المساء ، وأعمل أكثر من المعتاد ، أخبز كل أنواع الفطير : فطير بالسمن وفطير بالبصل الأخضر وفطير بالسكر ودهن الخنزير وفطير باللحم المفروم والفطير المخلوط بالخميرة . . . . . تعجب كل أهل البيت من أمرى ، لماذا لا أبكى ولا أحزن ، بل أنشغل طوال اليوم بعمل الفطير ، قال أبى إننى ليس عندى ضمير وإننى لا أعبر عن البنوة ، وقالت أمى إن قلبى من حجر صوان ، وكنت وحدى فقط التى أعرف قدر معاناتى ، فكان الحزن يكاد يودى بحياتى ، ولكن هل معنى هذا الحزن من غسل وجهى وتمشيط شعرى وجعلنى أقف باكية إلى جوار النعش ؟ لا ، لم أفعل ذلك ، بل كنت أخبز الفطير رغم أننى حزينة مكلومة ، كفى فلا داعى للخوض فى هذه الأمور ، وعندما أكون سعيدة أقوم أيضا بعمل بعض الأشياء ، وعندما أكون متأثرة عاطفيا ، لا أكتب الشعر العاطفى ، بل أصنع الفطير المحشو بالبصل الأخضر ، وهكذا أكون إنسانة عادية جدا ! ثم أطلقت يوان شن تشى تنهيدة وهى تهز رأسها .

أمسكت تشيانغ يون بيد يوان شن تشى وأخذت تدقق النظر فيها إنها صغيرة ، شديدة النظافة ولكن على عكس صاحبته ، ظهر يدها شديد النعومة ، وبطنها بها شىء من الخشونة ، أظافرها مقلمة ولكنها مستوية وناعمة ، غير أنها تركت ظفر خنصر يدها اليمنى طويلا بعض الشىء ، سحبت شن تشى يدها ، ونظرت تشيانغ يون إلى يوان شن تشى فى تقدير واحترام وقالت : " أى فطير محشو بالبصل الأخضر وأى شعر عاطفى ذلكما اللذين تتحدثين عنهما ، لقد جذبنى حديثك فى الفقرة السابقة أكثر مما يجذبنى الشعر ، ربما كان حديثك هذا لونا آخر من ألوان الشعر ، لكننى لم أقرأ مثل هذا الشعر قط ، ربما ينتمى إلى شعر أسطورى أو ما يشابهه ، إننى لم أتم كلامى بعد ، إنك لا تجيدين استعمال يدك فحسب ، بل إننى أشعر أنك تتمتعين بأسلوب دبلوماسى ! صدقيني ، لا أجد وصفا أفضل من



هذا أصفك به ، فلم يحدث قط أن توترت العلاقات بينك وبين الآخرين . إننى أعتقد أن لديك القدرة - إذا هجم عليك نمر أن تروضيه وتجلسيه يستمع إلى إحدى الحكايات التى تقصدها عليه .

قالت تشى وقد بدا عليها الضيق " كيف لك أن تقسى على هكذا؟ وكلما مضيت فى الحديث كان كلامك مضحكا مناف للعقل . "

لم تستوعب تشيانغ يون كلام شن تشى ، واستمرت تقول فى تأمل : " حقيقة إنك عظيمة ، تستطيعين أن تكونى كبيرة وصغيرة فى آن واحد - كبيرة كالأستاذ وصغيرة كالطفل الصغير .

إن الأمور ستكون أسير كثيرا إذا استطعت أن أكون مثلك . ولكنى لا أجيد شيئا غير أن أنطح رأسى وقرنى فى أى شىء يقابلنى .

" كفى ، خلاصة القول ، متى ستذهبين إلى العيادة الطبية بالمدرسة ، فقد لاحظت أثناء حديثنا أن شفتك زادت تورما بنسبة واحد ونصف على سبعة من البوصة . "

ضحكت تشيانغ يون حتى ألمتها شفتها فراحت تتمتم عليها وتتحسسها بخفة بأصابعها الثلاثة . أحنت وسطها وتناولت الرسم ولفته جيدا ، ثم قالت : " لا تخيفينى . "

إننى واثقة أن شفتى سوف يخف تورمها بعد حديثى معك . أما العيادة الطبية فهى أكثر الأماكن كراهية بالنسبة لى ، ولا يمكن أن أذهب إليها على قدمى ! "

" إنك أقل شجاعة من أختى الصغرى فى مثل هذه الأمور فهى إذا مرضت لا تخشى أبدا من الذهاب لتلقى العلاج فى المستشفى ، يا تشيانغ يون ، يجب أن تهتمى بنفسك بعض الشىء ، لقد أصابتك حمى فى الفترة الأخيرة ، وأقترح عليك أن تشتري بعض الكمثرى وتأكلها مسلوقة .

"حسنا بعد تناول الطعام نذهب لنشترى ، فالكثيرى المسلوقة لذينة الطعم ."

عادتا إلى الفصل ، وضعتا كل شىء فى مكانه ثم ذهبنا إلى المطعم يداً فى يد . لم تتوقف عينا تشيانغ يون عن إمعان النظر فى شن تشى وكأنها تحاول فى كل نظرة أن تكتشف فيها شيئاً جديداً . وبينما كانتا تمران أمام حجرة الموسيقى ، شدت شن تشى طرف ثياب تشيانغ يون ، فالتفتت ورأت تشن بوا تقف جامدة تحت شجرة الصفصاف الضخمة أمام الفصل وقد أحنّت رأسها ، وراحت قدمها اليمنى تصنع خطوطاً غير منتظمة على الأرض ، وفى يديها إحدى أوراق الصفصاف الرقيقة الطويلة التى راحت تلفها حول إصبعها تارة وتنزعها تارة أخرى .

كانت ترتدى ثياباً طفلية اللون ، وقد لفت انتباه تشيانغ يون أن رأتها غيرت الملابس ذات الألوان الفاتحة فى مثل هذا الوقت المبكر . ثم صاحت تشيانغ يون بصوت عال :

"شن بوا ، فيم تفكرين؟"

من يعرف ذلك الذى يدور بخلد تشن بوا ؟ إنها هى نفسها لا تعرف . وإليك فيما يلى بعض يوميات تشن بوا فى الأيام الأخيرة .

يوم الاثنين السابع من أبريل

لم أسجل يومياتى من وقت طويل . وفى حقيقة الأمر ينبغى ألا يفوتنى تسجيل هذه اليوميات . فمثلا ، أثناء المشى فى عرض الطريق ، لا يمكن ألا يكون هناك أثر للأقدام ، والحياة الجميلة يجب أن يكون لها أيضا أثرها .

لقد حضر تيان لين لزيارتى فى صباح أمس الباكر ، إنه شاب نشيط ، شعره مثل الحشائش المنكوشة ، وملابسه بحاجة إلى الغسيل من وقت طويل ، لكنه يلبس حذاء جلدًا جديدًا لامعا مزركشا وبه ثقوب ضيقة وكأنه موديل أجنبي .

صحبتة إلى العنبر ، كان فى البداية مترددا بعض الشيء كأنه يشعر بشيء من الحرج . لكنه ما إن دخل حتى تعرف على صديقاتى . كان أثناء حديثه يومئ برأسه إيماءات خفيفة وقد وضع ساقا على ساق حيث يريد أن يبدو كأحد الكوادر القديمة . إنه يجيد المزاح وإطلاق النكات إجابة تامة ، فقد جعل ووتشانغ فو تكاد تقع من على السرير من فرط الضحك ، وكان فى كل مرة يثير كلامه الضحكات ، يلتفت إلى ولكنى دائما مثل لوح من الخشب ، لا أضحك أبدا ، ومن ثم يومئ إلى بإيماءة تعبر عن الاعتذار .

بعد ذلك ، غنى أيضا إحدى الأغنيات ، ولم يكن فى بادئ الأمر يرغب فى الغناء . . . . . لكن صوته جميل ، فلماذا إذن لا يعلو بالغناء؟

بعد ذلك مضينا فى أحد الشوارع ، ولا أدرى لماذا لم أنطق بكلمة واحدة آنذاك ، لكنه تكلم كثيرا . . . . . يمضى فى الشارع تروल्ली باص ، وسيارات . . . . . وأحد الأطفال . . . . .

إننى غاضبة ، كيف لا أجيد تسجيل يومياتى مثل الحساب اليومى؟ لقد كنت أفكر من قبل فى تسجيل الكثير ، واليوم أبادر بكتابة أحداث اليوم، أما أحداث الأمس فيمكن أن أواصل تسجيلها غدا.

لقد وجه الأستاذ تشانغ رئيس قسم التوجيه بالمدرسة انتقادات إلى فصلنا خلال الاجتماع الأسبوعى ، وخاصة إلى يانغ تشيانغ يون ، لماذا؟ بعد ذلك عقد جلسة لتوجيه النقد، وقالت سونينغ إنها تتحمل المسؤولية ، ولم يدرك الجميع حقيقة الأمر ، شعرت أننى ملومة فى هذا الأمر ، فأنا أقضى معظم وقتى مع يانغ تشيانغ يون ، لكنى لا أهتم بها كثيراً فى الوقت الذى تعاملنى فيه أحسن معاملة.

كسرت تشوشيا ولينغ طبقاً أثناء تناول عشاء اليوم ، كيف سيتصرف فصلنا؟ ارتبكن جميعا وسادهن الحزن بسبب هذا الأمر.

الثلاثاء الثامن من أبريل

لست أدرى كيف صحت مبكراً اليوم ، كأن شيئاً أيقظنى ، كان النوم لذيذا ، فتحت عيني ، فإذا بى أرى إشراقة الصباح ، والعصافير فى الفناء تدعونى : " هيا، هيا اخرجى بسرعة ! ، الملابس المعلقة على الشماعة تستحبنى قائلة : " ألم تلبسنا بعد ؟ ! " الشمس ترسل أشعتها نحوى وقد احمر وجهها ، بدأت أيامى المشرقة ، وابتسمت لى الدنيا وفتحت ذراعيها.

فى الحصبة الأولى ، طلبت منى الأستاذة تشونغ أن أجيب عن أحد الأسئلة ، لم يخالطنى شىء من الارتباك ، جاءت إجابتى شافية شديدة الوضوح ومنظمة أيضا، ابتسمت الأستاذة وقالت : " رائع ، تفضلى بالجلوس " ، وكان كلامها وديا للغاية، جلست وصوتها يرن فى أذنى . بعد الحصبة رقصت الزميلات رقصة جماعية، وانضمت إلى حلقة الرقص ورقصت معهن ، وكنت فى كل مرة تقريبا

تدعوني إحدى زميلات للرقص حتى تصيبت عرقا . شعرت أن صحتي جيدة للغاية وأنى أتمتع بالشباب والحيوية . إننى مثل زميلاتي ، كلنا شابات سعيدات ، ولكن سعادتي تبدو أكثر قليلا ، وأعمق قليلا ، أليس كذلك؟

بعد الظهر ، لعب فصلنا مباراة كرة سلة مع طالبات الصف الثانى ، لم أَلعب ، لكنى وقفت بجوار الملعب أشجعهن بحماس . بح صوتى ، وتورمت كفاى ، وكانت النتيجة أنهن انهزمن . شعرت وقتها بالخجل الشديد ، والآن فكرت فوجدت أن الأمر بسيط ، إن الحياة فى أساسها جميلة وممتعة ، ولا ضير من مواجهة بعض العقبات البسيطة .

فى وقت الغسق ، وبينما لم تظلم الدنيا بعد شاهدت نجما ذهبيا ساطعا . تمشيت فى الملعب ، كانت هناك نسمة رقيقة ، تذكرت عندما كنت فى المتزّه مع تيان لين أول أمس ، كانت هناك نسمات رقراقة أيضا ، وبعدها تساقط رذاذ المطر . ذلك الرذاذ الخفيف الرشيق الذى أسقط كثيرا من بتلات الزهور ، كان يراقب المطر ، يحبه كل هذا الحب ، كأنه . . . . . كأنه ماذا ؟

الخميس : العاشر من أبريل :

لم أتمكن أمس أن أوفر وقتا لكتابة اليوميات .

بعد انتهاء حصة التعليم الذاتى المسائى أمس ، كانت أضواء الكشافات الكهربائية تتحرك فى الفضاء ، أغلب الظن أنها تستعد لعيد " أول مايو " ، وقفت فى الفناء ورفعت بصرى وأخذت أتفرج وقتا طويلا .

" ما سر جمال الجو فى هذه الأيام؟ إننى فى مثل هذا الطقس الجميل ، أشعر كأننى فى أحضان أمى ، أشعر بالدفء والسعادة الشديدة . ولكن هل أستحق أنا مثل هذا الجو الرائع؟ بعد ظهر اليوم عندما ذهبت إلى حجرة الغلاية لأحضر المياه ، اصطدمت قدمى بأحد ترامس حجرة التحضير الخاصة بالأساتذة ، فسمع صوت

انفجار وانكسر التجوييف الزجاجي من الداخل . أخبرت قسم الشؤون العامة ، وقال المسئول إنه لا حاجة للتعويض ، استبد بي الحزن حتى قاربت على البكاء . ولكن ذلك لم يكن من أجل الترموس وحده . إننى فى هذه الأيام أتوق إلى مزيد من عمل الخير، وأتوق إلى أن يعرف الآخرون مدى إخلاصى وطيبة قلبى ، لكنى لم أفعل . أريد أن أغنى ، أحسن الغناء ، لكنى وقت التدريب على الأغنية بعد ظهر أمس، عجزت وحدى عن غناء نصف النغمة غناء سليماً، وأتعبت سونينغ بأن أخذت تعلمنى بمفردى . إننى أريد الحديث مع يانغ تشيانغ يون ، فمنذ أن عدت من المتزهر يوم عطلة الأسبوع ، وأنا أريد الحديث معها ، لكنها لا تنصرف عن تصميم الرسم، ولم يكن يليق بى أيضاً أن أسعى إليها فى ذلك الوقت . إننى أفكر فى هذه الأيام بالذات أن أتصور صورة ، ولكن مازال هناك شىء من الحرج . . . . .

يا لجمال الحياة ! كأننى شعرت أخيراً أننى أعيش فى المدرسة الثانوية السابعة للبنات . أشياء كثيرة، ربما كانت صغيرة ، لم أفطن إليها من قبل ، لكنها أصبحت الآن تثير اهتمامى . مثل أن تدخل إلى قاعة كبيرة ، فتدندن إحدى الجمل الغنائية بصوت هامس فتسمع صدى الصوت على نحو سريع . أو عندما تمشين فى الطريق، لا ترغبين فى رؤية من يقترب منك ، بل تنظرين بكل ما وسعك النظر إلى الصديقات المتشابكات الأيدي القادمات من بعيد فتشعرين براحة كبيرة .

وهناك أيضاً أوراق الشجر التى يختلف لون سطحها عن ظهرها . وهناك أيضاً لى تشون بنت مقاطعة سيتشوان التى تنطق كلمة "الزميلة" مثل نطق كلمة "جردل الثلج" وهناك أيضاً السقف الذى تبت بين أحجاره الحشائش الصغيرة ، وشال أزرق فاتح لمديرة المدرسة وضمفيرة يوان شن تشى القصيرة ، والحصى الصغير على الأرض ، أصوات صفير القطار التى تتهادى فى جوف الليل ، وأيضاً موسيقى برنامج تمارين الصباح فى الراديو فى الصباح الباكر . . .

لماذا أكتب عن هذه الأمور؟ ربما أكون ساذجة ، ولكن دعيني يا مذكراتي  
أكتب مزيداً من هذه الأمور الصغيرة.

هل أنا جميلة أم لا ؟ لقد ارتديت اليوم ملابس ذات ألوان فاتحة . وعند  
تمشيط شعري وقفت طويلاً أمام المرآة ، ونظرت إليها وابتسمت . مازال حاجبى  
طويلين ، وفى عيني جاذبية وبريق ، لكن أنفى وطىء أفتس .

إننى لست جميلة ، ليس لى أدنى حظ من الجمال . ولكن ، ألسنت غير قيحة  
أيضاً ؟ أين هو هذا القبح ؟ إننى أشعر أمام المرآة أن، تشن بوا مازالت لطيفة وخفيفة  
الظل .

تشن بوا ، يا تشن بوا ، يا لك من فتاة . . . . .

انتهت كتابة اليوميات ، ومازال القلب غير مستريح ، يجب أن أسجل شيئاً  
آخر . مازالت هناك عشر دقائق على موعد انطفاء الأنوار ، يجب أن أسرع فى  
الكتابة . وددت لو أن هناك متسعاً من الوقت لاستمر فى كتابة ثلاث يوميات ،  
وأخرج ما فى القلب .

فى هذه الأيام ، كل شىء فى الكون ، سواء أكان الطقس أو الشمس ،  
القمر والنجوم ، الزهور والطيور ، الحشرات والأسماك ، زميلاتي وأساتذتى أو  
حتى العامل الذى يمضى فى الشارع ، كل هؤلاء يتحركون عندى انطباعات وتأثيرات  
متداخلة ومتشابكة . إن قلبى يستعر، يكاد يحترق . كل يوم أمر بكثير من  
الأحداث التى لا تنسى وحالات لا تحصى من الأفراح والأتراح . أدق الأصوات  
يكون وقعها على أذنى مثل صوت الرعد ، مثل طبول الحرب، مثل سمفونية  
الأوركسترا . النهار يمضى بسرعة ، فأشعر أننى كبرت ونضجت بعض الشىء عن  
اليوم السابق . هناك أيضاً ما يثير بعض المخاوف، أيمكن أن يمر هذا اليوم هكذا بمثل  
هذه البساطة ؟ (ولأنه لا بديل لى عن كتابة اليوميات ) فإننى أشعر أحياناً أن الحياة  
لوحة كبيرة ، ترى ماذا أكون أنا داخل هذه اللوحة ؟ إننى أود أن أتصور هيتتى وأنا

جالسة أطلع كتاب، أو روى المعنوية عندما أجهر بالغناء ، بل عندما أمزح ،  
عندما أفكر فى صمت . . . . . لقد كنت قلما أفكر فى نفسى فى الماضى ،  
وإذا حدث فبطريقة تقليدية روتينية ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ، فوق ، وسط ،  
تحت ، وأصنف الميزات والعيوب وأعد " المسائل التى يجب الاهتمام بها "

" والاجتهاد من الآن فصاعدا " . هذا الوقت كان أفضل وأخف وقعا على  
النفس من الآن . لا ، لا ، لقد كنت حمقاء ، وكنت مثل البلهاء التى لا تعى عن  
الدنيا شيئاً . . . . .

قرأت فى " صحيفة الشعب اليومية " مقالا يصف حادث استشهاد الشهيد  
تشيوشاوين فى معركة شانجيا نلينغ ، فذرفت عيناى الدموع ، وأسرعت بتجفيفهما ،  
فالبكاء أمر مشين ، فقد قدم حياته فداء للحياة الجميلة والناس الطيبين والعالم  
البديع ، وهذه هى السعادة . حقيقة كنت أتمنى أن أخوض الحرب الكورية ، وأبدأ  
لن أبخل بدمى إذا دعانى الوطن فالحياة فيه أعظم وأنبى وأخلد شىء ، وهذا الذى  
يجعلك فى صلابة الحديد .

خرجت تشن بوا من المطعم وظلت فى انتظار تشيانغ يون لتخرجنا معاً تتمشيان  
فى الشارع الرئيس .

عندما خرجنا من المدرسة ، كانت الشمس تجنح للمغرب من ناحية الغرب ،  
تمضى فى الأفق موجات من السحب ذات اللون الأحمر الداكن ، وفى الشرق تمتد  
خيوط من السحب التى تحمل مزيجاً من اللون الأرجوانى الفاتح واللون الرمادى  
الداكن فتبدو كأنها ظلال لوحة رسمت بالحبر الأسود وقد بدا عليها نوع من الأصالة  
والمهابة . جميع أنواع السيارات والدراجات تتزاحم فى الشارع المعبد الفسيح ،  
وتجرى بسرعة كبيرة كأنها فى سباق رهيب على أمل الوصول إلى الجهة المقصودة قبل  
أن يسدل الظلام ستائره ، ومازال العاملون الذين انتهت نوبة عملهم يقطعون الطريق  
فوق رصيف المشاة عائدين من مواقع عملهم إلى بيوتهم ، وقد تزايدت أعداد أولئك  
الذين خرجوا للتنزه بعد تناول العشاء .



باعة أطعمة الليل الخفيفة دفعوا عرباتهم واتخذوا أماكنهم وأضاءوا أنوارهم ، وقاموا بكل الاستعدادات اللازمة ، لاستقبال الليل الذى أوشك أن يرخى سدوله . استطاعت هذه الظواهر العادية للشارع الذى يقبل على المساء أن تحرك أعماق تشن بوا بصورة مفاجئة ، أدركت هذه الأعداد الغفيرة من الجماهير ومصائرهم المتعددة ، وأدركت الحياة الصاخبة التى تمضى فى سرعة دون توقف ، فماذا تفعل تشن بوا فى هذه الحياة؟ تحمل أفراحها وأتراحها المختلطة المتزاحمة وتنخرط وسط هذه الجموع الحاشدة من الجماهير . شعرت تشيانغ يون أن الحياة تشدها إليها بقوة .

ضربت تشن بوا براحة يدها على مرفق تشيانغ يون قائلة لها : "عزيزتى يانغ ، أخبرينى برأيك فى شخصى" .

ردت تشيانغ يون وقد اتسعت عيناها ، وهى تشير إلى نفسها ثم تشير نحو تشن بوا ، "أنا ؟ أقول رأى فيك أنت ؟" .

كررت تشن بوا قولها فى صوت خفيض ، "قولى انتقاداتك لشخصى" .

مرتا بأحد محال بيع الأطعمة ، ودخلت تشيانغ يون واشترت نصف كيلو كمثرى ، وقالت لتشن بوا ، هذه نصيحة دكتور<sup>(١)</sup> يوان شن. تشى ، فقد طلبت منى أن أكل الكمثرى الناضجة لخفض الحرارة . لماذا تطلبين رأى فى شخصك؟ لقد وجّه إلى النقد منذ قليل ، بل ألا يجب عليك الآن أن توجهى إلى اللوم الشديد؟ "

"لا ، إننى أغبطك يا تشيانغ يون. إن عندك بعض الجوانب التى تستحقين اللوم عليها، ولكن سرعتك فى التغلب على الصعاب مثل سرعة انعكاس أشعة اشمس على ساحة الجليد، وهذا ليس صعبا على الإطلاق . . . . ."

(١) دكتور : كلمة روسية بمعنى طبيب .

أوقفتها تشيانغ يون قائلة ، " لا داعى لهذا الكلام ، فإننى فى حاجة إلى نوع آخر من الكلام ، مازال عليك أن توجهى لى اللوم والنقد الشديد . . . . . "

قالت تشن بوا وهى تنظر إلى شفة تشيانغ يون الغليظة "المرءة القادمة ، المرة القادمة ، اتفقنا ؟ وابتسمت تشن بوا ، واستمرت تتمتم من فرط تأثرها قائلة ، "الآن ، دعينى أتم كلامى ، إننى أغبطك على حماسك المتوقد ، وروحك المقدامة الشجاعة التى لا تخشى شيئاً ، حتى الموت تتقدمين إليه فى ثبات وشجاعة ، تلتزمين بواجبك ولا تلتفتين إلى الوراء . بصماتك فى كل مكان ، وأنت محل الأنظار أينما كنت ، أنت تخلقين فى السماء ، أما أنا فلا أستطيع سوى السير على الأرض . أنت تنطلقين نحو الأمام ، أما أنا فكثيراً ما أكون "مكبلة الخطى . . . . ."

انبرت تشيانغ يون ترد فى قوة " لا ، أبدا ، إننى لم أصل إلى هذه الدرجة الرفيعة ، إن ذلك فقط من وحي أفكارك . "

" إننى كثيراً ما أرى فى الآونة الأخيرة أننى مثل فقاقيع الصابون ، ربما كانت براءة ومتعددة الألوان ولكن بريقها وتألقتها ليس نابعا منها ، علاوة على أن عمرها قصير . إننى من السهل أن يثيرنى أى شىء ، ومن ثم فإننى كثيراً ما أسعد وأستمع ، وقليلاً ما أركن إلى العمل الجاد . إننى أشعر بقابلية وحب لكل شىء ، ولكن لا شىء يترك أثراً عميقاً فى نفسى . أذكر فى صيف العام السادس من عمري أن سقطت ذات مرة أمطار غزيرة ، وكنت ألعب مع أحد أطفال الشارع تحت الأمطار ، وأهاننى هذا الطفل بأن دفعنى وأوقعنى فى مياه الأمطار ، فما كان منى إلا أن نهضت وأمسكت بحجر من القرميد ورميته به فبطحت رأسه وسالت منها الدماء . وبعد عودتى إلى البيت ، ضربتنى أمى فمرضت ووقدت فى الفراش وارتفعت حرارتى إلى أربعين درجة . بعد ذلك شفيت من مرضى ، وسقطت الأمطار مرة أخرى ، وذهبت أبحث عن هذا الطفل لنلعب معاً . . . إلى أين وصل

حديثي ؟ وهكذا حالي ، شقية طائشة منذ نعومة أظفاري ، لا أخشى شيئاً على الإطلاق ، كانت أمي تقول إنني أحب اللعب طول حياتي . وإنني حتى الآن لم أتغير كثيراً لكنني كبرت أيضاً . وإلا فما معنى ذلك ؟ لا بأس ، فإنني أعتقد أيضاً أنني أستطيع أن أترك بصمات عند بعض الناس ، وأجعلهم يحبون ويستمتعون بالحياة ، ولكن ذلك يحدث لأن معارفهم ضحلة . وأنهت تشيانغ يون كلامها دون توقف ، ثم أخرجت حبة كمثرى من جيبها وقضمت منها قضمة ، ثم أخرجت حبة أخرى وأعطتها لتشن بوا . وراحت تشن بوا تلعبها بلسانها ، ثم تذكرت فجأة وقالت ، ألا ينبغي أن تأكلها بعد سلقها ؟ ردت تشيانغ يون :

" لا بأس ، مازال معي حبتان . "

هزت تشن بوا رأسها وهي بين الشك واليقين .

" تشيانغ يون ، أريدك أن تغني لنا . "

" أنا؟ وفي الشارع ؟ "

" نعم ، أنت ، أو لتحكى بعض الحكايات أو حتى بعض المواقف التي مرت

بك ، أي شيء ، كله ممكن . "

" تشن بوا ، لقد عرفت الموضوع الذي تودين الحديث عنه ، أليس كذلك ؟ "

" دعك مني ، وتكلمي ، تكلمي . "

نظرت تشيانغ يون حولها من جميع الجهات . فإذا بهما أمام الباب الخلفي

لإحدى دور السينما ، مشرو التذاكر يصطفون في طابور طويل ، وقفت تشيانغ

يون تحت صورة الإعلان الضخم وقالت :

" علينا أن نعود "

غيرا وجهتهما ، وقالت تشيانغ يون : " سوف أقول لك شيئاً ما كان ينبغي قوله وأستحلفك ألا تقوليه للآخرين! "

ربت تشن بوا بيدها على كتف تشيانغ يون .

" فى يوم الأحد قبل الماضى ، جاء شاب يبحث عنى ، قال لى إنه اشترى تذكرتى سينما ليذهب هو وزميله لمشاهدة أحد الأفلام ، وفى منتصف الطريق أصاب زميله مغص مفاجئ ، وعاد إلى البيت وخشى هو أن تضيع التذكرة سدى ، فلم يجد أمامه سوى أن يسعى إلى للذهاب معه "

" من هو ؟ أخبرينى من هو ؟ "

" إنه هو تشاوتشن الذى جاء عشية بداية العام الجديد نيابة عن اتحاد طلاب المدرسة رقم ٥٦ الثانوية للبنين ليقدّم لنا التهئة بهذه المناسبة ، كان كلامه يفيض بالصدق فى ذلك الوقت ، فذهبت معه وأثناء مشاهدة الفيلم كان يجلس إلى جوارى ، وكان لا يستقر فى مجلسه مثل النمل فى الجحر شديد الحرارة ، كان قليلاً ما ينظر إلى شاشة العرض ، بل ينظر نحوى دائماً ، حينئذ زادت عندى درجة اليقظة ، وسألت نفسى ، ماذا يدور فى رأسه؟ "

" وبعد أن انتهينا من مشاهدة الفيلم ، كان العرق يتصبب من جبينه ، وطلب منى أن أذهب معه إلى حديقة بيخاي ، لم أوافق ، فأخذ الغضب وقال إنه يريد أن يتحدث معى فى أمر هام ، قلت له إذا كان عنده كلام يمكن أن يقله ونحن وقوف فى الشارع ، قال إنه لا بديل عن الذهاب إلى بيخاي . واشتد به الغضب ، واستجبت لطلبه بأن يتحدث فيما يريد فى عشر دقائق ثم ذهبنا ، اشترى لى تذكرة دخول ، وأنا لا أريد الدخول أبداً . . . . قال . . . . يالك من فتاة متعبة ، وقال إنه عرفنى جيداً منذ لقاء عشية العام الجديد ، لكنه لم يستطع أن ينسانى ، بل إن ذلك حرك مشاعره ، وقال إننى فتاة لطيفة ، لطيفة جداً ، ببساطة ليس هناك من هى أكثر

منى لطفًا . . . . . آنذاك اشتد بى الغضب حتى عجزت عن الكلام ، حاولت  
جاهدة أن أكبح جماح غضبى وألقنه درسا لا ينساه .

قلت له : " هل تعرف من أكون وماذا أفعل ؟ أنا طالبة عندها تخلف فى ثلاث  
مواد ومهددة بالفصل من الدراسة ، وقلت له أيضاً ، " إنك شاب حديث العهد ،  
وعليك أن تلتفت إلى دورسك وتتقدم نحو الأمام . إنك الآن مغرور وتهيم فى  
عالم الخيال ، وهذا أمر مؤسف إلى حد بعيد . وسألته ، لقد التقيت بى لقاء  
عابراً ، فالإم تستند إذن فى هذا الكلام الفارغ ؟ ثم سألته عن أحواله الدراسية ،  
وهل هو عضو الرابطة أم لا ، قال إنه يسعى الآن للانضمام إلى الرابطة ، ثم أخبرته  
بعد ذلك عن كيفية الانضمام إلى عضوية الرابطة . . . . . "

قالت تشن بوا بلهجة تنم عن عدم الرضا "عزيزتى يانغ ، لقد تجاوزت الحد  
بعض الشيء " نظرت تشيانغ يون إلى تشن بوا فى استرحام وليس فى عينيها أدنى  
قدر من الحقد والضغينة ، وليس فيهما شيء من السخرية أيضاً ، بل تفيضان فقط  
بالضيق . تلك النظرة التى جعلت تشن بوا لا يمكن أن تستهم تشيانغ يون بشيء أبداً  
بعد ذلك .

" بل إن أكثر الأمور حرجاً حدثت بعد ذلك فقد تلقى هذه الإهانات دون أن  
يتحرك له ساكن ، ثم أخرج من جيبيه صورة وأعطاها لى ، صورته وهى يرتدى  
فانلة بيضاء ويمسك بمضرب تنس فى يده . وما إن أخذتها ونظرت فيها حتى مزقتها  
إربا " .

" كيف يصل بك الغضب إلى هذا الحد؟ "

" غضبت ؟ لقد كدت أبكى . تعتقدين ، ماذا قال بعد ذلك ؟ قال ،  
حيث إنه أعطانى الصورة ، وحيث إن الصورة مزقتها يداى ، فإنه راض بذلك تمام  
الرضا . آنذاك تفككت أعصابى وخارت قواى ، ونظرت إليه نظرات ملؤها الحقد  
والغيظ . . . . . "

" لا ينبغي هذا ، ما كان لك أن تجرحى مشاعره . . . . "

صاحت تشيانغ يون فى دهشة " أنا جرحته ؟ إننى فقط كنت أخشى أن تقع  
منى أمور غير جادة . . " وكانت الدموع تترقرق فى المآقى وتكاد تنحدر من عينيها .

وربتت تشن بوا على يدي تشيانغ يون ، لم تفهم تشن بوا شيئًا : يانغ  
تشانغ يون ، تلك الفتاة المرحة المنطلقة ، بعد أن تحكى هذه الحكايات الثلاثة  
المضحكة بأسلوب فكاهى رائع ، لماذا أجدها ، هى نفسها ، تبدو هكذا يسيطر عليها  
الضيق والحزن إلى هذا الحد؟ "

أخرجت يانغ تشيانغ يون حبتى الكمثرى المتبقيتين ، ومدت يدها بواحدة  
لتشن بوا التى تمنعت قائلة : " مازال عليك أن تأكلها مسلوقة ، أليست هذه روشة  
يوان شن تشى ؟ "

لم تتكلم تشيانغ يون ، وراحت تقضم إحدى الحبتين ، ويدها لا تزال ممدودة  
بالحبة الأخرى أمام صدر تشن بوا ، ولم تجد تشن بويلا عن تناولها .

وهذا هو حال تشن بوا ويانغ تشيانغ يون ، مختلفتان فى كثير من الأمور  
وصديقتان متآلفتان فى آن واحد ! فتقول يانغ تشيانغ يون " إننى مثل الأرض ،  
والحياة مثل أمطار الربيع التى تبعث النشاط فى نفوس الشباب . هذه الأمطار تنسج  
شبكة متشابكة الخيوط ، عندما تخترقها أشعة الشمس ، يظهر قوس قزح الجميل " .

بينما تقول تشن بوا " إننى أنا الأرض ، والحياة مثل شجرة خضراء سامقة ،  
ترمى بذورها نحو صدرى ، فأبذل كل ذرة من جهدى ، حتى تنبت هذه البذور  
وتصير براعم ثم تنمو السيقان والأغصان ، ومن أجل ذلك أضحى بنفسى وتظهر  
فى جسدى التشققات التى تودى بحياتى .

السيارات تنطلق سيارة تلو الأخرى ،

والناس يمشون جماعة بعد الأخرى ،

والرياح تهب موجة تلو موجة .

قضمت تشيانغ يون قضمتين من حبة الكمثرى ثم ألقت بها فى سلة المهملات ،  
وأخذت تحديق النظر فى تشن بوا عن كذب وقالت : " تشن بوا ، أخبرينى حدثينى  
عن مكنون أسرارك ! "

هزت تشن بوا رأسها ، وجذبت تشيانغ يون من إحدى يديها ، ثم راحت  
تضرب كفها بكف تشيانغ يون . قالت تشيانغ يون مشيرة بأصابع الاتهام : " لا ،  
لا تخفى عنى الحقيقة ، فإننى أدرك أن شيئاً ما قد طرأ على حياتك . . . . "

" لا شىء على الإطلاق . "

" إذن . . . . . وترددت تشيانغ يون لحظة ثم تشجعت وقالت " ماذا عن  
تيان لين ؟ "

تساءلت تشن بوا فى تعجب " تيان لين ؟ " وأشرقت الحقيقة أمامها فجأة ،  
فسرى الدم فى وجهها ، وقالت فى لهجة قاطعة : " هل وصل تفكيرك إلى هذا  
الحد؟ غير صحيح ، لا يوجد شىء على الإطلاق . . . . . " ثم اقتربت من أذن  
تشانغ حتى سرت أنفاسها الساخنة فى أذنها وقالت لها : " يا عزيزتى يانغ ، إننى  
أقطع على نفسى عهداً أمامك ، إذا حدث شىء من هذا القبيل فى المستقبل ربما بعد  
عشر سنين أو عشرين سنة ، ستكونين أول من أخبرها بذلك ، فماذا عنك أنت؟  
وأنهت كلامها وقد ازداد وجهها احمراراً .

" أنا ؟ " وقالت تشيانغ يون دون أدنى اهتمام " أنا لن أعيش هذه التجربة أبداً "  
" أضواء كل أعمدة الإنارة على جانبى الطريق فجأة ، وانبعثت الأضواء تنتشر  
فى كل مكان وكأنها عيون المدينة التى لا تحصى ولا تعد .

قالت تشن بوا . " يجب أن نعود . " وأعدت حبة الكمثرى الصغيرة التي كانت لا تزال في يدها إلى تشيانغ يون .

وما إن دخلنا الباب ، حتى جاءت ووتشانغ فو متسللة تخبر تشيانغ يون ، " عادت لى تشون لتوها من الخارج ، وانزوت تبكى فى الحجره .

قالت تشيانغ يون : " كفاك افتراء . . . . . أقسمت ووتشانغ فو قائلة ، " لست بإنسانة تفتري على الآخرين ، وإن كلامى هذه المرة ليس افتراء على الإطلاق ! "

تعجبت تشيانغ يون بشدة ، لأن لى تشون شد ما تكره البكاء ، بل إنها فى الفترة الأخيرة على خير ما يرام ، وأسرعت إلى الحجره فشاهدت لى تشون وقد أحنت ظهرها وراحت ترتب سريرها .

نادت عليها تشيانغ يون بصوت خفيض " لى تشون ! " التفتت لى تشون ، ونظرت تشيانغ يون إليها يامعان فإذا بعينيها بهما احمرار كما كان متوقعا .

اقتربت منها تشيانغ يون وسألتها ، " هل تبكين ، هل أنت غير سعيدة؟ "

استدارت لى تشون ، ولم تجبها . وفجأة دفنت وجهها بين يديها .

" لى تشون ، أخبرينى ، ماذا بك ؟ "

" لا شىء ، لا شىء . . . . . "

لم يخطر شىء ببال تشيانغ يون ، وأخذت تسألها سؤالاً تلو الآخر :

" هل أصابك مرض ؟ "

" هل حدث خلاف بينك وبين أحد ؟ "

" هل هناك صعوبات فى استعدادك للخطابة؟ "



" .....

مضى وقت طويل قبل أن تقول لى تشون فى غموض وارتباك: " النظارة ،  
يجب أن أضع نظارة على عيني ، وأنا لا أرغب فى ذلك ، ذهبت اليوم إلى  
المستشفى السادس ، وقال الأطباء إننى أعانى من قصر نظر شديد ، ولا بديل عن  
النظارة .....

تشيانغ يون لا تدرى أى الخيارات أفضل ، أن تشجعها أو  
لا تشجعها، وانصرفت فى هدوء .



وقفت سونينغ ويانغ تشيانغ يون عند مدخل الحديقة وقالت سونينغ وهى تشرح لصديقتها " هذه هى حديقة بيتنا الصغيرة ، ألم تشاهديها فى المرتين السابقتين؟ " عند البوابة هذه تكعيبة عنب ، لا يرعاها أحد ، ثمارها صغيرة وذات طعم لاذع ، لكننى أحب هذا النوع من العنب . وجنوب تكعيبة العنب أشجار مشمش ، انظرى ، أزهار المشمش توشك على السقوط . وفى هذا الركن شجرتان ، إحداهما نخلة بلح ، والأخرى أيضا نخلة بلح.<sup>(١)</sup> نظرت تشيانغ يون إلى معطف سونينغ ذى اللون الأخضر وإلى فكاهاتها وهى تشعر بأحاسيس غير عادية ، ثم نظرت إليها نظرات تنم عن الاستفسار .

قالت سونينغ موضحة " إننى سعيدة بعض الشيء اليوم فقد تلقيت رسالة من أخى ، إن حياته فى قوانغتشو تمضى على خير ما يرام . وقال نقلاً عن الطبيب إنه يمكن إن يشفى من مرض السل الرئوى . وقال إن عنده أمل وثقة فى الحياة .

" رائع جدا "

" صحيح ، وقد طلب منى أن أبلغك السلام "

" هه ، أفى حديقة منزلكم مكان للجلوس ؟ فى ذلك الجانب مقعد خشبى على وشك أن يتفكك ويتهاوى ، هيا نذهب إليه ، هذه الحديقة لا يرعاها أحد من بادئ الأمر ، وتنمو فيها الأعشاب البرية الطويلة .

نفذتا من تحت أغصان شجرات المشمش ، وجلستا فوق مقعد خشبى قديم يجاوره صنبور مياه ، قالت تشيانغ يون ويدها تداعب إحدى أزهار البرقوق الممتدة أمام صدرها : " إن ثيابك جميلة حقاً ، كيف لم أرك تلبسينها من قبل ؟

(١) على حد تعبير لوشين فى مقالة (ليل الخريف) .

ردت سونينغ فى خجل : " لقد فصلتها قبل التحرير ، وأخشى أن ألبسها فيقول الناس إنها من موديلات هونج كونج ، ضحكت تشيانغ يون قائلة : " لا يعينك هذا فى شىء ! "

استندت تشيانغ يون إلى سونينغ ، وأغمضت عينيها ، أشعة شمس الظهيرة تتسلل من بين أوراق الشجر ، تسطع على وجهها حيناً وتختفى حيناً آخر ، فتشعر براحة كبيرة .

وسألتها : " هل فى بيتكم عامل آخر؟ "

" ماذا حدث؟ "

" عندما حضرت إلى بيتكم اليوم ، فتح لى الباب رجل غريب ، يربو على الأربعين ، قصير الشعر ، توجد بؤرة صلعاء فى وسط رأسه ، فى عينيه علامات البلاهة ، يرتدى ثياباً قديمة بالية وحذاء جلدياً متهاكاً . مظهر رأسه يوحي بأنه مستخدم ، عيناه تبدوان كأنهما عينا شحاذ ، ملابسه مثل ملابس المثقف الفقير ، حذاءؤه مثل حذاء موظفى الحكومة ، وتسمعين كلامه فكأنه رجل مخضرم عجوز .

سرت حمرة الخجل فى وجه سونينغ ، ولم يكن أمامها من خيار سوى أن تقول : " إنه أبى "

" ماذا تقولين ؟ " وقفزت تشيانغ يون من مكانها ، وجلست قرفصاء أمام سونينغ ، ورفعت وجهها وقالت " لماذا تبدو ملابسه على هذا النحو السىء ؟ "

لوت سونينغ سروالها قائلة بقوة : " أنا أيضا لا أعرف السبب ! فلديه الكثير من الملابس الغربية الممتازة ، وكذا لديه جلاباب طويل جميل ، لكنه منذ شهر مصمم على أن يلبس هذه الملابس . كان من قبل يفتح مصنعاً خاصاً ، وفى الآونة الأخيرة أغلق هذا المصنع ، فراح فى كل مكان يشكو الفاقة ، وكأن الدنيا قد ضاقت عليه بما رحبت .. . . . . "

"وإذا لم يفتح هذا المصنع ، فماذا سيفعل بعد ذلك؟"

"لقد سألته نفس السؤال ، فقال إن عنده مخرج ، وأى مخرج هذا ؟ لم يخبرنى ، ولم أهتم أنا الأخرى ."

نهضت تشيانغ يون ، واتجهت نحو شجرة المشمش الضخمة ، تلك الشجرة التى تغطى أغصانها مساحة كبيرة ، نحل العسل يحوم فى جماعات حول زهور المشمش دون أن يبرحها . اقتربت منها سونينغ ، وفجأة تذكرت شيئاً ما ، فأخذت تدور حول شجرة المشمش وهى تبعد الأغصان والفروع عن ساق الشجرة وراحت تنظر وتبحث ، فسألته تشيانغ يون "عم تبحثين؟" أجابته "لقد حفرت اسمى على هذه الشجرة قبل عشر سنوات ، انتظري حتى أريك . "وأحنت ظهرها وأخذت تبحث وقتاً طويلاً ، والنحل يحوم حولها ويطن فى أذنيها ، بينما تساعد تشيانغ يون بأن تطرد عنها النحل ، بحثت وقتاً طويلاً حتى تصيب عرقها من فرط التعب ، ولم تعثر له على أثر ، وأخيراً قالت فى يأس "لم أجده ، كيف يمكن للاسم المحفور على الشجرة أن ينطمس ؟"

مشى تشيانغ يون قليلاً ، وجلست فوق النجيلة ، فرشت سونينغ منديلاً ، وجلست إلى جوارها ، وقالت "قبل عشر سنوات ، كنت كثيراً ما أعب فى هذه الحديقة ، فى ذلك الوقت كنت فى غاية النشاط والحياة ا" واقتربت من تشيانغ يون واستطردت قائلة فى إثارة لا يمكن مهما تخيلت أن تتصورى كيف كنت فى الطفولة ، كنت أرتدى الملابس الغريبة القصيرة شعري ممشط ومضفر فى ثمانى صفائر قصيرة ، كان غزيراً وأسود اللون ، وفى الربيع كنت وأخى نزرع الزهور فى هذا المكان كل منا يخص نفسه بقطعة مستقلة من أرض الحديقة ، نزرع زهور الياسمين ، وأعشاب البلسم . كنا نقول ، هيا نستبق ونرى من يزرع أفضل ، وكان يكبرنى بعشر سنوات ومن الطبيعى أنه كان يجيد الزرع ، بعد ذلك سمعت أن من يزرع غرساً عليه أن يسمده ، ومن ثم كنت أتسلل مساء كل يوم لأضع المخلفات فى المنطقة التى زرعتها . . . . .

و ذات مرة رأت أمى هذه المخلفات ، فاعتقدت أن كلب الجيران قد تسلل إلى الحديقة وقضى حاجته بها ، وأخذت تكيل الشتم والسباب . . . . . ثم هذه النخلة ، كنت أتسلقها فى فصل الخريف من كل عام ، وأحمل فى يدى عصا طويلة من البامبو وأضرب بها عشوائيا فيتساقط البلح الأخضر والأحمر ، وعندما يحل بى التعب ، أجمع الكبير منه من على الأرض وأتناوله . وذات مرة زحفت على ساعدى حشرة " يانتسزى " - هل تعرفينها؟ إنها حشرة صغيرة ، تنمو على جسمها شعيرات طويلة كالإبر ذات لون أخضر ضارب إلى الصفرة ، وعندما ترحف على جسم أحد ، تتسلل هذه الشعيرات لتدخل إلى جسمك من خلال المسام وقد كانت لسعتها لى هذه المرة أكثر إيلا ما من عضة السحلية .

وأیضا هناك صنبور ، المياہ القائم إلى جوار الدكة الخشبية التى كنا نجلس عليها منذ قليل ، لقد كان أحب اللعب إلى قلبى ، فكنت عندما يحل الصيف ، أقوم بفتح هذا الصنبور وأغلق فمه بيدي إلا فتحة ضيقة فيندفع منها الماء لمسافات بعيدة . . . . . وكنت آنذاك أشعر بسعادة بالغة، لست أدري لماذا كبرت وشببت عن الطوق؟ "

ظلت يانغ تشيانغ يون فى مكانها مشدوهة شاغرة الفم ، ويدور بخلدتها أيضا أن سونينغ منذ نعومة أظفارها تمسك يسراها بعروسة لعبة مستوردة من الخارج ويمناها تضع المنديل على فمها . وأخذت تنظر إلى شعر سونينغ المجعد ، وحاجبيها الطويلين ومعطفها الصوفى الأخضر ، وهى لا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تتخيل سونينغ الصغيرة المدللة وهى تتسلق النخلة وتحضر البلح . استطردت سونينغ : "إننى كثيراً ما أفكر فى أنه لو أن الطفل استمر فى النمو حتى سن الثامنة ثم توقف بعد ذلك ، لن يكون هنا فى الدنيا أكثر منه سعادة . . . . . "

وراحت تداعب ذقنها بطرف إصبعها ، واستمرت تقول فى براءة : " إننى أود لو كنت طفلة ، وأود أيضا لو كنت كبيرة ناضجة ، وأود أيضا لو كنت سيدة عجوز - ذات خبرة طويلة ومعارف غزيرة .

" إنك بطبيعة الحال قوية فى كل الجوانب ، أما أنا . . . . . "

" أتكررينها من جديد ! ، كيف تروق لك دائما عبارة "أما أنا " ؟ وكأنك دائما أقل من الآخرين . . . . . "

ومدت تشيانغ يون يدها وانتزعت أحد الأعشاب وعصرتها حتى سال منها عصير أخضر .

" وكيف يمكننى أن أكون مثل الآخرين ؟ تشيانغ يون ، دعينا نتجاذب أطراف الحديث . إننى أعرف أنك تودين مساعدتى ، ولكنى دائما لا أكون عند حسن ظنك . . . . . ليس لأننى لا أريد أن أتقدم ، ومن تلك التى لا تمنى أن تكون مثلك؟ قوية البنيان ، قلبك عامر بالسعادة ، تتقدمين بسرعة . لكننى ، آه لقد عدت من جديد إلى كلمة لكننى . . . . . فمثلا ، أغنية (وداع أخته فى رحلة الألف ميل ) التى رددتها عن غير قصد ذلك اليوم ، ما كان ينبغى أن أردها لأنها إحدى الأغنيات الصفراء فى عهد ما قبل التحرير . هكذا كان الحال ، وأنا فى بيتنا قبل التحرير ، صباح كل يوم وأنا بين النوم واليقظة أسمع صوتا مثل هذه الأغنية يتهدى من بعيد . وحينذاك أريد الاستيقاظ ولكنى لا أستطيع .

وأشعر كأن هناك شيئا ما يجثم على صدرى . وكنت أرى فى ذلك الوقت أبى وهو يشرب حتى الثمالة ، وهو يصفع أمى على وجهها ، وأتذكر أمى وهى تبصق فى وجه الشغالة ، وأتذكر مرض السل الذى يعانى منه أخى الأكبر ، والليلة التى لم تعد فيها أختى . لقد تعايشت مع هذه النغمة الحزينة وأحببتها . حتى بعد التحرير ، كثيرا ما أذكر هذه الأغنية ، أردها فتذكرنى بأسرتى التى تفتقد كل قواعد الأصول

والنظام . تشيانغ يون لا تنظري إلى هكذا ، إنك بطبيعة الحال لا تشعرين بميل لهذه الأغنية ، لأن حياتك القديمة لم تذقك هذه الصنوف من العذاب ، وبعد التحرير انتقلت إلى الحياة في بيئة جديدة تماما ، ولكنني مازلت حتى اليوم أستنشق هذا الهواء المسموم في كل مرة أعود فيها إلى أسرتي ، وأعيش مع ذلك الأب الذي يشبه الشحاذ في نظراته والمثقف الفقير في ملابسه !

أومات تشيانغ يون تعبيراً عن تعاطفها معها قائلة : "تمهلي ، تمهلي قليلا . " استطردت سونينغ " لا بأس ، إنني أريد أن أقول كل ما عندي اليوم ، وربما كان كلامي اليوم أكثر منه قبل شهر مضى . إنني سوف أشعر نحوك بالأسف إذا لم أقل هذا الكلام .

أين توقفنا من لحظات؟ نعم ، عند أغنية (وداع أخته في رحلة الألف ميل) ، إنني لا أفضل هذه الأغنية البالية القديمة على الإطلاق ، لكنها تستطيع التعبير عن بعض أحزاني : أسرتي ، الماضي الذي عشته ، طفولتي البريئة ، وصباي المعذب ، هل يمكن أن تمحي جميعا بجرة قلم ؟

"نعم ، يمكن . "وقالت تشيانغ يون في نفسها في صدق وإصرار " يجب أن أكون هادئة وصبورة هذه المرة !

وأردفت تقول : "إنني لا أتفق معك ، فكل إنسان في ماضيه أشياء جديرة بالتقدير ، وعليه أن يظل يذكرها إلى الأبد . وهناك أيضا أشياء يجب نسيانها برمتها دون الاحتفاظ بأي أثر لها . هل إذا أصبت بقرح في مؤخرة الرأس هل يمكن أن تحتفظي بهذا القرح على إنه ذكرى أبدية ؟ لقد مضى وقت طويل ، حتى إن اسمك الذي حفرته على جذع شجرة المشمش قد انطمس ، فكيف إذن لم يبدد نور شمس التحرير المشرقة منذ أربع سنوات الظلام الجاثم على قلبك . ؟



قالت سونينغ وهى تستجمع أنفاسها " لقد أشرقت علىّ شمس التحرير بطبيعة الحال " ، أخرجت تشيانغ يون منديلاً وجففت لها عرقها ، ومضت سونينغ تقول : " إن حالى هذه الأيام يمضى على النحو التالى ، عندما أكون مع الزميلات نحضر الدرس ، أو نغنى سويًا ، أكون فى قمة السعادة ، ولكننى فى بعض الأحيان عندما أتقلب فى فراشى فى الليل ، فأسمع صفير القطار أو وقع عجلاته على القضبان ، أو عندما تصيبنى نزلة برد أو وعكة صحية خفيفة ، حينئذ أشعر بالحزن والمرارة كأن سحابة قائمة تخيم على سمائى .

"مرارة ! ، لم تتجاوزى الثمانية عشر ربيعاً وتتحدثين عن المرارة . . . . .

....."

"نعم ، ثمانية عشر ربيعاً ، ولكننى منذ . . . . . " واستطردت تقول وكأن فى حلقها غصة تمنعها من الكلام ، " لقد عرفت المرارة فى هذه السن المبكرة ! إننى لست مثلكن . . . . . "

قالت تشيانغ يون وقلبها يخفق بسرعة " كيف أنك لست مثلنا ؟ ردت سونينغ وقلبها يخفق هى الأخرى " لست مثلكن ! "

كانت تريد أن تخبر يانغ تشيانغ يون بكل شىء ، لدرجة أنها أعدت نفسها لذلك ، وفكرت كيف يمكن أن تخبر أعز صديقاتها ، ولكنها عجزت عن الكلام ، كان الموت أهون عليها من أن تقول لصديقتها إنها . . . . . ! واحمر وجهها كأنه قطعة من الجمر .

"سونينغ ! وسحبت تشيانغ يون منديلها وأخذت تعض عليه بأسنانها ، وحسنت أمرها قائلة : "سونينغ ، لقد علمت بمأساتك ! وسرت رعشة فى كيانها ، ولم تستطع أن تغالب دموعها ، وتجاذبت يداها المنديل بقوة حتى تمزق فيما بينهما !

نظرت سونينغ إلى تشيانغ يون ، وتحول وجهها فجأة من اللون الأحمر إلى اللون الأصفر الشاحب . . . . .

ربت تشيانغ يون على كتف سونينغ ، وأخذت تداعب شعرها وتعديل لها ملابسها ، وقالت فى حب وإخلاص لا حدود لهما: "سونينغ لقد عرفت ، أخبرنى أخوك ، ولا عليك! ولا تخشى شيئاً أبدا! دارت الأرض بسونينغ ، وارتمت نحو تشيانغ يون التى أسرعت تأخذها بين ذراعيها ، واستطردت تقول : "وماذا يعنى هذا الأمر؟ إننا نكرههم ، أولئك الأوغاد الشياطين ، ونكره ذلك المجتمع البائد! يجب أن تكون حياتنا أكثر سعادة، وأكثر جمالاً وروعة من أى شخص آخر! فنحن الآن نرتوى من تعاليم الزعيم ماو ، ونعيش فى كنفه ، ويده الحانية تستطيع أن تضمد جروح بلادنا ، ويمكن أن تعالج قلبك المكلوم ونفسك الكسيرة . لماذا تهولين من شأن هذا الموضوع؟ لماذا تدعيه يجثم على أنفاسك؟"

والنتيجة أنك دائما تستخدمين لفظة "ولكننى" التى تفصل بينك وبين جمال الحياة وروعيتها . . . . . ، وأى مسيحية تلك التى تريدين اعتناقها ، كيف تريدين أن تؤمنى بالأديان ، إنك تريدين ملأداً تلجئين إليه فقط.

انهضى ، انهضى من مجلسك ، ابتسمى للحياة! لقد تغيرت كل الأوضاع ، وبمقدورك أن تصبحى فتاة اشتراكية جميلة ذكية لها دور فعال . . . . . إن حديثك عن هذه الأشياء مثل حديثك عن حشرة "يانتسىزى" عندما لدغتك بذنبها! وإننا يجب أن نبيد هذه الحشرة ، ولكننا أنفسنا علينا فى الوقت نفسه أن نضحك ونبتسم! "ورغم أن تشيانغ يون قالت لها "لا عليك" ، وقالت ، "يجب أن نبتمس للحياة" إلا أن دموعها مازالت تنهمر فوق خديها دون توقف ، ذالكتما الخدان اللذان يضيئان تدريجياً بابتسامة مشرقة . وارتمت سونينغ التى تكاثرت عليها هموم السنين فى أحضان تشيانغ يون وانفجرت فى البكاء بصوت عال مثل الطفلة الذليلة المهانة عندما تلمح أمها.

مضى وقت طويل ، طويل ، وقصرت ظلال شجرة المشمش شيئاً فشيئاً ، وانتشرت جموع النحل النشيطة الكادحة ، حينئذ توقفت سونينغ عن البكاء . ورفعت رأسها ، وقالت وهى تتشنج : " إنى أخاف . . . . " سألتها تشيانغ يون ماذا تخافين ، لكنها لم تجب . وكررت تشيانغ يون السؤال على مسامعها مرة تلو الأخرى ، حتى قالت فى النهاية والخجل والحرج يسيطران عليها : " إننى أخشى فى مستقبل الأيام ألا يحببنى أحد ! " واختتمت كلامها ثم عادت تنكس رأسها من جديد .

انتاب تشيانغ يون شعور مفاجئ بالضيق والغضب ، وقالت : " إذا كان هناك مثل هذا الشخص الذى لا يحبك لهذا السبب ، فإنه أحرق ووغد ! وليس لدى أمثاله أدنى قدر من الفكر الجديد والأخلاق الجديدة ، وعقولهم فاسدة جوفاء . . . . . " ولوحت تشيانغ يون بقبضتها وهى تفكر فى كلمات أكثر ملاءمة وأكثر ضراوة للتعبير عن شعورها .

مضت لحظة ، وعادت تشيانغ يون تقول " ولكن ، أيتها الشابة الحمقاء ، فىم تحتاجين إلى حب الشباب الآخرين ؟ إن هذا أمر كرهه ! أرى أننى أستطيع أن أحيا بلا حب ، سونينغ ، صديقتى العزيزة ، لتحب كل منا الأخرى ، ولتكن فى غير حاجة إلى أى من هؤلاء الحمقى الأوغاد ! "

رفعت سونينغ رأسها ، وظهرت ابتسامة صارمة على وجهها الذى أغرقته الدموع . هبت الريح ، وأخذت أزهار الشمس المتفتحة تتساقط من حولهما .

وكانت تشن بوا فى صبيحة يوم الأحد المشرق هذا مثل النحلة فى نشاطها وحيويتها فى الصباح الباكر ، دعت مارى ليقوما معاً بأداء الواجبات الدراسية . انتهت من أداء الواجبات بسرعة ، كان لديها نوع من الطاقة يجعلها خفيفة ورشيقة ومفعمة أيضاً بالحيوية والحياة . أحست مارى بذلك ، ورفعت رأسها عدة مرات لتنظر فى عيني صديقتها . انتقلت إليها عدوى الشعور بالسعادة ، وقالت لتشن بوا :

"اليوم ، حدث لى شىء يبعث على السعادة : فقد أكلت شيئاً لم أكل مثله من قبل قط ، وياله من شىء لذيذ الطعم ! إنهم يدعونه الكعك . أعطانى القس واحدة ، لونها أحمر قرمزي ، ويغطى وجهها لب البطيخ المقشر ، ما إن تضعيها فى فيك حتى تحسى أنها سائغة الطعم حلوة المذاق وقد أضيف إليها قليل من الزيوت النباتية ، حقا إنها لذيذة الطعم جدا . تشن بوا ، هل أكلت مثل هذه الكعكة من قبل؟

فتحت تشن بوا عينيها وراحت تحملق فيها ، ولم تستطع أن تغالب إحساسها بالتعجب ، ولم تتمالك نفسها من أن تهز رأسها قائلة : " لا ، لم أكلها من قبل ومن المؤكد أنها لذيذة الطعم جداً " . فلم يكن ممكناً أن تحبط شعور مارى بالسعادة نتيجة تناول هذه الكعكة . . . . .

بعد ذلك تحدثت تشن بوا مع مارى فى كيفية قضاء يوم " عيد أول مايو " لم يسبق لمارى أن شاركت فى مسيرات واحتفالات عيد العمال فى " أول مايو ، أو العيد الوطنى فى " أول اكتوبر " ، ولا تفكر فى الاشتراك هذه المرة أيضا . ومن ثم حشدت تشن بوا كل قواها من أجل شحنها معنويًا ، ومن عادة تشن أنها عندما تتكلم قلما يتوافر لديها مثل هذا الحماس والمشاعر المتدفقة ، وفى النهاية قالت مارى فى تردد : " دعى الأمر حتى يحين الوقت " .

وبعد أن ودعت مارى ، أسرعَت تشن بوا إلى الملعب بحثًا عن تشوشيا ولينغ للتدرب على الوثب العالى . لقد تعلمت وثبة المقص ، ووثبة الدحرجة ، وزادت وثبتها من تسعين سنتيمترًا إلى مائة وعشرة سنتيمترات ، كانت فى كل مرة تقفز فيها يخالطها شعور بسعادة غامرة . حتى حل التعب بتشوشيا ولينغ ، بينما لم تشعر هى بتعب بعد .

بعد ذلك انطلقت تعدو ، وشاهدت لى تشون تجلس تحت إحدى أشجار  
الصفصاف على جانب التراك وهى تطالع كتاباً وقد فردت ساقها ، واتخذت وضعاً  
فى جلستها يتفق مع القراءة ، وضعت تشن بوا يديها على عيني لى تشون ،  
وحاولت أن تفزعها ، ثم سألتها عن أحوالها ، أخذت تشكو لها وتلعن قسم  
التوجيه والإشراف ، قالت إن مجموعتهن المصغرة لمادة الفيزياء تريد تصنيع جهاز  
راديو، ولم يرفض القسم مساعدتهن فقط ، بل وصلت به الدرجة إلى أن يمنعهن  
من استخدام الأجهزة والوسائل فى معمل الفيزياء ، قالت لها تشن بوا تعبيراً عن  
تعاطفها معها: إنها سوف تنقل هذا الأمر إلى لوتشن ، وتطالب اللجنة الفرعية  
لرابطة الشبيبة بمساعدتهن فى حل هذه المشكلة ، ثم عادت فسألتها عن موضوع  
مسابقة الخطابة ، قالت لى تشون إنها انتهت من كتابة المسودة ، فاقترحت عليها  
تشن بوا أن تبدأ من الأسبوع المقبل فى القراءة أمام زميلاتها فى الفصل أولاً ،  
تمت لى تشون بأنه يجب ألا تضيع وقت زميلاتها فى الفصل ، قالت تشن بوا  
قولاً قاطعاً : " ألقها علينا أولاً ، فأنا على سبيل المثال ، من المؤكد أننى لن أدخر  
جهداً فى طرح آرائى . "

وتقول كل من الزميلات رأياً أيضاً ، ويكون فى ذلك فائدة وعوناً لك ، ولم  
تجد لى تشون غير أن تومئ برأسها تعبيراً عن الاستجابة . عادت تشن بوا إلى  
عبر النوم ، كانت ووتشانغ فولا تزال تغسل ملاءة السرير ، عرضت عليها  
تشن بوا أن تقوم بمساعدتها . . . . . وكانت تشن بوا قامت بالكثير من الأعمال فى  
صبيحة ذلك اليوم ، رفعت طرف قميصها فى سعادة تمسح به عرقها ، الوقت يمضى  
فى إيقاع سريع مثل إيقاع العزف الرشيق على آلة الجيتار.



تقوم فرق الفتيات بالتدريب منذ عدة أيام استعداداً لمسيرة يوم " أول مايو " . وبعد ظهر ذلك اليوم ، ما إن انتهت تدريبات طالبات الصف الثالث حتى تجتمعن في فصلهن لعقد اجتماع الفصل . قبل أن يخلعن فانلات التدريب الملونة ، وضعن الجواكت الزرقاء على أكتافهن ، وقبل أن يفككن تنوراتهن ، أسرعت الطالبات اللاتي يخشين البرد وأنزلن أرجل سراويلهن ، ولم يكن قد خلعن هذه السراويل من بادئ الأمر ، بل اكتفين بتشمير أرجلهما إلى أعلى قليلاً . وعلى هذا النحو نجدهن يلبسن ملابس ذات أشكال غريبة ، وقد رحن ينتظرن قيام لى تشون بعمل بروفة على إلقاء كلمتها داخل الفصل .

تضع لى تشون على عينيها نظارة جديدة، مما زاد من روح القراءة والاطلاع عندها . ومن وراء عدسات هذه النظارات راحت عيناها تجوبان وجوه الجميع .

كان نموها سريعاً في الفترة الأخيرة ، فبدت طويلة ممتلئة ، تقدمت في خطى وثيدة ووقفت في مواجهة زميلات ، وأخرجت المسودة من جيبها ببطء ، وحاولت أن تبدو طبيعية حتى وصلت إلى درجة الفتور ، فجاءت النتيجة عكسية وظهرت غير طبيعية بعض الشيء .

بادرت قائلة وقد قطبت جبينها وبدا عليها الاضطراب " حقيقة، الأمر صعب ، كيف ألقى الخطبة هذه ؟ " .

أجابتها الزميلات : " بفمك طبعاً ! " وبدأت تلقي خطبتها وسط ضحكات الجميع ، وكان موضوع الخطابة الذي أعدته هو " حب المعرفة " .

" . . . . . إن الدراسة هي المهمة الكبرى والرسالة المقدسة للطلاب . إذن أين تكمن دوافع الدراسة؟ هل في الحصول على مائة درجة ومن ثم كسب رضاء وثناء الوالدين، أم " من أجل الوطن " ذلك الشعار الذي يلهب الشعور الوطني ؟

ثم توقفت لى تشون لحظة . آنذاك أحتت ووتشانغ فو وسطها وركضت خلسة حتى أصبحت بجوار تشوشيا ولينغ ، ولكزتها لكزة ثم قالت لها : " هذا الكلام صعب الفهم "

وهمست تشوشيا ولينغ هي الأخرى ، " إنها تستخدم فى كلامها تركيبات لغوية معقدة للغاية " وأفسحت مكاناً لووتشانغ فو وجلستا معاً على مقعد واحد .

نقرت لى تشون على المنضدة بإصبعها الوسطى ، واستمرت قائلة : " لا ، ليس الأمر كذلك . بل إن ما يدفعنا للدراسة هو طلب المعرفة . إننا نريد أن نفتح كنوز المعرفة ونكشف أسرار الكون ، ونتسلى إلى قمة المعرفة يوماً بعد يوم .

" إن إنساناً بلا معرفة ، هو إنسان عادى جدا ، نظرته للأشياء من حوله تكون نظرة سطحية بسيطة : الماء هو الماء ، والنار هي النار ، والروائح الجميلة هي الروائح الجميلة ، والروائح الكريهة هي الروائح الكريهة ، المربع فى نظره هو المربع ، والدائرة هي الدائرة . . . . . لا يستطيع معرفة أى شىء آخر خارج حدود الإدراك ، إنه إنسان مسكين فارغ العقل .

" أين تكمن إذن قوة العلم ؟ فى البحث واستجلاء آفاق جديدة لم يتوصل إليها الأسلاف ، بل والتوصل إلى أدق أسرار ما سبق أن توصلوا إليه . إننى لا أذكر على وجه التحديد قائل هذه العبارة : " يمكن رؤية العالم فى حبة رمل ، نعم ، يستطيع العلماء الحصول على أسرار لا حصر لها حتى من حبة الرمل ، من حركتها ، من أشكالها المتعددة ، من دراستها فيزيقيا وكيميائيا وجيولوجيا . . . . . وغيرها من أفرع الدراسات العلمية الأخرى . . . . . إلخ إلخ "

الهدوء يسود الفصل ، وصوت لى تشون يرتفع شيئاً فشيئاً حتى غطى على أصوات إيقاع تدريبات الرقص الجماعى ، وضحكات ووقع أقدام الزميلات فى فناء المدرسة . أخذت ووتشانغ فو تسمع بتركيز وانتباه ، وقد سندت بإحدى يديها على تشوشيا ولينغ ، ورفعت رأسها ، وفتحت فاهها . أما درج يوان شن تشى



فتوضع عليه الزهور الورقية المعدة للمسيرة والتي صنعتها بنفسها ، وقد راحت تسمع بينما تلتصق وتدبس الأجزاء التي لم تنته منها بعد. أما يانغ تشيانغ يون فقد قطبت جبينها قليلا ، وراحت تشاهد الطالبات اللاتي يتدربن على الرقص من النافذة ، لكنها فى نفس الوقت لا تفوتها كلمة واحدة من كلام لى تشون.

نافذتا الفصل مفتوحتان ، تتدافع منهما نسيمات رقيقة ، تملأ منها الطالبات صدورهن فى ارتياح ، وتستنشقن رائحة زهور "الوستاريا"<sup>(١)</sup> التي تحملها معها.

" . . . . . إن دراسة علم الفلك تجعل الإنسان يشعر بالزهو والنشوة ، بذلك الجسم الضئيل يسعى الإنسان وراء كشف الفضاء اللامحدود ، الإنسان لا يساوى أى من الجروثومات الدقيقة بالمقارنة مع الأجرام السماوية الضخمة وقد علمنا من علم الفلك أن الأرض هى إحدى الكواكب الصغيرة البسيطة التي تدور فى فلك المجموعة الشمسية . ويعادل قطر الشمس مائة وتسعة أضعاف قطر الأرض .

بل إن هناك بعض النجوم الثابتة العملاقة ، مثل نجم العقرب الذى يعادل قطره خمسمائة ضعف قطر الشمس تقريبا. وقد علمنا أيضا من علم الفلك أن كل النجوم متحركة مهما كانت تسمى النجوم الثابتة ، وأن المجموعة الشمسية كلها تدور بالتناوب مع نجم قيفاوس الملتهب بسرعة عشرين كيلومترا فى الثانية الواحدة . . . . "

وبعد أن انتهت لى تشون من إلقاء هذه الكلمة ، لوححت بيدها قائلة : " إن هذه المعارف الحديثة فى واقع الأمر معروفة للجميع من قبل " ثم أخذت بعد ذلك على سبيل المثال تذكر المعارف غير الشائعة عن رحلة الفضاء مثل وجود أو عدم وجود الأحياء فى نجوم نوبا<sup>(٢)</sup> ، وسوبرنوبا ، والمريخ .

(١) الوستاريا : نبات متسلق له زهور بنفسجية متهدلة .

(٢) نوبا : نجم يتعاطم ضياؤه فجأة ثم يخبو فى بضعة شهور أو بضع سنين .

وبعد أن انتهت لى تشون من الحديث عن علم الفلك ، راحت تضرب أمثلة لعلم الفيزياء الحديثة وبحوث الطاقة النووية ، وعلم الأحياء ، والكيمياء العضوية ، والبحوث البيولوجية أيضا . . . . . كانت تحكى هنا وهناك بعض القصص المثيرة المبالغ فيها لزيادة التأثير عليهن ( ومنها بعض قصص الخيال العلمى ) ، وجهها يشع بالنور من فرط الإثارة ، زميلاتها محدقات العيون فاغرات الأفواه ، مشدوهات مأخوذات .

"إن دراستنا مستمدة من هذه الكنوز الزاخرة ، وذلك البحر الخضم العميق .  
إن المعرفة تدعونا إلى التقدم !

" لقد قدم أسلافنا للبشرية خدمات جليلة ، وذلك بوصفهم منبع العلم والمعرفة ، كان دائما فى حوزتهم معارف مدنية وعسكرية فى آن واحد فتقع عليهم عدة وظائف فى وقت واحد .

وعلى سبيل المثال نجد أن دافنشى الذى دعى مجلس السلام العالمى إلى تكريمه وإحياء ذكراه ، كان فى نفس الوقت عالما فى علوم الفلك والفيزياء ورساما ، وأديبا ، وفيلسوبا . . . . . ومن أعماله لوحتا : الموناليزا ، " العشاء الأخير " الشهيرتان .

وقد صنع دافنشى آلة لقياس الأرصاد الجوية وبلغ به الأمر أن صنع ساعة بنفسه ، وعن أول ساعة صنعها بنفسه كتب جملة تفيض شاعرية وعمقا ، كتب يقول :  
" إننا نملك وسائل كثيرة لنقيس ونقدر أيامنا العسيرة . . . "

" الزميلات الأعزاء إننا نحب العلم والمعرفة ، ومن ثم علينا أن نعلى صرح البناء العلمى فى بلادنا ، نأخذ تراث الأسلاف ونضيف إليه الجديد ، ونلاحقهم ، بل علينا أن نتجاوزهم ، إننا - أبناء هذا الجيل - بناء الاشتراكية والشيوعية !

" أيمكن أن يكون هناك سعادة أكثر من ذلك ؟ "

وبعد انتهاء كلمتها ، توقفت لحظة وهي تحنى رأسها محيية ، ثم عادت إلى مقعدها في ثقة وهدوء وسط تصفيق الزميلات .

وفجأة ضج الفصل بالحركة والهمس ، والنقاش ، وراحت بعض الطالبات تسأل الأخريات عن بعض الجمل التي لم يسمعنها ، وبعضهن رحن يمتدحن الأجزاء التي أعجبتهم من الخطاب ، بينما أخذ البعض الآخر يتوقع مدى مقدرتها على تحقيق النجاح في مسابقة الخطابة . . . . .

ولم يهدأ الفصل إلا بعد أن صفت يوان شن تشى على يدها طالبة منهن إبداء آرائهن .

ساد صمت طويل دون أن يتكلم أحد ، ومنهن من اختصرت الأمر وقالت : ليس لى تعليق ، إلقاء جميل ، يمكن أن تستمرى عليه .

نهضت ووتشانغ فو من مجلسها فجأة ، اصطدمت بالمنضدة أثناء وقوفها ، سندت يدها على كتف تشوشيا ولينغ مما جعلها تتألم وهي ذات البدن السليم والبنية القوية .

وتذكرت أنها هي التي رشحت لى تشون للاشتراك في مسابقة الخطابة ، لذا فهي شديدة الحماس بالنسبة لهذا الموضوع ، وقالت : " أيتها الزميلات ، لقد شعرت بالارتياح يسرى فى بدنى كله وأنا أستمع إلى خطبة لى تشون ، وكأنها نسمة رقيقة لا باردة ولا حارة تناسب من هذا الجانب إلى ذلك الجانب . "

إن الموضوعات والمعانى كثيرة ومتنوعة مثل ما يتعلق بالدراسة والمعرفة وماهية المعرفة والدراسة ، كلماتها وعباراتها كثيرة ومتنوعة أيضا ، وربما كان بها الكثير من الكلمات التي لم أسمعها من قبل ، زد على ذلك أن هيئتها رائعة ، فهي تبدو على العكس منى تماما عميقة رزينة وقورة . وخاصة كلمة : " أيمن . . . . . " ،

تلك التي قالتها فى نهاية الخطاب . أيمكن أن يحدث شىء ؟ " استفهام استنكارى عميق المعنى كبير المغزى ، يجعلك عندما تنتهى من خطابها تشعرين بمتعة ونكهة كأنك تناولت دوفو سوتشو الجاف . ومن الطبيعى أن يكون هناك أيضا بعض المآخذ . . . . ونظرت حولها فى كل اتجاه ، وتعبيرا عن العدل والإنصاف وإتمام رأيها قالت : " إن هذه المآخذ تتمثل فى أنها تتكلم بسرعة ، كبيرة كأنها تقفز قفزات متلاحقة ، مما يجعل آذان الآخرين غير قادرة على ملاحظتها .

قالت تشوشيا ولينغ وهى جالسة : " وهناك عيب آخر ، هناك بعض الجمل المفرطة فى الطول وعدم السلاسة ، لا تتفق مع حديثنا اليومى العادى ، بل كأنها منقولة من إحدى رسالات الدكتوراه ، أتمنى أن تصححى ذلك الأمر أيضا .

أومات برأسها تعبيرا عن الموافقة والامتنان .

رفعت يانغ تشيانغ يون يدها قائلة : الآنسة رئيسة الجلسة ، عندى سؤال .

ردت يوان شن تشى ، " تفضللى ، اطرحى سؤالك " ونظرت إليها نظرة ذات معنى عميق .

" إن سؤالى هو ، أليس موضوع لى تشون مبهما ، أوعلى حد قولها : سرا غامضا ؟ إن المسافة شاسعة بين الموضوعات التي تناولتها وبيننا كطالبات بالمرحلة الثانوية . إننا نحب المعرفة ، هل فقط لأن هذه المعرفة فى حد ذاتها تثير الدهشة بغموضها ورهبتها الشديدة ، دعونى أضرب مثلا ، إننا نحب حفلات المنوعات حبا كثيرا ، حيث إن فقراتها تجذبنا إليها بشدة ، غير أن طبيعة حبنا للمعرفة تختلف عن طبيعة حبنا مشاهدة حفلات المنوعات ، إن كلامى أنا الأخرى غير واضح . . . . .

وجلست تشانغ يون دون أن تتم كلامها .

همهمت ووتشانغ فو قائلة : " نعم ، إن كلام لى تشون غامض إلى حد كبير . وجاء صوتها عاليا فسمعها كل من بالفصل " .

وبعد لحظة من التوقف ، برزت إحدى الزميلات المتعاطفات مع لى تشون ،  
وتحّب أن تناديها الأخرىات " الأخت الكبرى " ، وقالت :

" لقد شاركت من قبل عدة مرات فى مسابقات الخطابة وما شابهها . وفى كل  
مرة كان الوقت قصيراً جداً ، وأنت تلقين خطبتك وأنا ألقى خطبتى ، والكل  
مشدود ومتعجل ، ولا أحد يهتم بتحليل المضمون تحليلاً دقيقاً . والأهم هو أن  
تستطيعى شد انتباه الحاضرين ، ولا بأس أن يكون هناك بعض من الغموض ، فهو  
ميزة إذا استطاع لفت الأنظار . ويجب أن تتسم الخطابة بمهارة الإلقاء ، وهذه المهارة  
يجب ألا تفرض عليها قيود ، وزيدى فى الإفاضة مما تحسبن واختصرى فيما  
لا ترغبين . . . . . "

سمعت لى تشون هذا الكلام ، وقالت فى نفسها : " يا لسوء الحظ لقد جاء  
دفاعها أسوأ من عدمه " .

وكما كان متوقعا ، تركن موضوع خطبة لى تشون ، ورحن يفندن آراء  
" الأخت الكبرى " فى الخطاب .

تبادلت تشن بوا ومارى الرأى بصوت خفيض ، حاولت أن تقنع مارى بأن  
تتكلم ، لكنها رفضت فوقفت هى وقالت : " لقد تبادلت الرأى الآن مع مارى ،  
ورأينا أن لى تشون فى كلمتها لم تربط بين المعارف العلمية ودورها فى بناء المجتمع .  
لقد كان كلام مارى لى منذ قليل رائعاً بحق قالت : " . . نعم ، لما لا تقولين أنت  
بنفسك ؟ "

( وجذبت مارى حتى أوقفتها ثم جلست هى . )

قالت مارى فى صوت هامس : " إن ، رأبى هو ذلك الذى أعلنته تشن بوا . .  
.. تركت يانغ تشيانغ يون مقعدها ، وأخذت تروح وتجىء وتتكلم مع الأخرىات .  
نظرت لى تشون إليها وهى على هذا النحو من القلق فاستبد بها غضب شديد  
وعادت تشيانغ يون تتكلم من جديد ، قالت :

" لقد تذكرت شيئاً آخر ، هناك مثل هندی ، فى أغلب الظن أن معناه هو :  
" إذا اعتليت سلماً لمائة طابق ، يجب أن يكون ما تبذلين من جهد فى اعتلاء الطابق  
الأول هو نفس ما تبذلينه فى اعتلاء الطابق التاسع والتسعين . . "

وانتقدتها بعض الزميلات " كلما تكلمت زاد الأمر التباساً ! "

" انتظرن ، فكلامى لم ينته بعد ، إن حب سماع المعارف التى ذكرتها لى  
تشون يبدو فقط كأنه إشارة إلى لحظة تكلم بالجهود بالنجاح ويتم صعود الطابق  
التاسع والتسعين . "

ولكننا نحب العلم والمعرفة ، ولا يجب أن نحب النتائج المشرفة المبهرة فقط ،  
لكن علينا أيضاً أن نحب كل مراحل البحث والدراسة .

وجلست يانغ تشيانغ يون ، لكنها لم تستطع إلا أن تنهض من جديد وتحاول  
بكل السبل أن تشرح وتحلل كلمتها .

وقد مضى وقت طويل ، ومن ثم طلبت يوان شن تشى من لى تشون أن تدلى  
برأيها الشخصى وبدأت لى تشون تقول فى روية :

" لقد جاءت الآراء والتعليقات التى طرحناها صحيحة تماماً ، وخاصة آراء يانغ  
تشانغ يون ، حقيقة آراء رائعة . "

فى حقيقة الأمر إن إسنادكن لى المشاركة فى مسابقة الخطابة جاء فوق طاقتى ،  
ولا أستطيع أن أنظر إلى المسائل نظرة شاملة ، فضلاً عن ذلك تنتظرني بعض المهام  
مثل مجموعة الفيزياء المصغرة صحتى فى الأيام الأخيرة ليست على ما يرام ، وأرى  
أن علينا أن نستغل فترة الأسبوع المتبقية على " أول مايو " ، وإنه من منطلق تحقيق  
المجد الجماعى لفصلنا أرى أن تتولى زميلة أخرى مهمة الخطابة فمثلاً هناك يانغ  
تشانغ يون ، لها دراية طويلة وعميقة فى هذا الموضوع ، إننى أتعهد بأنها إذا

شاركت فى المسابقة ، سيكون إلقاؤها جميلاً بكل تأكيد . وإننى أعتقد أن موضوع الخطابة ليس مسألة شخصية ، ويجب أن يكون من منطلق المصلحة الجماعية . . . ، قلبن الموضوع من كافة جوانبه ، ثم ساد الصمت لحظة .

أرادت تشيانغ يون أن تنهض فجأة وتتكلم ، لكنها لاحظت نظرات يون شن تشى ، ومن ثم غالبت نفسها وقالت فى أسلوب جديد لم تعتده من قبل ينم عن الخبرة والحنكة :

" صحيح ، إننى أميل إلى هذا النوع من الخطابة ، ومن جهة أخرى لدى بعض الآراء نحوها ، وبطبيعة الحال قد تكون هذه الآراء بعضها صائب وبعضها خاطئ . وإن رغبتى فى طرح هذه الآراء ليس إلا رغبة فى تقديم بعض المساعدة إلى لى تشون أما أن تفيد هذه المساعدة أو لا تفيد ، فهذا بطبيعة الحال أمر آخر .

وقد استعدت لى تشون لإلقاء هذا الخطاب من فترة ، وقد بحثت عن كثير من المواد الشيقة والطريفة ، ومن ثم فإننى أرغب فى الاستعداد خلال هذه الفترة معاً مع لى تشون . . . . .

والتفتت نحو لى تشون وقالت : " إذا كان رأيى سليماً ، فلك أن تقبله ، وإذا كان مخطئاً ، فلك ألا تقبله ، وأكون أنا مساعدة لك ، فماذا ترين ؟ " .

ضحكت جميع الطالبات وهن يثنين على فكرة تشيانغ يون ، وبدا أن لى تشون تعارض الفكرة ، ولم تنبس ببنت شفة .

بعد اجتماع الفصل فى هذه المرة ، كانت يانغ تشيانغ يون كثيراً ما تذهب إلى لى تشون لبحث موضوع مسابقة الخطابة . ولم تكن لى تشون ترحب بها كثيراً ، كان رأيها " إما أن تلقى أنت الخطبة أو ألقها أنا ، بينما كانت فكرة تشيانغ يون " أن أساعدك على الإلقاء " وإذا كانت تشون تريد حقيقة إلقاء هذه الخطبة ، أيمن لها أن تكون فى غنى عن مساعدة يانغ تشيانغ يون ؟ . ثم إنها كانت وقت

إلقاء يانغ تشيانغ يون أراءها ، كانت تهمهم ، كأنها تسمع أولاً تسمع كأنها توافق أو لا توافق . ويبدو أن تشيانغ يون لم تلاحظ هذه الأمور ، وأخذت تطرح كافة الآراء على لى تشون فى حماس شديد ، حتى إنها لفرط حماسها أرادت أن تعيد بدأ صياغة المسودة . ومن ثم بدأت تشون - التى كانت بعيدة عنها تماماً فى أول الأمر - تناقش الآراء التى طرحتها تشيانغ يون ، وكلمتا احتدم النقاش والجدل زادت سعادتها ، وفى النهاية وافقت على بعض هذه الآراء .



" أول مايو "

" يوم العيد العالمى للعمال "

فى المساء ، أوت الطالبات المغربات إلى فراشهن ، وأخذن يتحدثن فى حماس عن مسيرة هذا العام ، وهن ينتظرن موعد تناول العشاء ، وبعد ذلك يذهبن إلى الحفل المسائى الذى ينتظرنه فى شوق ولهفة .

جلست تشن بوا على السرير ، وأسندت ظهرها إلى الحائط ، ووضعت قدميها فى الماء الساخن ، إنها تعاني من التهاب بسيط فى المفاصل ، وشعرت بالآلام مبرحة فى ساقها بعد انتهاء المسيرة ، أما تشوشيا ولينغ فقد تمددت على بطنها ووضعت ذقنها على المخدة ، وراحت تداعب شعرها بإحدى يديها ، بينما فردت يدها الأخرى ، وساقها اللتين كانت تحركهما لتحك إحداهما بالآخرى من حين لآخر .

وتمدت ووتشانغ فو على ظهرها ، ووضعت فوطة مبللة بالماء الساخن على جبينها كأنها مريضة . (قالت إنها لا يزول عنها التعب إلا بهذه الطريقة ) ، وقد ضمت لى تشون ساقها ساقا فوق الأخرى وأمالتهما جانبا ، وأخذت تستريح وهى تجلس نصف جلسة ، أخرجت منديلا وراحت تمسح عدسة النظارة ، ولأنها كانت أول مرة تضع نظارة على عينيها ، تركت أثراً أحمر على جانبى الجزء الأعلى من أنفها .

وكانت تشيانغ يون فقط هى التى لم تعتل السرير ، حيث سحبت مقعداً صغيراً، وجلست عليه إلى جوار سرير تشوشيا ولينغ .

" إن مدرستنا هى أكثر المدارس سوءاً ، ( وعليك أن تبذل جهداً جهيداً حتى تميز أن هذا الصوت صادر من لسان ووتشانغ فو ، فهى تتكلم الآن دون أن تتحرك

عضلات وجهها أدنى حركة )، " فقد بذلنا جهدا كبيرا . عندما جاء الوقت ، وجدنا أن ملابسنا قبيحة المنظر ، وأن ملابس طالبات المدارس التي كانت خاصة من قبل مازالت هي الأجمل ، فمثلاً طالبات المدرسة الثانوية الثانية عشرة ، يرتدين جونلات بيضاء ناصعة البياض ، مثل الثلج ، مثل زهرة المنغوليا ، مثل الدوفو، ومثل اللبن ، وعليها شرائط حمراء ، شديدة الحمرة مثل الورد البلدي . . . . .

" أغلب الظن أنها مثل الدوفو بالصلصة ! ، واندفعت تشوشيا ولينغ قائلة : " إن ووتشانغ فو عند وصفها لأي شيء تتطرق دائما إلى الدوفو ، أبيض مثل الدوفو الأبيض، وأحمر مثل الدوفو بالصلصة ، وحامض الطعم مثل الدوفو المفلفل . . . . . كلام فارغ . شعرت أن ميدان باب السلام السماوى صغير ، استعدادنا جيدا ، وتدريبنا ، واشترينا الملابس وأعدنا الزهور ، وأخذنا ننتظر وننتظر طوال اليوم ، وأخيرا جاء يوم أول مايو، ووصلنا أمام ميدان باب السلام السماوى بشق الأنف، وما هى أو أقل من خمس دقائق حتى مضينا وانصرفنا ، إنه وقت قصير جدا .

وقالت يانغ تشيانغ يون : " إن الاستعدادات التي تمت قبل المسيرة واسترجاع لذتها بعد انتهائها أكثر إثارة وتشويقا من لحظات المسيرة نفسها . لقد نسيت كل شيء لحظة أن مررنا من الميدان ، ثم بدأت بعد ذلك أتذكر كل شيء .

حقا ! ، لقد كانت عروض اليوم رائعة الجمال !

وضعت لى تشون النظارة على عينيها وأضافت قائلة من وجهة التحليل النظرى: " إن يومى " أول مايو " ، " أول أكتوبر " ، هما مصدرا الإثارة والسعادة فى حياتنا ، وبدونهما تفقد الحياة طعمها ، ونشيب نحن قبل الأوان .

لم تنطق تشن بوا بكلمة ، ولبست الجورب بعد أن انتهت من غسل قدميها اللتين تسرى فيهما موجات من الألم كأنما قد وخذتا بالإبر .

وفجأة هبت الرياح ، إنها الرياح الشمالية محملة بالأتربة ، وبدا صوت فرقة يصدر عن نوافذ العنبر الزجاجية .

صاحت تشيانغ يون قائلة : " ياله من جو منعش ، ونهضت واتجهت نحو النافذة ، وراحت تحلق ببصرها فى الأفق البعيدة ، فرأت سحابة كثيفة تغطى السماء وتحجب الشمس قادمة من ناحية الشمال الشرقى .

سألت ووتشانغ فو " إلى أين تتجه السحب ؟ " .

" أجابتها تشيانغ يون : " إلى الجنوب الغربى " .

" حظ عاثر ! . ونهضت ووتشانغ فو التى كانت ممتدة على ظهرها واتجهت نحو تشيانغ يون ، ووقفت إلى جوارها ، وأخذت ترقب حالة الطقس وهى تردد فى نفسها إن تتجه السحب جهة الجنوب تنهمر الأمطار الغزيرة فوق المراكب ، أما إذا اتجهت نحو الغرب غمرت الأمطار قاعدة المبنى . من المؤكد أن مساء اليوم سوف يشهد أمطاراً غزيرة ، وسوف يفسد ذلك حفلنا الراقص !

" لن يحدث ذلك . ونهضت تشوشيا ولينغ - التى كانت تتمدد على بطنها وتفرد ساقها منزعجة وأضافت : " لا تقولى إن المطر سوف يهطل ، فلا بد أن يذهب الجميع للرقص فى ميدان باب السلام السماوى يوم أول مايو حتى لو أمطرت السماء سكاكين صغيرة ! "

لم تمض لحظات حتى انهمر المطر كما كان متوقعا . كان غزيراً منذ البداية ، وعندما يسقط على الأرض تصدر عنه أصوات ويترك أثراً خفيفاً ندياً على الأرض ، سرعان ما انعدم التمييز بين هذه الآثار حيث ابتلت الأرض وتشربت بالماء . . . . وما هى إلا لحظات أخرى حتى يتجمع الماء مكوناً بركاً صغيرة وتظهر الفقاقيع ، وبعد ذلك تكون مجرى من الماء يندفع نحو البالوعات والمصارف .

لم يأكلن إلا قليلا وانتظرن ربما يتوقف المطر . ولكن المطر كان يزداد غزارة بمرور الوقت ، انتظرن لحظة ثم قمن رغم كل شيء بارتداء أحذيتهن القديمة وارتداء ملابس المطر وحمل شمسية اتقاء المطر واندفعن إلى ميدان باب السلام السماوى ، ولم تتخلف سوى تشن بوا بسبب آلام ساقها .

بعد عودة مارى من المسيرة ، استدعاها الكاهن جوزيف لى .

" أين ذهبت اليوم ؟ "

وصوب جوزيف لى نظرات عينية الغائرتين نحو مارى ، كان كالعادة يرتدى ملابسه السوداء ، ويجلس معتدل القامة ، ومرفقه الأيمن يستند إلى المنضدة بينما يده تتحرك حركات خفيفة ، حجرته التى يقيم فيها مظلمة ورطبة ، تختلط فيها رائحة الكتب القديمة مع رائحة كريات الكافور والنفثالين .

أجابت مارى وقد أحنّت رأسها : " كنت أشارك فى المسيرة " .

سألها جوزيف لى فى استنكار " أى مسيرة هذه ؟ "

" مسيرة يوم أول مايو " .

رفع جوزيف صوته واقترب من مارى سائلاً : " لماذا لم تخبرينى ؟ "

" أنا ، أنا ، أنا . . . . ، " وشعرت مارى المرتبكة بأنها لا تجد موضعاً ليديها ،

فكرت أن تسحب مقعداً لتجلس عليه ، لكنها لم تجرؤ على الحركة .

" لم أكن عازمة فى أول الأمر على المشاركة فى المسيرة ، وذهبت إلى المدرسة

فى تردد لاستطلاع الأمور ، وما إن وصلت حتى أخذتنى الزميلات - اللاتى كن

ما زلن متجمعات - إلى صفوفهن فى نشوة وسعادة ولم أستطع أن أرفض الذهاب هذه المرة أيضا ، وكانت النتيجة أن شاركت فى المسيرة .

" الزميلات ؟ من هن هؤلاء الزميلات ؟ "

بينهن أعضاء فى الحزب الشيوعى لرابطة الشبيبة ؟ "

" نعم ، يوجد . "

صاح جوزيف لى فى غضب : " اسمعى ! " وقد دفع إبريق وكوب الشاي الموضوعين فوق المنضدة جانبا ونهض واقفاً واقترب من ماري ، وأصبح وجهه الذى يبدو عليه وقار الشيخوخة مواجهها لوجه ماري الخائف المرتعد .

" لقد وقعت فى حبال الشيطان ، وسرت فى الوحل واتبعت غواية الأعداء ، ودنست روح الصداقة الصافية ومبادئها السامية أنت . . . . " ،

هكذا اتهمها جوزيف فى لى لهجة تتسم بالخطرسة والتهديد والوعيد ، بينما تتراجع ماري إلى ركن الحجرة من شدة الخوف والرعب .

تنهد جوزيف لى تنهيدة طويلة ، ثم ترك ماري جانبا وراح يقطع الحجرة ذهابا وإيابا ، ويصدر عن كل خطوة وقع أقدام ثقيل ، مما يجعل ماري ترتعد خوفاً ، ومن آن لآخر تقطع أصوات وقع أقدام متناقلة إيقاعات الرقص الجماعى المتسللة من النافذة فى سرعة وخفة .

لا تعرف ماري كم مضى من الوقت ، غير أنها شعرت أنه وقت طويل كأنه الدهر كله ، جلس جوزيف لى على فراشه ، وأسند رأسه إلى عمود السرير ، وظل وقتاً طويلاً بلا حراك ، ماري ما زالت منزوية فى ذلك الركن ، تنظر إلى الكاهن جوزيف فى قلق وتوتر ، وفجأة سمعت صوتاً يشبه أصوات الحروف الحلقية والحروف الاحتكاكية التى تصدرها البومة ، ومع استمرار الأصوات ، رفع الكاهن

رأسه ، ونظرت ماري في دهشة إلى تلك العينين الغائرتين اللتين أخذتا تبرقان شيئاً فشيئاً ، ثم ذرفت عيناها الدموع ، وتحرك فك الكاهن بشفتيه المكتنزتين وذقنه ذى اللحية القصيرة وكأنه يمضغ شيئاً من الحشائش ، ومن ثم انكمش قلب ماري رجفة وهلعا

وقال وهو يشير لها بيده " أقبلي ، يا ماري . "

وجلست ماري إلى جواره في خوف .

" لقد وجهت لك الإدانة والالتهام الآن ، وهذا من أجل إنقاذ نفسك ، وحتى تندمى وتثوبى إلى الله . " قالها جوزيف في صوت أجش ، ووسط صوته الخفيض العميق ظهرت فجأة نبرة حادة تشبه الصوت الصادر عن تمزيق قطعة من قماش الحرير ، ودفع يده اليمنى من جديد وراح يشيح بها في الهواء ، وقال في صوت مفعم بالسحر والتأثير : " إنَّ البابا الكاثوليكي لا يخطئ أبداً فقد تنبأ من قبل قائلاً إن الكوارث قادمة ، وإن الكنيسة في خطر محقق . إننا نواجه عدواً جائراً - الحزب الشيوعي ! إن بغية هذا الحزب هي إبادة الكنيسة ، فمنذ أن سيطر الشيوعيون على البلاد طردوا لى بي لى <sup>(١)</sup> مبعوث الفاتيكان ، وأغلقوا الجمعية الكاثوليكية <sup>(٢)</sup> ، وأزالوا الكتاب المقدسة الأكثر مجداً <sup>(٣)</sup> ، وتم إلقاء القبض على عدد كبير من إخواننا في العقيدة ، وقتل كثير من العاملين في الكنيسة ، واستغلوا الحب الأعمى للوطن عند بعض من رفاق العقيدة غير المستنيرين وجندوهم لخيانة العقيدة وضرب الدين عن طريق أسلوب الذوات الثلاث ( الإدارة الذاتية للنشاطات الدينية والاعتماد على الذات في تطويرها وتجديد الذات في نشرها ) ، لقد حلت النكبة ، وبطبيعة الحال لا خوف على الكنيسة لأنها قائمة على قواعد صلبة . . . . لكنك أنت تذهبين للمشاركة في مسيرة الحزب الشيوعي . ويتدلى فوق صدر

(١) قنصل الفاتيكان قبل التحرير ، وبعده تم طرده لقيامه بأعمال معادية للثورة .

(٢) منظمات رجعية تتستر وراء الدين .

(٣) منظمات رجعية تتستر وراء الدين .

الكاهن صليب مهيب الشكل وهو يقول ، " إننى سوف أبلغ الخمسين هذا العام ، وقد دخلت الدير وأنا فى التاسعة من عمري وأقمت به أربعين عاماً حتى اليوم ، إننى فى الأصل أنتمى إلى مقاطعة شاندونغ ، وقد لقي أبى وأمى مصرعهما على أيدي عصابة حركة " إيخه " فى المرة السابقة ، وقد أنقذ حياتى مسيحي أجنبى يدعى لوتشن خوا . . . . إن الفضل يعود إلى الكنيسة لكل ما أنا فيه ، ولكننى أيضاً وهبت نفسى لهذه الكنيسة على مدى أربعين عاماً . وأنت أقرب الناس إلى قلبى ، حبى لك تجاوز حبى لابنتى ، إذا لم أستطع حمايتك ، كيف يمكننى إذا أن أحمى الكنيسة ؟ إنك إذا تجاوزت يوماً بعد يوم مع إغراءات الشياطين ومن ثم قذف بك فى النهاية إلى الجحيم ، كيف يمكننى إذا ارتقاء الجنة بمفردى ؟ وحينئذ سال الدمع من عينيها مرة أخرى .

التفت الكاهن جوزيف ونظر إلى ماري ووجدها قد ركعت على ركبتيها ، وتجمدت عيناها

وأخذت تتنحب دون أن يصدر عنها صوت ، قال الكاهن جوزيف فى صوت فيه مهابة وخشوع

" يا رب . . . . اصفح عن . . . . عبادك المذنبين . . . . ثم رسم صليبا على رأس ماري ، وبعد أن قام بهذه الأعمال نيابة عن الرب ، رفع ثيابه السوداء الفضفاضة يمسح دموع ماري المذنبه التائبة فى عطف وحنان أبوى .

قام اتحاد طالبات المدرسة المقيمات بالعنبر السكنى بتنظيم حفلة مسائية حتى تتمكن الزميلات المريضات واللاتى يخشين المطر من الاستمتاع بقضاء ليلة العيد العالمى للعمال . " أخذت تشن بوا تلعب مع طالبات الإعدادية لعبة لمس الأنف (١) ، ولكن قلبها ما زال معلقا بميدان باب السلام السماوى ، وتشعر بشيء من الأسف لأنها لم تستطع الذهاب مع زميلات فصلها إلى هناك ، وعندما دق الجرس معلنا

(١) لعبة يستخدم فيها نموذج لحيوان ندى أنف بارز وتقف إحداهن على مسافة منه وتغمض عينيها وتدور زميلاتها عدة دورات ثم يطلبن إليها لمس أنف نموذج الحيوان .

الساعة التاسعة ، دخلت إلى القاعة إحدى عضوات فريق الطلائع الصغيرات وقالت  
لتشن بوا : " هناك من يسأل عنك . " وأخذت تشن بوا طريقها نحو الباب وقد  
استولى عليها شعور بالغرابة .

ما زال المطر يهطل بغزارة ، والمياه الراكدة ، تنعكس عليها الأنوار ، وتنعكس  
عليها أيضاً ظلال حوائط الأبنية .

حجرة الاستعلامات تزدهم بالزميلات اللاتي يردن استعمال التليفون ،  
وحجرة استقبال الضيوف يجلس بها أيضاً كثير من الضيوف ، والطالبات الخارجات  
أو الداخلات إلى الممر المؤدى إلى الباب يتوقفن عنده لفرد الشمسيات وتغيير ملابس  
المطر .

وصلت تشن بوا عند منطقة الباب الصاخبة ، ونظرت في كل الاتجاهات فلم  
تشهد ذلك الشخص الذى يبحث عنها .

خرجت من البوابة الكبيرة ، فرأت تيان لين يقف إلى جوار السور الخارجى ،  
يرتدى قميصاً قشدي اللون ذا ياقة منشأة صلبة ، وبنطلون بوليستر رمادى اللون ،  
ويربط رابطة عنق أيضاً ، لم يكن معه شمسية المطر ، ولا يرتدى معطف المطر ،  
وماء المطر يسيل من شعره على حاجبيه وأذنيه ونظارته ، وعلى ياقة وطرف قميصه  
..... حمل بثقله كله على قدم واحدة ، وبدت عليه علامات الضيق والضجر  
والانتظار .

رأى تشن بوا ، ولم يتقدم نحوها ، ومن ثم اندفعت هى نحوه ، ولاقت  
مثل ما لاقاه من بلل مياه الأمطار ، حياها فى حرج وارتباك ، واحمر وجهه كأنه  
ارتكب خطأ ما ، دعاها للخروج معاً إلى ميدان باب السلام السماوى ، وراح  
ينظر إليها فى انفعال وارتباك .



قالت تشن بوا : إن ساقى تؤلمنى ، ولن أستطيع الذهاب ، هيا ندخل ونمرح داخل المدرسة ، عض تيان لين على شفثيه وكاد يبكى ، وأخنى رأسه ووقف ساهما لا يتكلم وكأنه تلميذ صغير وقع عليه تأنيب من أستاذ ، ومضى وقت طويل قبل أن يتوسل إليها قائلاً بصوت خفيض : " من فضلك ، اذهبى معى . . . . . ، وتحركت شفثاه ، كأنهما تحجبان فى نفسه كل ما كان يريد قوله من الكلام .

وتحت مياه الأمطار المنهمرة بغزارة ، ووسط أصوات موسيقى العيد الصاخبة ، وإلى جوار الفتيات اللاتى يغدين ذهاباً وإياباً فى حللهن الجميلة ، فى هذه اللحظة فقط ، ظهر أن تشن بوا بدأت تفهم تلك الأمور التى كانت تقترب منها وتتعمد تجنبها ، والتى كانت تحس بها وتتعمد إخفاءها من ذى قبل ، ولم تستغرق تشن بوا طويلاً فى التفكير ، وأغمضت عينها اليسرى قليلاً ، وفتحت عينها اليمنى كثيراً ، واندفع الدم من عروقها ، وابتسمت وهى تراودها أحاسيس مختلطة من السعادة والضيق .

وقالت فى ود وصدق : " أعندك رغبة شديدة فى الذهاب ؟ حسنا لا تتضايق ، هيا بنا نذهب ، وشدت على يد تيان لين فى لطف ورقة .

لم تأخذ معها أدوات اتقاء المطر ( من شمسية ومعطف ) بل وضعت على كتفها فقط سترة خروج ذات لون رمادى باهت ووضعت على رأسها قبعة قديمة من الخوص ، ومضت مع تيان لين ، قطرات المطر من آن لآخر تضرب فى وجهيهما ، فى عيونهما وفى أنفيهما فيقوموا بمسحها أولاً بأول ، أصوات وقع مياه المطر ترتفع حيناً وتخفضت حيناً آخر ، الجو يسوده الدفء تارة ثم يعصف بالبرد والكآبة تارة أخرى ، يختلط فيه الحابل بالنابل تارة ، ويسوده إيقاع رتيب تارة أخرى ، شوارع الحوارى الترايبية مليئة بالحفر والمطبات ، والسير فيها غير مريح ، الآن زادها الطين سوءاً . تشن بوا تبذل جهداً جهيداً فى الظلام لكى تميز المكان وتتجنب الحفر التى يلمع فيها الماء ، وما إن يطأ حذاءها المشبع بالماء أرض الشارع الطينية اللينة اللزجة حتى تصدر عنه أصوات قرقرة ، وآلام ساقها تزداد شيئاً فشيئاً .

وكان تيان لين فى غاية السعادة لأن تشن بوا لبت مطلبه . وقد زالت عنه الملامح والأحاسيس الغريبة وبدأ يتكلم ويضحك بصوت عال ، بل وأطلق بعض الفكاهات . ولكن تشن بوا ظلت مقطبة الجبين ولم تتكلم بسبب الآلام الشديدة التى تشعر بها فى ساقىها . لفحت الرياح ملابسه المبللة بالماء ، فارتعد تيان لين من شدة البرودة .

أقبلت من الخلف جماعة من الزميلات ، خمس طالبات تحت شمسية واحدة ، رؤوسهن تجتمع معاً تحت حماية الشمسية ، بينما أجسامهن خارج هذه الحماية ، نادين على تشن بوا ، فقالت : "إننا نمشى معاً . ساد العبوس والغضب وجه إحدى الزميلات وقالت : لا ، إننا نمشى بسرعة ، ولن نستطيعا ملاحقتنا " وضحكن وانطلقن نحو الأمام . " أنتما ، ماذا يعنين بكلمة " أنتما ، إنه أمر غير حميد ! فقد أعلنت فى بادئ الأمر أنى لن أذهب ، والآن ذهبت ، ولكن مع تيان لين وحدنا . . . وأحست تشن بوا بندم شديد .

عادت مارى إلى حجرتها ، ورقدت من همكة خائفة القوى ، وأخذت تحملق بصرها ساهمة دون أن تجد عيناها سيلا إلى النوم .

انقطع سلك التنجستين داخل المصباح الكهربائى ، فلم يعد يضىء ، وليس هناك ضوء للقمر أو النجوم ، وساد المكان ظلام دامس وانعدمت الرؤية . والمطر يهطل بغزارة حيناً ويخف حيناً آخر دون أن يتوقف ، يسمع صوت وقع قطرات المطر على الدرجات ، وعلى قصارى نبات اللوتس ، وأوراق الشجر . سقف الحجرة قديم ، يرشح منه الماء قطرة قطرة على فترات متباعدة ، هذه الحجرة الشرقية تعتبر مخزناً وحجرة نوم لمارى فى نفس الوقت . حيث بها صندوقان خشبيان كبيران ، وحقيبة ، وشباك كرة سلة وكثير من الأدوات المنزلية القديمة ، ومنها قدر عمل القهوة الثمين الذى كان يستعمله الكاهن جوزيف فى الماضى .

ووسط الظلام ، كانت ماري تشعر أن هذه الأشياء تكبر شيئاً فشيئاً وكأنها حيوانات متوحشة متزاحمة ، بينما هي نفسها تنكمش شيئاً فشيئاً ، وتفوح من حولها رائحة فضلات الفئران التي تعيش بالحجرة .

وهذا هو حال ماري ، لا تنام في الليلة التي يسقط فيها المطر ، فهي تخشى سقوط الأمطار وخاصة في الليل ، وتخشى أن يسقط بيت أحد الناس ، وتقلق من أجل الرعاة في المرعى الذين لا يجدون مكاناً يحتمون به من المطر ، وتخاف أن يصعق البرق أحد الصبية في الغابات . حتى إنها تخشى أن يندفع مجرى المطر إلى داخل عش دجاجة آمنة وادعة ، فتحطم الحياة السعيدة الحاملة لأم وكتاكيتهما الصغار ، وتصبح هذه الكتاكيث خائفة مذعورة ، إنها أيضاً تخشى أن تجتاح الأمطار والعواصف الزهور فتعصف بها . . . . . إنها تعرف أن الدنيا بها كثير من الكائنات الحية الضعيفة الواهنة التي لا تحتمل الرعد والعواصف والمطر . . . . . وراحت ماري تفكر في أحداث صبيحة اليوم ، فهذه أول مرة تشارك في المسيرة ، وأول مرة تشهد فيها هذا الحشد الكبير من الناس السعداء ، وهذه المشاعر الرائعة المختلفة . فقد خرجن من المدرسة ، يتقدم الصفوف مدرس التربية الرياضية بصفارته التي تصم الأذان ، والزميلات يغنين وهن يمشين في خطوات منتظمة .

كلهن متهللات الوجه ، ومعنوياتهن في السماء . وأدركت ماري اليوم فقط أن زميلاتها - بشيء يسير من التزين - على هذا القدر من الجمال . حيث ترتدى يانغ تشيانغ يون بلوزة من قماش القطن ذات اللون الأزرق ، وبه ورود بيضاء وصفراء وذات لون أرجواني فاتح ، وكأنها زهور برية صغيرة متفتحة في أحد المراعي في فصل الربيع ، وترتدى جونلة ذات لون أزرق سماوي مطبوع على طرفها دوائر وخطوط ونقط بيضاء تبدو في جمالها مثل البحر الكبير الذي تكسرت عليه صور القمر والنجوم عندما هبت عليها ريح شديدة . وقد ربطت تشيانغ يون شريطة من الحرير القرنفلي اللون في شعرها الكثيف . حاجباها يتحركان حركة خفيفة ، عيناها

تبرقان دائما بالسعادة وروح الحيوية والانطلاق ، سليمة البنيان ، ممتلئة القوام لكنها رشيقة ، ذراعها وساقها العاريان يبدوان أكثر نعومة ونضارة وبريقًا ، حتى إن ماري شعرت أن الوقوف لحظات بجانب يانغ تشيانغ يون يعتبر شيئًا مريحًا للغاية .

أما قميص يوان شن تشى فإنها تلبس فوقه بلوزة صوفية ذات لون أحمر قاني ، ذلك القميص الحريري ذي اللون الأبيض الناصع ، وأزراره الصغيرة الصفراء اللون مثل الكهرمان المصفوفة على الصدر من جهة اليسار فقط يجب ألا تلبس من الرأس . وأزرار بلوزتها الصوفية من نوع خاص هي الأخرى ، زرقاء اللون وكبيرة ومثبتة على الصفيين ، حتى إذا أزررت بلوزتها بهذه الأزرار الدوارة ، أصبح من الصعب معرفة من أين تفك هذه الأزرار ، ترتدى جونلة ذات لون أرجواني من الصوف غالي الثمن . . . . . ولم يكن هناك بين الصوف من لا تزال ترتدى زي الخروج الأزرق القديم سوى ماري ، فبدت مثل قرص عباد شمس قطف قبل عام وسط فيض من الألوان المشرقة الزاهية ، وأثناء فترة الراحة في وسط الطريق ، حملت إليها سونينغ كعكة وأكلتها معًا ، ثم اكتشفت أن كثيرا من الزميلات يأكلن مثل هذا الكعك ، بينما هي لم تتناوله إلا هدية من الكاهن قبل عدة أيام ، ومن ثم أحست ماري - الصادقة المخلصة التي تشعر بالقناعة والرضا من خلال تعبدها واطاعتها - أحست الآن فقط بقلب جريح كبير ، إن حياتها بائسة بينما حياة زميلاتهن أكثر سعادة ومرحًا وغبطة .

توقفن لأخذ قسط من الراحة في شارع تشانان الشرقي ، وينتظرن بداية اجتماع المسيرة .

فتحت نوافذ فندق بكين ومباني الإدارات التابعة للجنة المركزية على الجانبين ، وراحت جموع الناس تنظر إليهن وتحيهن . وقفن في دائرة ورحن يلعبن لعبات "تساي ليشيو" ، "دون لوبوا" ويرقصن رقصًا جماعيًا ، وفي ظل حب واهتمام الزميلات ، تعلمت ماري هي الأخرى إحدى الرقصات ، تحرك قدميها حركة

متثاقلة، ولا تستطيع أن تندمج فى الرقص . أعدادهن تتزايد شيئاً فشيئاً ، واتسعت الدائرة حتى أغلقت الشارع . جلسن القرفصاء وراح أفراد الإسعاف والإرشاد والتوجيه ، يعبرون من فوق رؤوسهن ، وتجمعت حولهن الطالبات صفوفاً ، من بينهن صف كامل يعلق طالباته عقود الزهور فى أعناقهن ، وصف آخر يحملن سلال الزهور الصغيرة فى أيديهن وإذا نظرت بعيداً يمكن أن تشاهد صفوف طلاب الجامعات ، وذلك صف طلاب الكلية الجوية الذين يرفعون فوق رؤوسهم نموذج ضخمة لطائرة نفاثة . . . انظرن ، وبدأت ماري تشعر فجأة أنها لا تحتمل كل هذه الانطباعات . تريد أن تحصى عددهم ، لكن العدد لا يحصى ، تريد أن تصيح استحساناً ، ولكن الصيحة لا تخرج . فوقفت فى مكانها تنظر مندهشة ذاهلة ، ثم بدأ الاجتماع ، وارتفعت مئات الألوف من الرؤوس متحدنين الريح والعواصف ، وبدأت تتوالى أصوات طلقات المدافع التى تهز أرجاء المكان ! وارتفع العلم الأحمر مرفقاً ، وبدأ عزف السلام الوطنى والنشيد العالمى ، ورقصت سحابة بيضاء فى علياء السماء ، ورمى آلاف من الناس أزهارهم نحو باب تيان آن من ، وطارت باللونات وحمائمات فى الهواء ، واهتزت الأرض بأصوات الترحيب والهتاف " عاش الرئيس ماو ! ، شعار واحد أصبح هتاف الملايين وهتاف الملايين توحد فى شعار واحد. وأخذت ماري تصيح مع الجماهير وهى تترنح وكأنها تسير وسط بحر متلاطم الأمواج . الشمس ترسل أشعتها من خلال قطع السحب الخفيفة المتحركة فى صفحة السماء فيبدو وكأن هناك عشرات الألوف من الخيوط الضوئية تسطع فى ميدان باب السلام السماوى. أغمضت ماري عينيها ، فهى لاتعرف إلى أى مكان وصلت ، حرك المشهد العظيم مشاعرها حتى إنها لم تعد تحتمل ، وكادت تهوى إلى الأرض . أمواج الجماهير الجامحة المتدفقة تجرفها ، إنها لم تعد تحتمل ، وكادت تهوى إلى الأرض . أمواج الجماهير الجامحة المتدفقة تجرفها معها إلى الأمام ، وهى تحاول جاهدة أن تحتفظ بتوازنها.

وأثناء عودتها من شارع نا نتشانغ ، سمعت فجأة من ينادونها باسمها ، ورأت مجموعة من الطلائع الصغار المتزاحمين فوق الرصيف يلوحون لها ، أخذتها الدهشة لحظة ، ثم تذكرت فجأة ، يا إلهي ، إنهم صبية دار الرحمة ، مضت ثلاث سنوات ، اشتد فيها عودهم ، وانخرطوا في صفوف الطلائع ، لقد تغير كل شيء إلى مثل هذا الحد الخطير . . . . . والتفتت فإذا بفرق الموسيقى العسكرية بين صفوف المسيرة يقرعون الطبول بأصوات تزلزل الأذان .

\* \* \*

ألقت ماري بنفسها فوق الفراش منهكة خائرة القوى ، لم تتناول طعام العشاء أيضاً ، ، راحت بين أصوات وقع المطر تفكر في كلام جوزيف لي ، وفي خطئها الجسيم ، وتفكر في كيفية حماية الكنيسة المقدسة . لكنها لم تستغرق في ذلك ، حيث كان يقطع حبل أفكارها الرايات المرفرفة التي لا تحصى ولا تعد حيناً ، والفتيات اللاتي يمضين حاملات باقات الزهور حيناً آخر ، وأصوات الهتاف الحماسية التي تشبه الرعد تارة ، وتلويح أيتام الماضي الذين أصبحوا الآن أعضاء في تنظيم الطلائع . . . . . هل يمكن أن يكون كل ذلك من إغراءات الشياطين .؟

الشیطان ، جهنم ، فناء الروح ، كل هذه الكلمات تتراقص أمام عينيها ، وتجتمع لتكون سحابة داكنة تزحف عليها . إذا كان كل ما في ميدان باب السلام السماوي الأعيب شيطانية ، وإذا كانت يانغ تشيانغ شيطانة ، وكذلك يوان شن تشي ، وكذلك أيضاً المرضات اللاتي يرفعن شعار الصليب الأحمر ، والطلائع الصغار الذين يلوحون لها بالتحية ، إذا كانوا كلهم شياطين فلماذا إذن يبدو على هذا النحو من اللطف والدعة ؟ هل يمكن أن يكون الشيطان قد بدل قلب ماري؟ لماذا تشعر ماري بأنهم أناس طيبون ، بل تحبهم ؟ وتحب مسيرة عيد "يوم أول مايو" ؟ وإذا كانت كل زميلاتهن من الشياطين ، هل يمكن أن تكون ماري المسكينة هي

وحدها حصن الدفاع عن القديسة العذراء؟ لماذا يحيا الإنسان؟ هذه الشياطين الكثيرة تغريك، حتى يلقي بك فى جهنم بعد الموت . . . . .

والعالم كله ، بما فيه جوزيف ومارى نفسها مهدد بالانهيار ، وكأنه يقف على حافة الهاوية ، مائة علامة استفهام بل ألف علامة استفهام تتقاذف فى حيرة داخل هذه الحجرة الشرقية الصغيرة المليئة بفضلات الفئران .

إن أصوات الموسيقى التى تتهادى مع الريح قادمة من ميدان باب السلام السماوى تشبه النيران فى حماستها، سمعت صوت خفيف فى الفناء، إنه صوت دفق المياه من قصى الزهور الخالية على السلم الخارجى بعد أن امتلأت بمياه الأمطار .

الأضواء تتلألأ فى ميدان باب السلام السماوى الذى يموج ببحر من البشر، عندما وصلت تشن بوا وصديقتها ، لم يكن عرض الألعاب النارية قد انتهى بعد ، أصوات الفرقة تدوى والشرر يتطاير فى السماء ، اللون الواحد يتحول إلى عدة ألوان وشعاع الضوء الواحد يصبح رقعة ساطعة ، تنثر فى صفحة السماء أضواء رائعة متلونة ، ثم لا يبدو لها أثر فى لمح البصر ، ولا يتبقى إلا مساحات من الدخان تنتشر مع الريح هنا وهناك .

وهناك أيضا الشرر الصغير الذى يتطاير ويلتصق بالباراشوتات الورقية التى تحلق فى السماء فيبدو مثل النجوم الصغيرة فى بداية ظهورها فى سماء يوم مطير .

ماذا يعنى المطر بالنسبة لمباهج العيد؟ إن هذا المطر لم يمنع أحدا من الذهاب ، بل على العكس ، زاد الصراع مع المطر من مظاهر البهجة والسعادة ، فكثيرا ما كانت المعاطف الحمراء التى يرتديها البعض تبهت اللون الأحمر على القمصان البيضاء التى يرتديها البعض الآخر أثناء الرقص الجماعى ، وكثيرا ما كان الشباب المتزاحمون يدوسون بأحذيتهم المبللة والملوثة بالطين على أقدام الفتيات ، أو ينفضون





وبدت تشيانغ يون كأنها فهمت الأمر ، فمدت يديها الباردتين بسبب تبللها بماء الأمطار وجذبت تيان لين من يده ، قائلة بصوت خفيض : " هيا ، هيا لترقص معنا ، ماذا يضيرنا لو ازددنا واحدا؟

وبعد أن أحس بالصدق وحسن النوايا من جانبهما ، اشترك تيان لين فى الرقص على مضض ورقص "رقصة الدعوة البسيطة" .

وعندما دعتة إحدى فتيات الطلائع للرقص معها ، ارتبكت حركة قدميه ، مما جعلها غير قادرة على مقاومة الضحك .

وبدلاً من العودة إلى الدائرة ودعوة شخص آخر للرقص ، هرب تيان لين من الدائرة ، ووقف على بعد خشية أن يدعو شخص آخر للرقص . وما هى إلا لحظات حتى عادت تشيانغ يون من جديد ، حاولت الكلام مع تيان لين ، لكنه انعقد لسانه ولم ينطق بكلمة .

انتهى عرض الألعاب النارية ، وبدأ المطر يتوقف تدريجياً ، وراحت أبواق الإذاعة تعلن : "دخلنا الآن فى النصف ساعة الأخير ، وليرقص الجميع بكل ما أوتى من حماس ! صدرت عن الطلاب أصوات التعجب ، فوقت نفص الهموم يمضى بسرعة كبيرة ثم راحوا يرقصون بحماس أكبر . والتهبت كل حلبة من حلبات الرقص . ازدادت آلام ساق تشن بوا لدرجة لا تحتمل ، كأن الألم سرى فى كل أعصابها . وشعرت أيضاً بالإرهاق ، لكنها تحملت كل شىء وراحت ترقص بكل طاقتها ، واختلطت مياه الأمطار بقطرات العرق . وقالت فى نفسها : "اليوم أول مايو" ، يوم من الأيام الرائعة ، وليس لى الحق فى أن أحرم نفسى من السعادة ، أو أن أقسو عليها فى هذا اليوم . على أن أرقص ، وأرقص ، ما دام الرقص لم ينته بعد وليرنى الجميع وليعلموا أننى أرقص رقصاً سريعاً وجميلاً ! إننى لا أعرف ماذا نواجه فى حياتنا ، ربما السعادة ، وربما عدم السعادة ، لكننى لا أخشى شيئاً ، ولا أعبأ بشىء أيضاً ، لماذا أريد أن ، فجأة ؟ إن الوقت يمضى بسرعة ، ولم أرقص بعد بالدرجة الكافية . . . . . إننى أرقص منذ طفولتى . . . . . "

لم تتوقف الموسيقى الراقصة ، ولم ينته الحفل ، عزف الفتية على الأوكرديون وراحوا يغنون ويرقصون بأنفسهم ، وفي النهاية لم تستطع تشن بوا أن تواصل الرقص ، فقد بدأت تترنح كأنها شربت حتى الثمالة ، وأخذت طريقها عائدة إلى المدرسة .

سأل تيان لين نفسه : " لماذا أعذب نفسي ؟ فقد وقف على قدميه أكثر من ساعتين وتركته تشن بوا جانباً وذهبت حتى دون أن تنظر نحوه نظرة واحدة ، الرياح شديدة البرودة وقميص تيان لين القشدي اللون المبلل بماء المطر يلتصق بجسمه ، ورباط العنق الذي ربطه حول عنقه خصيصاً هذه المرة كم يبدو مضحكا !

توقفت تشن بوا بعد أن قطعت عدة خطوات التفتت وتلفتت حولها في كل مكان ، نسي تيان لين كل شيء وانطلق نحوها كأنه يطير ، ها أنا ذا ، أنا هنا ، هل نعود ؟

..... وصلت ماري إلى جوار سور دار الرحمة العالية ، استندت إلى جزع شجرة تين مزهرة ، يوجد بئر أسفل هذه الشجرة ، نظرت ماري إلى فتحة البئر فإذا بأصوات موسيقى تنبعث من الداخل ، وبعد لحظات صعد من البئر شيء ذو لون أحمر قرمزي ، إنه بالون ، مدت ماري يدها لتمسك بها ، لكنها لم تستطع وراحت البالونة تحوم حول شجرة التين ، هبطت البالونة شيئاً فشيئاً ، واقتربت منها ماري فإذا بها ليست بالونة بل هو طفل صغير ، شعره مجعد بعض الشيء ، وشفاه منفوختان متورمتان بارزتان ، ويحتضن بين ذراعيه حمامة السلام ، وهو يتسّم لماري .

" من أنت ؟ "

" ..... "

" من أنت ؟ "

" . . . . . "

لم يأبه هذا الطفل بها ، مضت ماري نحوه وراحت تنظر إليه من رأسه حتى  
إخمص قدمه ومن إخمص قدمه حتى رأسه ثم صاحت في سعادة :

" ماوماجواي ! "

ابتسم ماوما جواي ، وأطلق حمامة السلام التي طارت عاليًا في السماء وهي  
لا تتوقف عن الهديل . لكنه مازال صامتًا . احتضنته ماري وقبلت شعره وعينيه ويده  
الصغيرة ، وقالت ماري وهي تبكي " :إنني كثيرا ما أذكرك ، كثيرا ما أتذكرك  
. . . . . " وتساقطت دموعها على الأرض حتى كونت نهرا صغيرا تنساب فيه  
الدموع ، لكن ماوما جواي مازال يلتزم الصمت . وفجأة أدركت أنه ليس ماوما  
جواي ، ولكنه ذلك السكر صاحب الأنف الأحمر ، الذي مد يده ذات الشعر  
الكثيف ليمسك بماري ، وقال بصوت عال أنا زوجك ، أنا يامينغ ! . . . .  
. . . . .

\* \* \*

استيقظت ماري منزعجة في منتصف الليل ، وأخذت تستند على الحائط وهي  
تتحسس طريقها نحو الفناء . توقف سقوط المطر ، وهبت الريح من جديد . أضواء  
الكشافات تتألأ في السماء ، انسياب المياه الراكدة ما زال مستمرا ويحدث أصوات  
خرير خفيضة ، السحب تنقش شيئا فشيئا وكشفت بعض النجوم عن وجهها ،  
تبينت ماري ظلال الصليب الغامض الكائن على قمة الكنيسة الصغيرة . وما إن  
رأت الصليب في جو بارد مظلم ، حتى كاد قلبها يتوقف عن النبض ، وودت لو  
تدخل الكنيسة - حتى لو كان ذلك زحفاً على الأرض - وأن تشعل المصباح  
الأخضر فوق تمثال السيدة العذراء ، حارت عينا ماري ، ودب الضعف والوهن في  
جسدها ، وركعت على ركبتيها أمام تمثال السيدة العذراء طالبة منها العون والنجاة :

يا ينبوع الصدق والطهر والخلق القويم ، اروي نفسى الظمأى من نور الحقيقة  
الأبدية ،

.....

لقد قهرت الشر والموت ،

ليتك تبعدين عنى هذا الشر حتى لا أبرح الرب أبدا ،

ولا أصبح سجينة جهنم . . . . "

راحت مارى ترتل هذه الدعوات والابتهالات وجسدها يرتج وكأنها عثرت على  
طوق النجاة وسط موجات البرد اللاذع . رفعت رأسها ، وسال الدمع على وجهها ،  
وتصببت عرقا ، ونظرت إلى ملامح العذراء التى تفيض بالرحمة . وراحت  
العذراء الطاهرة تبادلها النظرات الوداعة الصادقة ، فهذأت نفس مارى بعض الشيء  
. . . . . حيث اكتشفت فجأة أن السيدة العذراء هى الأخرى مسكينة ، وحيدة لا  
مؤنس لها ، تقبع وحدها فى الظلام ، تفيض عيناها حزنا وأسى ، وتحنى رأسها فى  
وهن وضعف ، وراحت تنظر إلى فتاتها الصغيرة ، إلى فلذة كبدها فى غير حول  
ولا قوة وهى تقاسى الأمرين من آلام الحياة التى لا حدود لها .

العنبر يسوده ظلام دامس ، وعندما عادت تشن بوا ، كان الجميع قد أسلمن  
أنفهن للنوم . اتجهت نحو سريرها ، أعصابها مكدودة متعبة ، غير قادرة على  
المسير ولو خطوة واحدة أخرى .

الألم فى ساقها كأنه نيران ملتهبة ، ويبدو ان متيستين كأنهما قطعتان  
من الخشب وتشعر بالخدر والتنميل يسرى فيهما من الداخل ، حتى إنها تود  
لو تقطعهما . التقطت أنفاسها وهى تخلع الحذاء الذى كان مليئا بالماء ، قلبت  
الحذاء ، فإذا بالماء يسيل منه . وبهت لون الجورب فانطبع على قدميها الصغيرتين .

وتورم مشطا قدميها وكعباها من أثر الماء ، وابيض لونهما مثل لون خبز المانتو  
المغموس فى الماء ، توقف المطر تماما ، وهبت الريح من جديد ، تلك الريح التى

تدفع السحب بسرعة ، القمر يطل برأسه على استحياء ، وضيأؤه يتسلل إلى النافذة من علياء السماء ويسطع على فراش تشن بوا التي سحبت اللحاف المحشو بالقطن على ساقها وأسندت رأسها إلى الوسادة وأغضمت عينيها وراحت تفكر في صمت عميق .

" لقد كان عيد " أول مايو " رائعا هذا العام ، فقد قضى الجميع هذا اليوم في مرح وحيوية ، أيمكن أن أكون قد عاملت تيان لين على نحو غير لائق ، لقد سعى إلى من بعيد ، ولم يكن من الواجب أن أسبب له حرجاً . ولكن ذلك . . . . لم يكن ممكنا . . . . فهو شخص طيب إلى حد كبير ! ولكنه أيضا غير مطيع . ماذا أملك من حيلة ؟ ساقى اللعينة لماذا تؤلمني في ذلك اليوم بالذات ، لقد تعبت كثيرا ، ففي هذا اليوم كانت الأشياء السارة وغير السارة من الكثرة حتى لا يمكن إحصاؤها ، إنني لم أعش من قبل يوماً مزدحماً مثل هذا اليوم . حقا ، يجب أن أكون صريحة مع نفسي ، إنني ذات عزيمة ، ولا أخاف شيئا .

إنني لم أبذل جهدا في المذاكرة في الآونة الأخيرة . . . .

ما لأفكارى تتشتت رويدا رويدا ؟ ربما أنني أريد النوم ، فلأنتم . . . . سعلت تشوشيا ولينغ ، مما جعل تشن بوا تستيقظ من جديد . شعر تشوشيا ولينغ المبلل بالماء منثور فوق المخدة ، إنه شعر طويل ، دفعت اللحاف بقدمها فاتقشع عن كتفيها . مشت تشن بوا وهي تتحسس طريقها بذراعيها وقدميها وشدت اللحاف وغطت صدر تشوشيا ولينغ . عندما اقتربت من سرير شياولينغ اكتشفت أن فراش تشيانغ يون ما زال خاويا ، أين ذهبت إذاً يانغ تشيانغ يون ؟ وكيف لم تعد بعد ؟ وجلست تشن بوا حائرة قلقة على فراش تشيانغ يون تنتظرها بعض الوقت ، ثم أخذها النوم وهي في فراش تشيانغ يون .



وفى ليلة عيد "أول مايو" بحثت يانغ تشيانغ يون عن تشانغ شى تشون فى كل مكان فى ميدان باب السلام السماوى .

وأثناء المسيرة التى أقيمت فى النهار توقف صف طالبات المدرسة الثانوية السابعة للبنات على ناصية حارة "جنيو" ليفسحن الطريق لبعض صفوف من طلاب الجامعة . وأصبحت طالبات المرحلة المتوسطة اللاتى يأخذن قسطا من الراحة ناقدات لمسيرة طلاب الجامعات وتجمعن جماعات متفرقة وهن يبدن آراءهن وملاحظاتهم حول صفوف الجامعيين مستعينات بإشارات الأيدي فى التعبير، وشاهدت تشيانغ يون عن غير قصد طالبا يضع شارة "كلية جولوجيا بكين" ، فأسرعت تبحث بقية الصفوف عن تشانغ شى تشون، نظرت إلى الخلف فلم تجده ! آه ، لقد مضى تشانغ شى تشون إلى الأمام ! يرتدى قميصاً أحمر وسروالاً رياضياً أبيض اللون ، ويحمل علماً أحمر كبيراً ويمشى فى خطوة رسمية مهيبة ، وقد أثار منظره هذا ضحك تشيانغ يون التى صاحت بصوت عال: "تشانغ شى تشون ! نادى عدة مرات حتى التفت برأسه ، رأت وجهه الأسمر اللامع ، لكنه لم يرها، فى ذلك الوقت دوى نفيير صفارة طويل ، وواصلت صفوف طالبات المدرسة الثانوية السابعة المسير .

لقد تركت هيئة تشانغ شى تشون المهيبة وهو يحمل العلم الأحمر الكبير لدى تشيانغ يون انطباعاً بالرضا والسعادة الشديدة ، تلك الهيئة التى لا يمكن أن تنساها من بين كل أحداث المسيرة ، فقررت أن تبحث عنه فى مساء اليوم نفسه، ميدان باب السلام السماوى واسع فسيح ، قصده فى المساء مائتا ألف شخص على الأقل للمشاركة فى الاحتفال كيف يمكن إذن أن تبحث عنه ؟ ولكن لم يسمع قط من قبل أن تشيانغ يون إذا أرادت أن تفعل شيئاً يمكن أن تتراجع عنه . .

تحدثت تشيانغ يون مع تيان لين لبعض الوقت .

إنها تتعاطف معه تعاطفًا شديدًا ، وكان يتحدث معها بلا رغبة وبلا حماس .  
أطلقت تنهيدة طويلة وانصرفت .

إذا أردت البحث عن تشانغ شى تشون ، يجب أولاً أن أبحث عن حلقة الرقص الخاصة "بكلية الجيولوجيا" ، ومن ثم راحت تشيان يون تنظر حولها في كل الجهات . كان المكان شديد الزحام أمام الميدان في ذلك الوقت ، وكان المارة ذهاباً وإياباً يضطرون إلى الاستناد بأيديهم على أكتاف الذين أمامهم فيشكلون صفا متماسكاً يتحرك مثل الثعبان الطويل . وقفت تشيانغ يون في وسط أحد ممرات المشاة ، فعرضت نفسها لتدخل أحد المتطوعين لتنظيم المرور الذى قال ، "أيتها الرفيقة لا تعوقى الطريق من فضلك"

انتحت تشيانغ يون جانباً ، ورأت الشارة الحمراء التى يضعها المتطوع لتنظيم المرور . فسألته بسرعة : أين يرقص الزملاء من طلاب "كلية الجيولوجيا" ، هز ذلك الشخص رأسه مبتسماً ، وذهب يؤدي عمله فى جانب آخر . ولم يكن ممكناً أن تتركه تشيانغ يون يمضى بسهولة فلاحقته وقبضت على كتفه بيدها وهى تلح ، "إذا سمحت ، من فضلك ، من فضلك ! وكانت تمسك به بينما تناديه بكلمة من فضلك . التفت المتطوع ونظر لتشيانغ يون نظرات تفيض غضباً ، انحنت انحناءة بسيطة لتحيته وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة . لم يستطع إلا أن يقول لها : "اذهبي واسألى مركز القيادة عند أعمدة المدخل الغربى" .

كانت تشيانغ يون تقاوم تدافع الملاحمين لها وتزاحمهم فى جسارة وشجاعة وهى تشق طريقها نحو المدخل الغربى . الأرض متزلقة ، وجموع الناس غفيرة ، والكل يتدفق من هنا وهناك ، مما يجعلك دائماً غير حر الحركة ، فردت تشيانغ يون ساعديها بمحاذاة جسمها وراحت تمضى فى تعاريج ومنحنيات وتقرب من مقصده .

\* \* \*



يا حامل العلم ، خمن من أنا ؟ وكانت يانغ تشيانغ يون قد وضعت يديها على عيني تشانغ شى تشون الذى كان يقف خارج حلبة الرقص ليأخذ قسطاً من الراحة .

لم يخمن تشانغ شى تشون وتركها تستمر فى وضع يديها على عينيه ، بل ولم يتعجل إبعادهما " وتحرير نفسه " وبعد لحظة فض يدي تشيانغ يون الباردتين بيديه القويتين دون أن يتفوه بكلمة .

" آه ! أطلقها تشانغ شى تشون الذى اكتسى وجهه بمياه الأمطار وبدا أكثر صحة وحيوية كلما لمع تحت وهج ضياء الكهرباء ، وكأن كل عضلة وكل جزء فى وجهه قد انصهر وتجمد ونحت بدقة متناهية . وراح ينظر إلى تشيانغ يون وفمه فاغر فى سداجة وبراءة ، ولكنه عندما يبتلع ابتسامته يصدر من عينيه تعبير يوحى بالغضب .

سألها تشانغ شى تشون فى شىء من الريبة والسخرية : " أمازلت تذكيرىنى ؟ "

" ما هذا الكلام !؟ ، هل تعرف كيف وصلت إليك هنا ؟! وراحت تشيانغ يون تسرد له فى تأثر جم المعاناة والصعاب التى تغلبت عليها فى " رحلة البحث الطويلة عنه " وكانت تتكلم بينما تنفض الماء من على قميصها وسروالها .

نهض تشانغ شى تشون فى يقظة واهتمام ، وراح يضرب الأرض بسن حذاء قدمه اليمنى فى رفق ولين وهو يحجب الابتسامة ، وكأنه يقول : " آه ، يا فتاة إنك تعتقدين أن بحثك عنى أمر شاق ، لكنك لا تعرفين أن بحثى عنك أكثر صعوبة ومشقة . . . . . "

كانت هذه المجموعة من طلاب الجامعة يرقصون رقصة الصداقة ، ويعزفون على بعض الآلات الموسيقية الغربية مثل النفخ فى الكلارنيت والترمبون، والعزف على الجيتار ، وقرع الطبول ، وكانوا يرقصون أزواجاً فى رقصات جميلة رائعة .

سألها تشانغ شى تشون " هيا ؟ " فأومأت تشيانغ يون برأسها وانطلقا للمشاركة فى حلقة الرقص "

وسألها : " هل أنت على ما يرام ؟ " وكان صوته رنانا مثل الجرس .

أبانت تشيانغ يون عن أسنانها الناصعة البيضاء وهى تقول : " نعم ، أنا على ما يرام ، وانحدرت قطرة من مياة المطر إلى فمها فأدارت رأسها وبصقت .

قال تشانغ شى تشون وهو يرقص بخطوات بطيئة : " إنك مقصرة ، مضى نصف عام دون أن ترينى " .

لاحقته تشيانغ يون فى دعة ورقة : " لكننى أفكر فىك دائماً " . " إنك ترقصين رقصا جيدا " .

" لقد انتقلنا إلى مبنى جديد ، فى ضاحية المدينة . "

" وكيف أبحث عنك؟ "

قال تشانغ شى تشون وقد أبطأ الخطى حيث يتقدم خطوة واحدة مع كل نقرتين : " المبنى الشرقى الثالث حجرة رقم ٥٠٣ " .

" ماذا ؟ "

" المبنى الشرقى الثالث حجرة رقم ٥٠٣ " .

أخذت تشيانغ يون تردد هذا الرقم فى نفسها ، وقد أغلقت فمها كأنها تبتلعه ، ثم قالت : " حسنا ، لقد حفظته " .

" هل تجيد الرقص فى اتجاه واحد مثل عقارب الساعة ؟ إن كل أهل شمال شرق الصين يرقصون هذه الرقصة " .

هز تشانغ شى تشون رأسه وهدأ إيقاع الخطى بطريقة رقيقة مهذبة .

"إذن أقودك لترقص هذه الرقصة"

لم يرد تشانغ شى تشون ، فهو يرى أن هذه الفكرة تمثل إهانة له ، لذا أمسك بها وظل صامتاً دون حراك .

وفجأة قالت تشيانغ يون : "لقد أصبح مستواى فى رسم الخرائط رائعاً فى الآونة الأخيرة ."

قال تشانغ شى تشون فى صدق ودون أدنى استعراض "أهنتك" وأضاف أن إدارة المدرسة أثنت عليه ثناء حسناً فى الفترة الدراسية الماضية "

أخذا يرقصان رقصات هادئة ، لم تطق تشيانغ يون صبرا وقالت وهى تستحته : "لماذا تبدو رقصاتك على هذا النحو التقليدى المتكلف؟"

لم يسمعها تشانغ شى تشون بوضوح .

"إنك ترقص مثل المسنين من كبار رجال الأعمال ، أو مثل ضابط روسى برتبة فريق متقاعد فى القرن السابع عشر ، هل تخشاني؟"

أثار كلامها غضب تشانغ شى تشون الذى انطلق يدور بها بسرعة شديدة دون أن يومئ بإيماءة واحدة ويده اليسرى تقبض بشدة على يدها ، بينما تلف يده اليمنى خصرها بشدة ، ومع كل فاصل موسيقى يدور ثلاثمائة وستين درجة .

كانت تشيانغ يون تركز بأصابع قدمها على الأرض ، وتدور معه دون أن تبذل جهداً وهى تلتقط أنفاسها بينما تقول ضاحكة : "أسرع مزيداً من السرعة !"

"در ، لا تكف عن الدوران !"

"لا جدوى منك ، هل تعبت؟ أصابك الدوار ؟"

"لا تدس على قدمي ، يالك من لبخة"

احمر وجه تشانغ شى تشون البرىء ، وراح يدور باستماتة ، لم يعبأ بهيئته ، بل ترك كل فنون ومهارات الرقص جانبا . وبعدها لم يعد يسمع شيئا حتى الموسيقى ، ولم يهتم ما إذا كانت رقصاته تنسجم مع الفواصل الموسيقية ، بل راح فقط يدور ، ويدور ، ويدور . شعرت تشيانغ يون بيدها تؤلمها من جراء قبضته عليها فسحبته منه ، ومالت بجسمها مستندة إلى ذراعه اليمنى وراحت فقط تركز على طرفى قدميها وهى تتحرك فى خطوات خفيفة متلاحقة وتدور فى خفة ورشاقة . وكانت كلما ضاعف تشانغ شى تشون من جهده ، خفضت هى من جهدها ، وكانت ترفرف بيده كأنها تريد أن تطير من على الأرض . منظر ميدان باب السلام السماوى يداعب العيون باستمرار ، الأضواء المبهرة تتلألأ فى السماء كأنها آلاف من التينات الذهبية الراقصة . وما إن يظهر أمام أعينها زوجان من الراقصين حتى يختفيان بسرعة ، وهما يرقصان كأنهما يكادان يطيران ، ينظر إليهما الآخرون فلا يشعرون .

وهكذا ظلا يرقصان حتى ظهرت تباشير الصباح

\* \* \*

وفى صبيحة اليوم الثانى من مايو ، كانت تشيانغ يون قد بدأت تغط فى نوم عميق ، رأت فى المنام أن ثعباناً صغيراً يزحف على ذراعها الأيمن ، فتململت وتقلبت ثم واصلت النعاس . لكن مازال هناك شىء ما يحتك بذراعها . ويمنعها من النوم ، فأخذها الغضب ، وأرادت أن تلفظ ببعض الشتائم ، لكن فمها لم يفتح ، ثم أخذها النوم وكأنها سقطت فى هوة سحيقة مظلمة ، تغوص فيها شيئا فشيئا . . . . . وفجأة أحست بشىء يحتك بها من جديد ، فتحت عينيها وهى تغالب نفسها ، رأت أمامها شيئا بنى اللون يظهر منه رأس إنسان ينادى بصوت يشبه طنين البعوض يانغ تشيانغ يون ! . أغمضت عينيها ثم فتحتها ، فإذا باللون البنى يتراجع ، ورأت سونينغ واقفة إلى جوار فراشها .

يانغ تشيانغ يون ! وكان باديا على وجه سونينغ علامات الاضطراب والقلق ، ولم تكن قد ارتدت ملابسها جيدا ، فياقة قميصها مثنية إلى الداخل .

أطلقت تشيانغ يون تهاوية شديدة ، حتى إن زفيرها مرق بجوار أذني سونينغ ، ودفعت الغطاء وجلست ، وقالت ورأسها محنية نحو صدرها: " ياه ، كيف رقدت في فراش تشن بوا ؟ "

كانت قد نامت دون أن تخلع ملابسها المبللة بالماء ، قميصها الجميل وجونلتها الأنيقة مكشكشان ومنكسران كأنهما جبين سيدة عجوز . تطريز الوسادة ترك أثرا أحمر على خدها ومازالت آثار الطين على قدميها " استندت بيدها على عارضة السرير وسألت سونينغ في صوت لا يخلو من الخشخشة : " ماذا وراءك ؟ " .

" أريد أن أقول لك شيئا " . قالتها سونينغ بصوت خفيض ، وما زالت الزميلات في الحجرة نائمات .

أومأت تشيانغ يون برأسها إيماء مؤكدة . لبست حذاءها ، ونهضت من مجلسها ، ولم تكذب تعتدل حتى استندت إلى سونينغ وعادت تجلس على السرير من جديد .

" ماذا حدث لك ؟ " .

أفاقت تشيانغ يون تماما الآن ، وراحت تدور بإصبعها أفقيا في الهواء وهي تقول : " إنني أشعر أن كل شيء يدور من حولي . " وسعلت وضحكت .

أحضرت سونينغ إناء غسل الوجه لتشيانغ يون ، أخذته منها تشيانغ وهي تشكرها .

الشمس أشرقت لتوها ، الحشائش النضرة التي غسلها المطر تمد على الأرض ظلالها الطويلة ، برك مياه الأمطار في كل مكان ، تتبخر ببطء على أثر حرارة

شمس الصباح . ألقى المطر بلوحتى الإعلانات اللتين علقهما اتحاد الطلاب على الأرض حتى لم يعد لها أثر واضح . السماء صافية ، غير أن هناك قطعا من السحب المروحية الشكل التي تبدو في الجنوب من بعيد . أولئك الذين كانوا فى سعادة ومرح مجنون فى الليل ما زالوا غارقين فى أحلامهم ، ولا تسمع أصوات الصفارات والأجراس ، فقط هناك أصوات الترويللى باص تسمع من حين لآخر . وبعد مرور يوم " أول مايو " المليء بالحماس الملهب ، يبدو اليوم هادئا على نحو خاص ، وكأن الجو الذى انهمر بالمطر ليلة أمس يبدو فى غاية الصفاء والسكون فى اليوم التالى . لم يكن فى الفناء سوى البواب الذى راح يلعب مع طفل صغير .

لوح الطفل الصغير الذى يرتدى شورتا بحمالات إلى تشيانغ يون قائلا :  
عروس ، عروس "  
" ماذا تقول " .

قال الرفيق البواب موضحاً فى سعادة وكأنه لا يذكر سوء التفاهم الذى وقع بينه وبين تشيانغ يون : إنه ابن حضرة الناظرة ، وعندما يرى فتاة جميلة الملبس يصيح قائلا إنها عروس . "

اقتربت سونينغ من هذا الطفل الصغير وأخذت تداعبه ، بينما ذهبت تشيانغ يون لتغسل وجهها .

غسلت وجهها . صعدتا إلى شرفة المبنى الدراسى حديث التشييد ، وقد أمكنهما من هذه الشرفة رؤية أسقف الحجرات الرمادية المتزاحمة النظيفة ، والملاعب الفسيحة ، وبوابة المدرسة المعلق عليها أقواس الزينة الملونة ويتوسطها العلم الوطنى . وإذا نظرنا بعيدا بعض الشيء يمكن أن نرى ملتقى الطرق وشرطى المرور الذى يعمل فى دأب وإخلاص ، ويصدر إشارات ييمناه ويسراه ، تذكرت تشيانغ يون رقصات ليلة أمس الدائرية ، وتذكرت ملامح ذلك اليوم السعيد ، فابتسمت وتنهدت تنهيدة خفيفة وهى تقول ، لقد انتهى عيد يوم أول مايو .

ابتعدت سونينغ عن أشعة الشمس ، وأخذت تشيانغ يون وجلستا فى أحد جوانب الشرفة ، وقالت دون إعمال للذهن : " تشيانغ يون ، خبرينى كيف أتصرف ؟ أليس ذلك خروجا على القانون . . . سألتها تشيانغ يون " ماذا حدث ؟ هاتى من الأول . وهى تحاول إزالة الطين عن ساقىها ، وذكريات وانطباعات الليلة المطيرة وأضواء الكهرياء ، والرقصات الدائرية تداعب خيالها .

" كنت قد أخبرت أسرتى أننى سأعود بعد الساعة الثانية عشرة ولكنى تعبت بسبب هطول الأمطار بصفة مستمرة ، فعدت أدراجى إلى البيت فى الساعة العاشرة، وصلت إلى البيت ، وكان الباب مغلقا ، ولكن الشئ العجيب أن الباب الجانبى الصغير كان مفتوحا ، وهو باب حديدى مغلق لم يفتح منذ قيام الثورة ، فكيف أراه الآن مفتوحا ؟ اقتربت من هذا الباب الجانبى الصغير ، فرأيت عربة يد فى مكان غير بعيد مغطاة بغطاء من البلاستيك، أخذتنى دهشة شديدة، دخلت من الباب الصغير ، فوجدت النور مضاء فى الحجرة الغربية التى تخزن بها الأشياء القديمة ، تلك الحجرة التى كان يوضع بها تابوت جدى وجدتى ، لقد كانت دائما مغلقة بالقفل ، اندفعت إلى داخل هذه الحجرة دون تفكير ، فشاهدت شخصين . . .

" من هما ؟ " ورفعت تشيانغ يون حاجبىها فى تعجب ودهشة ، وبعد أن بدد كلام سونينغ ذكرياتها الجميلة عن يوم العيد .

استطردت سونينغ تخبر تشيانغ يون بأن الشخصين كانا أباهما وشخص آخر غريب عنها ، وإن أكثر ما أثار دهشتها أن الحجرة كانت مليئة بأكياس الدقيق ، بها ما لا يقل عن عدة مئات منها . منها جزء وضع حديثا، وهذا الشخص الغريب يضع قطعة من القماش على كتفه، الأضواء الصفراء الباهتة تكشف عن جو مليء بغبار الأتربة وذرات الدقيق المتطايرة ، ويمكنك أيضا أن تشمى رائحة هذا الدقيق الجديد ،

وقد ارتبكا لمجىء سونينغ والتفتا فى خوف كأنما أصابهما مس من الشيطان ،  
وظهرت على وجهيهما علامات القلق والضجر وتعرف عليها والدها ، فقال لها فى  
لهجة حادة

" فيم جئت إلى هنا ؟ "

ردت فى ارتباك " أنا ؟ رأيت . . . . . "

" ماذا رأيت ؟ "

أجابت سونينغ . " رأيت النور مشتعلًا ، فدخلت . "

وشاهدت فى ضوء هذه الأنوار الخافتة الباهتة لوحا خشبيا موضوعا على  
الأرض ومصايد الفئران على جوانبه الأربعة ، رأت أيضًا مقعدا يوضع عليه كثير من  
الأكياس الفارغة . أرادت أن تتحقق من هذا الشخص الغريب ، لكنه أعطاها  
ظهره ، واندرس مختفيا خلف أكياس الدقيق دون أن يصدر له نفس وكأنه غير  
موجود .

قال والد سونينغ أمراً " اخرجى ! "

وسألت سونينغ والدها فى ثبات " أبى ، لماذا اشتريت كل هذا الدقيق ؟ وهل  
يمكن أن نأكل كل هذا ! "

قال فى شيء من الرفق واللين وهو يطردها مرة أخرى " لا شأن لك بذلك ،  
انصرفى "

" أعتقد أنهما كانا يفعلان شيئاً مخالفاً للقانون . تشبثت سونينغ بقميص  
تشيانغ يون المكرمش وهى تستطرد قائلة لم أجد إلى النوم سبيلا من الخوف ،  
فالكل يلهو ويمرح أمام ميدان باب السلام السماوى ، ولكن بيتنا . . . رقدت فى



الفرش بعضا من الوقت ثم ذهبت لأرى ما حدث ، انطفأت أنوار الحجرة الغربية ، وأقفل الباب بإحكام بالقفل ، حتى إن الشك ساورنى فى أن ما سردته الآن كان من قبيل الأوهام .

استيقظت قبل أن يطلع النهار ، وذهبت لأرى هذا الباب الحديدى ، فشاهدت من الآثار ما يبين أنه انفتح ، واستبد بى الخوف . . . . . "

"ماذا تخافين ؟ أبلغى البوليس ! ولكن لماذا يكون أبوك على هذا النحو ؟ إن عامة الرأسمالين الآن . . . . . "

قطبت سونينغ جبينها فى غضب قائلة : "أنت لا تعرفين شيئا ، إنه ليس رأسمالياً عادياً ، لقد سمعت من أمى أنه قبل أكثر من عشرين عاما كان يقوم بعمل شديد الخصوصية ، حيث كان يقوم بتمييز اليوان الفضى الصحيح عن نظيره المزيف . كان يرمى اليوانات الفضية من يمينه إلى يسراه ، فإذا كان بينها يوانات فضية مزيفة مصنوعة من النحاس فإنها تحدث رنينا عالياً ، ومن ثم يمكن التقاطها . وأثناء عملية نقل اليوانات الفضية بين يديه ، يكفيه فقط إذا التقط يوانا مزيفاً أن يضرب على حافظته بظفر إصبعه الوسطى ليتأكد من تزييفه . . . . . بعد ذلك جاء اليابانيون إلى البلاد ، افتتح وكرراً للمخدرات ، ألا تفهمين ؟ محلاً لبيع الأفيون . بعدها جاء الكومينتانغ ، افتتح مصنعا خاصا فى عهد قريب . . . . . بينما يمكث الآن فى البيت بلا عمل من الناحية الشكلية . وعندما كنت قد بدأت إدراك ما حولى ، كان قد أثرى ثراء فاحشا ، لكنه مازال شديد البخل ، كان يجلس مساء كل يوم على الأريكة بعد تناول العشاء ، يعد أوراق العملة الصغيرة ، ويصنف الفكة ويرصها جيدا ، وكانت هذه هى سعادته الكبرى . . . . . لقد حصل على الابتدائية فقط ، لكنه بعد استسلام العدو اليابانى دفع بعض المصروفات لكى يتعلم اللغة الإنجليزية فى إحدى المدارس التكميلية الخاصة ، لكن صاحب هذه المدرسة كان

محتالاً ، حيث جمع هذه المصروفات وهرب بها . . . . . وقال أبى إن هذا هو المقلب  
الوحيد الذى شربه طوال حياته . . . . . "

نهضت تشيانغ يون من مجلسها وأخذت تروح وتجيء فى غضب ، فهى لم  
تصادف فى حياتها مثل هذا النوع من الناس .

استندت بيديها إلى سور الشرفة ، وراحت تلقى نظرة على الشوارع النظيفة .  
فكرت فى نفسها فى شىء من الألم والمرارة أيمكن أن تكون قدما مثل هذا الرجل قد  
وطأتا أرض هذا الشارع النظيف الجميل؟ وتذكرت ذلك الرجل برأسه المسطح  
الأصلع ، وجلبابة الرث القديم . . . . . وفجأة رأت تشن بوا تمر أسفل الشرفة ،  
فنادتها بصوت عال ، قفزت تشن بوا السلم وصعدت إلى الشرفة ، كانت قد ارتدت  
الملابس الرسمية الزرقاء المتواضعة ، وعيناها المتقدتان ترسلان نظرات قلقة غير  
مستقرة .

" عزيزتى يانغ ، هل عدت سالمة ؟ ياه ، لست قادرة على فتح عينيك . آه  
سونينغ أتخضرين فى مثل هذا الوقت المبكر .

سألت تشيانغ يون وهى تنظر إلى سونينغ طلباً للأذن :

" تشن بوا ، ما رأيك فى هذا الموضوع ؟ " ، أومأت لها سونينغ تعبيراً عن  
الموافقة ، ومن ثم بدأت تشيانغ يون تسرد لتشن بوا ما حدثتها به سونينغ لتوها .  
وفى النهاية عبرت تشيانغ يون عن رأيها بقولها " أرى أنه يجب كتابة بلاغ إلى  
السلطات المختصة . "

نظرت سونينغ إليها فى شىء من الضيق ، ثم نظرت إلى تشن بوا .

فقال تشن : " لقد مضت سنوات أربع على تحرير البلاد ، فكيف يستمر هذا  
الرجل فى ذلك ؟ "

أخبرتها تشيانغ يون قائلة : " إن أباهما ليس رأسماليا عاديا . . . . " سألت تشن بوا سونينغ " أترغبين فى إبلاغ السلطات عن والدك إذا ارتكب عملاً مخالفاً للقانون ؟ " وقد جلست هى الأخرى فى مواجهة سونينغ ، وراحت تداعب أصابع قدمها فى خفة ورقة .

أجابتها سونينغ فى صوت خفيض " طبعاً . . . . . "

" فكرى ثانية فى هذا الأمر ، حاولى أن تثنيه عن ذلك ، ولا بأس أن تحادثيه عن هذا الأمر بصراحة ، قولى له إن من يرتكب إثماً ، لا بد أن ينكشف أمره فى النهاية ، وحينئذ سوف يلقى أشد العقاب ، وإذا لم يستمع لك ، يمكن بعد ذلك أن تبلغى عنه " .

قالت تشيانغ يون فى غضب : " سونينغ ، من المؤكد أنك يجب أن تخوضى نضالاً شاقاً معهم ، فقد أضرت بك أسرتك هذه ، يجب ألا تضعفى . . . . . " " إننى لا يمكن أن أراه بأم عيني وهو يستمر فى ذلك ، وإذا تسترت عليه ، فإننى أكون مواطنة غير صالحة ، اطمئنى "

ثم قالت سونينغ لتشيانغ يون وحدها بصوت خفيض :

" إننى لن أخيب أملك هذه المرة . . . . . "

وبعد انصراف سونينغ ، سألت تشن بوا تشيانغ يون : " متى عدت ، أمت أم لا ؟ لقد جلست فى فراشك حتى منتصف الليل ، وانتظرتك طويلاً ، وأخيراً أخذنى النوم " .

قالت تشيانغ يون فى زهو وكبرياء وعيناها تتراقصان " كنت أرقص طول ليلة أمس ، واستندت إلى سور الشرفة وهى تقول ضاحكة : " أرقص هكذا ، وهكذا . . . . . "

"علام تضحكين ؟ "

"أضحك بسبب . . . . . الأمطار الهتون . . . . . والرقص . . . . .  
. . . . . لقد كان شيئاً ممتعا للغاية وأعطت تشيانغ يون ظهرها للسور واستندت إليه  
براحتها ، وسرت في وجهها حمرة قانية من الضحك ، وقالت : "كيف يتسنى  
لك أن تعاملى تيان لين أمس بهذا الشكل؟ تغرقينه في المطر ، وتذنينه وقوفا في  
ميدان باب السلام السماوى ."

ارتفعت الشمس في السماء ، الجو في شهر مايو مشرق و صاف مثل الزجاج ،  
وبدأت الشمس التى أشرفت بعد الأمطار الرعدية فى إرسال الضوء والدفء  
الشديدين دون موانع وبقوة وروح الانتصار على السحب والغيوم ، لم ترد تشن بوا  
على كلام تشيانغ يون ، وراحت تفك الزرار الأعلى من سترتها الزرقاء البسيطة ،  
وهى تقول : "حر ، حر ، حر . . . . ."

"أخبرينى ، ماذا بينك وبين تيان لين ؟ لقد كان واضحا أمس  
أنكما . . . . ."

هزت تشن بوا رأسها قائلة : "لا تكلمى ، لا تتحدثى عنه "

لم تتكلم تشيانغ يون ، ولكنها فى واقع الأمر لم ترض فضولها ، بل إنها  
شعرت بأنه يجب عليها أن تفعل شيئا من أجل تيان لين ، ذلك الذى أغرقته مياه  
المطر ، ومن ثم قالت : "رغم أننى لا أعرفه تماما ، إلا أننى أشعر أن تيان لين  
إنسان طيب ، ولكنك أمس . . . . ."

لاحقتها تشن بوا بصوت متهدج : "كفاك ، لا تتكلمى " ، وراحت تنظر إلى  
تشانغ يون فى صمت ، وعضلات وجهها ترتعد وتنكمش كأن حشرة ما قد زحفت  
عليه ، وفجأة أدارت رأسها وانصرفت من الشرفة دون أن تبالى بتشانغ يون .

قبل أن تصل إلى المدرسة بمسافة ، استمعت خوان لى تشينغ إلى أصوات الآلات الموسيقية وأصوات قرع الطبول ، ورأت الرايات الملونة معلقة على بوابة المدرسة ، والأطفال المتزاحمين على الباب يتفرجون واضعين أصابعهم فى أفواههم . لم تتمالك نفسها من أن تسرع الخطى حتى تصل إلى مدرستها الأم حيث قضت عهد حياتها الدراسية ، وانطلقت من هنا إلى الدخول فى معترك الحياة .

وعند الباب طالبات ودودات متحمسات ، أخذن خوان لى تشينغ من يدها إلى دفتر التوقيعات لتسجل اسمها . وعندما اقتربت من منضدة التوقيعات رأت زميلة دراستها القديمة أليو وهى تسجل اسمها فوضعت يدها على كتفها .

"ياه ، يا إلهى ، أتيت ؟ كنت أخشى ألا تحضرى ، أين تعملين؟ لقد أصبحت بدينة لا ، بل نحيفة . . . . ."

"إن سعادتى بالغة بأن أقابلك لدى دخولى المدرسة ، فلم نلتق منذ التحرير "

"لا ، لا ، بل رأيتك مرة أثناء الاجتماع الذى عقد فى قصر تايخه . . . . ."

أخذت خوان لى تشينغ طريقها إلى داخل المدرسة وهى تتحدث حديثا ضاحكا مع زميلتها القديمة التى لم ترها من زمن طويل .

لبست المدرسة حلة جديدة من الديكورات والزينة ، هناك لافتة مكتوب عليها بخط كبير "مرحبا بالأخوات الكبيرات فى مدرستهن" وتعلق أعلى نوافذ الفصول الشرائط الورقية وأوراق الزينة المقصوفة وأوراق سعف النخيل ، وفى مكان صحيفة الحائط ، لصقت مجلة خاصة للترحيب والاحتفال بعيد الشبيبة فى "الرابع من مايو" "ويوم الخريجين" ، ألوان المجلة زاهية ومشرقة لدرجة تؤذى العيون .

مستوى النظافة رائع ، فالأرض تبدو كأنها مسحت بفضة ، لدرجة أنه لا يمكن أن تثار ذرة واحدة من الغبار حتى إذا أقيم سباق للخيل في هذا المكان. وأخذت طالبات الإعدادية ينظرن إلى "رفيقات المدرسة" في نظرات مغلقة بالغبطة والخجل ، وراحت طالبات ثلاث يتشاورن فيما بينهن ، ثم دفعن طالبة ذات ضفيرة قصيرة سوداء ، تقدمت نحو خوان لي تشينغ وسألته : "أختي الكبرى ، هل حضرتك ... قائد طائرة؟"

أجابت خوان وقد أوقعها هذا السؤال في حيرة " لا "

"هل أنت كاتبة؟ عاملة نموذجية؟ إحدى أفراد فريق التنقيب؟"

أدركت خوان لي تشينغ أن هؤلاء الفتيات الثلاث يبحثن بين الخريجات القدامى عن يعملن في وظائف غير عادية ، ومن ثم قالت لهن معذرة إنها تعمل الآن في عمل إداري بسيط ، ووعدتهن أنها إذا وجدت بين الزميلات القدامى من تعمل في قيادة الطائرات أو ما شابه ذلك سوف تقدمها لهن بكل تأكيد.

شعرت خوان لي تشينغ بحماسة وهي تشهد المكان الذي قضت فيه خمس سنوات من عمرها ، والتلميذات في الإعدادية اللواتي بدأن في هذا المكان القديم حياتهن الجديدة . ثم اعترأها شيء من الشعور بالخجل في الوقت نفسه . وتحول مزيج الذكريات الكثيرة في إثارة لا سبيل لمقاومتها ، لكن من أين جاء شعورها بالخجل ، هل ذلك لأنها ليست طيارة أو عاملة نموذجية عند عودتها إلى مدرستها الأم؟

قدمت إحدى المرشدات الأحوال لخوان لي تشينغ قائلة "المكتبة تقيم معرضاً عن تاريخ المدرسة ، وتجري الآن في القاعة مسابقة الخطابة ، وبعدها يبدأ حفل المنوعات ، حيث تقدم الطالبات البرامج التي أعددها بأنفسهن ، وفي معمل الكيمياء

معرض للمنتجات اليدوية العلمية للطالبات ، وفي الملعب تقام مباريات كرة القدم .  
ويمكن لحضرتك أن تذهبي إلى أى مكان ترغبينه . وإذا تعبت يمكن أن تأخذى قسطا  
من الراحة فى استراحة المدرسين ، حيث يمكن شرب الشاي ولكن لا توجد  
سجائر " .

ووفقا لإرشادات المرشدة ، ذهبت خوان لى تشينغ أولاً إلى المكتبة لمشاهدة  
معرض تاريخ المدرسة ، وما إن دخلت حتى سمعت صوت تشن بوا .

كان ظهر تشن بوا للباب ، وتشير بعضا من البامبو وهى تتحدث عن نشاطات  
منظمة الحكم الذاتى الطلابية قبل التحرير وكأنها تسترجع شيئا من الماضى :

" هذا هو صندوق الاقتراع الذى استخدم عند انتخاب لجنة الحكم الذاتى ،  
كانت الطالبات تضع بطاقات الاقتراع على منظماتهن الخاصة فى هذا الصندوق ،  
تلك المنظمة التى قاومت السياسة الرجعية لحزب الكومنتانغ ، وهذه هى العريضة التى  
كانت قد تقدمت بها الطالبات نظرا لأن تكوين المنظمة الخاصة كان محظورا لدى  
المدرسة فى ذلك الوقت ، وقد وقّع عدد من المدرسين أيضا على هذه العريضة وقد  
عثرنا عليها بعد الثورة فى سلة مهملات الناظرة السابقة ، وقد أصبح الصندوق  
منقوصا بعد أن تآكل الجانب الأعلى منه ، وهذا هو آخر منشور مطبوع بالحبر  
الأسود من سلسلة المنشورات الصادرة عن المنظمة ، وهذا العدد يحتوى على مكتوب  
المنظمة للزميلات بعنوان " واجهوا العاصفة ( وكان العملاء قد ضربوا جامعة المعلمين  
لتوهم فى ذلك الوقت ) ، وبه أيضا رسالة كتبتها طالبة تدعى تشيانغ بعنوان " لماذا  
لا توجد أجهزة فى المعمل " ، وقصيدة شعرية لزميلة أخرى تدعى خوان بعنوان  
" لا نطبق صبرا . . . . . "

خفق قلب خوان لى تشينغ بشدة بين ضلوعها - فإنها هى الزميلة خوان  
التي تتحدث عنها تشن بوا - كل الحضور فى المعرض ينظرون إلى هذه الشواهد

البسيطة التي ترمز إلى النضال البطولي لجيل من الشباب بمزيج من مشاعر المهابة والاحترام .

وعندما كانت خوان ترى هذه الأشياء من جديد والتي رأتها من قبل مرات لا تحصى ، شعرت بأن هناك قوة وعزيمة كبرى تسرى في كيانها ، مما جعل الدم يتدفق في عروقه .

" . . . . . وهذا سكين - وتهدج صوت تشن بوا من التأثر حيث رأت خوان لى تشينغ - فى يوم ٢٩ أبريل من عام ١٩٤٨ ، أقام اتحاد منظمة الحكم الذاتى فى مدرستنا ونظيرتها فى المدرسة رقم ٦٥ حفلة مسائية ، وقبل أن تتم هذه الحفلة أفسدها الجواسيس المندسون بيننا وبعض العناصر الرجعية من الطلاب .

كانوا يهتفون : "لماذا لا تعلقن صورة الرئيس جيانغ ؟ " ، إننا نعارض منظمة الحكم الذاتى تحت سيطرة عصابة الحزب الشيوعى ..

هذه هى السكين التى استخدمها الجواسيس آنذاك فى ضرب عضوات المنظمة ، وقد أصيبت الرفيقة ليوجون يان - التى تعمل الآن فى وزارة التربية والتعليم - أصيبت فى ساقها .

أحكمت خوان لى تشينغ قبضتها فى شدة .

وبعد أن انتهت من الشرح والتقديم ، أسرع تشن بوا نحو خوان لى تشينغ وقالت لها :

"إننا نقوم بالتقديم بالتناوب ، وقد انتهى دورى . "أخذت خوان لى تشيانغ تنظر فى اهتمام إلى شعر تشن بوا ، فقد فرقته إلى جزئين وربطت كل منهما من أعلى بشريطة حريرية سوداء ، وهذه هى الخطوة الأولى لعمل ضفيرة . ونظرت تشن بوا هى الأخرى إلى شعر خوان لى تشينغ الذى أعملت فيه مكواة الشعر فأصبح مجعدا ، ولكنه جميل . ثم تبادلنا النظرات وضحكنا



"انظري إلى مدرستنا ، كم هي جميلة . . . . ."

صححتها خوان لى تشينغ : "بل مدرستنا جميعا !"

"نعم ! مدرستنا جميعا . لقد تغيرت معالمها تماما ، وأنت يا زميلة المدرسة ، يا عديمة الضمير ، لم تفكرى مرة واحدة فى زيارتى ! فقد تم بناء مبنى دراسى جديد فى الفناء الشرقى وتم شراء الصيدلية الواقعة فى الجانب الغربى لتوسيع الملاعب ، وعدد الطالبات بالمدرسة يزيد على ألف طالبة بينما كان لا يتجاوز أربعمائة طالبة فى عهدك . . . . ."

لم يفتر بعد حماس تشن بوا عندما كانت تقدم المصروفات فى معرض تاريخ المدرسة ، وراحت تقدم دعاية عن التقدم الذى طرأ على المدرسة لخوان فى عبارات مثيرة ومشجعة . خوان لى تشينغ تومئ برأسها وهى تشعر أن صديقتها أصبحت تتكلم أكثر من ذى قبل ، ففى الماضى كان كلامها ينساب فى هدوء ، أما الآن ، فأصبح يتدفق فى سرعة . وقالت خوان وهى تبسم :

" كم يكون جميلا إذا استطعت الالتحاق بالثانوية مرة أخرى من جديد !"

قالت تشيانغ يون - التى تحمل فى يدها حبة كمثرى كبيرة - موجهة كلامها إلى لى تشون الواقفة أمام المرأة فى الحمام تتدرب على إلقاء الخطابة : "ايا عفريتة ، أهنا تخبئين ! لم يعد سوى ثلاثين دقيقة ثم تلقين خطبتك ، لقد كنت أعتقد أنك تخبئين فى دورة المياه . . . . ."

شعرت لى تشون أن تشيانغ يون اكتشفت استعداداتها الجدية الكبيرة ، فساورها شىء من عدم الارتياح وقالت وهى تتمتم "ماذا تقولين ؟ " مدت تشيانغ يون بحبة الكمثرى التى تعادل حجم قبضة اليد وذات اللون الأصفر الذهبى إلى لى تشون

وهى تقول ، " لقد خرجت إلى الشارع منذ قليل لشراء ورق ، فقابلت عجوزا ذا لحية بيضاء يدفع أمامه عربة يد ويبيع الكمثرى ، لوح لى بيده قائلا ، " يا فتاتي ، تناولى كمثرى بلا ثمن ، ما معنى ذلك ؟ ، قال : " كيف أنك لا تعرفين ؟ فى واقع الأمر أننى لم أكن قد تعرفت عليه حتى ذلك الوقت ، قال إنه يعرفنى ، والأكثر من ذلك أنه قال إنه وقع وهو يتزلق على الجليد ذات مرة قبل عام ونصف عام وأننى التى ساعدته وأوقفته ، وهو مصر على ذلك ! وأخيراً اشتريت حبة كمثرى كبيرة ، وفكرت ثم فكرت فوجدت أنه من الواجب أن أعطيها لك تأكليها ، فأكل الكمثرى سيجعل كلامك حلوا شديد الحلاوة !

حملقت لى تشون فى وجه تشيانغ يون ، فرأتها مازالت تلهث ، وحببات العرق تتقاطر من جبينها ، ثم نظرت إلى حبة الكمثرى الكبيرة والبقع ذات اللون البنى المتناثرة على صفحة قشرتها اللامعة .

نظرت لى تشون إلى تشيانغ يون فى تأثر شديد ، وابتسمت ويدها ترتعد . وكسرت حبة الكمثرى بيدها نصفين وتقاسمتها مع تشيانغ يون .

بينما كانت تشيانغ يون تأكل الكمثرى لمعت عيناها بفكرة مأكرة وقالت " أريد أن أكون شخصا من نوع يوان شن تشى . " ثم راحت تفحص ملابس لى تشون وملامح وجهها ، وهى تشير إلى طرف أذنها الذى مازال ملوثا ببعض من الطين ، ثم راحت تشجع لى تشون بروحها المرحة الخفيفة ، ثم ذهبتا معاً إلى القاعة .

وفى المساء تناولت قدامى الخريجات الطعام مع الطالبات ، وكانت المدرسة قد أعدت للخريجات طعاماً أكثر تنوعاً .

وكانت هناك اثنتان من الخريجات تتجاذبان أطراف الحديث بما ينم عن مؤهلاتهما وخبرتهما : " هل رأيت منتجات الطالبات اليدوية من الوسائل التعليمية؟ نعم رأيتها . إن طالبات المرحلة المتوسطة فى هذه الأيام ذوات مستوى رائع ، أما أيامنا . . . . . " .

" إن طالبات المرحلة المتوسطة يحبون التصفيق والتهتاف إلى حد كبير ، فقد استقبلنني بترحاب وكأنهن يستقبلن شخصية عالمية صديقة . . . . . " .  
ذهبت إحدى الرفيقات ممن ترتدين الزي العسكرية ، وشعرها مضمفر بصفيرة طويلة ، وتحمل وسام مساندة كوريا ضد العدوان الأمريكي ، ذهبت تبحث عن الأستاذ يوان .

"الأستاذ يوان ! " وقد انحنت أمامه انحناء كبيرة .

"آه أنت . . . . . أنت . . . . . " ومد الأستاذ يوان يده في خجل وارتباك .

" هل نسييتي حضرتك ؟ إننى لى يوفن ، خريجة دفعة ١٩٤٨ ، ذات مرة تناولت شيئاً من الطعام خلصة أثناء حصّة حضرتك . . . . . " .  
أجابها الأستاذ يوان " آه ، آه ، وفى حقيقة الأمر إن عدد الطالبات اللواتى شاهدهن الأستاذ يوان يأكلن أثناء الحصّة لا يقل عن عشرات .

انتقلت إحدى الطالبات اللاتى التحقن بالجامعة فى العام الماضى فقط إلى مائدة طعام طالبات الصف الثالث وهى تقول: "إننى لست خريجة المدرسة بل أنا فيها فأنا طالبة بالمرحلة الثانوية ، أشعر دائماً أننى لا زلت طالبة ثانوية ، وأرغب فى تناول الطعام هنا على هذه المائدة فىالروعة المدرسة الثانوية، أود لو ظللت بها على طول الدوام. لقد بكيت فى بداية التحاقى بالجامعة ، فلم أكن اعتدت الحياة بها بعد ، ففى الجامعة يرقصون رقصة الصداقة فى نهاية الأسبوع ، والموت أهون على من الرقص ، كان المسئول عن نشاطات التسلية يشجعنى فاشتركت فى حفلة رقص ومعى كتاب مبادئ الرسم الهندسى ، لكن "مالوتشن " كانت قد أصبحت سيدة الرقص، هه . . . . . "

وبعد أن تناولت خوان لى تشينغ الطعام ، وأثناء خروجها من باب المطعم أصابها غثيان و سعال ، ولكنها لم تتقيء الطعام ، بل تقيأت كثيراً من المياه التي تشبه رغوة الصابون والتفت حولها بعض الزميلات ، وانحنت خوان لى تشينغ قليلا واستندت إلى الحائط وهي تهز رأسها قائلة :

" لا شيء ، لا شيء على الإطلاق . " وبعد ذلك صحبتها تشن بوا إلى حجرتها لتستريح .

لم يكن في العنبر سواهما . وبدت خوان لى تشينغ أكثر نشاطا وحيوية لدى دخولها الحجره حيث أخذت تتحسس السرير وتنقر بيدها على الحوائط وتفتح النوافذ وهي تقول : " سبق لى أن سكنت في هذا العنبر . . . . . " نظرت إليها تشن بوا في اهتمام وسألتها :

" ماذا أصابك ؟ فقد تغير لونك تغيراً شديداً حتى أصبح مثل الشمع الأصفر . "

أطلقت خوان لى تشينغ ضحكة عالية " لا تثيرى مخاوفى . اسمعى لقد كنت أسكن في هذه الغرفة عندما كنت في الصف الأول الثانوى . ألا تصدقين ؟ لم تكونى قد التحقت بالإعدادية بعد . وكان سريرى هنا ، " وأشارت إلى مكان خال بجوار الباب ، وكانت تقيم إلى جوارى أنسة ، كان والدها عضواً باللجنة التشريعية، وذات مرة وبينما كنا نغط في نوم عميق فى منتصف الليل ، صرخت فجأة بصوت عال وهي تتحب ، فأيقظت كل من بالحجرة فزعات ، كانت ترتعد كأنما أصابتها حمى الملاريا ، وتقول وهي تبكى " انظرى ، انظرى . . . . . " وكانت قد رأت خنفساء فوق السرير ! وكانت بعد ذلك كثيراً ماتعذبنا فى أنصاف الليالى ، تبكى وتصرخ ، ومن ثم كنا نضطر لاستدعاء المسئول عن العنبر . وطبيبة المدرسة وكان ذلك يحدث لأنها رأت قطة فى المنام ذات مرة ، ولأنها سمعت صوت الرعد فى السماء مرة أخرى ، ومرة ثالثة لأنها أصابها الفزع من غطيظ زميلة تدعى

ليو . . . . . بعد ذلك سمعن أنها أصيبت بمرض التهاب البلديورا (ذات الجنب) ، وماتت .

" كانت طالبات المرحلة المتوسطة في ذلك الوقت . . . . . " وهزت خوان لي تشينغ رأسها وقالت في إيجاز : " لا أعرف كيف أتحدث عنهن ! "

" لي تشينغ ، استريحى قليلا على فراشى "

" لا داعى لذلك ، لقد جئت معك إلى الحجره لتتحدث معا وليس من أجل النوم "

" ألا تجلسين إذا على السرير ؟ إن عندى لك كثيرا من الأسئلة . "

قالت خوان لي تشينغ ضاحكة وهى تجلس على سرير تشن بوا : " أسئلة ؟ أهو امتحان إذن ؟ " وقد أخذت تصفف شعرها بيدها ، وهى تركز على الفراش وتحرك ساقىها المعلقين خارج السرير بصورة طبيعية .

تناولت تشن بوا مقعدا ، وجلست فى مواجهة خوان لي تشينغ ، وراحت تنظر إلى وجهها فى إمعان واهتمام ، فقد بدت عند طرف عينيها تجاعيد رقيقة جدا ، وبدا وجهها مصفرا ، كأن شيئا ما قد سحب منه كرات الدم الحمراء . وراحت تشن تحك ذقنها بأحد أصابعها ، وردت خوان لي تشينغ على تشن بوا بنظرات هادئة ودودة ، وهكذا استخدمتا هذه النظرات بديلا عن التحيات التى تتبادلها صديقتان افترقتا طويلا ، وعبرت كل منهما عن حياتها للأخرى من خلال هذه النظرات أيضا . نظرات تشن بوا بريئة ، وادعة ، لكنها تتقد حماسا ، أما نظرات خوان لي تشينغ فهى نظرات متسائلة وباسمة ، وبها شىء من الحصافة بسبب عمق التفكير .

وراحت خوان لى تشينغ تشد بيدها ملاءة السرير وهى تقول: " فيم تسألين؟ "  
" كنت ساتى إليك إذا لم تحضرى اليوم ، فعندى لك عدة أسئلة . "  
" ما هى ؟ "

ابتسمت تشن بوا من فورها وراحت تداعب الزر الثانى فى معطفها بإبهامها وهى تقول : السؤال الأول ، لماذا كنت متأثرة بهذا الشكل وأنا أتحدث عن منظمة الحكم الذاتى أكثر من أى شىء آخر أقوم به الآن ؟ ..... " وأضافت وهى تفرك أصابعها ، " لماذا أكون أكثر حماسًا وتدفعًا شعورياً عندما ألتقى مصادفة مع الرفيقات اللاتى كن معى معاً قبل التحرير . . . أفهمين ما أقصد ؟ "

عقدت خوان لى تشينغ يديها على صدرها وقالت : " نعم ، نعم أفهم ، أثناء دخولى مدرستنا سألتنى إحدى فتيات الطلائع ، " هل حضرتك طيار ؟ ، " إنهن يحلمن بكل ما هو جميل وهن فى غاية السعادة ، لكننى لا أحسدهن على ذلك . أما نحن فقد ذقنا مرارة الحياة ونحن فى مثل أعمارهن ، وواجهنا بعض المصاعب والعقبات . إن النضال المرير يجعل الإنسان ينضج أسرع من الناحية المعنوية ، ورغم أن ما فعلنا ، ليس إلا شيئاً قليلاً ، إلا أنه أسدى لنا كثيراً من التجارب والخبرات . لقد فهمت كلامك على هذا النحو : تريدان أن نذكر إلى الأبد كل التعاليم التى تلقيناها ونحن نمضى أولى خطواتنا على طريق الثورة ، تلك التعاليم والمبادئ التى تجعلنا نتسم بروح النضال الحماسى سواء كنا فى ساحة الحرب أو فى معركة بناء السلام ، سواء عند اقتحام حصار البوليس العسكرى أو عند فرد الشعر بالمكواة (وراحت تداعب شعرها بيدها) . وبعد أن انتهت عادت تتم كلامها ، " وهذا ليس سهلاً بطبيعة الحال . "

وعادت تشن بوا تقول : " ولكننى متأثرة على نحو خاص . . . . . "

وابتسمت خوان لى تشينغ "تأثرى كما تحبين "

"السؤال الثانى ، ونهضت تشن بوا ، واستدارت برأسها "هل تكون هناك مآسى إذا سلك الجميع مسلكًا سليمًا؟ ، وهل يمكن أن يتسبب أحد فى إيذاء الآخرين ، إذا كان الجميع فى خدمة بعضهم البعض؟"

ألقت خوان لى تشينغ نظرة ثاقبة على تشن بوا وسألته: "أتكلمين عن الحب؟"

التفت تشن بوا وقالت فى شجاعة : "ربما ، وفى لحظة واحدة انطلق كثير من التعبيرات والتخمينات من أعماق خوان لى تشينغ فحركت عينيها وقالت:

"أيتها الشيطانة الصغيرة . . . . ."

"لى تشينغ ! "تقدمت تشن بوا وأخذت تتحسس ياقة قميص خوان لى تشينغ كأنها طفلة صغيرة وهى تقول : "سوف أخبرك بكل شىء " لكنها لم تقل سوى كلمة واحدة . . . . . تيان لين . . . . . " وتوقفت عن الكلام.

وحيث كانت مشاعر خوان لى تشينغ كأنها هى نفسها تواجهها مفاجأة تذكرت ابن خالتها، تذكرت قوامه النحيل الطويل ، ونظارته البراقة اللامعة ، نظرت إلى ضفيرة تشن بوا التى كانت تتأهب لضفرها وقالت مرة أخرى : "أيتها الشيطانة الصغيرة . . . . . " ، سكنت تشن بوا ونهضت من مكانها وأخذت تمشى ذهابًا وإيابًا.

تلاشت كل علامات عدم الاستقرار من على وجه تشن بوا وراحت تنتظر جواب خوان لى تشينغ فى هدوء.

رغم أن خوان لى تشينغ قد تزوجت إلا أنها كانت تشعر دوماً أن تشن بوا مازالت صغيرة شقية .

أما الآن فقد كبرت تشن بوا وأصبح لها حبهما الخاص بها ، وأصبح لها أيضا همومها ومشاكلها الخاصة التي تشغلها . نعم ، من الطبيعي أن تكبر الفتيات وتنضج . . . . .

ولا غرابة في ذلك . غير أن خوان لى تشينغ لم تقدر ذلك حق التقدير ومن ثم شعرت أن " الوقت يمضى كالسيف ا " بينما هى نفسها لم تشعر بهذا الشعور عند زواجها .

سألت خوان لى تشينغ وهى تستند بيدها اليمنى على بسطة النافذة وقدمها اليسرى ترتكز على حافة قدمها اليمنى : " ماذا حدث ؟ "

قالت تشن بوا وهى لا ترغب فى أن تحكى لها شيئا : " أجيبنى على سؤالى . "

فكرت خوان لى تشينغ طويلاً ، ثم قالت : " إن أسئلتك من نوع تجريدى مثل تلك التى كان يطرحها أفلاطون على سقراط . . . . . ماذا قلت ؟ . تتحدثين عن السلوك الصحيح والمأسى . . . . . إن الحياة مستمرة وتمضى بعيوبها وطموحاتها ، ومن الممكن ألا يلقى السلوك الصحيح قبولا كبيرا عند الناس ، وخاصة الحب الأول مثل أبيات الشعر الأولى ، وإن الدموع فى كثرتها مثل الابتسامات ، " وتنهدت تنهيدة طويلة " ولكن ، لا بأس أن تفتحي ذراعيك للمرح أينما وجد فهو يجعلك أكثر سعادة وإذا وجدت العقبات والمأسى ، عليك أن تتزودى بالصبر وتتغلبى عليها ، فذلك يجعلك أكثر عزيمة وصلابة ثم تكبرن وتنضجن شابات يافعات ، شقيات . . . . . "

" لم تكملى إجابتك بعد ، " ولم تكن تشن بوا تستمع إلى كلمات خوان لى تشينغ فحسب ، بل كانت تمتصها بقلبها وعقلها كما يمتص الإسفنج المياه .

" لم أكمل إجابتى ؟ " وفكرت خوان لى تشينغ ثم قالت ، " آه ، آه ، لقد ذكرت إيذاء الآخرين ، أى إيذاء ؟ إننى لا أفهم ما تقصدين ، دعينى أقولها



صريحة إننى أرى أن لحسن النية نتائج طيبة دائما مهما كانت تتحقق عن طريق متعرجة ..... "

"السؤال الثالث - إن أسئلتى كثيرة - بقول الناس إنى أتمم بالتعقل إلى درجة كبيرة ، فماذا ترين ؟"

"تعقل ؟" وكررت خوان لى تشينغ الكلمة ، ثم سحبت الكرسي إلى مكان سريرها القديم عندما كانت طالبة وجلست عليه هناك وأمالت رأسها على مستند الكرسي الخلفى ، ثم سلبت عينيها وراحت تنظر إلى سقف الحجرة ، ثم تنظر من النافذة على المبنى الجديد . ثم رفعت رأسها وسألت فجأة : "كيف إن سقف حجرتك بهذا الارتفاع ؟"

سألت تشن بوا مستوضحة "ماذا تقولين ؟"

"إننى أسأل ، ألم يتم تشييد هذه الحجرة من جديد ؟ إن السقف يبدو أكثر ارتفاعاً من ذى قبل ."

"نعم لقد أجريت عمليات ترميم ، ودهان الحوائط ولصق السقف بالورق ، وتم تغير زجاج النوافذ، ولكن ارتفاع السقف كما هو لم يتغير ."

أمعنت خوان لى تشينغ النظر طويلاً من جديد ، وقالت :

"ربما أكون أخطأت التقدير ، لكنى أشعر كأن السقف أصبح أكثر ارتفاعاً . فقد كان منخفضاً أيام كنت أقيم هنا فى هذه الحجرة ، كأنه يطبق على صدرى، وربما كان ذلك بسبب ضعف الإضاءة ، وعدم شفافية الزجاج فى ذلك الوقت . إنها حجرة غريبة ، فعندما كانت تهب الرياح فى الشتاء ، كان بابها يصدر أصواتاً كأن هناك من يبكى خلفه ، وعندما نستيقظ من النوم نجد وجوهنا قد غطتها طبقة من التراب ."

تساءلت تشن بوا فى دهشة "أصحيح هذا الكلام ؟ وكيف لم يحدث ذلك فى حجرتنا أبدا فى هذه الأيام؟".

"حقيقة لم يحدث؟" سألتها خوان لى تشينغ فى دهشة هى الأخرى ، وأضافت "هل أخطأت ؟ لا ، ليس كذلك ، دعينا من هذا ، فقد أصبحت ذكرياتى عن هذه الحجرة وعن المدرسة كلها ذكريات قديمة ، ولا طائل من ورائها ، ولنعد إلى حديثنا عن العقلانية . فإن أسئلتك المجردة الشاردة هذه تجعلنى أتميز من الغيظ . وأود فقط أن أقول لك رأيا فى ذلك :

" إن السعادة التى تتفق مع العقل والمنطق ، هى فقط السعادة الحقيقية قوية البنيان .

إتسعت عينا تشن بوا ، واستندت بيدها على السرير من خلفها كى تحفظ توازن جسمها المائل ، وكأنها استمعت إلى أنشودة جميلة . وما هى إلا لحظة ، حتى هزت رأسها وجلست ، وقالت وهى تنفض التراب عن طرف ثوبها:

"أما السؤال الرابع فهو خاص بك ، ويتجسد فى شخصك ."

ردت خوان لى تشينغ وهى تشير إلى نفسها دون أن تدرك الكلام "خاص بى أنا ؟"

"خوان لى تشينغ ، أجيبنى ، لماذا تزوجت ؟"

وارتبكت خوان أمام هذا السؤال ، فهى لم تكن تتوقع أبداً أن يطلب منها أحد أن تعلق زواجها ، فحتى الرفيق المسئول عن تسجيل حالات الزواج فى حكومة الإقليم لم يسألها عن ذلك . ومن ثم قالت : "ما هذا السؤال . . . . ."

عبرت لها تشن بوا عن رأيها فى صراحة وسذاجة قائلة:

"أعتقد أنك ثورية محترفة . . . . ."

ردت خوان لى تشينغ ساخرة فى سرعة "ألا يمكن أن أتزوج وأصبح عروسا محترفة؟ ، ثم اقتربت من تشن بوا فى ود وإخلاص واستطردت تقول : "الرفيقة العزيزة طالبة الثانوية ، إنك مازلت فتاة صغيرة ! ثم قالت فى لهجة قاطعة ، انظرى إلى مازلت على الدرب . وشكرا لك ، فأنا أعرف خوفك من أن يتغير أسلوب حياتى بعد الزواج ، وإن الأمر لا يسلم من وجود مثل هؤلاء الرفيقات ، لكنى لست كذلك ! قالت مؤكدة ثم أردفت فى لهجة لا تخلو من الجحد والهزل معاً: وربما كنت قد صرفت النظر عن هذه الزيجة ، إذا جاء سؤالك هذا مبكرا بعض الشيء .

ثم ابتسمت ابتسامة ماكرة .

عندما كانت لى تشينغ تغادر مدرستها الأم ، كانت هناك آلاف المصاييح المتلاثلة مثل النجوم فى السماء . وتزاحم الأساتذة والطالبات على الباب يودعون الخريجات فى حرارة ، بينما مازالت الخريجات اللاتي بعدن عن المكان تلتفتن ملوحات الأيدي . تشعرن بمشاعر الدفء والوفاء تملأ قلوبهن ، وهن يقضين هذا الوقت القصير فى مدرستهن الأم بعد أن تركنها بسنوات عديدة . خرجن جميعاً معاً فى بادئ الأمر، ثم تفرقن شمالاً وجنوباً بعد خروجهن من الحارة . . . . .

وتفرق من إتهن جنوباً مرة أخرى عند مفترق الطرق ، وفى النهاية سارت كل منهن فى طريقها فى ليالى شهر مايو ، تنتشر رائحة أزهار البرقوق فى كل مكان ، تلك الزهور البسيطة الصغيرة التى ينبعث منها عبير أكثر عبقا من روائح زهور الفاونيا والورد البلدى . وتتساقط الأزهار التى نضبت رائحتها على جانب رصيف المشاة ، ثم تدحرجها الرياح الجنوبية فيستقر بها المقام أسفل الحوائط والجدران ، أو تنتظر حتى يكنسها ويحملها عمال النظافة فى اليوم التالى . السماء تبدو صافية ،

والجو عطرا مشرقا ، ويبدو المشى فى هذا الجو مثل سباحة الأسماك فى الماء ،  
الفتيات يرتدين القمصان ذوات الأكمام القصيرة والتنورات القصيرة أيضا ، بشرتهن  
النضرة المعبرة عن الصحة تلمع وتبرق فى ضوء المصابيح المتلألئة ، وكانت خوان لى  
تشيىنغ تقطع الطريق وهى تفكر فى تشن بوا ، وتفكر فى صداقة وحب الأيام  
الخوالى ، تذكرت قومينغ ، وتذكرت يوم أن ركبت معه القارب ذات مرة ، وأغلب  
الظن أن ذلك كان فى أحد أمسيات مايو أيضا ، وطيور الماء تطير فوق صفحة  
البحيرة على ارتفاع منخفض ، وقومينغ يعمد إلى الإبطاء فى التجديف ، يريد أن  
يتحدث فى شىء ما ، لكن لى تشيىنغ لا تدع له الفرصة ليتكلم ، بل تحشه دائما  
أسرع ، أسرع ! ومن ثم راح قومينغ يجدف بسرعة كأنه أصابه الضيق والضجر ،  
وقد أغرق نفسه بالماء ، ونفس الحال بالنسبة إلى خوان لى تشيىنغ ، وبعد أن انتهى  
التجديف ، راح يلتقط أنفاسه اللاهثة ، وأرخى قومينغ يديه ، وقد تشبعتا برذاذ  
الماء ، وسألها : "أتخافينى ؟"

فهزت خوان لى تشيىنغ رأسها ، لكنه قال : "لكنى يساورنى بعض الخوف  
منك . . . . ."

قدم رجل عجوز يضع على رأسه قبعة قديمة من الخوص ، ويحمل فى يده سلة  
ملينة بالفراولة الحمراء ، اشترت منه خوان لى تشيىنغ بعضاً منها ، فهى تحب أكل  
الأشياء ذات الطعم الحامضى ، انقضى أسبوعان على خروج قومينغ فى رحلة عمل  
فى الجنوب ، وأحست خوان لى تشيىنغ فجأة ، ولأول مرة ، بالاشيتاق الشديد له ،  
وشعرت بالحب الملتهب الذى كانت تشعر به كثيراً قبل الزواج ، والذى قلما تشعر به  
بعد الزواج تذكرت خوان لى تشيىنغ حالة الغثيان التى أصابتها اليوم ، فقد ولد اليوم  
داخل أحشائها الشابة مخلوق صغير عجيب ، إنه منها ومن قومينغ .

"أيا شباب . . . . " ووقفت خوان لى تشينغ لحظة تحت إحدى أشجار  
البرقوق وهى تستمع إلى دقات قلبها.

لكنها لم تطل فى الفكر والتأمل مثلما يفعل الشعراء وفى النصف الثانى من  
طريق عودتها إلى البيت ، أخذت تفكر- بصفتها إحدى الكوادر السياسية - فى  
كيفية التحدث فى اليوم التالى على انفراد مع أحد الكوادر الذى يجد الآخرون  
صعوبة فى توجيه النصح إليه .



وبعد ظهيرة يوم السابع من مايو، تم إعلان نتائج المشتركين فى جميع مسابقات يوم "الرابع من مايو" وأقيمت مراسم توزيع الجوائز وقد لقي فريق الصف الثالث هزيمة ثقيلة. (فقد مرضت "لاعبة الارتكاز" فارعة الطول فى الفريق ولم تشترك فى المباراة) وقد فاز فريق الغناء الجماعى "الكورال" بالمركز الثالث على مستوى المدرسة، وفى حقيقة الأمر لم يشترك فى هذا السباق سوى سبع فصول، غير أن هذه النتيجة تعتبر نتيجة طيبة بوجه عام.

ويرى الجميع - وفقا للتقييم - أن مضمون خطبة لى تشون كان غنيا خصبا، وكان صوتها مجلجلا، ونبراتها طبيعية، ولكن أستاذ مادة السياسة، أشار بقوله: لقد اختلطت عليها بعض الأسماء على نحو مربك، وأشار أستاذ الفيزياء أنها أفرطت فى استخدام المعلومات العلمية مع الافتقار إلى ترتيبها على النحو الملائم، وعلق أستاذ اللغة قائلا: "إن الأسلوب أميل إلى الصبغة الغربية!"

ومن ثم قرروا منح لى تشون المركز الثانى فى مسابقة الخطابة.

وعندما سمعت لى تشون أن اسما غير اسمها يحتل المركز الأول، "دارت" رأسها، حتى كادت تفكر فى التسلل من مكان مراسم توزيع الجوائز. وجاء اسمها فى المركز الثانى، لم يبد عليها شىء من مظاهر الحزن أو السعادة، تسلمت الجائزة، إنها "دفتر يوميات ملون" يتسم بالدقة والروعة، لم تنظر إلى الجائزة، لم يصل شعورها إلى الإحساس بالسعادة، ولم ينحدر إلى الإحساس بخيبة الأمل. ولكنها انتظرت حتى عدن إلى الفصل، وراحت تتلقى التهاني الحارة من زميلات. واستقبلنها جميعا بالتصفيق هى وسونينغ، وقامت يوان شن تشى بمصافحتها نيابة

عن مجلس الفصل، وقالت: " هذا شرف عظيم لفصلنا ". وعادت سونينغ تحمل علماً صغيراً من القماش، وفي حقيقة الأمر إن هذا العلم مصنوع من القماش ذي اللون الأحمر، ليس جميلاً ولا هو غالى القيمة، ولكن الزميلات أسرعن ووضعن دكة فوق الأخرى وصعدن فوقها وعلقن هذا العلم فى أبرز مكان على حائط الفصل. تصفحت جميع الزميلات دفتر يوميات لى تشون الملون، وقلن إنه دقيق ورائع الجمال.

وقالت إحدى الزميلات: " سوف أذهب غدا لأشترى واحداً ".

وردت عليها أخرى وهى تمط شفيتها، وماذا يعنى أن تشتري واحداً؟ إن هذه الجائزة ذات مغزى غير عادى! " ووسط هذا الجو، بدأت لى تشون تنتعش وتشعر بالسعادة شيئاً فشيئاً، وراحت تفكر فى نفسها: " إن الأمر ليس بسيطاً، فهن يقلن إننى حققت للفصل إنجازاً مشرفاً! " ومن ثم دست يدها فى جيب سروالها كما يفعل الشبان.

وكانت تشوشيا ولينغ هى وحدها فى حالة يرثى لها، فلم يعرهما أحد اهتماماً، سمعت واحدة تسأل " وماذا عن فريق كرة السلة؟ " فردت عليها الأخرى: " لا تحدثينى عنه ". ومن ثم توارت خلفهن وهى تشهد سونينغ باسمه الثغر، ولى تشون السعيدة المبتهجة، وقد راحت تعض بأسنانها على قلم رصاص كان فى يدها كأنها تعض على عود مغلف بحلوى قوانغدونغ الشهيرة<sup>(١)</sup>، اسود لسانها من أثر الرصاص، وتركت أسنانها أثراً عميقاً على قشرة خشب القلم الجديد.

وبعد أن حيتها كل الزميلات، وجهت لى تشون التحية إلى تشيانغ يون قائلة لها، " من قبيل المصادفة أن عمى قد أرسل لى شيئاً من المال، هيا بنا نشترى شيئاً نطعمه. وشكراً لك، فقد أسديت لى كثيراً من العون فى الخطابة هذه المرة. "

(١) عصا ملفوف حولها حلوى مخلوطة بسكر الشعير.



دخلتا إلى محل الفكهاني ، سألتها لى تشون : " ماذا تحبين ؟ "

اليوم نشترى وفقا لرغبتك ، وكان هذا السؤال محيرا وليس من السهل الإجابة عليه ، ذلك لأن تشيانغ يون ، سبق أن قالت أحب تناول كل ما يمكن أن نأكله ، " راحت شيانغ يون تجوب بناظرها كل صنوف الفاكهة المجففة والطازجة ، تريد اختيار نوع رخيص الثمن ، حتى وقعت عينها في النهاية على نوع كانت تأكله كثيرا وهي صغيرة قبل أن تلتحق بالمرحلة الابتدائية : الفشار (١)

فأشارت نحوه قائلة : " أحب هذا الفشار " قالت لى تشون للبائع ، " أعطنى بخمسة ماو (٢) فأخذته الدهشة حيث يأتى إليه الأطفال الصغار في العادة للشراء بواحد فن أو بفنين ، فكيف لهما إذن أن تشتريا بخمسة ماو ؟ وعادت لى تشون تكرر : " أعطنى بخمسة ماو " فأتى البائع بكيسين كبيرين من الورق ، يصل حجم كل منهما إلى نصف حجم كيس الدقيق ، ومأههما بالفشار ، وحملت كل من تشيانغ يون ولى تشون كيسا بين يديها وخرجتا من المحل .

وقالت لها تشيانغ يون وهي تضحك " يالك من مجنونة ، كيف تشتري كل هذا ، الكيس لا يمكن أن تقبض عليه يد واحدة ، وليست لنا من حيلة لتناول هذا الفشار ! "

لم تستخدم لى تشون يدها ، بل راحت تمد رأسها وتلتقط الفشار بفمها من الكيس ، وهي تشير إلى تشيانغ يون : هكذا يجب أن تأكلى ، فقالت تشيانغ يون : " علينا أن نتجنب المسير فى الشوارع الكبرى بأسرع ما يمكن ، وإلا فسيعتقد الآخرون أننا باعة فشار " .

(١) حب الذرة الجافة يشوى حتى يتفتق .

(٢) الماو = عشرة فن = عشرة قروش مصرية .

ردت لى تشون قائلة فى غير وضوح وهى تمضغ الفشار : "إننى هكذا دائما ، إذا أردت الشراء أركز على شراء شىء واحد ، بخلاف ووتشانغ فو التى يمكن أن تشتري بالماو الواحد عشرة أشياء ، كل فن واحد تشتري به شيئاً مختلفاً" .

رغم أن الفشار كان كثيراً ، إلا أنه تناقص بسرعة ، فقد أكلنا بعضه ، ووضعنا ما تبقى فى جيوبهما ، وأفرغنا أيديهما . سألتها تشيانغ يون " أأنت سعيدة بنجاحك فى مسابقة الخطابة ؟ " .

لم ترد لى تشون ، وراحت تقذف بحبات الفشار من يدها إلى فمها واحدة تلو الأخرى حتى يمتلئ ثم تمضغه وتأكله دفعة واحدة . وسألت تشيانغ يون : " ألا يمكن أن أكون سعيدة بذلك ؟ " .

وأخذت تشيانغ يون تنظر إليها فى تساؤل وريبة .

عاجلتها لى تشون قائلة : "أعتقد أن كل شىء يبدو جميلاً رائعاً . الفوز بالمركز الثانى فى مسابقة الخطابة ، بل والحصول على جائزة ، ومصافحة يوان شن تشى نيابة عن مجلس الفصل ، وحنة الكمثرى الكبيرة التى أعطيتنى إياها ، وأيضاً الفشار الذى نأكله الآن معاً . كأن المناخ العام قد تغير ، ولقد كنت أكثر طالبات الفصل أسى وسوء حظ فى العام الماضى ، وكنت شخصية منبوذة مكروهة وخاصة من جانبك . وطلب إلى أن أقوم بعمل النقد الذاتى فى اجتماع اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة .

وكلما تحدثت عن شىء كنت تقومين بدحضة وتفنيده . . . . .

وفى إجازة الشتاء ، تحدثت مع الأستاذ يوان ، وفكرت : ما العمل ؟ وماذا يحدث لو أننى قومت جوانب النقص عندى؟

ثم بدأت أصحح نفسي ، وتحسنت معاملتك لي أيضاً ، كأنكن رأيتن أنه إلى جانب نقائصي التي تستحق النقد أصبحت أتحملي ببعض من المميزات .

وقد اجتهدت في دراستي كالعادة . ولم تعد تصدر عني تصرفات لا تحترم الآخرين . وأصبحت رئيساً لجماعة الفيزياء ، ودبت في نفسي روح النشاط والعمل . وطلبتن منى الاشتراك في مسابقة الخطابة ، فبذلت كل جهدي في الاستعداد لها . أيمن أن أكون بذلك قد حققت تقدماً أكيداً ، وراحت تنظر إلى تشيانغ يون نظرات استفزازية .

توقفت تشيانغ يون عن أكل الفشار . سرعة رد فعلها ليست مثل لي تشون التي تنقلت بين الحديث عن المركز الثاني في الخطابة ، والفشار وغيرهما من الموضوعات الأخرى . استندت إلى أحد أعمدة الإنارة ووقفت تنتظر حتى تنتهي لي تشون من الكلام .

مازالت لي تشون تقذف بحبات الفشار في فمها واحدة تلو الأخرى بطريقة آلية ، واستطردت تعزف على الوتر الحساس قائلة : " لن تجدن سبيلاً إلى تغييرى قسراً ، وإذا نشدتن هذا التغيير عليكن أن تنتظرن حتى أفعل بنفسى ، فإذا أردت أنا ، حدث على نحو طيب وبصورة طبيعية . "

" ويمكننى أيضاً إذا كنت سعيدة أن أقدم شيئاً من أجل الجماعة . "

" وإن مسابقة الخطابة في حقيقة أمرها ليست بالحدث الخطير ، وقد أثارت جماعة الفيزياء في نفسى شوقاً ومنتعة كبيرة ، وقد أصبحنا على وشك الانتهاء من تجميع جهاز الراديو الخاص بنا ! "

واصلتا السير ، وأخرجت تشيانغ يون من جيبتها حبة فشار وقرضت نصفها وهي تقول : " ماذا حدث ؟ كنت أعتقد وأنا صغيرة أن هذا الفشار هو ألد شيء في الدنيا ، بينما لا أشعر بلذة كبيرة وأنا أكله الآن . "

وعادت لى تشون تقول بصراحة " ربما كان الشجار الذى دب بيننا فى الفترة  
الدراسية الماضية- كما قال أستاذ اللغة- نقطة سوء فهم فى عمل غير متقن؟ ".  
وألقت تشيانغ يون بنصف حبة الفشار المتبقية على الأرض ، وهى تجوب  
تشانغ يون بناظرها من أعلى إلى أسفل وسألتها : "ماذا دهاك؟" .

ردت لى تشون وهى لا تفهم ما تقصده " لا شىء " .

" إننى فى شوق إلى معرفة الدور الرائع الذى لعبته "أجندة المذكرات " الملونة  
ذات الغلاف المزركش بالنسبة لروحك المعنوية . . . . . ولا يأخذك  
الغضب ، فأنت التى بدأت . إننى أوافق على أنه يجب علينا أن نكون يدا واحدة ،  
لقد كانت هناك بعض التجاوزات من جانبى فى الماضى ، وأنا أعترف بذلك ، ولكن  
هناك نقطة ، وهى أنك تفتقرين إلى ذلك القلب المفعم بالمشاعر النبيلة الحقة وبحب  
الآخرين ، وهذا ليس سوء فهم ، فالقلب ليس من السهل التعرف على أسراره ،  
ولكن لا يمكن إخفاؤها أيضا ! فإذا كنت تفعلين شيئا من أجل الجماعة ظاهريا  
فقط دون أن تحبى هذه الجماعة ، هل تعتقدين أنه يمكن الاعتماد على هذا اللون  
من الإيجابية؟

وهل تظنين أننى لن أتشاجر معك ؟ بل انتظري ، ولا تأخذك الطمأنينة إلى  
هذا الحد ! "

أحنت لى تشون رأسها ، فلم تكن تتوقع أن تتكلم تشن بوا عنها بهذه الطريقة  
حتى ذلك الوقت ، قلب مفعم بالمشاعر النبيلة الحقة؟ إن منهج لى تشون الفكرى  
بسيط للغاية ، فهى تعتقد أن توجيه النقد إليها شيئا مثيرا للأسى ، وأن حصولها  
على جائزة يبعث على الارتياح . . . . . وقد شتتت كلمات تشيانغ يون هذه  
أفكار تشن بوا المتواضعة البسيطة . ثم أدركت : إنها لم تحقق هذه النتيجة البسيطة  
المتواضعة فى مسابقة الخطابة إلا بمساعدة الزميلات . وعلى وجه

الخصوص يانغ تشيانغ يون ، ومن ثم فإن الكلام غير المسئول الذى ذكرته على مسامح تشيانغ يون هو فى حقيقته ليس كلاماً أميناً . . . . .

" حسنا ، أمل أن تشتمينى ، " ومدت لى تشون يدها إلى تشيانغ يون وقد كست وجهها ابتسامة .

" ماذا تفعلين ؟ أتعلنين الحرب ؟ "

أومأت لى تشون برأسها ، وتصافحتا وأكلت تشيانغ يون الفشار مع لى تشون حتى آخر حبة ، أكلتا منه حتى امتلأت بطونهما ، وعندما عادتا لم يتناولوا سوى قليل من الطعام فى وجبة العشاء .

انتهين من أداء الواجبات المسائية ، ولم يعد هناك سوى نصف ساعة على موعد النوم ، عنابر النوم بها ضجيج وعجيج ، الجميع ينشغل بفرش الملاءات وتنظيف الأسرة ، وغسيل الأقدام ، اصطحبت تشن بوا تشيانغ يون وخرجتا معاً إلى الملعب .

كانت إحدى الليالى الأولى من فصل الصيف ، النجوم تنتشر بكثرة فى صفحة السماء ، ويمكن رؤية الشرر الأزرق الناتج عن احتكاك سارينة الترامواي فى الأفق الأدنى ، وكأن هناك سحابة ساحرة من الضباب تسبح فى الفضاء . أغصان الصفصاف الكثيفة تتراقص فى دلال وخيلاء مثل الأمواج ، وتبدو فى الظلام كأنها شعر فتاة حسناء ، جلست تشن بوا تحت الشجرة ، ووقفت تشيانغ يون إلى جوارها ، قوائم كرة السلة أمامها تبدو أكثر طولاً ، منتصبه كأنها أقواس النصر ومن إحدى الحوارى الصغيرة يصدر صوت بائع أطعمة الليل الخفيفة وهو ينادى : " الفطير الملدن " ، وبعد يوم عمل ، حمل البواب دلوا مليئاً بالماء وقدم من إحدى جنبات إحدى جنبات الفناء وهو يغنى فى سعادة وبطريقة عفوية :

" الجواد ينطلق خارج حدود شى ليانغ . . . . .

الدموع تسيل على الصدور ،

تلقائيا من حين إلى حين . . . . . "

اقترب منهما وألقى عليهما التحية قائلا : "تشن الكريمة ، ألم تنامى بعد ؟"  
ويعبر استخدام كلمة "كريمة" عند مخاطبة طالبة عن تقدير واحترام كبيرين .

وكانت تشن بوا تسند بقبضتي يديها على خديها فى خفة وهى ترقب النجوم فى السماء وتنصت إلى كافة الأصوات الصادرة فى المساء لوقت طويل دون أن تتكلم .

قالت لها تشيانغ يون فى اهتمام وجلد "تكلمى"

فردت تشن بوا كأنها تتلو عن ظهر قلب "أفكر فى أن أكتب خطابا لتيان لين"

حبست تشيانغ يون أنفاسها .

وأضافت تشن بوا وهى تنظر إلى تشيانغ يون فى ود وصدق ، وكأنها لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا بموافقتها : "أريد أن أقول له ، أستأذنه . . . . . فى ألا يأتى لزيارتي مرة أخرى ."

طار خفاش من فوق شجرة صفصاف بسرعة البرق دون أن يترك وراءه أثرا .

سألته تشيانغ يون وكأن قلبها بدأ يستشعر شيئا فشيئا "كيف ؟ ولماذا ؟"

لم تجبها تشن بوا .

قفزت إلى مخيلة تشيانغ يون صورة تيان لين الذى اغرورق بمياه المطر ، فأصبح مثل الديك البلدى الذى يسقط فى الحساء ، وسألته : "هل هو شاب سيء ؟"

"لا ، بل هو شاب طيب"

"هل دب بينكما شجار؟"

"لم يحدث"

"ماذا لا يعجبك فيه؟"

"لا يوجد فيه مالا يعجبني"

"لماذا إذن تريد ذلك؟"

أحنت تشن بوا رأسها ، ولم تجب . قطفت تشيانغ يون ورقة صفصاف ،  
ولفتها على شكل صفاة صغيرة، ووضعتها فى فمها وأخذت تنفخ فيها .  
لوحث تشن بوا بيدها فى غير عنف قائلة "كفاك صفيرا . . . .  
". . . .

قالت تشيانغ يون وهى فى حيرة "إننى لا أفهم شيئاً . لكننى أشعر أنك  
على حق" .

قبضت تشن بوا على يدي تشيانغ يون فى تأثر شديد

وفىما يلى نص خطاب تشن بوا لتيان لين :

" الرقيق تيان لين :

كان يجب أن أبكر بكتابة هذا الخطاب ، وإرسال التحية إليك ، والتفكير ملياً  
فى مثل هذه الأمور ، لكننى لم أستطع ، لذلك فقد أخطأت .

لقد سعيت إلى بصدق وشفافية ، ولم أتأثر من قبل مثلما تأثرت بذلك - لقد  
ترك قلبك الطيب الذى لا تشوبه شائبة فى نفسى أثراً لن ينمحي طيلة عمري ،  
ولا يمكن أن أسامح نفسى إذا سببت لك حرجاً .

لقد أدركت من مجريات الأمور شيئاً فشيئاً قولك لى :

"فكرى جيداً أيتها الفتاة الصغيرة الساذجة !"

مازلت صغيرة ساذجة ، وقد كانت كلماتك هذه لى أثناء عودتنا من احتفال مساء يوم "أول مايو" ، رغم إنها كانت مقتضبة ، إلا أنني فهمتها تماما . ومن ثم كبحت جماح نفسى ، وفكرت بتأن وعمق شديدين ، وتأكدت أن ذلك الأمر ليس ممكنا .

فإننى ما زلت فتاة صغيرة . وقد أضاعت على صعوبات وعقبات المجتمع القديم عامين دراسيين ، وقد التحقت هذا العام فقط بالصف الثالث الثانوى . وقد بدأ مد البناء العظيم لتوه فى البلاد ، والتي تتطلب من الشباب مساهمات لا مثيل لها ، بينما معارفى لا تزال فقيرة محدودة تدعو للثناء ، أشعر أنني سأظل دون المستوى بكثير حتى إذا انكبت على الكتب أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، فكيف يمكننى إذن أن أنصرف الى غير ذلك من الأمور .

نعم ما زلت فتاة صغيرة ، لم تفتح زهور حياتى بعد ، تيان لين ، ماذا ترانى فاعلة ؟ إننى لا أستطيع تحديد دورى فى مستقبل البناء الاشتراكى العظيم ، هل أذهب للتنقيب عن المعادن فى المناطق الواقعة على الحدود ، أم أبحث فى بتلات الزهور تحت المجهر المكبر ؟ هل أرتدى بالطو الطيبة الأبيض ، أم أمسك الممسحة بيدي لأنظف السبورة ؟ كل ذلك غير محدد ، وكل ما أفعله مجرد استعدادات ، هل يمكننى أن أحدد شيئاً ما فى مثل هذا الوقت ؟

لقد اكتشفت خلال الفترة القصيرة التى اختلطنا فيها معاً أنك أكثر منى نضجاً بمراحل لا تقدر ، وأنت "رجل" حنكتك الحياة وتنقلت بين أماكن كثيرة ، بينما لا يتوفر لدى شىء من ذلك .

لقد شعرت منذ البداية أن ما بيننا من تفاهم قد تجاوز كل المراحل ، ولكن هل يمكن أن يكون ذلك كافياً ؟ وكيف يمكن إذن إرضاء جوانب التفاهم الروحى إذا كنت جادا صارماً ؟



أستحلفك بكل غال ، ألا يأخذك الحزن وأن تصفح عنى !

وأن تلقى بكل شىء خلف ظهرك وتتقدم نحو الأمام ، فأنت جندى جسور  
شجاع وطيب القلب حسن الطوية . ودعنى أقولها بصراحة إنك - من وجهة نظرى  
- لست شخصا عاديا ! وإننى على ثقة من أنك ستحقق نتيجة رائعة . وحينذاك ،  
هل يمكن ألا أشاركك الفرحة ؟ لا ، بل سوف أشاركك .

ولن أطيل عليك فى الكتابة ، فأنت ذو عزيمة صلبة .

وقد كنا ومازلنا وسنظل أوفى صديقين ، وستمضى السنون والأيام ، وتبقى  
الصداقة الخالدة صامدة فى وجه الزمان .

ولا عليك ، فالحياة سوف تحنو علينا بدفء جناحيها الطويلين القويين ولن  
تتركنا فريسة البرودة والوحدة أبدا .

وإلى لقاء ! " **تشن بوا فى التاسع من مايو**

وبعد عدة أيام من تلقيه الخطاب ، اتصل تيان لين هاتفيا بتشن بوا ، طالبا إليها  
أن تذهب إليه مساء يوم السبت .

حلق تيان لين شعره ، وذقنه ، واستحم ، ولبس آخر ما اشترى من الملابس .  
وظل طيلة ظهيرة يوم السبت مشغولا بتنظيف مكتبه ، وأحضر مقعدا جديدا من  
قسم الشئون العامة ، وبعد تناول العشاء ، خرج لشراء الشاى والفاكهة .

دخلت تشن بوا إلى مكتب تيان لين الذى استقبلها بأدب جم ووجه مشرق  
متهلل كما يستقبل أى صديق يأتى لزيارته . جلست تشن بوا على المقعد الجديد ،  
وأدهشتها درجة نظافة الحجره . على الحائط صورة مدرسة وبعض فتيات الطلائع  
ينظرن إلى نموذج للكرة الأرضية ، خلفية الصورة عبارة عن أشجار ضخمة فى

فصل الصيف ، وبنظرة أبعد ترى الأرض المقسمة أفقيا ورأسيا ، ويعلق إلى جوار الصورة تمثال نصفى من الجص لـ "لوشون" (١) .

وأسفل لوح الزجاج الموضوع على المكتب يوجد جدول الاجتماعات وصورة أخذت من الجنب لتيان لين عندما كان فى الجنوب ، وورقة انتزعها من يومياته مكتوب عليها من أشعار لوشون:

" الشوق إلى الثورة الديمقراطية ملء القلوب والعقول ،

الأنواء والأعاصير تجتاح الوطن الكبير .

الشعب يئن من ظلام العبودية وظلم الإقطاع،

وأنا بروحى ودمى أفديك يا بلادى "

أحدث المكتب البسيط لديها نوعاً من الشعور بالراحة والسعادة.

ولاحظت تشن بوا أن تيان لين انتهى لتوه من تنظيف هذه الحجرة بعناية شديدة، غير أنها لاحظت أيضا أن تيان لين ليس " ربة بيت " ممتازة ، فقد مسح الزجاج بقطعة قماش مشبعة بالماء، فسالت عليه خيوط الماء الوسخ ، وكذلك لم ينفض الأتربة من أركان الحجرة . فابتسمت تشن بوا .

" إن مكتبك جميل للغاية "

" شكرا على هذه المجاملة " وابتسما معا ابتسامة خفيفة .

وراح تيان لين يتحدث مع تشن بوا حديثا عفويا باسمه وكأنه لم يحدث بينهما شىء مؤثر ، كان يخفى مشاعره بحيث لا يظهر عليه أثر لشىء ، وبعد لحظات ، تعجبت تشن بوا من أمره أيمن أن يكون قد استدعانى فقط لتبادل بعض عبارات ضاحكة ؟

(١) لوشون هو أعظم مآديب ومفكر فى تاريخ الصين الحديث ، ولد عام ١٨٨١ ، وتوفى عام ١٩٣٦ .

ثم سألته تشن بوا : " هل وصلك خطابي؟ "

رد تيان لين وقد غطى الوجوم وجهه " نعم ، تلقيته "

" وأنت . . . . هل أنت سعيد هذه الأيام ؟ "

" لا ، ولست حزينا أيضا "

" قالت تشن بوا متوسلة " ولم لا تكون سعيداً ؟ "

نظر تيان لين إليها دون أن يحرك ساكنا ، تشن بوا ترتدى بنطلونا قصيرا ذا فتحة ضيقة تبين عن بطن قدمها الدقيق النحيل . وتبدو أصغر سنا . وكان تيان لين يحاول أن يعمق هذا الانطباع في قلبه وهو ينظر نظرات مليئة بالحب إلى تشن بوا الصغيرة ذات السروال القصير فهو يدرك أنه ربما لا يلتقى بها كثيرا بعد ذلك . لم يعد بمقدوره النظر إليها مرة أخرى لأن الدموع حارت في مآقيه . صب لها الشاي ، وأحضر الفاكهة .

" ماذا تفعل ؟ . . . . " واعتذرت تشن بوا عن تحيته في أدب ، وفي نفس الوقت احمر وجهها وهي تخرج من الكيس بضعة أصابع من الموز ، وهي تقول له في أسف : " لقد أصاب العطب بعضها . هل تأكل ؟ "

" شكرا لك ، وأخذ تيان لين الموزة منها ، وقشرها وقضم منها قضمة ، وقال وهو يحكم وضع نظارته :

" قرأت خطابك ، وليكن لك ما تريدين ، شكرا لك ، وأرجو ألا تلقى عليّ باللوم . . . . "

" أنا لن ألومك . . . "

كانت لهجة تيان لين في الحديث هادئة ، وهذا ما لم يحدث من قبل أثناء لقاءه بتشن بوا ، وبعد أن أنهى كلامه ، أشعل سيجارة ، وراح ينفث الدخان في الهواء

فى ضيق و غضب ، تذكرت تشن بوا عندما التقت به لأول مرة أثناء زفاف خوان لى تشينغ وهى تحاول أن تشيه عن التدخين . والآن عاد تيان لين يدخن من جديد ، ولكنها لا تحاول منعه من ذلك .

سألت تشن بوا نفسها ، يخامرها شعور ثقيل على النفس

" لماذا يبدو تيان لين هادئا على هذا النحو ؟

وشيا فشيئا ، عاد الحديث متدفقا من جديد ، وأخذا يتحدثان عن الصيف ، وعن حمام السباحة شيئا حيا ، وعن آخر عدد من " صحيفة الشباب " اليومية .

وأثناء وداعه لتشن بوا ، استمعا إلى أصوات موسيقى راقصة صادرة من القاعة ، قال تيان لين : " هيا نرقص إذا كان لديك متسع من الوقت ، فدائما يكون عندنا هنا حفل راقص مساء كل سبت ، وهزت تشن بوا رأسها وهى تبتسم .

اعتلت تشن بوا دراجتها والتفتت ملوحة بيدها ، أسرع تيان لين نحوها " صافحيني ، فصافحته تشن وهى تمسك جدون الدراجة بيدها اليسرى . استدار تيان لين ثم عاد مسرعا .

قوة انهمرت دموعه كأنها ينبوع متدفق ، تلك الدموع التى كان يغالبها بكل ما أوتى من قسوة عندما كان يصافحها . وعاد إلى حجرته ، وراح يشد شعره بكلتا يديه ، وقد استند إلى المنضدة دون أن يتحرك له ساكن .

\* \* \*

وبينما كانت عجلتا دراجتها تدوران بسرعة على الأرض ، كان شريط ذكريات حياتها بكل ما فيه من معان ، وتأثر ، وكل ما دفعته من ثمن يزداد وضوحا شيئا فشيئا أمام عينيها .

كانت تشن بوا تحرك جدون الدراجة باستمرار لتفادى السيارات التى تسير فى ليل آخر الأسبوع ، وتخترق الشوارع المزدحمة . أضواء مصابيح النيون تشكل

تشكيلات من الألوان التي تبهر العين . محل الأطعمة به أصناف كثيرة ، أطباق الجبلى المحلى بالذعرور البرى الأحمر مرصومة فوق بعضها على شكل مكعب منتظم الشكل . السلال تمتلئ بثمار الليتشه بأوراقها ، وأعلى كل سلة توجد عدة ثمرات مقشرة ، فيظهر لحم الثمرة التي يتقاطر السائل على سطحها، بشكلها نصف الشفاف ذات الجاذبية الكبيرة . وتحت أضواء النيون ، يلتف الشباب فى حلل الصيف الجديدة حول أكداس الفاكهة ، وضحكاتهم التى لا تنقطع تجعل كل شىء أكثر جمالا . . . . .

لماذا لم تستطع تشن بوا أن تستمتع فى هدوء بروعة هذه الحياة غنية الألوان سريعة الإيقاع ؟ لماذا لا يهدأ قلبها ؟ لماذا جعلت تيان لين - الذى استحوذ على كل حبا واحترامها - يعود ودموعه فى المآقى ؟ ألا يمكن أن تأخذ الأمور شكلا آخر ؟ وإذا حدث ذلك . . . !

ومع صراع الخواطر والمشاعر ، كانت الدراجة قد بعدت كثيرا عن مكان تيان لين . وتشن بوا تفكر فى إصرار : لكن ذلك ليس لى ، نعم ليس لى !

وصدر عن العجلة الخلفية للدراجة صوت "قرقعة" ، حيث احتك إطار الكاوتشوك بالحماله احتكاكا شديداً ، ولم تعد العجلة تدور ، وليس هناك حيلة لسحبها أيضا ، كان الوقت قد تأخر وأغلقت محال إصلاح الدراجات أبوابها . فاضطرت تشن بوا إلى حمل دراجتها ، ومضت بمزيد من الجهد والعناء . وبعد لحظات شعرت بتنميل فى ذراعها ، وأخذت تلهث وقد تصيب عرقها تذكرت نظرات تيان لين التى تنضح مرارة وهو يصافحها لآخر مرة . . . . .

فعضت تشن بوا على أنيابها ، وحملت دراجتها وأخذت طريقها إلى المدرسة بخطى متثاقلة مكدودة . وهكذا هدأت موجات المشاعر فى قلب الفتاة الصغيرة لأول مرة .

\* \* \*



(٣١)

التزمت ماري الصمت بعد عيد أول مايو " كأنها حجر أصم " ، كانت تراوغ كل زميلاتها وتهرب منهم ، وخاصة تشن بوا ، (وكانت تشن بوا سعيدة بذهاب ماري للمشاركة في المسيرة).

وكانت ماري تحمل حقيبة كتبها وتنصرف كل يوم حتى قبل أداء التحية لمدرس الفصل ، وقد بلغ بها الأمر أنها لم تذهب إلى المدرسة يوم الاحتفال بعيد المدرسة . كانت تشن بوا تذهب إليها لتذاكرا معاً كالعادة ، كانت ماري تهز رأسها رافضة في خوف واضطراب ، وتود أن تنصرف ، سألتها تشن بوا " ماذا دهالك؟ " فردت قائلة :

" سامحيني ! "

لم يهدأ قلب تشن بوا ، فهيات لنفسها فرصة أخرى وسعت إلى ماري وسألتها: " أخبريني لماذا لا تعيريني اهتماما؟ "

ماذا ارتكبت من أخطاء ؟ "

أجابت ماري في ارتباك : " لا ، لا شيء . . . . . "

" إذن لماذا تفعلين ذلك ؟ "

أخيراً قالت ماري " لأن الكاهن . . . . . " وتوقفت وهي ترنو ببصرها إلى تشن بوا كأنها تنتظر حكمها .

أدركت تشن بوا الأمر .

وسألتها في غضب : " أنا لا أفهم ، كيف أن كاهناً كهذا يريد أن يبذر بذور الشقاق بين الزميلات ؟ "

شعرت ماري بالخوف والفرع وردت " ماذا تقولين؟ "

" أقول إنه يبذر بذور الشقاق ! وإنه بذلك يكون مخطئا ، وإننى لم أسئ قولا إلى كاهنكم ، فقط عليه ألا يقطع أواصر الصداقة بينك وبيننا ، وإننى أعرف أنه لا يوجد فى المسيحية ما ينص على عدم وجود الصديقات والزميلات والاكتفاء بحياة الوحدة والعزلة . . . . . "

قالت ماري وهى تكز على شفيتها " كفى . . . . . "

تشن بوا ، أنا أعرف أنك إنسانة طيبة ، أكثر طيبة من الجميع ، وأنتك تعامليننى معاملة حسنة وذلك من أجلى . . . . . ولكن ذلك ليس ممكنا ، لا أستطيع مخالفة كلام الكاهن ، انتظرى قليلا ، انتظرى وقتا آخر فسوف أخبره عن أخلاقك الحميدة ، وأطلب منه السماح ، ولكن . . . . . "

ردت تشن بوا فى عمق وأسى " لا ، لا تحدثى كاهنك عنى فإننى أشعر أنه إنسان غير طيب . "

وفى يوم الاثنين التالى ليوم نهاية الأسبوع الذى ذهبت فيه تشن بوا إلى تيان لين ، لم تذهب إلى المدرسة .

واستدعت مديرة المدرسة تشن بوا فى وقت الظهيرة ، وما أن وصلت حتى دعته للجلوس على وجه السرعة ، وأشارت إلى لوحة اشترتها حديثا طالبة رأيها فيها ، ثم صبت لها كوبا من الماء وراحت تتجاذب أطراف الحديث معها حول شئون وأحوال الفصل . وكانت حضرة الناظرة قو تنظر إلى تشن بوا نظرات مختلطة ، ربما لا تخلو من الشعور بشيء من " ضيق الصدر " ولم تكن السيدة قو ناظرة المدرسة فحسب ، بل كانت سكرتيرا للجنة الحزب الفرعية أيضا . مهامها المتعددة كثيرة، ونشاطاتها فى داخل الحزب كثيرا ما تكون فى جماعة غير جماعة أعضاء الحزب من الطالبات ، وكانت تقول : " إن اهتمامنا ورعايتنا لعضوات الحزب



الشابات هؤلاء يعتبر بسيطاً للغاية " . لكنها كانت تحب عضوات الحزب الشابات في المدرسة المتوسطة على قلة عددهن ، فقد كانت روحهن المعنوية ترتفع وتنضج نضجاً سريعاً بسبب صدقهن وإخلاصهن تجاه قضايا الحزب ، وكن يحملن على كواهلهن في هذه السن الصغيرة مهاماً ثقيلة جسيمة . إنها تشعر دائماً أن من واجبها أن تفعل من أجلهن أكثر مما تفعله من أجل الطالبات الأخريات ، لكنها لم تفعل ، ومن ثم تجاذبت أطراف الحديث مع تشن بوا ومزحت معها في ود وحرارة - على سبيل التعويض - قبل أن تخوض معها في شؤون العمل .

قالت حضرة الناظرة بروح الأمومة " لقد صرت نحيفة ! "

أنكرت تشن بوا " لا ، لست نحيفة "

" كيف حالك ؟ لقد سمعت . . . . . "

وقصت عليها تشن بوا حكايتها مع تيان لين ببساطة ، حتى إنها قالت : " لقد أصبح كل ذلك في طي الماضي . . . . . "

تنحنحت حضرة الناظرة وقالت " ولماذا لم تستمرا في علاقتكما ؟ "

ثم نقرت بإصبعها على المكتب بخفة ، واستطردت تقول بسرعة .

إن ما فعلته هو عين الصواب ، هو الأفضل . هيا ننتقل إلى الحديث عن الأمور الأخرى ، هل حضرت ماري دروس اليوم؟

" لا ، لم تحضر . "

فقالت مديرة المدرسة في صوت خفيض " إذن فالأمر كذلك ، فقد جاء شخص من مصلحة الأمن العام يقول إنه تم في الصباح الباكر إلقاء القبض على الكاهن الكاثوليكي جوزيف لي - الذي يرعى ماري - لأنه من العناصر المناهضة للثورة تحت ستار الدين . . "

ونفضت الناظرة من مجلسها ، وأحكمت غلق الباب ، وقطبت جبينها واستطردت تقول : "إنهم يقولون إن تصرفات ماري كانت سيئة للغاية ، فقد احتضنت الكاهن جوزيف لي وراحت تبكي بشدة وهم يلقون القبض عليه ، وكان أسلوبها شديد السوء والقسوة مع رجال الأمن ، وأنهم يريدون استجلاء الأمر ومعرفة المشاكل التي تواجهها ماري... .."

فكرت تشن بوا قليلا في شيء من التوتر ، ثم قالت وهي تجزم: لا شيء ، إنني أشعر أن ماري إنسانة طيبة جدا ، وسيئة الحظ جدا".

أومأت حضرة الناظرة "نعم ، إنني أشعر بذلك أيضا ، وإذا كانت ماري تكرهنا ، فذلك لأننا لم نؤد واجباتنا خير أداء ، ولم نمنح تأثير وأفكار جوزيف لي - ذلك الوغد - من قلبها . ولم يمض على التحرر سوى سنوات ثلاث ، بينما هي قد أمضت معه عشر سنوات ، وليس بالأمر اليسير فك كل القيود والأغلال التي كبلها بها.

ولكن الظروف تحسنت الآن ، بعد القبض على ذلك الوغد المدعو جوزيف لي! "إنى أرى أن ماري فتاة لا بأس بها ، إننا كثيرا ما نتحدث معاً ، وقد شاركت أيضا في مسيرة عيد "أول مايو" هذا العام. ولكنها ابتعدت عني شيئا فشيئا في الآونة الأخيرة ، وقالت بنفسها إن جوزيف لي لا يسمح لها بالاختلاط مع زميلاتنا .

"بل علينا نحن أن نقرب منها . وقد بحثت ذلك الأمر مع الأستاذ يوان رائد فصلكن واتفقنا على أن تبخني عن زميلة أخرى وتذهبها معه بعد ظهر اليوم لزيارة ماري والاطمئنان عليها ، فنحن لا نعرف كيف حالها وهي وحيدة بمفردها. ومهما كان من أمر ، علينا أن نحتمل ونصبر ، فعدم إدراك مثل هذه الفتاة لوطنها حتى الآن ، يعتبر مأساة بمعنى الكلمة... .."

ولدى خروجها من مكتب حضرة الناظرة ، أقسمت تشن بوا على نفسها قائلة :  
" سوف تتحسن حالة ماري بكل تأكيد "

وودعتها الناظرة بنظرات تعبر عن التأثر والامتنان .

ذهبت لى تشون وتشن بوا مع الأستاذ يوان لزيارة ماري ، كانوا يمضون بسرعة ، يتبادلون بعض الكلمات أو يغرق كل منهم فى التفكير فى قضاء هذه الزيارة غير العادية ، وراحت لى تشون تنظر إلى تشن بوا ثم تنظر إلى الأستاذ يوان ، ويتولد لديها شعور جديد تجاه الأمر الذى يقدمون عليه ، خطر بيالها أنه يمكنها بسهولة - كسهولة قلب الكف - أن تساعد ماري فى استكمال الدروس التى فاتتها اليوم ، وفى الوقت نفسه تمنى أن تستخدم مكانتها " كطالبة مثالية " ولباقتها وحكمتها فى تشجيع ماري وإقناعها ، والأستاذ يوان يحاول أن يوسع الخطى ، فهو يعجز عن ملاحظتها قليلا ، فكم مرت من السنين ، وهو يقوم بزيارات لعائلات مختلف ألوان وأنواع الطلبة والطالبات - منهم لصوص ، وأنسات غنيات ، وأنصاف بلهاء . . . . .

ولكنه لم يعرف بعد مكنون قلب ماري التى تؤمن بالديانة المسيحية بصدق وإخلاص ، لذلك يساوره شىء من القلق خشية عدم أداء مهمته على النحو المطلوب ، وكانت تشن بوا منهكة متعبة بعض الشىء لأنها لم تنم جيدا طيلة الليالى الثلاث الماضية ، ومازال قلبها ينشغل بتيان لين من وقت لآخر - ومن يدرى - ربما نتيجة لذلك ترغب بشدة فى أن تقدم شيئا لماري ، ساروا فى عدد من الشوارع المتلوية ، حتى دخلوا فى حارة مسدودة ، حيث وصلوا مقصدهم . .

كان معلقا على باب " منزل " ماري لوحة قديمة ، مكتوب عليها " جمعية زهد باوسقاو المقدس " ، وكان يقف بالباب جندي تابع للأمن العام يحمل سلاحه فى يده ، مما أفزع لى تشون ومن معها ، قالوا إنهم يبحثون عن ماري ، فأشار لهم

الجندي بالدخول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ، حيث إنه ليس هناك أى قيود على الخروج والدخول والزيارة . وكان يقيم فى الجزء الأمامى من الفناء عامل تريسكل وإسكافى ، والطبال الذى يعزف لتشجيع البهلوان " الشبح العملاق " فى معبد البرج الأبيض . أخذوا يجوبون بأنظارهم تشن بوا ومن معها فى شك وريبة ، وأجابوا عن تساؤلهم وأخبروهم أن ماري وجوزيف لى فى الحوش الأخير . وعندما وصلوا مفترق الطرق فى الفناء الخلفى ، شاهدوا ثلاثة أطفال فى ملابس قديمة رثة يمشون أعناقهم ويختلسون النظرات إلى رجال الأمن المشغولين بأداء عملهم ، وأشار أحدهم إلى الحجرة الشرقية التى تقطنها ماري مرشدا أستاذها وزميلتيها .

نادت تشن بوا " ماري ! " فلم يرد عليها أحد .

ودخلوا هذه الحجرة الصغيرة الرطبة الضعيفة الإضاءة فجثمت الأشياء المتراخمة المختلطة على صدور الضيوف الثلاثة .

ولدى دخولهم وجدوا ماري مستلقية مكومة فى الفراش ، وظهرها نحوهم . بجوار السرير منضدة متهالكة متآكلة الأرجل ، يوضع على سطحها المتعرج غير المستوى رغيف من خبز الذرة المنضوح على البخار وإناء به قليل من حساء الفجل ، وشرائح الفجل الرقيقة القليلة تطفو على سطح الحساء الخفيف الذى لا يوجد به دهون أو زيوت . الرغيف مقطوع منه جزء لم يؤكل موضوع إلى جوار حساء الفجل . نادى الأستاذ يوان مرة أخرى " ماري ، وقالت لى تشون هى الأخرى : " انظري ، لقد جاء الأستاذ يوان بنفسه لزيارتك ، استدارت دون أن يصدر عنها صوت ، وجلست ، وراحت تحملق فيهم بنظرات جامدة .

حالة ماري النفسية والمعنوية جعلتهم يرتعدون خوفا .

شعرها مبعثر منكوت ، وعيناها متورمتان ، وأثار الدموع تركت خطوطا سوداء وأخرى بيضاء على وجهها . شفثاها جافتان ومتشقتتان ، وكان الدم قد

انسحب منهما ، ملبسها التي بدت واسعة فضفاضة ، متكسرة ومكرمشة ، تبدو كأنها تريد أن تنخلع عن هذا الجسد النحيل الهزيل . كل هذا ، وخاصة نظرات ماري الجامدة التي تطل منها مشاعر الألم والحزن الدفين ، وحالتها النفسية التي تدعو للأسى والرثاء ، كل ذلك ترك إحساسا هذا بالألم والمرارة عميقاً في نفس زميلتها وأستاذها - أولئك الذين اعتادوا رؤية وجوه الشباب المشرقة المتهللة السعيدة التي تفيض صحة وحيوية .

وبادر الأستاذ يوان قائلاً : " ابنتي ماري ، أليست صحتك على ما يرام ؟ لم لاتذهبين إلى الفصل اليوم ، والجميع قلق عليك . . . . "

ولم ترد ماري

" ماري ، دعيني أساعدك في كتابة ما فاتك من دروس اليوم ، فقد درسنا كثيراً من التاريخ الأجنبي على نحو خاص " .  
لكنها مازالت تلوذ بالصمت .

ليس هناك ما يشير ضيق الإنسان وألمه أكثر من الصمت ، وقد جعل صمت ماري ثلاثتهم يشعرون كأن هناك آلاف الكيلوجرامات من الأحمال التي تثقل كواهلهم ، تشجعت لي تشون واقتربت من ماري ، ووضعت يدها على كتفها ، وسألته بصوت عال :

" كيف لا تتكلمين ؟ لقد جاء إلى زيارتك الأستاذ يوان بنفسه أيضا . . . . "

ردت ماري وصوتها به حشرجة جعلتها تضطرب مثلهم تماما :

" ماذا أقول ؟ " وقد دفعت يد لي تشون ، وقالت في حقد وكراهية :

" لن أذهب إلى المدرسة ، لم أذهب اليوم ، ولن أذهب غدا ، ولن أذهب بعد ذلك أبدا ، وتراجعت لي تشون إلى الخلف .

" ابنتى مارى ، إننا نعلم أن حالتك النفسية ليست هادئة تماما . "

استريحى اليوم جيداً ، لتحضرى غدا إلى المدرسة . إن إلقاء الحكومة القبض على جوزيف لى بوصفه عنصراً مناهضاً للثورة ، أمر ليس له علاقتك بك أبداً ، فأنت طالبة مجتهدة ، وقد أصبحت على وشك التخرج ، والمستقبل يبدو أمامك مشرقاً عريضاً . . . . . "

قاطعت مارى الأستاذ يوان ، وقالت فى لهجة تنم عن روح التحدى والجدل لم تستخدمها من قبل : " يا أستاذ ، حضرتك تقول إنه ليس هناك علاقة بينى وبين الكاهن لى ، فإلام تستند فى رأيك هذا ؟ وانى أريد أن أسأل ، أليس صحيحاً أن الحكومة تريد القضاء على الكاثوليكية ؟ "

" بالطبع لا "

" لماذا إذن تلقى القبض على كاهنى وكل أهلى - الكاهن جوزيف لى ؟ "

" إن كل من يخرج على القانون ، أو يرتكب عملاً معادياً للثورة يقع تحت طائلة قانون البلاد ، بصرف النظر عما إذا كان كاهناً أو أى شخص آخر . "

" وأنا ، ماذا أفعل ؟ "

" أنت طالبة وطنية ، ويجب عليك مساندة الإجراءات الحكومية ، وأن تشعرى بسعادة إزاء تصفية العناصر المندسة فى الكنائس والمناوئة للثورة . . . . . "

صرخت مارى ، مارى الرقيقة الهادئة دائماً ، التى كانت نادراً ما تتكلم عدة كلمات على بعضها ، صرخت " سعادة؟ " ، إن هذا لشيء مخيف . وراحت تبكى وتتكلم فى صوت خشن أجش والحزن يعتصر صوتها ، " سعادة؟ "

يا أستاذ ، إنكم مستريحون كثيراً ، وسعداء كثيراً ، فلکم ما شئتم من السعادة، وإننى أدعو رب السماء أن يديمها عليكم . . . . . ولكن هل تعلمون

مأساتي؟ إننى يتيمة بلا عائل ولا سند، مسيحية معتدلة متواضعة ، أتعرفون أحزانها ومأساتها ؟ واختنق صوتها من الدموع وواصلت حديثها وهى تترنج : "تشن بوا ، لى تشون ، زميلتاي، إننى لست مثلكما ! إن لكما أب وأم ، رددت مارى "أب" و "أم" ، هاتين الكلمتين الغربيتين عليها فى ألم وحسرة ، "يرعونكما، يحبونكم، يحنون عليكما ، يضعون عليكما الغطاء إذا برد الجو ، ويدفئون لكما الماء إذا ألم بكما مرض ، ولكن هل من أحد أخبرنى بمن تكون أمى ومن يكون أبى؟ آه ، ولكنى حييت ، ومازلت أحيأ ، وكبرت ، بل وأصبح بمقدورى أيضا أن أدرس معكن أنتن اللاتى بلغ حظكن عنان السماء، فعلام أعتمد فى كل ذلك ؟ على الكنيسة والكاهن فقط .

لقد بدأت أعمل فى الخامسة من عمرى ، انحنى ظهرى من العمل فى التطريز بالإبرة ، وانبرت يداى من غسل الملابس . وأنا فى الخامسة ، أتدريان ما الخامسة ؟ ربما كتما آنذاك ما تزالان فى أحضان أمهاتكما تأكلان البسكويت . . . وعندما تجاوزت العاشرة بقليل، كدت أتزوج ، أتدريان من أنقذنى ؟ إنه الكاهن جوزيف .

إننى لا أملك شيئا حتى هذه اللحظة ، ليس عندى معطف قطنى ، البنطلون القطنى مضت عليه خمس سنوات ، الأيام التى تسقط فيها الثلوج بغزارة تين عن احمرار ساقى الصغيرتين من شدة البرد .

ولا أملك شيئا من الأدوات المدرسية ، أستعير قلم حبر من إحدى الزميلات عندما أريد الكتابة ، ولا أملك مالا ، وليس لى أقارب . . . قبل عدة أيام أكلت نصف كعكة ، فتصورت أنها ألد وأشهى طعام فى الدنيا بأسرها . . . فلماذا إذن أقول ذلك ؟ ولا تتصورا أننى ألعن حظى ، لا ، أبدا ، إننى سعيدة أيضا ، لأن لى رب ، ولى عقيدة ولى كاهن ، وهذا الكاهن هو الذى يفيض على من نور الجنة، مما يجعلنى أقبل على الحياة فى عزيمة وإصرار ، ولكن . . . .

وكلما تكلمت ازدادت تأثرا ، حتى اختنق صوتها من البكاء ، لماذا ، لماذا ،  
يلقون القبض على كاهنى !؟ "

وانكفأت على الفراش ، وراحت تبكى فى حرقة ، وتحول هذا البكاء شيئا  
فشيئا إلى نسيج ، ثم سحبت طرف الملاءة المتسخة ومسحت دموعها .

أثارت شكوى ماري المتفجرة مستمعيها الثلاثة ، حتى كأن عيونهم قد ذرفت  
الدموع أيضا ، وراح الأستاذ يوان يهز رأسه ويتنهد فى غير احتمال . فلم يتفوه  
أحدهم بكلمة واحدة طوال حديثها ، حتى عندما ذكرت كلمتها الأخيرة - التى تعبر  
فيها عن ولائها الصادق وحبها لجوزيف لى - تلك الكلمة السخيفة التى تشير  
الضيق والغضب .

نهضت ماري فى قفزة واحدة ، وانحنت أمام الأستاذ يوان تعبيرا عن التحية ،  
وكذا فعلت أمام تشن بوا ، وأمام لى تشون ، وقادتهم وهى تقول : " شكرا  
لحضرتك يا أستاذ يوان ، شكرا تشن بوا المخلصة ، شكرا لى تشون . أرجوكم أن  
ترفقوا بى وتأخذكم الرأفة بحالى ، وهيا نذهب جميعا نتوسل إلى المسئولين بالأمن  
العام ليطلقوا سراح الكاهن لى . . . . . "

خيم الصمت على لى تشون والأستاذ يوان من هول الصدمة .

وأخذت تشن بوا تكبح شيئا فشيئا عددا لا حصر له من المشاعر والأفكار ،  
واستقامت فى وقفها وأمسكت بيد ماري ، ومسحت لها دموعها بيدها ن وقالت  
لها :

" اهدهى ، هدهى من روعك قليلا . . . . . "

صاحت ماري فى تشن بوا : "

إننى أريد الكاهن . .

هزتها تشن بوا من كتفها ، وقالت لها والكلمات تخرج من فمها كطلقات  
الرصاص : " أنت مخطئة تماما ، فكرى كم أن الأمور مختلطة عليك ، كانت



حياتك الماضية قاسية ، هل يمكن أن تكون هي الحياة التي منحها لك الحزب الشيوعي ؟ لا ، إن حزينا العظيم يحاول أن يجفف دموعنا ، وأن يخلق السعادة للشباب ، وإن كلامك غير صحيح ، إننى عندما كنت فى الخامسة من عمري لم أكن بين أحضان أمى أكل البسكويت بالسكر ، بل كنت فى ذلك الوقت أنا وأمى نحرق الأوراق<sup>(١)</sup> من أجل أبى ، ذلك الذى تمزقت أحشاؤه تحت عجلات سيارة جيب أمريكية . . . . . ولاذت تشن بوا بالصمت حتى تمضى لحظات التأثير والحزن .

حينذاك أكملت لى تشون فى حزن : " فى الخامسة من عمري ، كنت أنا يتيمة الأبوين أيضاً ثم وضعت يديها على عينيها .

ثم استطردت تشن بوا تقول : " . . . . . لقد كان الأطفال غير سعداء فى المجتمع القديم . ولكن الآن ؟ فى مساء يوم " أول مايو " رقصنا ليلة بطولها ، نتبادل النظرات فلا تنقطع الضحكات ، وذابت كل ذكريات الطفولة الحزينة دون أن يتبقى لها أثر ، تماما مثلما تذوب الثلوج تحت الشمس الساطعة . . . . . وبطبيعة الحال ، إنك أكثر منها معاناة ، واهتمامنا بك قليل للغاية أيضاً ، وذلك لأن جوزيف أضربك ، إنه عدوك الأكبر . فقد غرر بك وهددك ، وفرض عليك القيود ، وجعلك عاجزة عن الحياة فى سعادة فى هذا العالم الجديد الجميل . . . . . فأنت تعيشين فى عاصمة الصين المحررة ، لكنك لا تدركين أحوال وطنك . وتدرسين فى المدرسة الثانوية الرابعة للبنات ، ولكن تسبين كأنك من خارج الفصل حتى إنك لا تجرؤين على الحديث مع زميلاتك ، ولذلك لا سبيل أمامهن لمساعدتك أيضا . عزيزتى كلنا أهلك ، كل زميلة فى فصلنا ترغب أن تكون أهلا لك ، لكن جوزيف طلب منك أن تتعدى عن كل الأصدقاء ، لقد دمرك ، بل قتلك معنويا ، وتظليلن العفو عنه ذلك الفاسد الذى ارتكب جريمة لا تغتفر ! "

(١) أوراق على شكل أوراق مالية وتحرق اعتقادا من أهل المتوفى أنه سوف يستخدمها فى العالم الآخر .

ثم صوبت تشن بوا نظرها مباشرة نحو ماري في حزم وفي غير شفقة .  
منذ يوم "أول مايو" فصاعدا ، سيطرت على ماري كل مشاعر التردد  
والتوجس والخوف . وانقلبت الدنيا كلها في عينيها ، وكأن السماء ستنطبق على  
الأرض ، حتى إن المنضدة والكرسي أصابتهما الرعدة والاعوجاج ، كل ذلك علاوة  
على حياة ماري البائسة القاسية جعلها تتطلع تطلعا مشوشا إلى التحدي والمقاومة ،  
وربما كان أحرى بها أن تصرخ وتعلو بالبكاء . وجهت غضبها ولومها وكراهيتها إلى  
الحزب والحكومة بعد إلقاء القبض على جوزيف ، ثم أخذت ماري الوديعه المهذبة  
تزار في وجه الحزب ، لكن تشن بوا أوقفتها في حزم .

ربما كانت "فوائد" جوزيف بالنسبة لها محدودة جدا في حقيقة أمرها ، وربما  
يوجد في نفسها شيء من عدم الاقتناع به أيضا ، ولكن إحساسها بافتقاده وتطور  
الأحداث جعلها تتوجس خيفة ، ثم ضاعفا من شعورها بقيمته مئات المرات .

ومنذ سنوات طويلة وجوزيف في نظرها هو رسول رب السماء ، وهو  
الذي يجسد قيم وأخلاقيات مريم العذراء ، وتنحنى أمامه كأنها تنحنى أمام يسوع  
المسيح ، أيتها الفتاة المسكينة إنك تجملين بقلبك الطيب البريء ذلك المخادع القبيح  
في الأصل ، ألا تكون النتيجة دائما أن تجعلى نفسك مخدوعة .

وبينما كانت ماري تتلقى انتقادات تشن بوا اللاذعة ، شعرت أن رأسها  
مخدرة ، كأن هناك عددا لا حصر له من الإبر الصغيرة غير المرئية توخزها في أم  
رأسها .

استدارت وجلست في حالة من الإعياء .

وقال الأستاذ يوان وهو يتنحى : "كلام تشن بوا صحيح ، وإننى أعرف أنك  
أسلمت قياد قلبك تماما للدين . وأن الشباب متحمس ويتصف بالصدق والإخلاص ،  
ولكن يتعين عليك أن تصونى نفسك من الجواسيس الذين يتسترون تحت رداء الدين ،

الذئاب الذين يبدون فى ثوب حمل ، فقد تعاملت عن قرب مع مثل هؤلاء أيضا ،  
إنهم يتحدثون عن الرب بكلمات رنانة معسولة ، لكنهم فى حقيقة الأمر أحقر  
الناس . . . . . " .

استمعت مارى لكلام الأستاذ يوان ، ولم يتته من كلامه حتى تلاشت نيران  
الحقد والغضب من نظرات عينيها التى تفيض بالحزن والأسى ، ولم يتبق سوى الوجه  
الشاحب والملامح الهزيلة ، استندت بإحدى يديها أولاً ، ثم أمالت رأسها ببطء ،  
وهوت على الفراش ، وغابت عن الوعى .

وبعد لحظات ، اقتربت منها تشن بوا ، وقالت بصوت خفيض : " لقد نامت ،  
وسحبت عليها الغطاء .

وسألت لى تشون " هل أكمل لها ما فاتها من الدروس ؟ "

وأشار الأستاذ يوان إلى رغيف الخبز وحساء الفجل المتواضع وقال : " إنها لم  
تتناول طعامها بعد " .

تساور ثلاثتهم بصوت خفيض وقرروا أن تدون لى تشون الدروس نيابة عن  
مارى ، ويخرج الأستاذ يوان ليشتري لها بعض المأكولات الخفيفة ، وأن تعود تشن  
بوا إلى المدرسة لتحضر بطانية وتأتى لتنام مع مارى ، وكانت لى تشون تصر فى أول  
الأمر على أن مزاج تشن بوا ليس معتدلاً ، وعلى أن تقوم هى برعاية مارى ، لكن  
تشن بوا شعرت أنها مازال باستطاعتها مواصلة الحديث مع مارى ، ومن ثم توصلوا  
إلى القرار السابق ، وقد اتفقوا أيضا على أن يتوسلوا إلى مارى فى صباح الغد  
لتنقل إلى الحياة فى المدرسة .

. . . . . استيقظت مارى فى الليل ، فرأت شخصاً ينام على الأرض ،

لم تنتظر تشن بوا سؤالاً ، ونهضت وقالت : " أنا تشن بوا " .

"لماذا تنامين هنا؟"

"خشيت أن يصيبك تعب ، أو تحتاجي شيئاً ، تناولى شيئاً من هذه المأكولات الخفيفة لقد اشتراها الأستاذ يوان من أجلك ... .."

هزت ماري رأسها ، ومدت يدها الملهبة الحرارة وأمسكت بيد تشن بوا ، ونهضت من رقدتها فجأة وجلست وسألت : " ما هذا ؟ " ثم رقدت خائرة القوى من جديد .

نظرت تشن بوا حولها في كل مكان فلم تجد شيئاً ، بينما عادت ماري تقول :  
" اذهبي إليك عنى ... .. آه ، كيف أشعر بألم إلى هذا الحد ... .."  
وتحسست رأسها بيدها وراحت تتقلب في الفراش .

قالت تشن بوا وهي تدلك لها أصابع يدها واحداً تلو الآخر " عليك بالنوم يا صديقتي العزيزة ولا تنزعجي ، فعندما تستيقظين سيكون كل شيء قد أصبح مشرقاً ، ويكون كل شيء على ما يرام ويزول وعنك الكابوس ، سوف ننتقل إلى المدرسة في صباح الغد ، ونستمع إلى الفكاهات من ووتشانغ فو ، وتشاهدي تشوشيا ولينغ وهي تلعب كرة السلة أو نذهب ونلعب معها ، ثم يبدأ الأستاذ يوان شرح الدرس ، ويا له من شرح جميل ... .. "

لم تعد ماري تتحرك ، وكانت تشهق من حين لآخر مثل طفلة ذليلة كسيرة الجناح لاقت كثيراً من الضرب ، وشيئاً فشيئاً انتظمت أنفاسها ، وتلاشت كل أحزانها وشكواها وكلماتها البالية ، تلاشت تحت جناح الليل الحالك الظلمة .  
أصاب النعاس تشن بوا أيضاً ، تئاءبت تشاؤبة واحدة ، وفتحت فمها طويلاً ، ونسيت ما تقوم به هي نفسها ، وتمددت على الأرض غير المستوية والتي لا تخلو من بعض المستنقعات ، وراحت تستمع بدقة وإمعان إلى حركة تنفس ماري .

كانت لى تشون تشعر بالكآبة وهى تطوف بالحوارى والأزقة الصغيرة المتعرجة بعد أن انتهت من تكملة الدروس لمارى، وخرجت من هذه الحجرة الضيقة . فهى لا تحب البكاء ، وتصيها الحيرة والارتباك إذا رأت الدموع . وكم كان بكاء مارى مرأ محزنا! ولم تكن لى تشون تتصور من قبل أبداً أن يصادف مارى التى تدرس معها فى نفس الفصل ، والتى تسلم الواجبات معها فى نفس الوقت مثل هذا الحظ العاثر . فقد كانت حدود معرفتها بالزميلات من قبل لا تعدو نطاق معرفة نتائج الامتحانات ، وكانت تنظر إليهن فقط على أنهن شريكات لها فى إجراء التجارب ومنافسات لها على الدرجات . أما الآن فقد أدركت الكثير من الأمور بعد إزاحة الستار عن حياة إحدى الزميلات . وتولد فى قلبها نوع من الحب العميق والاهتمام الصادق المتواضع تجاه الصديقات . وعندما كانت تدون الدروس لمارى ، كانت تكتب الرموز بخط منظم أشبه بخط المطبعة ، لم تستخدم המחاة قط ، وكانت أكثر اهتماما مما لو كانت تدون دروسها نفسها . وقد جعلتها حياة مارى تفكر فى نفسها ، أو ليست هى الأخرى يتيمة من وقت طويل ؟ ولاقت كثيرا من المضايقات من زوجة عمها ! وقد كانت بطبيعة الحال أحسن حظاً من مارى ، فقد شعرت أن الحياة فسيحة رحبة ، وشعرت بالحرية ، وعقدت العزم على أن تصبح عالمة . ولكنها كانت تستغرق طوال اليوم فى حساباتها الهادئة ومصالحها الفردية ، ولم تتعرف تماماً على زميلاتنا ، ولم تكن أبداً صديقة قريبة منهن ، (انظرى إلى تشن بوا وهى تقول: "مازال يمكننى الحديث معها") وإنه لأمر غير جميل أن يكون الإنسان شريكاً يمكن الاستغناء عنه عندما يتعلق الأمر بحياة الزميلات الخاصة ومصائرهن ، حتى إنها قليلا ما تجلس إلى نفسها تتحدث حديث القلب إلى القلب . . . . . وعادت إلى المدرسة وهى تحمل بين حناياها عاطفة متأججة لم تكن تتوافر لديها من قبل ، وشرحت حالة مارى لزميلاتنا اللاتى رحن جميعا يلعن جوزيف فى حقد وكراهية .

\* \* \*

إن المتاعب لا تأتي فرادى ، ففي الوقت الذى انتقلت فيه مارى إلى المدرسة ، مرضت سونينغ ونقلت إلى المستشفى .

وعندما سألت سونينغ والدها عن موضوع الدقيق المقدس ، رفض أن يعطيها رداً شافياً ، وهددها فى عنف وجفاء ، فقررت أن تكتب خطاباً بذلك وترسله إلى إدارة الشؤون الصناعية والتجارية بالحكومة البلدية .

وفى مساء ذلك اليوم قامت إدارة الشؤون الصناعية والتجارية بالحكومة البلدية ، وجمعية الصناعة والتجارة باستدعاء والد سونينغ ، وسألوه عن هذه الأمر ، فأنكره فى بادئ الأمر ، فقالوا له فى حزم

"سو هونغ تو - إن الدقيق فى بيتك ، ولن يمكنك التخلص منه إذا أردت ذلك ، وأنت تريد افتعال أزمة فى هذه السلعة ، هل يمكن أن تنكر ذلك ؟ لقد استدعيناك إلى هنا ، وهذه هى آخر مرة نعاملك فيها بمثل هذه السماح والكرم ، وكان يجب أن تعاقب على تصرفاتك الدائمة غير المشروعة وفقاً لأحكام القانون . عليك أن تدرك أنك فى وقت المقاومات الخمس ظهرت مخادعاً محتالاً ، وكيف افتضح أمرك !

وكانت النتيجة التى تخضت عن هذا الحوار هى إعطائه ليلة واحدة مهلة يراجع فيها نفسه ، ويقر بخطئه ويعترف عن شركائه فى هذا التصرف غير المشروع ، ثم يصحح نفسه .

انحنى سوهونغ تو أمامهم انحناء كبيرة ثم خرج من مقر الحكومة البلدية ، وهو يفكر فى نفسه : " لو كنت أملك سكيناً لاقتلت معكم ، ولو قتلت ، وليس بخسارة إذا قتلت منكم واحداً ، ولفزت إذا قتلت اثنين ، حتى أوفر على نفسى هذا الغضب ، وقرص فخذه وهو يشتم ، كيف عرف هؤلاء الملاحين بأمرى ، إن الخناق يشتد حول عنقى شيئاً فشيئاً ، ومر فى الطريق بكشك لبيع السجائر ، فاشتري علبة سجائر ، مزق طابع الدمغة وألقى به على الأرض ، هه ، علبة السجائر ثمنها ثلاث ماوات وعليها ماو ونصف ضريبة ! إنه استغلال ، لكن من يستغل من ؟

الرأسماليون يستغلون العمال ، لكن الحكومة تستغل الرأسماليين ! ثم راح يدخن سيجارة وهو يقدح زناد فكره ، كيف أمكن لحكومة البلدية أن تعرف إنه يتاجر فى الدقيق .

عاد الأب سوهو نغ تو إلى المنزل وهو يحمل زجاجة من الخمر وزوجاً من الجمبرى كبير الحجم ، أسرع إلى الحجرة البحرية - التى كانت حجرة استقبال للضيوف وهو يأكل ويشرب ويصيح . تلك الحجرة التى لم يعد بها ما يشير إلى أنها حجرة استقبال الضيوف ، فقد بيعت المقاعد والمنضدة المصنوعة من خشب الصندل لسداد مصاريف نقل الحبوب ، شرب شربة من الخمر اللاذع ، وود لو كسر بأسنانه الكاس الذى بيده ، زوجته تكلمه ، بينما هو ساهم شارد مثل الأبله ، وبعد التاسعة مساء ، طلب من العمه تشاو أن تنادى له سونينغ .

قال لها وقد صوب نظره نحوها: " لقد لقننى الرفاق فى الحكومة البلدية درسا انفراديا اليوم، فصدر عن سونينغ صوت تعجب .

"إننى عنيد متصلب الرأى ، غايتى الوحيدة تحقيق الربح ، وقد خرجت على القانون عدة مرات ، وارتكبت أشنع الجرائم! "

نظرت سونينغ إليه فى شك وريبة ، لاتدرى ما إذا كان هذا الكلام حقيقة أم زيفا .

شرب سوهونغ الخمر عن آخرها ، وبدا يحاول السيطرة على نفسه وهو يلحق كأسه الفارغة .

" أبى ، أليس من المسموح لحضرتك أن تعمل بالتجارة إذا كنت تمارسها وفقا لقواعد القانون؟ "

" بلى ، لكنى خارج على القانون ، ولست مواطناً صالحاً ، ابنتى العزيزة ، يجب أن أشكرك فقد أنقذتيني . . . . . "

" ماذا ؟ "

لقد أخبرنى الرفاق بالحكومة البلدية أنك أنت التى أبلغتهم عنى وقلت كلمة الحق ولو على أهلك ! ، قال سوهونغ تو بطريقة محرجة : فى واقع الأمر ، كان يتعين عليك أن تسدى إلى النصح أولاً ، بدلا من التفكير فى الذهاب للإبلاغ عنى !

" لقد توصلت إلى حضرتك ، لكن حضرتك لم تسمع . . . ، "

وقف سوهونغ تو فى تناقل ، واستند الى الكرسي واقترب من سونينغ ، وكانت الخمر قد لعبت برأسه حتى كاد يجن جنونه ، " ابنتى العزيزة ، عديمة الضمير . . . . " وصفعها على وجهها صفعة قوية .

ثم انهال عليها لكما وضرباً دون أن ينتظر حتى تفهم سونينغ ما حدث ، وأخذ سوهونغ تو يوبخها قائلاً : " ابنتى العزيزة: لن أريك لوجه الله تعالى ! لقد وقفت ذليلاً أمام الحزب الشيوعى خارج المنزل ، أيمكن أيضاً أن أكون هكذا أمامك داخل المنزل ؟ لا أستطيع ضرب الآخرين ، ألا يمكننى أن أضربك أيضاً ؟ ! ، "

ورغم أن سونينغ لاقت الكثير من الظلم ، إلا أنها لم تلق من قبل قط هذا الضرب الوحشى المبرح ، وقد ارتبكت فى البداية فلم تدافع عن نفسها فأشبعت ضرباً حتى نزفت دماً من أنفها ومن لثة أسنانها ، من ثم هبت تدافع وتحمى نفسها بغريزتها وأخذت تصرخ ، " الحقونى ، الحقونى . . . . . "

أثار صراخ سونينغ ضيق وثورة أبيها سوهونغ تو فاقد الصواب ، مما دفعه بمشاعر الغريق الذى لا يخشى البلل ، ومشاعر من يواجه النهاية إلى أن يلكمها لكمة أفقدتها الوعى .

وعندما رأى يده ملطخة بدماء ابنته ، قلب المنضدة ، وركل الكرسي ، وعندما جاءت والدته سونينغ مندفعة نحوه تبكى وتصرخ ، مد يده ليضربها هى الأخرى ، فصدته الأم بالحائط مباشرة فأفاق من سكره .



نقلت سونينغ إلى مستشفى الجراحة ، واحتُجز سوهونغ تو في نقطة البوليس .  
وذهبت يانغ تشيانغ يون ، ويوان شن تشى ، وتشوشيا ولينغ الى المستشفى  
لزيارة سونينغ . تقضى اللوائح بالألا تزيد زيارة المريض عن ساعة واحدة بل إن  
ثلاثتهن سيدخلن إلى العنبر واحدة تلو الأخرى على التوالى ، حيث إنه ليس  
مسموحاً بدخول اثنين أو ثلاثة فى وقت واحد ، دخلت تشيانغ يون أولاً ، ارتدت  
القناع الأبيض وفقاً للقواعد المعمول بها ، ودخلت العنبر الأبيض الذى تفوح منه  
رائحة كحول ثقيلة ، ونظرت عدة مرات حتى تعرفت على سونينغ ، الأربطة  
والجبائر ملفوفة على عنقها مما جعل ملامحها النحيلة تبدو غليظة متورمة .

لوح تشيانغ يون بيدها وهى تنادى : " سونينغ . " وأسرعت نحو سريرها ،  
وبددت بوقع قدميها على الأرضية السكون الذى كان يلف العنبر .

ترقرقت دموع الامتنان والتأثر فى عينى سونينغ ، كأنما رأت أقرب الناس إليها  
وأكثرهم اهتماماً بها وبدت فى حالة معنوية جيدة للغاية ، قالت : " إن جرحى ليس  
خطيراً ، ويمكننى مغادرة المستشفى بعد يومين . " وقالت لتشيانغ يون ، " إن هذا  
العنبر رائع ، نصف المرضى به أعضاء بالحزب الشيوعى ، والجميع يتبادلن عبارات  
السلوى والتشجيع ، والنقد أيضاً ، فقد حدث أن انتقد الجميع إحدى المريضات  
بسبب أسلوبها غير المناسب فى التعامل مع الممرضة ، وليس هذا فحسب ، بل قلن  
إنهن يقمن هنا حفلاً مسائياً مساء كل يوم سبت .

إنه لمن عجائب الأمور ، أن تشعر سونينغ - التى يستولى عليها الضيق والكآبة  
فى أى بيئة - بدفء الحياة فى عنبر المستشفى .

سألته تشيانغ يون " ألسنت حزينة لضرب والدك لك ؟

أستندت سونينغ إلى الوسادة الكبيرة المريحة ، وأطبقت جفنيها وهزت رأسها  
بالنفي .

فى تلك الليلة ، استدعانى والدى ، وكان يحتسى الخمر ويأكل الجمبرى ،  
ويبدو عابس الوجه يلعن نفسه لأنه ارتكب أبشع الجرائم .

شعرت فى ذلك الوقت على غير المتوقع بشيء من الحزن والأسى ، لدرجة  
أننى أحسست بالتعاطف معه ، كيف يمكن لإنسان طيب أن يصبح على هذا النحو ،  
كنت أتمنى أن يصبح عضواً صالحاً خيراً بعد هذه المرة .

لكنه مد لى يد الانتقام والأذى . . . . .

ولم تتمالك سونينغ من أن تمد يدها تتحسس الرباط الذى يلتف حول رأسها .  
دعت تشيانغ يون للراحة قليلا ، وصبت لها كوباً من الماء .

حتى أنا نفسى لم أكن أتوقع ألا ينتابنى ألم وحزن بسبب الضرب ، فقد  
أعددت نفسى لأى شيء عندما كتبت خطاب الإبلاغ عن أبى . وعندما صفعنى على  
وجهى تلاشت مع أول صفعة البقية الباقية فى قلبى من حب تجاه هذه الأسرة التى  
عانيت منها كثيراً .

أشعر فقط أن صحتى سيئة للغاية ، وأننى ضعيفة هزيلة ، لقد كان هناك شيء  
من الظلم والقسوة فى الضرب الذى لقيته هناك دون جدوى . . . . . "

شعرت كل من يوان شن تشى ، وتشوشيا ولينغ بالضيق وعدم الرضا وهما فى  
انتظار خروج تشيانغ يون من العنبر ، لأنها وحدها أخذت اربعين دقيقة من وقت  
الزيارة ، ولم يتبق سوى عشرة دقائق لكل منهما ترى فيها سونينغ .

\* \* \*

دخلت والدة سونينغ إلى حجرة ابنتها وهى تحمل طبقاً به حساء الشعيرية ،  
وقالت : " صنعتك لك بنفسى وأضفت بيضتين . "

وكانت سونينغ قد عادت إلى بيتها صباح اليوم ، بعد أن ظلت حجرتها  
أربعة أيام بلا صاحب وغطت طبقة من التراب كل مكان فيها ، صورة جوياء الزيتية  
التي علقتها تشوشيا ولينغ فى أعلى الركن الأيمن من الحجرة فى العام الماضى أنزلت  
زاويتها اليسرى العليا من مكانها ، المقلمة البامبو التى يحبها سوجون مقلوبة فوق  
المنضدة . الجو حار ، وهناك ذبابة تحوم حول النافذة .

سونينغ تقبع فى الفراش ، تلقت الحساء من والدتها ، ورشفت منه رشفة ،  
إنه شديد السخونة ، وضعت الطبق على المنضدة البامبو ، ومدت يدها فعدلت  
وضع المقلمة .

انتحت والدة سونينغ جانباً وجلست عاقدة يديها على صدرها ، تبدو ضعيفة  
وبدينة فى الوقت نفسه ، فى ذقنها شامة سوداء تكبر وتصغر تبعاً لانفراج أو  
انكماش عضلات الوجه .

قالت وهى تضرب بيدها العريضة على ساقها " لقد جاء مسئولون من الحكومة  
أول أمس وقاموا بتشميع كل الدقيق الذى كان بالحجرة الغربية .

" . . . . . "

وتنهدت الأم واستطردت تقول " لقد أرسل والدك خطاباً ، إنه يشعر تجاهك  
بالأسف الشديد ، وقد كان مخموراً فى ذلك الوقت ، وهو يرجوك ألا تكرهيه .  
هممت سونينغ فى سخرية .

" لقد رفعت المحكمة الدعوى ، وهو يقول إن هذه المرة لن تسلم الجرة ،  
ويتوسل إلينا أن نسارع فى إيجاد طريقة لمساعدته وقد انتهت التجارة ،  
والدقيق لا يمكن نقله أيضاً ، الأموال السائلة فى أيدينا قليلة للغاية ، مع وجود  
إنفاق دون وجود دخل فى الوقت الحالى . . . . . "

تتناول سونينغ حساء الشعيرية ، وهى تستمع إلى ثرثرة أمها دون أن يظهر عليها  
أى رد فعل ، وكأن هذه الأمور لا تمت لها بصلة من قريب أو بعيد .

" والناس هذه الأيام أمرها عجيب ، ما إن سمعوا بما حدث لوالدك ، حتى  
تكاثروا ، كل يطلب دينه . قبل يومين جاء " ده جويونغ " يطلب ثمن صلصلة فول

الصويا ، وأرسل "يون فاخو" رسولاً يقول إننا اشترينا فى الربيع الماضى مائة وخمسين كيلو جراماً من الفحم ثمرة واحد ولم ندفع ثمنها . . . . . ببساطة إنها أمور لا يمكن تجاهلها ، ولا يمكن تحملها .

أخذت أم سونينغ تتكلم بطريقة مشوشة ، مما جعل الكآبة تزحف على الحجرة ، ودعت سونينغ إلى إضاءة مصباح الكهرباء .

"إننى لا يهنأ لى نوم فى هذه الأيام أيضاً ، حيث إن جفن عيني اليمنى يتراقص باستمرار وليست لى شهية لتناول الطعام ، وفى المساء تناولت قطعة من خبز المانتو ، ثم أرجعتها لأنى أحسست طعمها مرّاً ، وصنبور الماء بالمطبخ أصابه عطل ، تنزل منه المياه قطرة قطرة ، دون أن يتم إصلاحه . . . . . "

ومضت لحظة دون أن يسمع فى الحجرة سوى صوت سونينغ وهى تأكل الشعيرة وتشرب الحساء ، ثم عادت والدتها تقول :

"لقد طردت الدادة تشاو . . . . . إننى أفكر دائماً هذه الأيام ، ماذا نفعل نحن الاثنان إذا صدر الحكم ضد والدك ؟ إننى أفكر أن نبيع المنزل حيثئذ ، وننتقل لنقيم فى بيت جدك فى جينان ، حتى يمكن أن يرعى كل منا الآخر .

وتحركت سونينغ عندما سمعت عن بيع البيت ، فهم يعيشون فى هذا البيت منذ أكثر من عشرين عاماً ، ولدت سونينغ وعاشت فيه ، وعندما كانت فى المرحلة الابتدائية ، كانت تتردد على بيوت كثير من زميلاتهما ، فوجدت أن أياً منها لا يرقى إلى مستوى بيتهم روعة وجمالاً . . . . .

وسألت أمها فى شك وريبة :

"ألا يمكنك إذن الاستمرار فى الإقامة فى بكين ؟

"إننى أخشى الوحدة هنا ، ثم إنه ليس حلاً أن ننفق بلا عمل ، لأن ما لدينا سينفذ وإن كان جبلاً من ذهب ، علينا أن نعود . . . . .

" لا ، لن أسافر ، إننى على وشك التخرج ، وبعد ذلك أتقدم للامتحان للالتحاق بجامعة بكين .

تساءلت الأم فى دهشة : "ألتحقين بالجامعة ؟

"ماذا ؟ " واندهمت سونينغ لدهشة أمها .

"يا ابنتى ، ليست المسألة أننى لاأرغب لك مزيداً من سنوات الدراسة ، ولكن انظرى إلى أحوالنا ، أيمكن تمويل مصاريف تعليمك بالجامعة ؟ ثم إن صحتك ضعيفة ودروس الجامعة مرهقة ، وربما لا تحملين مشقتها ، وقد تقدم العمر بوالدتك أيضا ، ولست أدري متى يدركنى الجوع . لتبحتى عن عمل بعد تخرجك من الثانوية ، ويمكنك تحقيق دخل فى وقت مبكر عدة سنوات .

"أفكرين حضرتك فى عدم التحاقى بالجامعة ؟ هل هذا معقول ؟!"

تنهدت الأم من جديد ، وفركت عينيها ، فسالت منهما الدموع ، وسعلت وهى تقول ، زيدى على ذلك أننا لا نعرف فى أى مكان من البلاد يتم توزيعك بعد التخرج ، وإننى لن أستطيع الحياة إذا ابتعدت عنك . . . . . ابنتى ، لقد أبلغت عن والدك ، وأنا لا أوجه لك لوماً ، لأنك كطالبة فى مدرسة الحزب الشيوعى لا يمكنك أن تفعلى غير ذلك . ولكن - وقد انتهى والدك - لا تتخلى عن والدتك ، يجب عليك أن توليها رعايتك ، لنذهب إلى جينان بحثاً عن عمل هناك . . . . .

أم سونينغ لا تبارى فى قدرتها على ذرف الدموع حيث يمكنها استدعاء الدموع فى أى وقت ، ولكن هذه الدموع دائماً قادرة على أن تقلق سونينغ وتثير شجونها . وهى تحب ابنتها كثيراً ، وهذه حقيقة لا جدال فيها ، لأنها عندما يثور لديها دافع عاطفى للحديث عن شجون الماضى ، تكون سونينغ أكثر من تنصت إليها وهى تحكى كيف أنها ذاقت "مرارة الحياة" ، وكيف تكون الخادمة ذات مكر وحيلة ،

وكيف فقدت مستلزمات الملابس من الحقيبة ، إلى آخر ذلك . ولكنها الآن وهي تناقش مستقبلها هي وسونينغ في تأثر وحزن ، نجدها بجسمها البدين الثقيل مع صوتها الضعيف ذى النبرة الحزينة ، تثير في سونينغ نوعاً من الشعور بالرغبة فى الضحك ، ناهيك عن أنها تجعلها مضطربة فى حيرة من أمرها .

"أماه لا تعقدى الأمور ، إننى الآن أستمر فى دراستى على نحو طيب ، كيف إذن تظلين منى أن أتوقف عن الدراسة بمتهى البساطة وأكون بصحبتك لأبعد عنك الضجر والملل ؟ سوف أذهب غداً إلى المدرسة ، وإننى أنوى الإقامة بها ، وأتقدم فى المستقبل لامتحان القبول بكلية الهندسة ، وأحسن صحتى بممارسة التمرينات الرياضية ، على أى حال سيكون باستطاعتى متابعة دروسى الجامعية . أما بالنسبة للصعوبات المالية ، فيمكن أن أقدم التماساً إلى صندوق مساعدة الطلاب .

اكتشفت والدة سونينغ أن كلام ابنتها منذ خروجها من المستشفى دخلت عليه نعمة لم تكن موجودة من قبل قط .

وهذه النعمة التى سيطرت عليها تماماً هى أنها أصبحت لا تكن حبا لأسرتها ، وتؤمن بمستقبلها إيماناً لا يتزعزع .

دخلت عليهما الدادة تشاو فكسرت جمود الموقف ، قدمت التحية لسونينغ ، وتوجهت إلى " الست " تبلغها قائلة :

" لقد كنت حجرة المخزن ونظفتها تماماً . وبناء على طلب سيدتى ، استدعيت تاجر الرويابكيا مساء اليوم ، وبعث له الأحذية البالية وزجاجات البيرة الفارغة وسكاكين المطبخ القديمة والأجولة التى لا تستخدم وإسطوانة حديد خردة ، بعثها كلها بيوانين ونصف اليوان . . . . .

مدت الدادة تشاو يدها إلى صدرها بصعوبة لإخراج الفلوس ، واستغرقت وقتاً طويلاً دون أن تفعل .

"خذى اليوانين ونصف لك ، أنت على وشك الرحيل ، وليس لدى ما أعطيك إياه من أشياء أخرى .

تأثرت الدادة تشاو تأثراً كبيراً لهذه الهدية التي جاءت في الوقت المناسب ، حكّت أنفها بقوة وقالت في صوت متهدج : " سيدتى ، لم أر مثيلاً لحضرتك في هذا التعامل الرائع مع الخدم أبداً ، إننى أتمنى ألا أفارق حضرتك ، وأتمنى لسيدى كل الخير والسلام . . . . "

قاطعتها أم سونينغ ، وصحبتهما إلى الخارج .

لم تأكل سونينغ سوى نصف طبق الشعرية ، ووضعت به النصف الباقي على المنضدة ، ونسيت أمها أن تحملها معها ، وتبدو هذه الحجرة أكثر اتساعاً وكآبة تحت أضواء المصباح الكهربائى وخاصة ذلك السرير النحاس الكبير السمج ثقيل الدم الذى تنام عليه سونينغ ، والذى لا يماثل ما تنام عليه الفتيات الصغيرات فى مثل سنّها . وهناك ذبابة كريهة تحوم فى هذه الحجرة باستمرار ، بحثت سونينغ عن المذبة فلم تجدها . ومنذ أن عادت سونينغ من المستشفى وهى تشعر أن بيتها قد تغير أيضاً ، هذا البيت الفسيح المريح عالى الأسقف الذى قضت فيه سونينغ عهد الطفولة بما فيه من دفاء ، وغربة ، ومرارة . . . . أصبح الآن مثل جسد ميت متيبس وذى رائحة كريهة ، وأصبحت أمها هى الأخرى قبيحة المحيا تفتقد إلى العقل والحكمة ، أما الدادة تشاو فقد كرهتها سونينغ من قبل .

تساءلت سونينغ وهى تضع يدها تحت ذقنها : "أيمكن أن تكون هذه هى النهاية؟ وهى تنظر إلى الباب المتعرج وتفكر فى هدوء بعد أن ذهبت أمها بعيداً مع الدادة تشاو .





الليل يزحف على الفناء شيئاً فشيئاً ، المصباح الصغير ذو الضوء البرتقالي -  
الذي بذلن جهداً كبيراً حتى علقنه خارج الغرفة - أصبح ضوءه أصفر باهتا .  
المناضد والمقاعد وضعت على شكل بيضاوى ، وفرشت عليها ملاءات الأسرة من  
كل لون ، وتجمعت الزميلات للترحيب بالزميلتين اللتين انتقلتا حديثاً إلى العنبر .  
حفل الترحيب تقوم بتنظيمه لجنة المبنى السكنى لطالبات المدرسة ، ولكن تشارك فيه  
كل زميلات الفصل تقريبا .

أمام كل زميلة من الزميلات ، توضع أربع حبات من المشمش ذات اللون  
الأحمر الضارب إلى الصفرة وكوب من الماء المذاب به سكر لتكون بمثابة مأكولات  
ومشروبات خفيفة في حفل الاستقبال ، وبينما هن على وشك بداية الاحتفال  
تهادت أصوات ضعيفة كثيرة مختلطة من " طنين " حشرة " زير الحصاد " التي  
جاءت قبل موعدها ، شأنها شأن الثلوج الأولى البيضاء وكلك أزهار الخوخ  
المتفتحة قبل الأخرى ، فكلها قادمة في وهن ووجل وعلى استحياء ، في الحقيقة  
أخذت أوراق الأشجار الكثيفة هي الأخرى تعلن عن مقدم فصل الصيف بحركاتها  
البطيئة المتثاقلة .

ثم انبرت مقدمة برامج سميئة تعلن قائلة : " أيتها الزميلات ، الهدوء ، الآن  
تفضل الرئيسة الشرفية للعنبر الكبير - وتتشانغ فو - بإلقاء كلمة الافتتاح ...  
...

وما إن سمعت تشانغ فو بأنها هي " الرئيسة الشرفية " حتى خالجه نوع من  
الشعور بالفخر لا يدانيه شعور آخر ، وعدلت من ثيابها ونهضت لإلقاء  
الكلمة ، وقد رفعت كعبيها عن الأرض نظراً لقصر قامتها :

" ..... أولاً إننى - نيابة عن قدامى الزميلات المقيمات بالعنبر -  
أرحب ترحيباً قلبياً حاراً بالزميلتين الجديدتين ماري ، وسونينغ ! وضج العنبر  
بتصفيق حار من الجميع ،

ثانياً أبدأ بتقديم المميزات التي يتميز بها عنبرنا : " أولاً ، نحن نعلم أن الجنوب (قبلى) له مميزاته ، وأن الشمال (بحرى) له مميزاته أيضاً ، ولكن هذا العنبر يجمع بين الاثنين ، حيث إن له باباً على الشمال ، ونافذة على الجنوب ، بمعنى أن هواءه متجدد دائماً ، دفيء شتاءً ولطيف صيفاً .

ثانياً ، إن العنبر كبير بطبيعته ، تبلغ مساحته حوالي ثمانين متراً مربعاً ، وتقيم به كل طالبات الصف الثالث المقيمت بالمدرسة ، وكلما كان العدد كبيراً كان الأمر يسيراً ، وليس هنا أدنى قدر من الضيق والملل ، لأن الحياة في عنبرنا هذا غنية متجددة ، بما فيها الظروف الصحية والنظافة ، التسلية وحفلات الترفيه ، إلقاء الشعر والقصة ، والنقد والنقد الذاتى ، كلها تتم في حيوية بالغة ، ثالثاً: فى عنبرنا هذا وحدة وتضامن ، والحياة به تمضى فى حرارة وحب بين الجميع ؛ فما إن تنتقل الزميلات اللاتي توجد أسرهن فى مناطق بعيدة إلى هذا العنبر حتى يتغلبن تماماً على صعوبات البعد عن الجو العائلى . . . . .

قالت تشوشيا ولينج "كلام جميل " وهى تأكل وتشرب ، وبذلك تكون قد خرجت على "النظام" ، إذ أنها قضت حبة المشمش ذات الطعم الحامضى اللاذع، دون انتظار الإعلان عن بدأ تناول "المشروبات والمأكولات الخفيفة"

\* \* \*

كانت مارى قبل عدة أيام تنظر إلى الدنيا وهى منهكة متعبة عبر بحر من الدموع ، فترى كل شىء من حولها مختلطاً ، غير واضح المعالم ، لا قيمة له ولا معنى . وبعد أن اجتازت هذه الهزة العنيفة ، استعادت توازنها ، وأذعنت للانتقال إلى المدرسة وحضور الدروس وسماع شروح الأساتذة والمذاكرة والراحة حسب الأوقات المحددة . لا تشعر بحب ولا تشعر بكرهية أيضاً ، حتى حماسها للدين أصابه بعض الفتور ، فقد أحبت ، وكرهت ، وتحمست كثيراً عندما كانت فى عهد الطفولة . نشرت الصحف خبر إلقاء القبض على مجموعة من العناصر

الإمبريالية المتسترة بستار الدين الكاثوليكي ، إنهم بقايا تنظيم " فريق القداء للوطن داخل الأديان " الذى كونه الجاسوس الكبير شانغ جيان يوان فى محافظة شيان بمقاطعة خابى ، ومن بين هذه الأسماء يوجد اسم جوزيف كمسئول عن أعمال الدعاية والإعلام ، طالعت مارى الصحيفة ، وقرأت حقيقة جوزيف الإجرامية . وحاترت بين الشك واليقين .

" طوبى للذين آمنوا ولم يروا<sup>(١)</sup> ، هذا الكلام إشارة إلى الرب ، ولكن ماذا عما بين الناس ؟ أصدق أم لأصدق ؟ ومن أصدق؟ وهكذا وجدت مارى نفسها حائرة بين أمرين دون أن تميل لأحدهما رغما عنها . ولم تشعر بشيء سوى التعب ، وانكسار القلب وفتور الهمة : إذا رفعت يدها ووجدتها تهبط لا إراديا ، وإذا هزت رأسها ، رغبت فى أن تواصل هزاته إلى الأبد . . . . .

فى يوم الأحد ، استقلت مارى التراموى إلى الكنيسة الشرقية لحضور القداس ، حيث يوجد فى بكين أربع كنائس كبرى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، هذه الكنائس أكبر وأرحب وأكثر إشراقا من الكنيسة الصغيرة التى توجد فى " جمعية باو سقاو المقدسة "

صوت الأرغن الدقيق ينساب فى خفة ، القس ذو العباءة الطويلة السوداء يقود تراتيل القداس فى صوت جهورى أجش . والصليب الفضى المعلق فى عنقه يتلألأ تحت الضوء الخافت .

جلست مارى على ركبتها بين صفوف المؤمنين ، وأثنت على الرب القدس المجيد ، فشعرت أن روحانية الدين المقدس قد أعادت الهدوء والطمأنينة إلى نفسها العلية مثل التنويم المغناطيسى ، مما ساعدها على أن تلقى بحياتها المعقدة الماضية خلف ظهرها .

(١) انظر الاصحاح العشرين من إنجيل يوحنا ، عندما جاء اليسوع لأول مرة بعد البعث لزيارة الحواريين - بعد أن كان قد قتل مصلوباً - لم يكن يوجد توما بينهم فى ذلك الوقت ، ولما دعا أخبره أحد جواره ببعث اليسوع ، لكنه لم يصدق حدوث هذا الأمر ، وبعد ثمانية أيام رأى توما اليسوع رأى العين ، فقال له اليسوع : " لأنك رأيتنى يا توم آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا "

انتهت كل مراسم القداس ، وتراجع كل المصلين تباعاً إلى الخلف ، وهم يتلمسون بأيديهم الصليب المعلق على الباب فى احترام ، ثم يعودون فيرسومون صليباً على صدورهم . بينما تقدمت ماري وحدها إلى الأمام نحو القس العجوز

"سيدى أريد الحديث مع حضرتكم ، هل يمكن ذلك ؟"

جلسا فى قاعة الضيوف ، وأخذت ماري تحديق النظر فى ذلك القس الغريب عنها ، لقد بلغ من العمر عتياً ، منحنى الظهر ، أصلع الرأس ، مصاب بالربو ، ولاعجب أن أنفاسه كانت متقطعة متهدجة أثناء إلقاء التراتيل . أصابعه الدقيقة النحيلة ذات العقل المتصلبة تمتد فوق المنضدة ، وترتسم ابتسامة على شفثيه الغليظتين الكثتين :

"يا رفيقة الدين الشابة ، هل أنت طالبة؟"

"اسمى ماري ، طالبة بالصف الثالث الثانوى ."

"واسمى خوان . أليست هذه أول مرة تحضرين إلى هنا؟"

"لقد كنت أؤدى القداس من قبل فى جمعية زهد "باوسقاو المقدس" . . . . .  
. . . . . ولكن الكاهن قبض عليه مؤخراً .

"من هو"

"جوزيف"

"هو ! " وقد راح القس خوان يتحسس شعر ذقنه بأصابعه النحيلة .

"هل تعرفه حضرتكم؟"

"بل حدثينى أولاً"

قالت ماري وعيناها تبرقان من الخوف "كانت زميلاتي يأتين لزيارتي ، ومن بينهن عضوات فى الحزب الشيوعى ، غير أن الكاهن جوزيف لم يكن يسمح لى

بالاقتراب منهن ، وقد انتقلت الآن لأقيم فى المدرسة ، وأستذكر دروسى معهن ، هل أكون بذلك قد جافيت الرب ؟

" يا رفيقة الدين الشابة ، هل نشأت فى دار الرحمة ؟ "

" نعم ، حضرتك . . . . . "

" لقد كنت أنا الآخر أخدم الرب فى دار الرحمة ، أطفال هذه الدار جميعا مصابون بالضعف والهزال ، ويتضح هذا من أول نظرة .

إن دار الرحمة مكان مخيف

" أحضرتك الذى تقول هذا ؟ "

" نعم ! لقد كنت كل يوم أرى بضع عشرة جثة من جثث أطفال دار الرحمة ، حيث كان الأجانب يدعونى لأداء الصلوات عليهم ، إنه أمر مؤسف ، فهم يشغلون الأطفال ويتاجرون فيهم ، إنهم فريسيون<sup>(١)</sup>

" ماذا ؟ " وقد تعجبت مارى واندهشت لسماع هذا الكلام من القس .

رمقها القس خوان بنظرات حادة صارمة ، كأنه يختبر مدى استماعها إلى حديثه ، ثم استطرد قائلاً وهو يتنهد فى تأثر : " لم أطق صبراً ، فتركت هذه الدار ، وجدت ذات مرة أنه جاءت فتاة صغيرة تعلن عن توبتها ، قالت إنه كان لها صديق طيب صغير - وقد كان اسم صديقها هذا اسماً غريباً ، ما زلت أذكره ، نعم اسمه ماوما وجوان ، قالت إنه مات من جراء عقاب الراهبة وتعذيبها له ، وأنها بكت من أجله ، ومن ثم تكون قد أذنبت وأنها تتمنى لنفسها الموت . . . . ماذا أصابك ؟

(١) انظر الإصحاح رقم ٢٣ بإنجيل متى ، حيث يعدد اليسوع مساوئهم وجرائمهم .

وكانت ماري قد اصفر وجهها وتحدرت دموع الحسرة والمرارة من مآقيها ،  
وسالت على خديها .

وتصل خدها

وقالت ماري في صعوبة " هذه الفتاة هي أنا "

" شكراً للرب ، فقد التقينا مرة أخرى " . وقد أحنى القس خوان رأسه وراح  
يتلو بعض تراتيل الشكر لله ، وسمع صوت ماري الحزين المبتس وهو يقول :

" أيها القس خوان ، لقد التقيت بحضرتكم من جديد ، لأكفر عن ذنبي  
أيضا . . . . . "

" لست أنت المذنبة ، ولكنهم هؤلاء الفريسيون ، الدخلاء على الدين  
المسيحي ، الذين يسعون إلى السلطة ويمارسون العبث والفساد ، يا للخزي والعار !  
بعد استسلام العدو الياباني بوقت قصير ، أخذ الكاردينال تيان فنغ شن يصلي من  
أجل تشانغ كاي شيك ، حيث أدى صلاة القديس لمدة ثلاثة أيام ، فعرفت آنذاك  
أنه فاسد ! وكنت قد تقدم بي العمر ، ولا أنطق الكلام بوضوح . يوجد أهل  
السوء ، هذه حقيقة ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر  
والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً  
. . . . . هل تحفظين؟ "

" نعم أحفظ " ، وأخذت ماري ترتل عن ظهر قلب في صوت خفيض ،  
" تتقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة . . . . .  
هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء  
وإثماً. " (١)

" صدق اليسوع " ورسم القس خوان صليبا بيده واستطرد يقول ،  
" وأحسنت قولاً . وإن دار الرحمة لهي الرياء بعينه ، والمشاركة في الأنشطة  
السياسية المناهضة للحكومة هي الإثم . "

(١) انظر نص الاصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى .

"هل تحب حضرتكم الحكومة الحالية؟"

"أيمكن أن تسألني القس يحب أو لا يحب؟ إنه يستمع إلى أوامر الرب".

"إذن هل يمكن أن أحتل بزميلاتى ممن لا عقيدة لهن ومن أعضاء الحزب

الشيوعى؟"

"كيف يمكن أن تختمر ثلاثة أكياس من الدقيق، إذا نزعنا منها الخميرة" (١)

أقبل الترامواى، نهض أحد رفاق جيش التحرير وأجلسها مكانه، استدارت برأسها وأخذت تنظر عبر زجاج النافذة إلى المحال والأبنية والمسارح. مازالت هناك غشاوة من الدموع تكسو عينيها، لكنها عندما تذكرت العناية الفائقة التى توليها زميلاتها لها فى الفترة الأخيرة، انخلعت على وجهها ابتسامة من أعماق قلبها.

وقبل أن تكمل ابتسامتها، تحول فكرها إلى جوزيف والفريسيين... إذا صح هذا الأمر يكون قد خدعنى خديعة كبرى! ثم أخذ الضيق والشكوك يستوليان عليها من جديد... وأخيراً استطاعت أن تطرد هذه الأفكار المؤرقة من رأسها من خلال توجيه الشكر لزميلاتها، وبعيداً عن الدموع، رأت العالم أكثر رحابة وإشراقاً... "ربما قلقت تشن بسوا من طول انتظارى؟ وهى تنظر إلى الساعة المتلألئة خارج السوق."

\* \* \*

أنهت ووتشانغ فو كلمة الترحيب بروح الفكاهية الماهرة، وانطلقت أصوات الضحكات مجلجلة فى الفناء. وقد جاء دور الحديث إلى ماري وسونينغ.

(١) تفسير للمثل ٣٢ من الاصحاح رقم ١٣ فى إنجيل متى، حيث شبه الدين بالخميرة، وشبه البشر بثلاثة أكياس دقيق، وأن هذه الخميرة قادرة على التفاعل داخل الدقيق، والقس خوان يقصد هنا أن يشجع ماري على عدم العزلة عن الجماعة.

نظرت ماري إلى الحضور في وجل وخوف ، وشجعته الزميلات على الحديث خلال نظرات الود والحب والثقة ، فانبرت تقول : "ميلاتي الأعزاء ..... " ثم أخذت تتأنيء دون كلام .

"تكلمي ، تكلمي يا ماري ! "

" لا بأس ، تحدثي على سجيتك . "

شجعها الجميع ، ومنهن من شدت طرف ثوبها بخفة .

وواصلت حديثها ، "شكراً لجميع الزميلات ، وشكراً لووتشانغ فو التي أثارت كلمتها ضحكات الجميع ، إنها خفيفة الظل بحق ، وتبدو هذه الضحكات بالنسبة لي كأنها شيء غريب ، حقيقة ، ولكن عنبركن هذا - لا - بل عنبرنا جميعاً ، يموج بالضحك كل يوم ، لذلك أشعر أنني تغيرت كثيراً رغم أنه لم تمض سوى عشرة أيام على انتقالى إلى المدرسة ، أشعر كأن الحياة بدأت من جديد ، وأن الأحداث المؤلمة تتلاشى شيئاً فشيئاً ، فى وقت من الأوقات ، كنت حمقاء ، بلهاء ، جثم سوء الحظ والنحس على أنفاسى ، آنذاك أظلمت الدنيا فى وجهى .. . . كل ذلك مضى وانقضى ... فالجميع يعاملنى معاملة طيبة ، وليس بوسعى إلا أن أقول: الزميلات العزيزات إننى الآن أستطيع أن أعيش ، نعم لدى الثقة فى أن أعيش ! "

تشن بوا تنظر إلى ماري نظرات قلق وانتظار ، ماذا عسى ماري أن تضيف ؟  
..... هل انتهت كلمتها ؟ إن توتر تشن بوا وقلقها لا يقل عن ماري نفسها .  
وهكذا أطلقت ماري التي عاشت تسعة عشر عاماً من عمرها لا يتحرك لها ساكن ، أخيراً أطلقت حنجرتها التي لم تشف من سقمها بعد أول شعار لها فى نبرة مؤكدة ومجلجلة .....  
.....

مضت لحظة هدأ فيها الجميع ، حتى ليتمكن أن تسمع أصوات أنفاسهن . ثم كانت تشن بوا أول من أقبلت على ماري ، واحتضنتها ، وصافحتها ، وتبعها فى ذلك كثير من الزميلات ، يحتضنها ويضحكن ويقدمن لها المشمش .



وعندما دب النشاط فى ساحة الاجتماع من جديد ، نهضت سونينغ ، وقد احمر وجهها من فرط التأثر ، ترتدى ملابس جميلة : بلوزة ذات لون بنفسجى فاتح، وتنورة طويلة تكاد تلامس قدميها من الحرير الأزرق اللون.

"ليس عندى ما أقوله الآن ، فقد سبقتنى مارى إلى ما كنت أريد الحديث فيه واستطردت وقد ظهرت فى صوتها نبرة صوت رجالي غير معتادة ، إن لى مطلبين أريد أن أطرحهما الآن : المطلب الأول ، هل يمكن أن تقبلنى تشوشيا ولينغ كلاعبة احتياطية عند تشكيل فريقها ؟ إن صحتى سيئة للغاية ، فقد كنت دائما "أهرب" من حصبة التربية البدنية، آمل أن توجهنى توشيا ولينغ مثل فتى صغير يتعلم حرفة . . . . .

لم تنتظرها تشوشيا ولينغ حتى تنتهى من كلامها وصاحت قائلة : "شئ رائج ، وأهلا بك !

"أما المطلب الثانى ، وقد أحنث سونينغ رأسها كأنها لم تعترم الكلام بعد ، ومضت لحظة قبل أن تبدأ كلامها فى تودة: "ربما أكون أنا الطالبة السلبية التى لا تتقدم بسرعة فى فصلنا ، ولكننى عقدت العزم على الانطلاق نحو الأمام. فقد عشت من قبل بين أنات بلا مرض ، وانكسار معنوى وعزيمة واهية دون سبب واضح وضاعت كثير من أوقاتي الثمينة سدى . . . . .

ومن الآن فصاعدا لن أكون معصوبة العينين ولن أترك زمام نفسى ومقاليد حياتى للآخرين، إننى أطلب . . . . . أن تقوم رابطة الشبيبة الديمقراطية بتوعيتى، وإننى أريد الانضمام إلى صفوف هذه الرابطة !

أنهت كلمتها وأسرعت بالجلوس دون النظر إلى من حولها ، وجاء الرد على طلبها عاصفة من التصفيق الحار.

" طالباتى العزيزات ! " ورفع الأستاذ يوان النظارة ثم وضعها على عينيه من جديد فى سعادة ، " بينما نحن نجتمع هنا ، يمضى بنا الوقت دقيقة بعد الأخرى ، وبعد مضى ثلاثين يوماً ، أو أكثر من أربعين ألف دقيقة - باستخدام الطريقة الحسائية التى درستونها - تتخرجن من هذه المدرسة . وها نحن قبل التخرج . نعتقد هنا مثل هذا الاجتماع الذى يعبر عن روح التضامن والسعادة والذى لا ينسى . حقيقة ، لقد تعلمت منكن - وأنتن طالباتى - خلال هذا العام الذى كنت فيه رائداً لفصلكن أكثر مما علمتكن ، وهذا أمر يدعو إلى الخجل الشديد . . . . . وعلى مدى سنوات عديدة ، قدم إلى مدرستنا طالبات كثيرات دفعة تلو الأخرى ، وتخرجن منها دفعة تلو الأخرى أيضاً ، لكننى لم أشهد أبداً فصلاً على هذا النحو من السعادة مثل فصلكن هذا . لقد رأيتن بأمهات عيونكن كيف ينهار المجتمع . ذلك وأنتن طالبات بالمرحلة المتوسطة ، عندما كانت أجسامكن وقلوبكن الشابة تنمو بسرعة ، وفى الوقت الذى هبت فيه على بلادنا عاصفة شديدة ورياح تغيير قوية . إننا نرحب بمارى وسونينغ ، ليس لأن انتقالهما للإقامة فى المدرسة فيه ما يدعو إلى الزهو والكبرياء ولكن لنجاحهما النضالى . وقد رأيتن فى الوقت نفسه الحياة الجديدة وهى تقام على أنقاض الماضى ، ورغم أن بناء البلاد بدأ حديثاً ، ورغم إننا أثناء الاجتماع لم نأكل سوى المشمش لاذع الطعم ولم نشرب سوى ماء مذاب به سكر ، إلا أننا نشعر بالسعادة والدفء والثقة ونشعر أن الحياة تنبض بالنشاط والحيوية إلى الأبد . . . . .

والآن ، دعونا نحمل كؤوس الماء بالسكر وننهض لنشرب نخب وحدة فصلنا وتقدمه ، ونخب صحة الزميلات المقبلات على الحياة . . . . . "

وقبل أن يقول الأستاذ يوان " فى صححتكن " ، وقبل أن تنهض الزميلات وقوقاً ، جاء صوت يقول " انتظروا ! "

توقف الجميع ، وراحوا يبحثون عن مصدر الصوت - وجدوا لى تشون تقف فى أحد الأجناب التى لا يسطع فيها الضوء بصورة قوية ، ويبدو وجهها مختفياً فى الضوء الخافت :

" أريد أن أقول كلمة أنا الأخرى قبل شرب النخب ، معذرة على أنى سوف أزيد من متاعبكن ، يمكن أن تقلن إننى أحب الأضواء . . . . . ، وأضافت لى تشون ساخرة من نفسها ، حتى إن نبرة حزينة ظهرت فى صوتها : " إننى أشعر بالخجل من نفسى ، وأنا أرفع كوب الماء المذاب فيه سكر ، وذلك لأننى لم أقدم شيئاً من أجل وحدة فصلنا وتقدمه . فقد كنت أعتقد دائماً أننى الأكثر ذكاء ، لأننى كنت لا أهتم بالآخرين ، وأركز كل جهودى من أجل نفسى فقط ، وأتمنى أن أحقق لنفسى مكانة رفيعة فى الفصل ، وأحظى بالاحترام والطاعة من كل زميلات . ورغم أننى عضو برابطة الشبيبة إلا أننى أشعر أن هذه الرابطة مشغولة دائماً دون أن تحقق شيئاً .

حسناً ، إننى مجتهدة ، وأعرف كيف أحصل على درجات عالية ، ولكننى لا أعرف كيف أكون إنساناً - تماماً كما قال لى الأستاذ يوان - إننى لا أدرك شيئاً فى الحياة ، ولا أفهم أن الحياة تكون معقدة وملثمة بالصراعات وإن كانت بين زميلات شابات .

أما الآن ، وفى وقتنا هذا ، يجب ألا أكون متكبرة ، وألا أكون بمعزل عن الجماعة أبداً . ربما أكون قد شططت بعيداً ، إننى أحترم سونينغ لإبلاغها العادل عن أبيها الى السلطات ، وأتعاطف مع مارى فى حظها العاثر ، وأشعر بالتأثر أكثر لتلك الرعاية التى توليها جماعتنا لكل عضو بها ، ومن ثم أشعر أيضاً أننى كنت متكبرة ونفعية إلى حد كبير ، وأريد أن أتقدم فى ركب الزميلات ، وأرغب أولاً أن أصافح أكثر الزميلات سباً وشتماً لى - يانغ تشيانغ يون . . . . . ،

صافحتها يانغ تشيانغ يون وقالت فى صوت على : لا ، لقد جاء كلامها مبالغاً فيه الى حد كبير ، فهى تحب الكدح والعمل الجاد ، وهى قدوة لنا جميعاً ، ولعل من بين الزميلات من لا تعرف أن اتحاد الطلاب أعلن أن جهاز الراديو الذى صنعه بالاشتراك مع زميلة أخرى ، سوف يرسل ليعرض فى معرض المنتجات العلمية للطلاب على مستوى البلاد ! "

بعد ذلك وقفت جميع الزميلات فى نشوة وسعادة ، ورفعن الأكواب المليئة بالماء والسكر إلى أفواههن وأنزلنها فارغة فى مرة واحدة .

وبينما كن على وشك الانصراف ، رفعت يانغ تشيانغ يون يدها فى عجلة ، " أنتى رئيسة الاجتماع دعونى أطرح فكرة . . . نظر الجميع نحوها .

قالت تشيانغ يون : " إن اجتماعنا شيق ورائع للغاية وجو الليل جميل ، إننى أقترح من أجل الاحتفال بفصلنا ، وعهد الدراسة الثانوية الذى يكاد ينقضى أن نرفع جميعا الشعلة ونخرج فى تظاهرة فى الشارع الكبير ، ربما كان اقتراحى هذا خيالى ، أليس كذلك .؟ وبهذا الصدد يمكننى أن أقوم بالنقد الذاتى فى اجتماع جماعة منظمة الشباب ، لكننى أريد أن أقترح على الأقل أن نتجول معاً فى أنحاء المدرسة ، تلك المدرسة التى ترعرعنا فيها واحتضنتنا ست سنوات من عمرنا وقضينا فيها حياة متلونة كاملة كل طريق وكل ممر ، بالمدرسة ، مشينا عليه عشرات بل مئات المرات ، لكننا لم نحب مدرستنا على النحو المطلوب بعد ، لدرجة أننا لم نتجول بها خصيصاً لمشاهدتها ، فهل يمكن أن يحدث ذلك ؟ هيا نمضى معاً ، فربما استطاع ركن أو مكان ما فيها أن يوقظ ذكرى جميلة ، ويجعلنا ندرك أن الحياة فى تقدم ، وتغير ، ويثير عواطفنا تجاه مدرستنا . . . . . "

وهكذا مضت الزميلات ثلاث أو خمس يتفقدن مدرستهن ويزرنها ، ويتجولن فى الملاعب ، ويتحدثن عن طموحاتهن ، وعن صداقاتهن ، وامتحان التخرج ، ومشاعر النبل والنقاء والصفاء تسيطر على حديثهن السامر الذى لا يحده أفق ، اقتربن من كل أنواع الأجهزة والأدوات الرياضية ، تقافزن ولمسن شبكة كرة السلة ، وضربن بأيديهن على المفاصل الحديدية فى قوائم كرة الطائرة ، ولمسن الحواجز التى تم تركيبها حديثاً .

واقتربن من القاعة حيث كانت طالبات الصف الثانى يقمن حفلاً مسائياً مع طلاب إحدى المدارس وحيث تمتاز الضحكات والأغنيات . . . . . وأخيراً ، وحتى

لا يزعجن أخواتهن الصغيرات المجتهدات ويعكرن صفوهن ، مشين على أطراف  
أقدامهن ، ومضين فى خطى حثيثة من أمام فصل الصف الأول الإعدادى ،  
وشاهدن أعضاء فريق الطلائع الصغيرات فتذكرن الأيام الأولى لقدومهن  
إلى المدرسة . . . . .



إننى أبحث دائماً عن لون من ألوان الحياة المشرقة الرائعة الغنية الخصبة . وهذه الحياة تنتشر من حولي ، إنها حياة الطلاب في مرحلة التعليم المتوسطة .

..... . كانت إحدى ليالى الشتاء حيث الرياح والثلوج ، والنجوم فى السماء ترسل ضوءاً باهتاً خافتاً يبعث على الكآبة، والشوارع انكمشت وراحت فى ثبات عميق ، ومرت مصادفة سيارة ماركة "جيس " تتساقط من أنبوب العادم بها بضع قطرات من الماء . دخلت إلى صالة فسيحة ، واجهنى مزيج من دفاء أصوات ضحكاتهم المختلطة بدفاء موقد الفحم، خلعت معطفى ، ورأيت الفتيات الصغيرات الإحدى عشرة ، كلهن فى حوالى السابعة عشرة من عمرهن ، تتبادلن النظرات البراقة المفعمة بالشباب والحيوية، أصوات الضحكات تفرقع فيما بينهن هنا وهناك. بينهن فتاة تكبرهن قليلاً فى العمر ، ربما تكون قد تجاوزت العشرين ، تعلق على صدرها شعار إحدى الجامعات.

يتحدثن جميعاً عن مسابقة هوكى الجليد التى جرت أمس فى بحيرة شيشخاى، وإحدى القصص الشعرية المنشورة فى العدد الأخير من مجلة (الأدب الشعبى) دقت ساعة الحائط تمام الثامنة ، ساد الهدوء المكان فى التو واللحظة ، وأخرجت كل منهن - بما فيهن الطالبة الجامعية - منديل الرقبة الأحمر من جيبتها ، وربطنها جيداً حول أعناقهن ، ومن بينهن فتاة صارمة جادة علقت على ذراعها الأيسر شارة رئيس فريق طلائع الشابات الصغيرات. بل إن ربة هذه الأسرة رفعت هى الأخرى العلم الخاص بالطلائع .....

هيا يا أطفال الصين الجديدة

يا طلائع النشء الجديد .....

واتجهت "رئيسة فريق الطلائع" إلى تلك الطالبة الجامعية قائلة:

"لقد تمت الاستعدادات للاحتفال بيوم الطلائع الواحد والأربعين لفريق الطلائع الذي فاز بجوائز شرفية أربع مرات وأطلق على نفسه اسم البطلة ليو خولان ، وإننا نطلب إلى المشرفة أن تأذن لنا يبدأ يوم الطلائع .

"تفضلن ، مع تمنياتي لكن بالنجاح ! ورفعت المشرفة يدها لترد التحية .

وقبل عامين ، كُنَّ أعضاءً في فريق ليو خولان بالمدرسة رقم ٢١ الإعدادية للبنات ، وبعد أن تخرجن منها ، تفرقن ، وكبرن ، وتركن فريق الطلائع . ومن منطلق تقديرهن لفريق طلائع ليو خولان ، وللصداقة التي تربط أعضاء الفريق ، قررن أن يتجمعن في إجازة الشتاء من كل عام ، ويمضين يوم الطلائع معاً ، يربطن المناديل الحمراء حول أعناقهن ، وتضع رئيس الفريق شارة على ذراعها ويدعون المشرفة السابقة قبل الموعد لتقوم "بالإشراف" آنذاك تقوم "الأعضاء" - اللاتي تفرقن بين المدارس الثانوية والمدارس الفنية ومدارس المعلمين - بالإعلان أمام الصديقات .

لقد مضى عام ، فأى سبيل سلكننا لنضيف إلى أمجاد فريق طلائع ليوخولان أو لنسئء إليه .

"كانت الأمطار تسقط بغزارة في ذلك اليوم ، وتضرب في عينيك حتى لتعجز عن الرؤية ، استطردت تسوى لى ذات البشرة السمراء تحكى ، "زلت قدم أحد الأطفال ، تسرع من الخلف عربة لورى ، استندت أمه إلى شجرة فى رعب وهلع ، وأسرعت أنا نحوه لأنقذه ، فزلت قدمى أنا الأخرى وجذبتة بعيداً جذبة قوية . . . . . سألتني رجل المرور عن اسمي ، أجبتة : "عضو فريق طلائع ليوخولان"

عزيزى القارئ ، لماذا تضحك ؟ إن الثقة فى مشاعر الحب الودى والحماس والصدق فى الحديث فى عهد الطفولة ، هى جميعاً أكثر الأمور أهمية وجدية فى حياة الإنسان .

\* \* \*



لنتحدث قليلا فى أمور الأطفال الذكور ، فإننى أشعر بالأسف لأن ما كتبته عنهم قليل للغاية ، لقد شاركت ذات مرة فى إحدى جلسات النقد للمجموعة المصغرة لرابطة الشبيبة ، لقد كانت جلسة لا تنسى ، رغم أن مجالس النقد ليست من الأمور النادرة فى حياتنا .

نهض فتى ذو شعر مجعد قصير ، مازال فى عمر الطفولة ، عيناه تتقدان ذكاء وبساطة ، يطل منهما شعاع لا يحمل الخوف وفتور الهمة ، ولكنه يحمل مشاعر ألم ومرارة إدانة النفس ، ومشاعر الترقب والانتظار كأنه يدعو زملاءه لتوجيه الاتهامات إليه ، وقد تعلقت ابتسامة على طرف شفثيه من الصعب أن تنفرج ومن الصعب أن تزول أيضا ، وأصابعه تقبض بإحكام على طرف المنضدة ، وقد هرب الدم من أنامله .

وتكلم فى صوت خفيض وعميق فقال :

" لقد ارتكبت خطأ أثناء امتحانات هذه المرة . . . . .

ثم عرفت بعد ذلك أنه اختلس النظر إلى ورقة تلميذ آخر أثناء امتحان مادة الرياضيات ولم يكتشف ذلك أى من الأستاذ أو التلميذ ، وحصل على درجات ممتازة ، لكنه لم يحتفل بذلك ، وأعلنه على الملأ :

" لقد خرجت على التقاليد والنظم المدرسية ، وتذكرت كيف كان تشن شاديون يحترم هذه النظم . . . . ، وعندما ذكر اسم تشن شاديون ، رأيت جسمه يرتجف ، وحاول عدة مرات أن يواصل الكلام ، لكنه لم يجد سبيلا إلى فتح فمه الذى أغلق بإحكام ، جفنه ينسدل فوق عينه رويداً رويداً ثم يرتفع فى صعوبة ، لم يبك ، فالبكاء نادر عند الرجال ، لذا كان تأثيره أشد وأعمق . "

سانده كثير من الزملاء بقولهم " شد حيلك . قوى الهمة !

استمر في صمته المطبق ، تناول رئيس اللجنة المصغرة للرابطة ورقة من دفتر مذكراته ، وكتب له هذه الكلمات في عجالة : " عليك أن تظهر الخطأ ، ولا تخف شيئاً ! ووصلته الورقة عبر أيدي زملاء .

ولا عجب أن يشير كبار المسئولين في رابطة الشبيبة دائما " جنوح " الطلاب نحو اليسار في أثناء عمليات النقد والنقد الذاتي ، وهذه هي حقيقة الأمور ، لكنني أستطيع وسط هذا الهدوء المشوب بالتوتر الزائد أن أسمع خلجات كل قلب من القلوب الطامحة الى الكمال ، والتي لا تدع ذرة من دنس تتسلل إليها .

وبعد ذلك جاءت الكلمات الجادة الصادقة من الأعضاء الآخرين في لجنة الرابطة المصغرة ، وجهوا له الانتقادات الحادة ، ثم أعربوا تباعا عن ثقتهم فيه أيضا ، وثقتهم في قدرته على تجاوز الخطأ الذي وقع فيه وفي أن يصير أكثر كمالا وإتقاناً ، كان يسجل قدر طاقته ، حيث سجل أراء جميع الزملاء . كان يرفع رأسه ويومئ في تأثر وامتنان من حين لآخر . وكان أحد المتحدثين قد تشاجر معه في الماضي ، وعلاقتهما ليست طيبة ، وساوره شعور بالشماتة في أول الأمر ، ثم مالبت أن انتقل إليه الشعور بالصدق والصفاء الذي يسود جو الاجتماع ، وراجع نفسه ثم صافح زميله . وصفق لهما جميع الحضور . وقفزت معنوياتهم فجأة من القاع إلى القمة ، وبعد الانتهاء من النقد راحوا يتحدثون عن انطباعاتهم عن جلسة النقد نفسها ، ومكاسبهم وخبراتهم تزداد شيئاً فشيئاً ، وشعر الجميع بحب أكبر تجاه جماعة الرابطة المصغرة ، وازدادوا قريبا من بعضهم البعض . وفي ختام جلسة النقد نهض الجميع وأخذوا يغنون ، نشيداً قويا حماسيا وكأنه عاصفة رعديّة عنيفة .

\* \* \*

وفيما يتعلق بكل أنواع الفترات الفاصلة في عهد الحياة الطلابية ، ليس هناك أجمل وأكثر إثارة من إجازة الصيف .

ففيها ينتحى ناظر المدرسة ومدرسوها جانبا بصورة مؤقتة ، ويؤول الوقت للطلاب أنفسهم ، ويبدأ سباق فى حكمة وفلسفة الحياة - حيث يرغب الكل فى أن تكون إجازته أكثر جمالا وسعادة وقيمة .

فى شهر يوليو، تسقط أمطار صيفية ، لكن الشمس ما تلبث أن تجفف الأرض من جديد . حرارة الجو الملتهبة من حولك فى كل مكان ، فقط قبل الفجر تهب نسيمات باردة منعشة تمنح الأحلام السعيدة لمن يغطون فى نوم عميق . فى ذلك الوقت تزدحم الشوارع بطلاب المدارس المتوسطة . فهذه فتاة تندفع بسرعة بدراجتها من شنشياو فى الشمال نحو الجنوب كأن وراءها أمراً عاجلاً ، وإذا سألتها ، أجابتك وهى تتطلع نحو الأمام : " أريد أن أرى ميدان تيان آن مين وقت بزوغ الفجر ، أنا وحدى "

وهذه مجموعة من الجنود تصيح " واحد ، اثنان " ثم تنطق ، آه ! إنهم ليسوا جنوداً ، بل طلاب يرتدون الزي العسكرية ، لقد نظموا " سرية الصدام الأحمر " وطلبوا إلى أحد الضباط أن يقوم بتدريبهم . وهؤلاء خمس فتيات يمضين سيراً على الأقدام بمحاذاة خط فنشا " للسكك الحديدية متجهات إلى خزان مياه " قوانتينغ " ، إنهن أعضاء فى جماعة صيانة الموارد المائية ، من المتوقع أن يصلن مساء اليوم بعد أن قطعن يومين سيراً على الأقدام ، وكان كثير من ذوى القلوب الطيبة يقولون لهن وهن يقطعن الطريق : " اركبن السيارة ، لا داعى للتعب ! "

وكلما قالوا لهن هذا الكلام ، ازدادت عزيمتهن وإصرارهن على المضى على الأقدام ، أشرقت الشمس ، الساعة تمام السابعة والنصف ، تفتح " أسرة الإجازة الصيفية " لكل مدرسة أبوابها ، قام طلاب المدرسة بتنظيف الفصول ، وأحضروا من بيوتهم ساعات الحائط ، المخطوطات واللوحات المصورة ، وقصارى الزهور ، ومقاعد البامبو ، والمفارش المشغولة وأجهزة الجرامفون ، والأرائك ، والأنتيكات ،

والجندب الأمريكى (١) ، والرفراف (٢) . . . . . وتم تزيين المدرسة حتى أصبحت "بيتاً جماعياً يفوق فى روعته وجماله ومستوى الراحة به أى بيت آخر. ومن يأتون إلى هذا البيت كثيرون ، منهم من يستعير الكتب ، أو يستعير شطرنج ومن يستمع إلى الموسيقى . لم يدخر الطلاب القائمون على الخدمة اليوم وسعاً فى العمل ، لأن بعض الزميلات سيأتين لزيارة المدرسة . كل المتزهات والمناطق الريفية على أطراف المدينة تعج طوال اليوم بزوارها من الطلاب . وأولئك الذين يتسلقون جبلاً بالقرب من جسر تشنغلونغ ، هم مجموعة من الشباب المفعم بالحوية المتأجج بالحماس ، لقد نظموا " مجموعات ضحك ومرح مصغرة " ، هدفهم من الإجازة بسيط جداً ، إنه الضحك ، والضحك فقط . فهم فى هذه الرحلات يقضون تسعة من عشرة أجزاء من وقتهم فى مطاردة بعضهم البعض والجري وبذل العرق ويقضون جزءاً واحداً من الوقت فى الاستمتاع بمباهج الطبيعة . وليس أجمل من أن يهطل مطر غزير ، فيغرق ملابسهم تماماً ، ويعودون إلى المدينة مثل الدجاج الذى سقط فى وعاء الحساء ، ومن المؤكد أنهم حينذاك سوف يضحكون بلا انقطاع " ها ها ها . . . . . "

وبطبيعة الحال أن يكون الليل هو أجمل شىء ، ليالى الصيف المليئة أنسا وبهجة . فى هذا الجانب أوشك عرض "السينما الصيفى " ، أن ينتهى وفى ذلك الجانب بدأ العرض المسرحى للفرقة المسرحية لطلاب الثانوية - يا لسوء الحظ ، لقد سقطت لحية "العجوز" وهو يبكى بمرارة. وعند نهاية العرض ، نسى "المسئول عن غلق الستارة ، أن يسحبها من فرط الضحك . كل ذلك - والذى لم تكن المسرحية بحاجة إليه أصلاً - زاد من نتائجها ونجاحها . وفى البيوت يقوم طلاب الثانوية بتنظيم كل أعضاء الأسرة فى مجموعة تجلس على مقاعد خشبية صغيرة ويقىمون حفلاً موسيقياً ، فتغنى الجدة " شكوى الأخت يانغ سان " ، ويغنى الأخ الصغير " القطة الصغيرة تصطاد السمك " . وفى العنبر ، جلس أحد الطلاب

(١) نوع من الجراد الصغير ذى قرون الاستشعار الطويلة يعرف بالقبوط .

(٢) طائر يعيش قرب الأنهار ويقتات بالأسماك .

المجتهدين يرتب مذكراته التي كتبها عن مراحل بناء القصر الإمبراطوري أثناء زيارته له نهاراً ، وأنت؟ اذهب إلى الملعب ، حيث طلاب عدد من المدارس يقيمون معاً " حفلاً راقصاً على ضوء القمر " ومصدر الضوء في حقيقة الأمر، ليس ضوء القمر فحسب ولكن هناك أيضاً الجباحب<sup>(١)</sup> ، الزميل الذي يعزف على الأكورديون يكاد تصيبه الثمالة من فرط النشوة ، لكن زميله عازف الأرغول ، على العكس تماماً حيث يتحلى بالوقار والزرانة ويبدو معتدل الهيئة والقامة ، كانوا يعزفون موسيقى رقص هي منظومة سانبو لأطفال كوريا " القوارب البيضاء الصغيرة "

" مياه النهر الفضى فى السماء الزرقاء "

ليس بها سوى قوارب بيضاء صغيرة . . . . "

تطلع إلى السماء الزرقاء ، القوارب البيضاء الصغيرة تسبح فى بحور السحب ، إنها تثيرك أيضاً حتى ترغب فى الرقص ، حسناً ، غير أنه عليك ألا تضم أيا منهم بشدة ، حيث يشعرون بالخجل لأنهن من طالبات الثانوية اللاتي قليلاً ما يشاركن فى رقصة الصداقة .

لن تودعهم إلا بعد أن يبلى الندى ملابسك وتقضى يوم صاخباً لاهيا من أيام الإجازة الصيفية . وبعد أن تنتهى من آخر فقرة من " الحفل الراقص على ضوء القمر " تمضى فى الشارع ، وكأنك تشعر لأول مرة بأن حياتنا كم هى رحبة ، متجددة ، ساحرة ، وكم أن الإنسان حر طليق . . . . .

\* \* \*

وخلال إجازة الصيف ، يكون البعض مشغولاً ومقيداً ، نعم إنهم خريجو المدارس الثانوية ، ففى الصيف من كل عام، كم من الطلاب يودعون مدارسهم وزملاءهم ، ويتطلعون إلى الغد فى شجاعة وسعادة ، وشعور بألم الفراق أيضاً .

(١) حشرة سراج الليل .

وفى الوقت نفسه هناك كثير من الطلاب الجدد الذين يساورهم شعور بالخجل والغربة وهم يتأهبون للانخراط فى الحياة المدرسية، وينظرون بطرف عيونهم فى فضول . وعندما تبدأ المرحلة الدراسية المقبلة ، تتغير مناظر الزملاء ومظاهرهم . وهذه هى سنة الحياة نفسها ، فهى دائما متجددة لا تستقر على حال ! فعند التخرج تتباين المشاعر بين السعادة والضيق ، وتجمع بين ذكريات مرارة النهاية والفراق والأحلام الوردية الكثيرة ، عند التخرج تكون جميع القلوب قلقة غير مستقرة . . . . . عزيزى القارئ دعنا نفتح آخر الصفحات وأكثرها أهمية وبريقا فى حياة طلاب المرحلة المتوسطة . . . . .

مضى الوقت بسرعة ، وأدت طالبات الصف الثالث الثانوى امتحاناتهن قبل موعدها المحدد ، وبدأن من جديد فى مراجعة دورسهن مراجعة حرة وجادة ، يراجعن كل ما درسنه فى سنوات التعليم الثانوى الثلاث الماضية من كتب علمية ومقررات دراسية ومذكرات ، يذاكرن باستماتة ، ويحفظن عن ظهر قلب ، ويجرين العمليات الحسابية ، إنها فترة شديدة الأهمية فامتحانات القبول بالمعاهد العليا على الأبواب .

لقد أصدرت لجنة قبول الطلاب قوائم تسجيل الرغبات، تطلب من كل طالبة أن تملأ أربع رغبات ، وهذا أمر خطير لأنه سيحدد مصيرهن طول العمر، زاغت أبصارهن وحات عقولهن ، لا يعرفن أى الاختيارات أفضل ، الرغبات التى يسجلنها فى الصباح يغيرنها فى المساء ، الحديث والمشاورات واستطلاع الآراء تدور فى كل مكان . . . . كل هذا علاوة على أعباء المذاكرة ، مما أصابهن جميعا بالضعف والهزال .

أخذت تشوشيا ولينغ تضج بالشكوى فى كل مكان، وفى ذلك اليوم وبعد أن انتهت من المراجعة المسائية ، جلست على طرف المنضدة أمام ووتشانغ فو تقول لها للمرة الثالثة :

" صديقتى ، أى أنواع الدراسة أفضل لى فى رأيك ؟ إننى أريد أن أدرس التربية الرياضية ، لكن يعز على نفسى أن أترك الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، فقد استنزفوا كثيرا من جهدى وطاقتى ! وأفكر أيضا أن أدرس الجيولوجيا ، فالكفاءات قليلة فى هنا المجال ، ولكن العمل الجيولوجى يبدو غير واضح المعالم ، لا أستطيع أن أوضح ما أرمى إليه من معنى ، إننى بطبيعتى أحب الشئ من

الألف إلى الياء، وأن أعرف بدايته ونهايته أيضا ، بينما العمل الجيولوجى ليس سوى فتح الطريق أمام الآخرين . وقد استمعت أثناء إجازة الربيع إلى تقرير الطلاب الجامعيين العائدين من التدريب الميدانى بمصنع أنشان للحديد والصلب ، حقيقة أريد أن أعمل بجوار فرن صهر الحديد ، لكنى أخشى الحرارة، بل إن ذلك ليس بالعمل البارز . إننى أحب التريية الرياضية وإذا درستها يمكن أن أكون لاعبة محترفة، ويمكن أن أدرس هذه المادة للطالبات . . . . . ولكن كيف يكون الحال فى كلية التربية الرياضية؟

لا أعرف . يا للحيرة ، أى الرغبات يمكن كتابتها الآن ؟ إن أفضل شيء أن تسمح لى كل الكليات والأقسام العلمية أن ألتحق بكل منها مرة ، وبعد ذلك أعرف أى أنواع الدراسة أفضل؟

أشاحت ووتشانغ فو برأسها واتهمت شيا ولينغ قائلة :

" أنت من الصعب أن يعجبك شيء ، انظرى إلى ، إننى أريد فقط أن أدخل الجامعة ، بصرف النظر عن القسم والكلية والمكان ، آمين يا رب العالمين ! ولكن هل تصل درجة استيعابى للدروس لمستوى الالتحاق بالجامعة أم لا ؟

ومن سوء الحظ أن هناك ثلاثين ألفا من العاملين بإدارات الحكومة قد تقدموا لامتحانات الالتحاق بالجامعة هذا العام . قضى الأمر ، لن أنجح ، لن أدخل الجامعة . . . . . "

تشوشيا ولينغ تتحدث عن الصعوبات فى اختيار رغباتها ، وتشانغ فو تتحدث عن مخاوفها من امتحان القبول بالجامعة ، كل يعنى همه . واستمرت تشوشيا ولينغ تقول فى غير كلل و لا ملل :

" خلاصة الأمر ، ماذا أدرس ؟ حقيقى شيء غير أخلاقى !



أى كاتب ذلك الذى يصف اختيار الفتيات لرغباتهن ؟ الأنسة الأولى تقول ، أريد أن أكون معلمة ، والثانية تقول : أريد أن أكون طبيبة ، والثالثة : ربما ترغب فى أن تكون راقصة بالية أو شيئاً من هذا القبيل . كلام فارغ ، أين يحدث ذلك بمثل هذه السهولة والبساطة ؟ إننا خريجات المدارس الثانوية لا نعرف أى نوع من الدراسة أفضل ، ونخشى ألا نوفق فى امتحانات التأهل للجامعة ، وتكاد رؤوسنا تنفجر من شدة الضيق ، بينما يصفنا الكاتب بركة وسلاسة وعبارات معسولة رنانة ، من طلب منه أن يصف أحوالنا ؟ إنهم أصلاً لم يعيشوا تجارب الآخرين بدرجة كافية!

عبرت ووتشانغ فو عن تأييدها التام لشياولينغ : "إن الأمور ليست كما تعتقدون ، لقد قلّ زادى ، من خمس قطع مانتو إلى أربع قطع ونصف فى الوجبة الواحدة ، ونقص وزنى من تسعة وخمسين كجم إلى ثمانية وخمسين ونصف ! " "ثمانية وخمسون ونصف كجم ؟ أنت ثقيلة الوزن يا صديقتى !

\* \* \*

كانت تشيانغ يون تتمشى فى الملعب : ذلك الذى أصبح ذا أرضية مستوية تماماً بعد بعض الأعمال والإصلاحات التطوعية من أعضاء الطلائع ، شمרת تشيانغ يون عن ساقها وأخذت تقفز وتعدو خطوات قليلة وشعرت براحة من نوع خاص . قالت تشيانغ يون فى نفسها : "يجب أن أواظب على النهوض مبكراً ، وأن أواظب على الجرى ! " ولو كانت قد واظبت على العدو أربعمئة متر فى الصباح الباكر يومياً طيلة ست سنوات ، على مثل هذا المضممار الجميل ، فى مثل هذا الملعب الرائع ، كانت عضلاتها قد صارت أقوى وأكثر نغماً وأطرافها أكثر رشاقة وحيوية ، علاوة على الكفاءة الحيوية للرتتين ، كم كانت ستستنشق من الهواء النقى العليل ! ولكن المؤسف أنها كانت تبدأ ممارسة التمارين الصباحية عدة مرات ، ثم تعود فتتوقف بعد كل مرة .

هذا قائم الكرة الطائرة ، لامست تشيانغ يون بيدها الحلقة الحديدية التي تعلق بها الشبكة ، وتذكرت مباراة كرة الطائرة ضد فريق إحدى مدارس البنات القريبة وهي طالبة بالصف الأول ، وتذكرت كيف كانت تنبطح على الأرض لتتخذ الكرات الساقطة حتى أصيبت ركبته . لماذا لم تستمر في التدريب على هذا النحو المنتظم بعد الصف الثاني ؟ ألم يكن من الممكن أن تصبح رياضية لا يشق لها غبار على نحو تشوشيا ولينغ ؟

نظرت تشيانغ يون من الملعب إلى فصول الصف الثالث عبر النافذة بحثا عن مكان المقعد الخاص بها - الاسم : يانغ تشيانغ يون ، رقم الشارة : ٥٨٠٢ ، وطبيعي أن يتغير الحال في العام القادم ، فيصير لون المنضدة قائما كثيبا شيئا فشيئا ، وتتغير صاحبته أيضا . فوق هذا المقعد قرأت تشيانغ يون الكتب واستمعت إلى الدروس ورسمت الخرائط ولعبت الشطرنج وسجلت اليوميات ، وكم من أعمال كثيرة أنجزتها في هذا المكان ! فوق هذا المقعد ، كانت تستطيع أن تنجز الكثير ، فبالنسبة لتسجيل اليوميات مثلا ، كانت تسجل يوماً بيوم وهي في الصف الأول ، وكل أسبوع وهي في الصف الثاني ، وفي الفترة الأولى من الصف الثالث ، كانت كلما تذكرت شيئا تسجله ، أما في الفترة الثانية ولمدة نصف العام لم تسجل سوى ثلاث يوميات . ولماذا لم تكن تسجلها كل يوم ؟ يجب أن تحيا حياة واضحة المعالم ، ويكون لكل خطوة أثرها ! وكم يكون شيئاً قيماً إذا توفرت مثل هذه اليوميات لسنوات المرحلة المتوسطة الست ، لتكون بمثابة الرسائل ، والمكاتبات ، والانتقادات والتشجيع الذي يوجهه الإنسان إلى نفسه !

في لمح البصر ، مضت ست سنوات ، حوالى ألفين وأربعمائة يوم بلياليها ، أكثر من ثلاثمائة أسبوع ، إنه وقت غير قصير ! لقد أمضت تشيانغ يون الصف الأول من المرحلة الإعدادية في ذلك الفصل ، والصف الثاني هنا ، والثالث هناك ، ولا يفصل بين فصل وآخر سوى عشرات الخطى . وثمة مسافة طويلة بينها الآن وبين الوقت الذي التحقت فيه بهذه المدرسة !

ولكل إنسان رغبة فى مسابرة تيار المجتمع ، فى المرحلة الإعدادية يتطلع إلى المرحلة الثانوية وإذا ما التحق بالمرحلة الثانوية لم يجد شيئاً . فهم فى هذه المرحلة إذا ما فكروا فى التخرج خفقت قلوبهم ، وإذا ما تحدث أحد عن التخرج ودخول الجامعة ، قال له زملاء فى سعادة وخوف فى الوقت نفسه :

"كفاك ، لا تتكلم فى هذا الموضوع ! . . . . . والآن يتم التخرج ببساطة ، الامتحانات ، تسليم الصور ، الكشف الطبى ، توزيع شهادات التخرج وشهادات التقدم للامتحان ، وبعد ذلك يراجعون ويذاكرون فى جو شديد الحرارة ويستخدمون مرهم اللسان المزبل للصداع ، أمثل هذا الأسلوب تمضى الأمور ؟ "

يبدو أن عندها كلام كثير ، ولكن لا تعرف إلى من توجهه وتشعر تشيانغ يون بشيء من القهر والضيق .

وأخذت تشيانغ يون تنظر إلى الفصول والمعامل والمكتبة التى تتوارى جميعاً فى الظلام ، وتستمع إلى رنين صوت الجرس الكهربائى الذى يقود الحياة اليومية والعمل والدراسة لآلاف الأشخاص داخل المدرسة ، هذه المدرسة العادية حتى إنه يمكن اعتبارها مدرسة قديمة ، كل ما فيها كل عود حشيش ، كل شجرة ، كل حجر ، وكل طوبة تحولت جميعها فجأة إلى أشياء جديدة تنبض بالحياة وذات مغزى عميق ومعنى كبير . إذا قدر وبدأ عهد الدراسة المتوسطة مرة أخرى من جديد : سوف نقرأ الكتب كلمة كلمة ، ونقطع مسابقة مائة متر عدو خطوة خطوة ، ونغنى الأغنيات مقطعاً مقطعاً ، باختصار سوف تمضى الأيام يوماً بعد يوم ، ودقيقة بعد دقيقة فى نظام ودقة كبيرة ! فالحياة الحقيقية لا تكون إلا من خلال الحياة الجادة ! . . . . .

وداعاً عهد المرحلة المتوسطة ! لقد أدركت تشيانغ يون الآن كثيراً من الأمور ، وغداً تكون فى وضع جديد ، وعليها أن تنتظر حتى وقت التخرج من الجامعة ، وقتها لن تشعر بأدنى قدر من الأسف والمرارة ، ولن تبدأ المحاولة من جديد ، وتودع الماضى فى كبرياء ودون أدنى قدر من الحنين .

وتغنت تشيانغ يون بواحدة من أحب الأغنيات لطالبات الثانوية :

مثل جماعات الطيور فى الربيع .....

مثل مياه نهر اليانجشى فى شهر مايو .. .. .

إنها على يقين أن أغنياتها وضحكاتها ، حماسها وأشواقها لا يمكن أبدا أن تتلاشى كما يذوب الملح فى الماء ، وذلك على الرغم من عدم وجود جهاز تسجيل ، وعدم التوقيع السخيف باليوم والشهر ، حتى موعد حفر اسمها على لحاء شجرة بطريقة زائفة . سوف تترك شيئاً ما فى سماء المدرسة وأرضها وأركانها الكبيرة منها والصغيرة ، حتى على الأقل فى أحد الأركان الصغيرة ، ذلك الشيء الخالد الباقي هو السنوات الرائعة التى قضتها هنا فى مرحلة الدراسة المتوسطة .

وفى طريقها إلى العنبر ، سلمتها سونينغ رسالة ، وما إن وقع نظرها على الرموز المكتوبة بخط كبير وغير دقيق حتى عرفت صاحبها .

أهنتك على التخرج .

صديقك فى يوم ٢٩ / ٦

أثارت كلمات تشيانغ شى تشون القليلة أحاسيس تشيانغ يون وامتنانها بدرجة يصعب وصفها ، قرأت هذه الجملة العادية البسيطة مرة تلو أخرى ، وفى كل مرة تصل إلى مغزى جديد . . . . . " فعند التخرج " لم ينس تشيانغ شى تشون صديقه ، وتذكر الوقت الذى تخرجت فيه ، من مثل تشانغ فى اهتمامه بالآخرين فى الوقت المناسب ، واستخدام حماسه فى إلهاب حماسهم ، واستخدام مشاعره فى إحماء مشاعرهم ؟

"أهنتك - صديقك " نعم ، التهئة والمؤازرة والتحية ، كم إن هذه المشاعر كلها مرغوبة ومطلوبة لكل من يريد أن يمضى قدماً على طريق الحياة ! وأى صديق

ذلك الذى لا يسأل عن صديقه ؟ وهل يكون هناك معنى للتقدم فى الحياة دون سؤال الأصدقاء وتهانيهم؟

تسلمت تشيانغ يون الخطاب ، وهرولت عائدة إلى العنبر ، وقلبها يطير من السعادة.



اليوم ١٥ يوليو ، انتهت أمس الأول امتحانات القبول بالجامعات والمعاهد العليا .

اختفى جو التوتر توا ، الساعة الثامنة صباحًا ، كثير من طالبات الصف الثالث بالعبير الكبير مازلن يرقدن على الأسرة ، وبعضهن يقلد لهجة مراقب الامتحان فى كسل ووخم ، ويقلن بالسخافة باعة الآيس كريم الصائحين خارج ساحة الامتحان ، وصاحب موضوع الإنشاء .

وينطلق فى العبير الكبير من آن لآخر مزيج من أصوات التثاؤب والضحكات الرنانة ، فقد تحول امتحان التأهل للجامعة الذى كان مصدر قلق وازعاج لهن قبل يوم واحد ، تحول الآن إلى مادة للتسلية والضحك .

تبدو تشن بوا حزينة مكتئبة ، فقد نهضت من فراشها فى هدوء وبعد أن غسلت وجهها راحت تغدو وتجيء داخل المدرسة ، انفتح باب مكتب رئيسة قسم التوجيه ، انحنت يانغ تشيانغ يون انحناءة خفيفة واستدارت خارجة من المكتب ، رأت تشن بوا ، هرولت نحوها مسرعة وأمسكت بيدها قائلة :

"أريد أن أتكلم معك .....

دخلتا الفصل ، ولم تنتظر تشيانغ يون حتى تجلسا ، وعاجلتها "هل أنت تعانين من التهاب فى المفاصل ؟"

حملقت تشن بوا فيها فى حيرة وتعجب ، وأجابتها : "نعم ، بعض الشيء آه .....

وجلست تشيانغ يون فى عزيمة واهنة ، وبدأت تقول "لقد أخبرتنى رئيسة قسم التوجيه أن المدرسة سوف ترسلنى أنا ويوان شن تشى إلى القسم التمهيدي

لامتحانات البعثات للدراسة بالخارج ونذهب مستقبلاً للدراسة خارج البلاد ،  
وتعجبت من تجاهل اسمك ، فقالت لى إن مفاصلك . . . . . كيف يكون ذلك !  
كان لهذا الخبر وقع سيء على تشن بوا ، لكنها أخفت ذلك ، مرت ظلال  
الحزن والكآبة على وجهها ، وقالت وهى تحاول أن تهدئ من نفسها : " أهنتك ،  
شئ رائع أن تدرسى فى الخارج .

إننى فى أغلب الأمر لن ألتحق بالجامعة .

تساءلت تشيانغ يون وقد اتسعت عينها " لماذا ؟ "

" لماذا تتعجبين بهذا الشكل ، وماذا فى ذلك ؟ إننى أريد أن أعمل مدرسة ،  
وتوقفت لحظة ، واستطردت تقول فى ارتياح وبساطة ، " أخبرتنى رئيسة قسم  
التوجيه بالمدرسة أن عدد الطلاب تضاعف عدة مرات بعد التحرير ، وأن عدد  
المعلمين قليل غير كاف ، وأن الإدارة التعليمية قررت هذا العام أن تستبقى بعضا  
من خريجات الثانوية ليعملن معلمات بالمرحلة الإعدادية ، وطلبت رئيسة قسم  
التوجيه رأى فى ذلك فوافقت على البقاء والعمل معلمة .

" أنت تبقين للعمل مدرسة ؟ وكانت تشيانغ يون ما زالت غير مصدقة .

أومات تشن بوا

ذكرتها تشيانغ يون قائلة " لكن رغبتك التى سجلتها هى بناء الجسور ! "

وضعت تشن بوا يدها على خدها ، وقالت فى تأمل : " لقد قالت رئيسة  
قسم التوجيه بالمدرسة إن هذا الأمر اختياري وبمحض الإرادة ، لكننى أشعر أنه  
لا بديل أمامى سوى البقاء هنا . لأنه إذا كان عدد المدرسين قليلاً ، لن يمكن قبول  
عدد كبير من الطلاب وبالتالي سيكون هناك أطفال تضيع فرصتهم فى التعليم . إننى  
فقدت هذه الفرصة قبل الثورة ، وأعرف ما يحس به الأطفال الذين يرغبون فى



التعليم ولا يستطيعون عندما يسمعون جرس المدرسة ، يجب على أن أشيد نوعا آخر من الجسور يعبر عليه الأطفال إلى الثقافة والعلم والوعى . . . . . "

وما هي سوى لحظة حتى قطبت تشيانغ يون حاجيها ، وقالت في ضيق وغضب : " هذا ليس عدلاً ! أذهب أنا للدراسة في الخارج ، بينما لا تلتحقين أنت بالجامعة ، هذا ليس من العدل في شيء ! سأعلن لرئيسة قسم التوجيه أنني لن أذهب إلى مكان ، وسأبقى معك نعلم الأطفال معاً !

" شيء مضحك . . . . . " وقد شعرت تشيانغ يون من لهجة تشن بوا وهي تقول هذه العبارة أنها أصبحت بالفعل مثل المدرسة ، " كم أن السفر إلى الخارج أمر جميل ورائع ! وكم أن الأفق أمامك رحب وواسع ! وكم تتعلمين من أشياء كثيرة ومفيدة ! - أفلا تذهبين إذن ؟

" أي مزاح هذا ، ولأنه أمر جميل ، فلن أذهب ، وأحنت تشيانغ يون رأسها وقد احمر وجهها وأضافت إنني أشعر أن القدر شديد القسوة عليك . "

ساد جو من الصمت . شعرت تشيانغ يون أن كلامها قد تجاوز الحد ، غير أن الطلقة قد انطلقت ولا يمكن استعادتها ، وأخذت تنظر في اضطراب وقلق إلى تشن بوا التي راحت تهز رأسها هزات خفيفة ، وأسبلت عينها اليسرى ، بينما اتسعت عينها اليمنى وهي تفيض بريقاً ولمعانا .

وقالت تشن بوا : " كلام فارغ ، إنه ليس قدراً ولكنها إرادتي هي التي أملت على ذلك ، أيمن أن يعنى عملي معلمة أنني لا يتوفر لي حظ طيب ؟ إن تفكيرك هذا . . . . . ليس فكراً سامياً بدرجة كافية ! "

أدركت تشيانغ يون أن كلمات تشن بوا الحادة اللهجة لا ترمى إلى انتقادها بقدر ما ترمى إلى طمأننتها ، فأسرعت تفسر قائلة :

" لا ، لا إننى لم أقصد هذا المعنى ، وليس أكثر من أن الظروف مواتية بشكل أكبر أمام الالتحاق بالجامعة أو الدراسة بالخارج من غيرها ....."

" وكيف تكون تلك الظروف ؟ " واستطردت تشن بوا فى إصرار :  
" الظروف المواتية تريح الإنسان ، والظروف غير المواتية يمكن أن تصقل الإرادة " بل إننى أريد ان أدخل فى منافسة معك يا طالبة بعثة الدراسة بالخارج فى مستقبل الأيام، ونرى ما إذا كنت سأتخلف عنك أم لا "

أثار أسلوب تشن بوا الاستفزازى النادر من نوعه حمية تشيانغ يون ، فقالت :  
" لك ما تريدين ، إننى شد ما أحب المنافسة ! " ثم عادت تفكر ، وتقول :  
" ولكن نجاحى فى اجتياز امتحان التأهيل للدراسة بالخارج ليس مؤكداً ....."

" انتهزت تشن بوا هذه الفرصة لتضحك منها ، وأشارت الى أنفها وهى تقول: " انظرى لازلت ترغيبين فى الدراسة بالخارج ! "  
وضحكتنا معاً .

وفى هذه اللحظة ، قفز فكر تشيانغ يون إلى التفكير فى الغد ، وتذكرت الفراق، وتذكرت أن كلا منهما ستمضى فى طريق مختلف ، وفكرت فى السفر إلى الخارج بالقطار ، وفى مكاتب التحضير المزدهمة الخاصة بالمدرسين ، وتنهدت .

وقالت : " تشن بوا ، أخبرينى ، هل سنظل على صداقتنا الطيبة هذه إذا انفصلنا ؟ أم أن هذه الرابطة ستزول شيئاً فشيئاً ....."  
" لا، لن يحدث ذلك . "

" هل هذا من الممكن ؟ ومن تلك التى سمعنا أنها احتفظت بصداقة المرحلة الثانوية لفترات طويلة ؟ إننى عندما أفكر فى أننا سوف نفترق ، وأنه ربما لا يعرف كلانا شيئاً عن الآخر بعد ذلك يتابنى شعور بالخوف والقلق ! "

أخذتها تشن بوا بين ذراعيها وقالت ، " لماذا تفكرين فى الآخرين ، سوف نظل صديقتين ، أجابت تشيانغ يون وهى تغمغم " أثق ، أثق " وقد أمالت رأسها إلى كتف تشن بوا حتى انتابها الشعور بالتنميل فى وجهها والذى أثاره فيها شعر تشن بوا الطويل " ثم رفعت رأسها وابتعدت وعدلت من شعرها ، وقالت : " أريد أن أذهب إلى خارج المدينة ، والآن "

وانطلقت تعد وخارج الفصل دون أن تلتفت ، لاحقتها تشن بوا وسألتها ،  
أعائدة إلى البيت ؟

صاحت تشيانغ يون : " لا " فقالت تشن بوا : " لا تتأخرى فى المساء ! "  
واختفت تشيانغ يون عن الأنظار

" يالها من فتاة ! " وضحكت تشن بوا ونظرت إلى الجرس ، واستدارت  
وذهبت إلى مكتب حضرة الناظرة .

" أيتها الرفيقة تشن بوا ، تفضلى بالجلوس . " وأكدت السيدة قو " مديرة  
المدرسة على كلمة " الرفيقة " ، لتوضح أنها لم تعد تستخدم معها أسلوب حديث  
الأستاذة إلى الطالبة .

ورفعت إبريق الشاي عاليا وراحت تصبه فى الكوب فى صوت يشنف الأذان  
وهى تقول : " هذا هو شاي ماركة بئر تنين البحيرة الغربية الأصيلى ، أحضره لى  
أحد الأصدقاء العائدين من مدينة هاتشو . . . . . "

واستطردت الناظرة تقول فى غير كلفة " سوف نصبح زميلات مهنة ، بعبارة  
أخرى ، ستكونين زميلة لنا ، هل أنت سعيدة بذلك ؟  
إننى أتمنى أن أعمل معلمة . "

" حقيقى ؟ هناك بعض الناس لا يرغبون فى العمل بهذه المهنة ! "  
وفندت تشن بوا لحضرة الناظرة الأسباب والدوافع التى شرحتها ليانغ تشيانغ  
يون من قبل .

أنتت الناظرة على كلامها " نعم ، هذا صحيح ! " ثم عادت تهز رأسها  
وتقول : " ولكن الشعور العميق بالواجب والمسئولية كان أقوى من جاذبية المهنة فى  
دفعك لاتخاذ هذا القرار ، أليس كذلك ؟ "

فكرت تشن بوا ، واعترفت فى أمانة : " نعم ، هذا صحيح . "  
استندت مديرة المدرسة إلى ظهر الأريكة ، ونظرت إلى تشن بوا نظرات فاحصة ،  
وسألتها : " احكى لى ، كيف قضيت مرحلة الدراسة المتوسطة بسنواتها الست ؟ "  
قالت تشن بوا فى حيرة : " من أين أبدأ ؟ الفترة طويلة والأحداث كثيرة  
..... "

أغلب الظن أنك فكرت فى بعض الأشياء عند التخرج ، كلما تذكرت شيئاً  
منها ، احكى لى عنه . "

أومأت تشن بوا ، لقد فكرت طويلاً مساء الأمس ، حقيقة ، مرت هذه  
السنوات الست مرور السحاب وقد كانت هذه المرحلة ممتعة وشيقة للغاية بالنسبة لنا ،  
كانت جادة وسلسة ، معقدة وبسيطة فى نفس الوقت ..... لا ، إن  
كلامى ليس متقناً . " ولم تهتد تشن بوا إلى ما تريد قوله بعد . " جادة وسلسة ،  
معقدة وبسيطة ، " وأخذت الناظرة تكرر وتعيد كلمات تشن بوا هذه عن ظهر قلب  
فى إعجاب ، وقالت : " آه ، كلامك رائع ، وجميل . اذكرى على مسامعى  
بعض المواقف المجسدة التى لا تنسى ..... "

بينما كانت تشن بوا تشرب الشاي وتستنشق رائحته الأصلية الذكية ، فكرت طويلا ، ثم وضعت الكوب ، وراحت تتكلم وهي تتحسس مغزى ومعنى كل كلمة ، " فى ذلك اليوم كنت أشارك فى احتفال اللجنة الفرعية بالصف الأول الثانوى بيوم رابطة الشبيبة ، وقد شارك أعضاء اللجنة بالصف الأول احتفالاتهن عالم كبير ذو لحية طويلة ، كن يرفعن أيديهن ويضربن بها على المناضد فى سعادة وكأنهن يقرعن طبولاً صغيرة ، بعد ذلك رحن يلهن ويلعبن ، ويضحكن بجنون . . . . . وفكرت فجأة ، كم أن هناك تغيراً كبيراً ! وكانت حركة مساندة كوريا ضد العدوان الأمريكى عندما انتقل فصلنا إلى المرحلة الثانوية ، ومازلت أذكر الاجتماع الذى انعقد فى القاعة الصغرى بمدرستنا فى شهر نوفمبر من ذلك العام لإدانة العدوان الوحشى للإمبريالية الأمريكية ، فى ذلك الوقت لم تكونى حضرتك قد وصلت بعد . وأذكر أن سماء ذلك اليوم كانت ملبدة بالغيوم ، وسقط كثير من الثلوج ، وكنت آنذاك أرتدى سروالاً وجلابابا من القماش الأزرق . . . . . ولقى أبى مصرعه تحت عجلات عربة جيب تابعة للجيش الأمريكى ، اعتليت المنصة لأعلن الإدانة ، لم أبك ، فقط ضربت الأرض بقدمى فى غضب و ضراوة ، وبينما أنا فى وسط الحديث ، سقطت إحدى طالبات الصف الأول الإعدادى مغشياً عليها . وحتى وقتنا هذا ، كلما أغمضت عيني رأيت وجهها الذى يشبه صفحة بيضاء يشوبه قليل من الزرقة الخفيفة . ورقدت تحت رعاية إحدى الممرضات ، وأذكر ايضاً ثياب هذه الممرضة البيضاء الفضفاضة ، كانت تقوم على تمريرها ورعايتها كما لو كانت أمها .

بعد ذلك عرفت أن أم هذه الزميلة الصغيرة انتحرت بعد أن اغتصبها البحارة الأمريكيون فى مدينة تشنغداو ، ولم تكن تتحدث هى عن ذلك لأحد قط . . . . . وبذا كان الحقد والكراهية أول درس لنا عند انتقالنا إلى المرحلة

الثانوية ! وكان مسرح فنون الشباب يقدم فى ذلك الوقت مسرحية وذهبت كل أعضاء الرابطة لمشاهدة العرض ، وبعد عودة الطالبات اللاتي يقمن بالعنبر لم يأوين إلى النوم ، وظللن يتناقشن طوال الليل : " كيف نهب أنفسنا لقضية تحرير البشرية ؟

وفى مساء اليوم التالى تم تأسيس فريق ليوخولان النضالى ، وشارك فى هذا الفريق سكرتيرة لجنة المنطقة لرابطة الشبيبة ، وبدأت الزميلات يدرسن بمحض إرادتهن الشئون العسكرية والإسعاف والدفاع الجوى . . . . . وقررنا جميعاً " الزحف إلى الجبهة الأمامية وقتما تستدعى الحاجة " ورفعنا أيدينا اليمنى ونحن نقسم : إننا فى خضم النضال المجيد لمساعدة كوريا ضد العدوان الأمريكى يجب أن نتحلى بعزيمة ليوخولان وأمانتها . . . . . "

وقد انسابت الدموع على الخدود أثناء أدائنا لهذا القسم ، وفى النهاية جففنا دموعنا ورددنا الشعارات البطولية . وأثناء ذهابى إلى لجنة الامتحان أمس الأول ، شاهدت نائبة رئيس فريق ليوخولان النضالى مرة أخرى ، لقد التحقت بالجيش ، وتعمل معلمة لمادة الثقافة . . . . . لقد مرت كل هذه الأحداث ، ولكننى سأظل إلى الأبد أذكر وأحب هذه الحياة الحماسية الملهبة كما النيران ، فقد صقلت عزائم الصبية ، وإننى حتى الآن ، ما إن أتحدث عن الوطن، البناء ، هاتين الكلمتين البسيطتين ، حتى أتوق إلى أن أهب نفسى بما تملك من أجلهما .

وقد اختلف الحال بالنسبة لطالبات الثانوى الآن ، فهن لا يثير اهتمامهن شىء ، فقد تم توقيع اتفاقية الصلح فى حرب كوريا مؤخراً . . . . .

هذا العصر يجب أن يكون فى كل مدرسة متوسطة جرس كبير ، ندقه كل يوم حتى يوقظ صوته هؤلاء الصبية ناعمى البال قريرى العين ، ويذكرهم بماضى بلادنا المليء بالصعاب ، والنضال البطولى ، والبناء الذى يجرى تحت حصار الأعداء ، نجعلهم يسمعون صوت هذا الجرس ، ثم يغنون معه النشيد العالى :

أيها العبيد ، يا من يعانون الجوع والبرد ، انهضوا

أيها الشعوب المنكوبة فى كل العالم ، انهضوا

.....

انتهت تشن بوا من حديثها ، ونهضت الناظرة من مجلسها وقطعت الحجرة ذهاباً وإياباً فى عجالة ، وانحنى وهى تقول :

" أخبرينى ، ماذا تعلمتن من الأساتذة فى هذه الحياة الحماسية الملهبة كالنيران ؟ "

" هذه ..... وتلعثمت تشن بوا ، " فى هذه السنوات ، نقل الأساتذة إلينا المعرفة ، ولكن إذا تحدثنا عن النمو الفكرى والخلقى ، استفادتنا منهم كانت قليلة " .

" نعم ! " وأطلقت الناظرة تنهيدة ، وهذا أمر ليس سليماً ، فالأستاذ يجب أن يكون هو المرشد والمسئول الأول عن الطلاب من النواحي البدنية والمعرفية والنفسية والمزاجية والهوايات وغيرها من النواحي الأخرى ، وهناك كثير من الأساتذة لا يفعلون ذلك فى الوقت الحاضر .

إن الطلاب ينمون بسرعة كبيرة ، ومشاعرهم خصبة وجميلة ، ويبدو الأساتذة عاجزين بعض الشيء أمام الطلاب الذين يقفزون قفزات سريعة متلاحقة ، وهذا ما آخذة على العاملين بالتعليم ، " وتوقفت " الناظرة ، وتشابكت يداها فى بعضها البعض واستطردت تقول " ما أروع مرحلة الدراسة المتوسطة ! وما أعظم أهميتها فى حياة الإنسان ! وما أشد حاجتنا إلى معلمين من الطراز الممتاز ! وإذا كنت تعترين كثيراً بمرحلة الدراسة المتوسطة التى انتهت منها ، فإن عليك أن تعترى أضعافاً مضاعفة بالحياة الدراسية لأولئك الأطفال الذين يصعب حصرهم ، كونى لهم خير

معلمة ، ساعديهم وأرشدتهم ! أو كما ذكرت ، كوني طارقة الجرس التي تدق  
الناقوس "تن تن " لا تعلمي جيل الشباب مهارات بناء الوطن فحسب ، ولكن  
أيضا تلهبين حماسهم ومشاعرهم !

" نعم ! " وقد أقنع كلام الناظرة الحماسي تشن بوا ، ويمكن القول أيضا إن  
تشن بوا شجعت نفسها بنفسها وتذكرت مرحلة الدراسة المتوسطة بالنسبة لها وبالنسبة  
للأخريات ، وفكرت في أنها نفسها سوف تعمل مدرسة في المرحلة المتوسطة  
ففاض قلبها بمشاعر لا توصف من السعادة وظهر بريق في عينيها اللتين اغرورقتا  
بالدموع ، وبدت علامات القوة في وجهها الوديع وقالت : " أريد أن أعمل  
مدرسة، أريد أن أكون تلك التي تدق الجرس ! "

ويعد ذلك تعانقت زميلتنا المستقبل - اللتان يوجد فارق كبير في عمريهما -  
عناقا دافئا حاراً وأنثويًا أيضًا .



السما صافية والأفق رطب والشمس تضىء الأرض الفسيحة المترامية الأطراف، وتبدو الطرق المشيدة حديثا على مشارف المدينة ملساء ناعمة، العربات الكارو تضىء فوقها وتنطبع عليها آثار عجالاتها وأقدام حيوانات الجر، وعمال صيانة الطرق يدفعون عربة الخلطة ويقلبونها على الأسفلت مجرقة . مجرقة دارت من حولهم دراجة ثم انطلقت فى شموخ وكبرياء كأنها تطير .

اندفعت يانغ تشيانغ نغ يون وهى تمسك بجذون الدراجة بيد واحدة ، تركت المدينة المزدحمة انطلقت على الطريق الفسيح الذى لا يدرك البصر مداه ، وبينما تحرك عجلة الدراجة بسرعة تنظر ذات اليمين وذات الشمال إلى المناظر المتنوعة الكثيرة ، ظلها القوى يلازمها وهى فوق دراجتها وعلى جانبي الطريق تنتشر مساحات شاسعة من الأرض الخضراء وتنتشر فى وسط هذه المزارع الخضراء أبنية كبيرة مما تم بناؤه ومما لم ينته العمل به بعد ، الضباب يحوم فى الأفق البعيد . . . . . وهكذا كانت كل صورة من هذه الصور المثيرة البسيطة تتوافق مع الحالة المعنوية لتشيانغ يون، تثيرها وتريحها فى آن واحد .

أو ليس قلب يانغ تشيانغ يون التى أنهت لتوها مرحلة الدراسة المتوسطة رحبا مثل الأفق ، مشرقا مثل الشمس ، متقددا بالحماس والحمية مثل الأرض ، مخضوضرا مثل الزروع ، مفعما بالحيوية والقوة مثل الأبنية الجديدة ؟ ناهيك عن أن هذه هى المرة الأولى التى تذهب فيها إلى الحى الثقافى فى بكين الذى يجرى بناؤه على نطاق واسع وناهيك عن وجود أقرب الأصدقاء إليها فى هذه المنطقة .

وفى ليلة عيد " أول مايو " من هذا العام وبينما كان ميدان تيان آن مين ( باب السلام السماوى ) يعج بالرقص والمرح كان تشانغ شى تشون قد أخبر تشيانغ يون

عن عنوان إقامته " المبنى الثالث الشرقي حجرة ٣٠٥ " ونقشته تشيانغ يون في ذاكرتها ، والآن تدخل من باب معهد الجيولوجية بيكين ، الحقيقة أنه ليس بابا بل حلق بوابة تم تركيبه مؤقتا ، ومضت في طريقها داخل المعهد ، والحقيقة أنه لا يوجد طريق إنما هو ممر صغير تكون بصورة طبيعية بين أسياخ حديد التسليح ومونة الخرسانة وأكشاك إقامة العمال وبرك المياه ، وراحت تسأل عن مكان إقامة تشانغ شى تشون وفقا لذلك العنوان .

وصلت إلى الحجرة رقم ٥٠٣ ، رأت اسم تشانغ شى تشون مكتوبا على بطاقة ملصوقة على باب الحجرة ، ابتسمت تشيانغ يون واقتربت من الباب وأخذت تسترق السمع ربما سمعت ضحكات ذلك الشاب الصغير .

طرقت الباب لم يجيبها أحد ، طرقته مرة ثانية ولم يرد أحد أيضا ، دفعت الباب فرأت طالبا طويلاً نحيلاً يأخذ سنة من النوم ، سمع وقع أقدام وهو غير مفيق نهض جالساً فجأة ونظر فإذا بفتاة غريبة عنه ، اسرع بارتداء القميص وتناول المشط وراح يصفف شعره .

لم تتمالك تشانغ يون نفسها من الضحك كيف أن هذا الأخ الكبير يسارع أولاً إلى تصفيف شعره عند لقائه بالآخرين؟

أريد تشانغ شى تشون

تريدين تشانغ شى تشون ؟ هو ليس موجود

" آه " أطلقتها تشيانغ يون في يأس .

أسرع الطالب الطويل القامة قائلاً : تشانغ شى تشون ليس فى العنبر ، إنه فى المكتبة ، اهبطى إلى أسفل المبنى . . . . . حسنا بل أذهب أنا بدلا منك

ولم يعد فى الحجرة النظيفة التى تنتشر فيها رائحة زيت الدهان سوى تشانغ

يون وحدها ،

اتجهت نحو النافذة ونظرت فى سعادة وحبور إلى السقالات المعلقة لبناء المبنى الرئيسي المكون من سبعة طوابق ، وفى هذا الجانب تصدر أصوات خللاط المونة .  
تشانغ شى تشون يدرس وسط جو البناء هذا ، كم أنه يستحق الغبطة  
..... وما إن خفضت تشانغ يون رأسها حتى رأت قصة موضوعة على  
قاعدة النافذة . . . . .

إنها القصة القصيرة (الحب الأول) للكاتب توجونيف ، كتب على صفحتها الأولى " اشتراها تشانغ شى تشون من الحى الغربى فى يوم ١٤ يوليو عام ١٩٥٣ " لقد اشتراها بالأمس فقط ، هل قرأ هذا الفتى مثل هذه القصة؟! وراحت تقلب صفحاتها ، ووجدت بها مجموعة من الصور الرائعة مرسوم فيها فتاة روسية صغيرة العمر وصبية ومنتزهات وأوراق لعب ملفوفة بخيوط الصوف وشخص يمتطى جواداً  
..... وما إن وصلت إلى آخر صفحتين حتى قفزت أمام عينيها هذه الكلمات فجأة :

" أيها الشباب ، إنك لا تتأثر بشيء ..... تتلمس السلوى من الأحزان ، وتستمد العون من المأسى ، واثق من نفسك ومقدام ، تقول: انظروا ليس على الأرض غيرى ..... أغلقت تشانغ يون الكتاب وحاولت أن تتذكر أين سمعت هذه الكلمات ، تلك الكلمات المألوفة القريبة التى تمس أوتار القلب مثل شمعة تحت وهج الشمس ..... غير صحيح ، هذا غير صحيح بالمره ، لماذا يسخر توجونيف من الشباب ؟ إن العمر لن يمضى هباء فمبنى معهد الجيولوجيا يجرى بناؤه ، والشجيرات الصغيرة التى زرعت مؤخراً بجوار بحيرة شيشخاي آخذة فى النمو ويانغ تشانغ يون الذكية قوية الإرادة ستكون طالبة جامعية .

ثم استمرت تقرأ :

ربما كان سر جاذبيتك لا يكمن فيما يمكنك أن تفعله بل يكمن فيما تستطيع أن تفكر فى القيام به..... "

ابتسمت تشانغ يون فقد وخزها هذا الكلام مثل وخز الإبر !

وأعدت الكتاب إلى مكانه وفتحت النافذة ونظرت فإذا بطلاب الجامعة منهمكين فى أداء أعمالهم ، الطلاب والطالبات يقمن معاً بتنظيف الأرض من الأحجار المبعثرة والأتربة المكدسة ، وبينون من الحجارة المكسرة حوض زهور على شكل قوس ، ويزرعون فيه شجيرات السرو وبعض الزهور الأخرى التى لا يعرفون أسماءها الطلاب المترفون الذين يلبسون ساعات فى معاصمهم وأصلهم من جنوب الصين يتفوقون على الآخرين بضحكاتهم وأصواتهم الرنانة المجلجلة

رأت تشانغ يون ذلك فأحسست بنشوة ، سمعت شخصاً يناديها باسمها بصوت عال ، إنه تشانغ شى تشون يلوح بيده من بعيد وأخذ يهرول مسرعاً نحو المبنى وهو رافع نظريه نحو تشانغ يون الواقفة خلف النافذة :

قال تشيانغ شى تشون ، وكأنه انتظر طويلاً ، لقد جئت أخيراً ، أخيراً ، يا لك من فتاة طيبة! وهو يصفحها بقوة وحماس بينما يلتقط أنفاسه .

خشيت ألا أجدك .....

" أكيد " مؤكداً إنك ستجدينى ، ولكن تعالى هنا لقد طالت قامتك وأضاف تشانغ شى تشون كأنه كشف شيئاً يعجبه " قامتك أطول من ذى قبل كثيراً "

أحست تشيانغ يون أن نظرات تشانغ شى تشون المستمرة لها وكلامه الذى لا يتوقف عن طول قامتها يخفى وراءه عبارة " أنت جميلة . " وأى فتاة تلك التى لا تستشف نظرات الإعجاب والإحساس بجمالها ؟ استدارت تشيانغ يون فى دلال وكبرياء وشيء من الخجل وجلست على حافة السرير ثم امتلأت الحجرة بأحاديثهما التى لم تتوقف منذ لقائهما .

قال تشانغ شى تشون : كنت أعتقد أنك لن تفكرى فى أمرى مرة ثانية ولم أتوقع .....

أجابت تشيانغ يون : " هه " أما زلت تتحدث عن ذلك ، فى مساء أول مايو من الذى سعى إلى الآخر؟ والآن من أيضاً الذى سعى إلى الآخر؟

لقد جئت اليوم فى الوقت المناسب تماماً فسوف نرحل من هنا مساء غد ، نذهب فى تدريب عملى إلى العين الساخنة ومنطقة تشوكودين<sup>(١)</sup> وهذه هى المرة الأولى التى نخرج فيها فى عمل ميدانى ..... لماذا لاتخبرنى عندما تخرج فى دراسة عملية؟

صحيح أنا لم أسألك بعد؟ فى أى تخصص أدت الامتحانات؟

الصناعات الميكانيكية .....

يا للخسارة ، ولماذا لم تؤدين امتحانات التأهيل لمعهد الجيولوجيا؟ إن الكفاءات الجيولوجية الآن مثل الذهب ! لقد كانت أول عبارة فى حديث نائب وزير الجيولوجيا إلينا هى نداؤه لنا " سادة وسيدات الأرض فى مستقبل الأيام ..... " إن مبنى معهدنا شامخ وضخم ، ولم ينته منه حتى الآن سوى جزء واحد من سبعة أجزاء .....

إن معهد الجيولوجيا رائع ولكن للأسف - انقضت الامتحانات - ولقد فكرت أيضا آنذاك فى كتابة معهد الجيولوجيا كترغبة أولى ولكنى نسيت وقتها كيف تكتب كلمة " جيولوجيا" .....

" أكاد أتميز من الغيظ " !

(١) منطقة أثرية تقع على مشارف بكين ، اكتشف فيها آثار عظام إنسان بكين .

"....."

"....."

ومن يدري كم احتوى هذا الحديث الذى بدأ بالمزاح من مشاعر الصداقة الحميمة الخالصة ، ومن دفاء وحرارة المرح الكامن فى نفوس الشباب !

... وبعد الظهر انطلقا إلى ضفة نهر سوتشو بجانب الجبل الخلفى فى قصر الصيف ، وهو مكان هادئ وجميل ، على جانبيه تنمو الحشائش والأعشاب البرية التى يصل ارتفاعها إلى رتبة الانسان ووسط هذه الأعشاب تنمو زهور بيضاء صغيرة، حجم هذه الزهور فى ربع حجم ظفر خنصر فتاة صغيرة ، تنحنى عليها الفراشات قبلها وتمتص رحيقها ثم تتمطى بظهرها نائية عنها ، سعت يانغ تشيانغ يون، ومعها تشانغ شى تشون إلى صخرة صغيرة بجوار هذه الزهور وجلسا عليها تظللها أشجار الباراسول الصينية بأوراقها المستديرة ، نظرا إلى أسفل فشاهدا مياه النهر تنساب فى نعومة وهدوء وسلاسة ، وطيور اليعسوب وغيرها من الحشرات الطائرة الأخرى من ذوات اللون القرمزى تبحث عن سيقان نباتات جافة بارزة عن سطح الماء لتستقر عليها ، قفزت ضفدعة فوق الطحالب الطافية ثم انزلت من فوقها، عادا فرفعا رأسيهما ورأيا كثيرا من المعابر الخشبية الحمراء الصغيرة وفوقها تسبح قطع السحب البيضاء فى الفضاء البعيد ، وتحت هذه السحب تصدح طيور العقعق وفوق قمة جبل قريب وفى هذا المكان الفسيح بين السماء والأرض تهب نسيمات رقيقة ، وكل شىء يبدو فى وضعه المناسب وهنا أخذت يانغ تشانغ يون قسطا من الراحة الحقيقية وتوقفت أحلامها المحمومة مؤقتا وتراجع حماسها المتأجج بصورة مؤقتة هو الآخر وقضت وقتا خالية البال قريرة العين .

أغمضت عينيها وراحت تستمع فى هدوء الى أصوات أنفاسها والى طنين اليعسوب وخرير الماء وأزيز محركات الطائرات التى تحلق على ارتفاعات منخفضة

ونباح الكلاب الضالة فى القرى وأصوات التدريب على المدافع الصادرة من فيلق  
عسكرى على مشارف المدينة، وبعد أن فرغا من سماع هذه الأصوات راحا يشمان  
مزيجا من روائح نبات الافستين البرى والأتربة وروائح طمى النهر التى تطفو على  
سطح الماء ، وخليط من الروائح الذكية المتصاعدة من القوارب، وقد نسيت تشانغ  
يون ، لقلقة النافذة الصبر دائما نست نفسها الآن وانغمست تماما فى سماع وشم  
مزيج من الأصوات والروائح الطبيعية والبشرية لا تفكر فى شىء ولا تحرك ساكنا ،  
فقط قطفت غصن شجرة جاف وقذفت به إلى سطح الماء فتكونت تموجات دائرية  
الشكل ومتوالية تفرقت على أثرها الأسماك الصغيرة لشدة خوفها .

أقبلت جماعة من الطلاب من فوق أحد المنحدرات الجبلية على شاطئ النهر  
ينادى قائدهم : هيا واحد اثنان ثلاثة غناء ، ثم يغنون جميعا فى صوت واحد باللغة  
الكورية . إلى جوار عين المياه حملقت تشانغ شى تشون فرأت مركبا من الطراز  
الكلاسيكى القديم يظهر فوق سطح النهر عند أحد الانحناءات ، المراكبى يستخدم  
مجدافا من البامبو فى دفع المركب الذى يجلس به مجموعة من الأصدقاء الكوريين  
يلوحون ويشيرون بأيديهم ، يهتمون باستطلاع ومشاهدة كل ما حولهم ، وهذه سيدة  
فى ملابس جميلة تخطف .

الأنظار تحت ضوء الشمس الساطعة ، غنى الأولاد لهم غناء جماعيا باللغة  
الكورية ولوحوا لهم قائلين : " أهلا وسهلا بالرفيق الكورى " !

سُر الأصدقاء الكوريون غاية السرور واندفعوا جميعا صغارا وكبارا الى هذه  
الجهة من المركب وراحوا يهللون بصوت عال ويرفعون، زجاجات المياه الغازية  
الفارغة ويطرقون عليها طرقات ارتجالية فقد المركب توازنه ومال بشدة نحو هذا  
الجانب فضحك كل من بالمركب ومن على الشاطئ ضحكات عالية مجلجلة

قال تشانغ لهم فى لهجة استفزازية " إنكم - أيها - التلاميذ - مهذارون "

كلامك فارغ بل هذا مرح وانطلاق !

ولم يستمروا على هدوئهم بل انطلقوا يتحدثون بحماس فى كافة الأمور ،  
وتحول التلاميذ من مجرد إلقاء التحية على الأصدقاء الكوريين الى الحديث معهم فى  
أخلاقيات الناس والحديث عن التفاؤل والأدب والأغنيات وضرورة دراسة اللغات  
الأجنبية .....

أمسى اليوم شيئاً فشيئاً واستعدت تشانغ يون للرحيل وقالت لتشانغ شى  
تشون :

تشانغ شى تشون هناك أمل فى إرسالى للدراسة فى الخارج

قفز تشانغ شى تشون متهللاً فى سعادة حقيقية ؟ رائع رائع أهنتك ! ومد  
يده العريضة مصافحاً تشانغ يون فى قوة حتى جعلها تهتز وتترنح .

يقال إننى إذا سافرت سوف أمكث بالخارج سبع سنوات وكم يكون اشتياقى  
إلى قصر الصيف هذا!

لا تنزعجى ، سوف تذهبين للاستجمام فى الخارج ، حيث تنتشر المنتزهات  
الرائحة على شواطئ البحار !

سوف أترك بكين وأغادرها إلى مكان بعيد

بعيد ماذا ؟ ! إن سفرك فى مجتمع شيوعى من بكين إلى أى مكان فى العالم  
سيكون مريحاً مثلما تنتقلين من المدرسة الثانوية السابعة للبنات إلى معهد الجيولوجيا

نعم وانفقت تشيانغ يون معه فى ذلك

أكثرى من كتابة الخطابات إلى فى المستقبل

" لن أكتب " بل اكتبى ، اكتبى ، حتى لو كان خطاباً واحداً فى العام " ثم  
وارب تشانغ شى تشون عينيه ونظر للشمس وهى تبتلع نحو الغروب وقال فى



صراحة ووضوح: أحيانا أخشى الفراق ، فمثلا يكون الشخصان صديقين حميمين في أول الأمر ويفترقان فيتبادلان الرسائل في البداية مرة واحدة أسبوعيا ثم شهريا وبعدها سنويا ، وفي نهاية الأمر تنقطع الصلة تدريجيا ويصبحان غرباء ويقع الجفاء ولا يذكر أحدهما الآخر .

وقد فضفض هذا الشاب - طويل القامة رابط الجأش في لهجة من يفهم حقائق الأمور فهما كبيرا - عن بعض المشاعر الحزينة الساذجة مما دفع تشيانغ يون إلى الضحك

أدرك تشانغ شى تشون أنها تسخر منه لأنه تحدث في وقار كمن يتحدث في أمر جليل فبادر قائلا وبطبيعة الحال هناك أحيانا أخرى أحب الفراق فيها : مثلا لو أن أحد أصدقائي أنت مثلا سافرت الى مكان بعيد فأنى سوف أفكر في أن العالم كم هو كبير وكم أن الحياة رحبة وأقول امضى في سبيلك ، اذهبى إلى مكان بعيد جديد، شقى طريقك وواصلى نضالاتك وكفاحك وليس مهما أن تكتبى رسائل أو لا تكتبى، ولتفصل بيننا آلاف بل وعشرات آلاف من الأميال بينما نحن مشغولون ليلا ونهارا في العمل من أجل قضية مشتركة !

امتدحته تشيانغ يون قائلة : رائع إن هذا الكلام يفرح القلب ويشرح الصدر ثم نهضت واقتربت من الشاطئ وسألت شخصا على ظهر المركب السياحي ممن يضع ساعة في معصمه عن الوقت ، وعادت تقول أريد أن أنصرف ، الى اللقاء وصافحها تشانغ شى تشون بحرارة

كل إنسان يواجه مثل هذه اللحظة التي لا تحدث سوى مرة واحدة مشاعر الشباب وأحاسيسهم الصادقة تتفجر مثل ينابيع الماء

يودون في ذلك العهد أن ينشدوا مائة أغنية في اليوم الواحد، كل أغنية منها تثير المشاعر والأفكار والأحاسيس النابضة بالصدق، ويوم آخر يودون لو سجلوا عشرات اليوميات يسجلون فيها أفراحهم وتطلعاتهم وشكاواهم، إن أبسط أمور الحياة

كنوبة من المطر، نسمة من الريح، قصيدة شعر جميلة يمكن أن تثير شعورا دائما من السعادة والحزن، فى هذه الفترة تطغى الأمنيات التى تحقق للإنسان السعادة وتسدى له نفعا على كل ما عداها ، وإلقاء كلمة التحية أو حتى إطلاق نكتة يمكن أن يعبر عن لطف وذكاء لانظير لهما لكن الصديق الحميم فى عهد الشباب حتى لو التقيت به صدفة وحتى لو تعارفتما للحظة واحدة ، إذا أسعدك الحظ وصادفت مثل هذا الشخص وأدركت شيئا فشيئا أن له نفس طباعك ويبادلك نفس الحب ويشاركك الرغبة فى تكريس حياته من أجل الآخرين فان كل ذلك يصبح ذكرى خالدة على مر الزمان ، وكلما كان الفراق طويلا زمانا ومكانا كانت الذكرى متجددة جميلة ، إن الحياة دائما تباعد بين أصدقاء الصبا حيث يمضون كل فى طريق ، ويتبدد كل شيء وينقشع مثلما تتبدد السحب وينقشع الضباب ولا يبقى غير الذكرى ولكن يانغ تشيانغ يون وتشانغ شى تشون عندما يجيء هذا اليوم ويكون قد شاب منهما الشعر خلال رحلة النضال الشاقة وزحفت تضاريس الزمان على الوجه والجبين ، سيجدان أن الصداقة التى أرسياها هذا العام لا تزال باقية تجمع بينهما، آنذاك إذا قدر لهما أن يلتقيا صدفة فى أحد الاجتماعات الكبرى أو يسمع أحدهما خبرا عن الآخر من هنا أو من هناك فإن ذلك يؤجج مشاعرهما من جديد ويوقظ ذكرياتهما الجميلة يانغ تشيانغ يون تخطب بصوت عال بجوار نيران ، المعسكر وتشانغ شىء تشون يستقد ويعلق على كل شئ وهو واقف على ساحة الجليد بينما نجد أن الانكسار النفسى والشعور بالتعب وعدم الاكتراث بشيء ، ذلك الذى ربما يكون من صفات المسنين سوف يختفى فى هدوء ويفقد وجوده تحت أشعة الشمس الربيعية التى تشرق مرة أخرى .

عادت تشيانغ يون الى المدرسة فى الساعة السابعة والنصف الزميلات يتوافدن على فناء المدرسة استعدادا للتجمع ، منهن من تطلق النكات وتشرب الشاى ومنهن من راحت توزع ما تبقى معها من لب البطيخ على الزميلات الأخريات ، بينما أخذت بعضهن تساعد الأخريات فى صفر شعورهن بشكل جميل ، وما إن رأين يانغ تشيا نغ يون حتى أحطن بها جميعاً

أيتها الشابة ! لقد قلقنا عليك قلنا شديدا ! أين ذهبت ؟

وما العمل إذا كنت قد تأخرت ؟

أسرعت يوان شن تشى وأمسكت بيد تشيا نغ يون واتجهتا نحو العنبر وهى تقول : أسرعى غيرى ملابسك بسرعة ولكن هل تناولت طعامك ؟

سحبت تشيانغ يون يدها وأومات وهى تتمتم

صحبتها يوان شن تشى وقالت فى سعادة وحماس لقد أعلنت الزميلات أنهم يجب أن يرتدين اجمل ما يملكن من ملابس ويظهرن فى أبهى صورة مساء اليوم .....

عندئذ فقط نظرت تشيانغ يون إلى يوان شن تشى بإمعان فرأتها قد ارتدت وكأنها تعلن التحدى : بلوزة ذات لون قرنفلى مبهر وياقة مستديرة ، تنتشر فى هذه البلوزة نقط صغيرة ذات ألوان خضراء وصفراء وبيضاء وربطت شريطة بيضاء حول الياقة وضمفرت شعرها فى عدد كبير من الضفائر الصغيرة ثم ضمفرتها معا فى ضمفرتين اثنتين كبيرتين طويلتين وربطت فى طرف كل منهما شريطا حريريا أبيض ،

ويوجد على جانب التنورة ذات الداير السفلى الأبيض التي ترتديها تطريز على شكل ورقة لوتس عريضة ، من الجانب بها عروتان ذاتا لون أخضر على هيئة بتلات اللوتس وزراران صغيران من الزجاج ذى اللون الأزرق الداكن يشدان التنورة حول وسطها .

وبدت يوان شن تشى فى ملابس زاهية جميلة ونظيفة وظهرت عليها علامات البراءة والنضج فى آن واحد ومن ثم استندت تشيانغ يون إلى كتفها وامتدحتها قائلة يا سلام حقيقى رائعة الجمال وأنت تلفين مثل هذه الشريطة !

داعبت يوان شن تشى الشريطة ولمعت عيناها بالذكاء وقالت مفسرة إننى أخشى من التراب .....

ابتسمت تشيانغ يون واقتربت من صندوق ملابسها الصغير

ورغم إعجابها بملابس يوان شن تشى الا أنها لم تلق بالا لتجميل وتزيين نفسها فقد ارتدت قميصا أبيض عاديا جدا وذا ياقة مقلوبة دون أن تعبا بمعارضة يوان شن تشى الشديدة لذلك ، وشمرت كمي القميص وأبانت عن الندبة التي توجد فى ذراعها اليمنى ( أثر الشقاوة فى عهد الطفولة )

شعرها ليس طويلا ، ربطت يوان شن تشى العقصة اليمنى منه بشريطة من الحرير ، وما كان من تشيانغ يون إلا أن نزعت هذه الشريطة ولت شعرها بتوكة من المطاط وتسلفت لتنظر الى نفسها فى المرآة : شعرها كث وكثيف ، حاجباها يرتعدان ونظراتها تبدو قلقة وغير مستقرة وشعرت بالخجل من الوقوف أمام المرآة أكثر من ذلك فارتدت تنورة قصيرة غير مكسوة ذات داير أبيض وخطوط طويلة مزركشة ، وهى أحدث موديل من صناعة تيانجين لبست فى النهاية حذاء صيفيا من الجلد ذى اللون الأبيض ونظرت الى يوان شن تشى فى اعتذار وهى تقول : معقول ؟

قادت يوان شن تشى يانغ تشيا نغ يون وخرجتا تتفقدان ملابس الزميلات ، فوقت التخرج يختلف عن كل الأوقات العادية ولقد كبرن وزادت جرأتهن فى اختيار وارتداء الملابس ، فقد ارتدت لى تشون التى لم تكن تهتم بملبسها من قبل فستانا طويلا ذا لون أصفر برتقالى وبدون ياقة ، يبين عن جزء صغير من صدرها وظهرها ، ويالها من فتاة رائعة الجمال إذا لم تضع النظارة على عينها ، وهذه تشن بوا وقد بدت رائعة للغاية ، فهذه هى المرة الأولى التى تضفر شعرها الطويل فى ضفيرتين قصيرتين ، وقميصها الذى يجمع تصميمه بين زهور صغيرة متداخلة ذات ألوان زرقاء وصفراء ورمادية يبدو جميلا ملفتاً للأنظار .

والعجب كل العجب لسونينغ ، أو ليست هى القادرة دائما على ارتداء الملابس الفاخرة ؟ إنها على العكس ترتدى اليوم قميصا بسيطا من القماش ذا لون أصفر سادة بلون الأرز وتنورة زرقاء بينما ، لم ترتد تشوشيا ولينغ سوى شورت ذى لون أزرق غامق وقد أبانت عن فخذيها السمرابين المكتنزين فى زهو ودلال

وما زالت مارى ترتدى السروال الطويل ذا اللون الباهت ، فهى لا ترغب فى أن ترى الزميلات الجسأة ( الكالو) التى تكونت على ركبتها من جراء كثرة السجود

لكنها بدت أيضا فى شكل ومنظر جديد عندما ارتدت لأول مرة تلك البلوزة المزركشة التى اشترتها من حصيلة ما وفرته فى صندوق إعانة الطلاب .

بدت يوان شن تشى فى غاية السعادة والحيوية ، وأخذت تتحاور وتناقش ، وتثنى على ملابس الزميلات التى تتفق مع شعار "دع مائة زهرة تفتتح " وتشيانغ يون تبدى إعجابها بابتسامة مستترة وكأنها ترى أنها تجاوزت مرحلة المراهقة التى لا تستقر على حال ، وبدأت أنظارها تتعلق بشيء أكثر أهمية .

وفى الثامنة والنصف ، تجمعن جميعا فوق أحد المرتفعات بجوار الباغودا البيضاء بحديقة بيخاى . وقالت إحداهن : "التزم الهدوء ، لنلق نظرة أولاً من هنا

على المدينة " ، واقتربن إلى جانب الباغودا حيث يمكن رؤية مدينة بكين بأسرها ، كان الليل قد أرخى سدوله ، وأخذ لون الغسق الأحمر الذى يلوح فى الغرب يتحول تدريجيا إلى اللون القرمزى ثم الرمادى ثم إلى اللون الأسود ، ثم اختفى فى نهاية الأمر . وفى الحال أضيئت الأنوار فى الشوارع وأضاءت بعدها تباعا مصابيح المحال التجارية والمنازل . يخيم ضباب أبيض فوق كوبرى مقوس أبيض يوجد عندما طرفه سلحفاة بحرية مذهبة ، أضواء كشافات السيارات المارة فوق الكوبرى تظهر متقاطعة ، وتحمل الرياح الجنوبية أصوات نفيها " . حشرات زير الحصاد " الطائفة تملأ الحديقة ، ويعلو طنينها على نحو خاص عند الغروب . وفى الظلام يزداد أيضا حفيف أوراق أشجار الحور وأشجار البتولا .

ونظرن قريبا تحت أقدامهن ، فإذا بالأشجار الخضراء والحوائط الحمراء قد اختفت وأصبحت غير واضحة الرؤية ، والأضواء القليلة الخافتة تتمايل على صفحة البحيرة اللامعة .

وانطلقت فى آن واحد ضحكات الشباب المجلجلة أولئك الذين يحتفلون بيوم الشبية بجوار مقصورة وولونغ ممتزجة بأصوات اللعب والغناء المنبعثة من فوق ماء البحيرة . وإذا ألقينا نظرة على الأفق البعيد ، شاهدنا الباغودا البيضاء الصغيرة للمعبد البوذى فى جهة الغرب ، وفى الشمال نشاهد برج دق الأجراس وبرج قرع الطبول ، ونرى القصر الذهبى الشامخ المهيب فى الجنوب . . . . . ورغم أننا تحت جناح الظلام ، إلا أنه يمكن التمييز بين الأشياء بوضوح . ومضين على هذا النحو ، حيث انتشرن فوق قمة الباغودا البيضاء ، تحاول كل منهن أن تبحث عن موقع بيتها ومدرستها والسوق التجارية التى تتردد عليها كثيرا ، والمكتبة ودار السينما ، وكذا الشوارع والميادين التى شاركت فى العمل التطوعى بها ، حتى إنهن أردن البحث عن الأماكن التى اصطدمن فيها بأشخاص عندما كن يتدربن على

ركوب الدراجات ، وعن حافة الرصيف التي كن يسترحن عليها دائما أثناء مسيرات الاحتفال بالعيد الوطني .

..... وقد اهتدين جميعا إلى الأماكن التي يبحثن عنها على وجه التحديد ، ورحن يشرن بأيديهن في يقين لا ريب فيه ، إنه المكان ، هذا المكان ! ثم يتعرفن جميعا على هذه الأماكن المنتشرة .

" هنا ، وهناك ! "

وقد بدت المدينة العريقة - التي منحتهن كثيراً من السعادة وهن يقفن هنا في هذا المكان ، والتي بدأت حياة جديدة . كأنها تهمس في آذانهن قائلة :

" هل أنتن بخير ؟ أهتكن ! انظرن إلى بدقة وإمعان ، فرما نفترق ، أنتن تحبوننى ، أعرف ذلك ، لقد شيدتنى سواعد أجدادكن تشييداً كاملاً وصلباً ورائعاً ، وانتزعتنى سواعد آبائكن وإخوانكن من براثن الأعداء ، ثم عاد إلى الشباب على أيدي أبناء جيلكن ، ولكن ما أصبوا إليه ، أشد ما أصبو إليه هو أنتن ، أتمنى أن تكبرن في سعادة ، وأن تصفين على لمسات الزينة والجمال مثلما زينتن أنفسكن قبل قليل

واتجهت مارى وحدها نحو الشرق ، تنظر إلى المباني حديثة التشييد وإلى مداخن المنطقة الصناعية في الحى الشرقى ، تهب عليها نسيمات باردة منعشة . كانت دائما لا تشاركهن الضحك عندما يتضحكن في سعادة ، وكأنها ينقصها أشياء كثيرة دون بقية زميلاتهن . أو ليست قد استقر بها العيش مع زميلاتهن ؟

أو ليست قد انتصرت على الحزن والأسى وأعلنت أنها " تستطيع الحياة " ؟ نعم ، إنه من الواضح الآن أنها لا تختلف عن زميلاتهن في شيء ، وقد أختارت لنفسها طريقاً جديداً بلا تردد ، ولكن الذكريات الطويلة تجثم على أنفاسها ، مثلما

يعجز الإنسان الذى يهاجمه كابوس فى نومه عن الشعور بالسعادة حتى بعد اليقظة ، وإن أخطر ما تعاني منه هو خطر الفتور والبرود الذى يزحف على عقيدتها ، فعندما كانت تؤدى الصلوات أمس الأول ، تسللت إلى نفسها فكرة خطيرة : " أليس كل ذلك من قبيل خداع النفس ؟

" ألم يكن جوزيف يؤدى التراتيل والصلوات كل يوم ؟ " ثم ارتعدت فرائصها خوفاً من هذه الفكرة الشيطانية ، وندمت ندمًا شديدًا على ذلك من وقتها حتى اليوم .

لم تتركها يوان شن تشن تنفرد بنفسها طويلا ، واقتربت منها ، وسألتها فى حنو واهتمام " إلام تنظرين ؟ " ثم استطرقت تقول فى براءة دون انتظار رد منها :

" هل ترين أن بكين جميلة ؟ أن الأبنية كثيرة فى الحى الشرقى ، أتعرفين ؟ إن رغبتى هى دراسة هندسة العمارة ، عندما أرى الأبنية حديثة التشييد فى بكين كثيرة بهذا الشكل ، أخشى أن تضيع فرصتى التى خططت لها بعد التخرج ، إننى إذا خططت هذه المدينة ، فسوف أخطط بناء قلبها على شكل زهرة ، بحيث تقوم الشوارع التى تشبه الخطوط الإشعاعية بفتح بتلات هذه الزهرة ، ويكون المبنى الشامخ فى المركز بمثابة السداة ، وإذا نظرت من أعلى وأنت تركيبين الطائرة . . . . .

كانت لى تشون تجلس بجوارها مع يانغ تشيانغ يون تحت شجرة صنوبر عتيقة ، عندما قالت لى تشون :

" عزيزتى يانغ ، حقيقة ، إننى أشعر أكثر فى وقت التخرج أنك أعز الصديقات وأقربهن إلى نفسى ، وما أروع النقد والمعارك الفكرية التى كانت تنشب فى عهد المرحلة المتوسطة . إننى حقيقة آمل أن نظل معًا إلى الأبد ، وما أجمل أن



يكون هناك من يشير إلى مثالي وعبوبى فى صراحة وقوة وفى الوقت المناسب ،  
وبعبارة أخرى ، إننى أحتاج الي من يشتمنى دائما

وفى جانب آخر ، كانت تشوشيا ولينغ لا تزال تسأل ووتشانغ فو

" أخبرينى ، كيف يكون الإحباط وفتور الهمة ؟ لقد شهد كثير من الزميلات  
حالات من هذا الإحباط المعنوى ، ثم تقدمن بعد ذلك ، لكننى لا أستطيع ذلك ،  
لقد ذكرت اللجنة الفرعية لرابطة الشبيبة عند التخرج أننى ذات فكر متواضع ، وهذه  
حقيقة فانطباعاتى وردود أفعالى تبدو كأنها قليلة للغاية حتى فى هذا الوقت ..

.....

أومات ووتشانغ فو برأسها فى شعور بالتعاطف .

حان الوقت ، وقفت يوان شن تشى فوق صخرة وشفقت بيدها داعية كل  
زميلاتها للتجمع . القمر يتعامد فوق الرؤوس ، ويرسل أضواء خافته ، وقفت شن  
تشى منتصبة القامة ، منتفخة الصدر ، شامخة الرأس ، قالت فى تأثر :

" الزميلات الأعزاء ، دعونى نيابة عن جميع زميلات فصلنا أن أعلنها على  
مدينتنا الحبيبة . ووطننا الحبيب ، وعلى كل ما حولنا : لقد تخرجنا

" لقد تخرجنا ، قالتها جميع الزميلات فى صوت واحد مفعم بالحماس ،  
وراح صدى الصوت يتردد فى المكان ، " ..... تخرجنا .  
تخرجنا " .

واستطردت يوان شن تشى تقول : " لقد تخرجنا ، ونحن نعتر ونزهو بذلك ،  
بعد أن أمضينا ست سنوات دراسية ناجحة فى العاصمة بكين وفى كنف الزعيم  
ماوتسى دونج ، ونقف الآن على أعتاب مرحلة جديدة من مراحل الحياة : الغد  
يفتح لنا أحضانه بالكثير من الأمل والنور والزهور ، وبالكثير من المسئوليات

والتبعات أيضاً ، هذا الأمر لم نستوضحه تماما بعد ، لكننا جميعا نعرف معرفة اليقين معالم طريق المستقبل ، حيث سنقدم كل شىء من أجل الوطن ، ومن أجل الاشتراكية "

صفقت الزميلات تصفيقا حارا حتى التهبت أكفهن .

واستطردت يوان شن تشى : " سوف نبدأ حياة جديدة تماما ، لا نعرف كم ستحوى من الصعوبات والتعقيدات ، والمستقبل يفتح لنا ذراعيه ، ولن يمضى طويلا حتى نفترق ، وهناك بعض الزميلات ستودعهن مدينتنا ، والآن ، دعونا نمضى معا آخر اللحظات وأجملها وأسعدها أيضا فى عهد مرحلة الدراسة المتوسطة ، دعن قلوبنا تتوحد وتتآلف الى الأبد . الزميلات العزيزات هكذا تبدو حياتنا جميلة ورائعة ، الآباء والإخوة والأخوات كلهم ينظرون ألينا بعين الغبطة والسرور ، العمل والإنجاز يدعوننا ، يطلبان منا تقديم كل ما كنا نتحلى به فى المرحلة الدراسية المتوسطة من حماس وذكاء وروعة وجمال ، وأن نغنى ونرقص بكل قوة وحماس . لا يزعجنا أن تهتز الأرض تحت أقدامنا ما دامت لن نخرج عن مدارها المستدير . "

وراحت الطالبات يغنين فى صوت جماعى "نحن نرفع الكؤوس" هذه الكلمة التى تم تعديلها إلى : " سوف تكون هذه الصداقة أكثر قيمة إذا استطعنا أن نلتقى فى المستقبل . . . . . " وصافحت بعضهن البعض ، وتبادلن التهئة ، ورحن يعزفن على الأكورديون والفلوت المصنوع من البامبو ، ويلقن واحدة تلو الأخرى ما يروق لهن من أبيات الشعر - ألقين كل صنوف وألوان الشعر ، ما كتبه بأنفسهن ، وما كتبه الشعراء من الصينين والأجانب ، حديثهم وقديمهم من قصيدة "تمجيد عهد المرحلة المتوسطة الذهبى" الى "رحلة ممتعة فى ساحة الحرب القديمة تثير فى القلب مشاعر كثيرة حتى " أسخر من نفسى لأن رأسى اشتعلت شيبا " (١)، من أصنع لنفسى نصبا تذكاريا ليس من صنع البشر ، إلى " يامطرقتى ، وأبيات شعري امدحى أرض الشباب الفسيحة " .

(١) انظر ديوان الشعر الغنائى لسوشه .

... .. وألقين أيضا بعض أشعار الزعيم ماوتسى دونغ :

" كان زملائي من الصبية فى عمر الزهور ، ينتقدون كل شىء فى العالم بروح المثقفين ... .. "

إنهن لا يعرفن على وجه التحديد معنى كل كلمة من هذه الكلمات ، غير أنه ، ما دام شعرا جيدا فإنه يمكن أن يتفق مع ما يشعرن به اليوم من مرح وسعادة ، وما دمن يلقين الشعر فقد أستطعن التعبير عن مشاعرهن . وبينما كن غارقات فى إلقاء الأبيات من الشعر ، وصل إليهن الأستاذ يوان لاهثا بعد أن انتهى لتوه من أحد الاجتماعات ، ممسكاً فى يده رغيفاً من الخبز الجاف اشتراه فى الطريق وقد تخلص اليوم من التحفظ الذى يتسم به المدرس ، تحول تماما إلى طالب من بين الطلاب المفعمين بالشباب والحيوية ، وأطلق حنجرتة وراح يغنى أغنيته " اللون الأحمر يغطى النهر كه " ليوفى وهى - على حد قوله - أغنية سمعها من أبيه قبل أربعين عاما .

انتصف الليل ، والزميلات يمشين الهوينا فى عرض الطريق .

عربات رش المياه انتهت من دورتها الأخيرة ، والنسمات الرطبة المنعشة تنبعث من على سطح الطريق ، وهناك بعض العمال يقومون فى الليل بإصلاح قضبان التراموى المخلوعة كى يضمنا سير المواصلات فى اليوم التالى ، أنبوبة لحام الأكسجين تصدر صوت " أزيز " ، والشرر الأزرق يتطاير ويتساقط على الأرض فى هدوء .

شرطى المرور عاد إلى بيته ، وترك مصباحا كهربائيا وحيدا على واجهة نقطة المرور التى تشبه كلها فطر عش الغراب ، هذا المصباح يضىء حوض زهور على شكل نصف دائرة حول النقطة . وتظهر زهور صغيرة متفتحة مستديرة عديدة الألوان وسط مساحة من الحشائش الخضراء .

قالت تشيانغ يون لتشن بوا : " إن موقع هذه النقطة رائع ، حيث يوجد مثل هذا الكم الكبير من الزهور التي لاتشبه زهور الصيف ، بل تشبه زهور الخريف " .  
" ولماذا تشبه زهور الخريف ؟ " .

" فى الربيع ، تبدو زهور أشجار الخوخ والبرقوق الكثيفة مثل مساحات شاسعة من النيران ، وفى الصيف تفتح أزهار الموتان والفاونيا وتنتشر بكثرة وغزارة . وفى الخريف توجد بكثرة زهور مجد الصباح وزهور الياسمين ، وهذه الزهور أوراقها كثيفة وحجمها صغير وتفتح وتنتشر فى كل مكان " .

" ليس ذلك بالضرورة ، فالفتاة الجميلة تزبل ثم تفتح فى الخريف ، لكنك تتصفين بالدقة والقدرة على التذوق والإعجاب معا ، لذا فمن المؤكد والمؤسف فى الوقت نفسه وقوع حوادث طريق إذا عملت هنا فى نقطة المرور هذه .

ابتسمت تشيانغ يون ، وداعبت شعرها بأصبعها ، وقالت فى لهجة تجمع بين الهزل والجد : " لا بأس يجب علىّ إذن أن أدخل فى صراع مع قدرتى على التذوق والإعجاب " .

" صراع ؟ "

" نعم ، لأن هذه القدرة سوف تشتت ذهنى ، وتؤثر على عملية توجيه حركة السيارات " لكنك لست شرطية مرور ، ولم تدرك تشن بوا تماما ما تفكر فيه تشيانغ يون ، فشعرت أن هناك ما يدعو إلى الضحك .

قالت تشيانغ يون فى عناد " نعم ، صراع ، نفس الأمر ينطبق على أى عمل نخر " .

وفى الأمام شاهدن عدداً آخر من العمال يقومون بإصلاح وترميم الطريق ، حيث يقومون أولاً بتسوية السطح المتعرج المتشقق وكسر الدبش ثم يضعون فوقه مادة

البيتومين ( الأسفلت ) الأسود الذى ينبعث منه الدخان والرائحة التى تزكم الأنوف .

وهكذا الحال فى كل ليلة ، بينما يكون الشباب سعيد الحظ يحلم أحلاما هائلة سعيدة ، يكون هناك كثير من العمال الذين يعملون من أجل راحة أهالى العاصمة ، يالهم من كادحين ، تشاورن فيما بينهن ، واقترحت تشوشيا ولينغ قائلة : " انتبهن ، سأعد واحد ، اثنين ، ثلاثة فتصحن جميعا فى صوت واحد أيها الرفاق : شكرا لكم على عملكم الكادح ، ثم عدت واحد ، اثنان ، ثلاثة " فهتفت الطالبات جميعا بالنداء ، وضحك العمال لهذا الحماس غير المتوقع ، وراحو يلوحون لهن جماعة بعد الأخرى ، ومنهم من قال وهو يلوح بالتحية " أهلا وسهلا

سألت تشن بوا فى عدم معرفة " عزيزتى يانغ ، أخبرينى ، لماذا تقولين هذا الكلام ؟ " أجابت يانغ تشيانغ يون وهى تبطئ فى الكلام حينما وتسرع حينما آخر وفقا لوقع خطواتها " لقد فكرت فى أمور كثيرة وقت التخرج ، فأدركت آنذاك فقط كم أن حدود معرفتنا غير كافية وسطحية . . . . . لقد ذهبت اليوم إلى إحدى الجامعات ، وجدتها تختلف عن المدرسة الثانوية فى كل شىء : فكم أن الأبنية شاهقة ، والأفنية واسعة . . . . . كنت أزور صديقا لى هناك . . . . . كم أتمنى بعد الالتحاق بالجامعة أن أتغير إلى الأفضل ، أتغير لدرجة لا يعرفنى معها أحد ، أدرس وأعمل الفكر بكل ما أوتيت من حماس وقوة ، وفى إجازة الصيف أذهب أيضا إلى المكتبة للمطالعة . . . . . وفيما يتعلق بالقدرة على التذوق والإعجاب ، فقد تذوقت وأعجبت وتأثرت بما فيه الكفاية . وأصبح العمل الحقيقى هو أهم شىء الآن

" وفقا لكلامك هذا ، ماذا نفعل إذا أردنا أن نعمل عملا حقيقيا . . . . "

ولم تمهلها تشيانغ يون حتى تنتهى ، وانبرت تؤكد قائلة : " حقيقة ،  
أمل أن أتغير فى كل شىء ، أتغير للدرجة لا يعرفنى معها أحد " .  
" تتغيرين فى كل شىء ؟ حتى قسم عهد الشيبية ؟ " سألتها تشن بوا فى شك  
وربية .

" القسم لن يتغير ، ولكن تتغير من ستحقق هذا القسم ، فلن تركن بعد اليوم  
إلى الحماس المؤقت . . . " وقبل أن تنهى تشيانغ يون كلامها ، صرفت بصرها  
عن تشن بوا وراحت تنظر إلى امتداد الطريق .

وعلى حين فجأة تقدمت تشيانغ يون الى الأمام ، والتفتت ، وصاحت فيهن :  
" أيتها الزميلات ، دعونا لا نمشى مبعثرات متفرقات بهذا الشكل ، ما رأيكن فى  
أن نتغنى بإحدى الأغنيات وقد تماسكت أيدينا جميعا ؟ "

" حسنا ! "

ثم وقفن فى صفوف وقد تشابكت سواعدهن ، وأخذن يغنين بأصوات  
مجلجلة فى عرض الطريق ذات الأرض المسطحة المستوية وتحت السماء التى تزدحم  
بالنجوم ، أيقظت أصواتهن شابًا صغيراً ينام فى أحد محال إصلاح الدراجات ،  
ففتح الباب الى الخارج ، وألقى نظرة بعينه اللتين لم تبرحا النعاس بعد على هؤلاء  
الطالبات ، وتثاءب بصوت عال ، ثم سحب رأسه ودلف الى الداخل . ورحن  
يضحكن فى رضا واقتناع مثل الصغار عندما يمزحن مزاحا طبعيا .

لاح أمام عيونهن ميدان تيان آن مين ( باب السلام السماوى ) الذى أصبح  
شعارا ورمزا للحياة عند الأطفال والشباب ، ياله من عظيم !

بوابة السلام السماوى تنتصب شامخة ، وشارع تشانغان الجميل الممتد شرقا  
وغربا يمثل الجانبين القويين الطويلين لهذه البوابة والميدان الواسع الفسيح هو

واجهتها وصدرها الرحب وقد فتحت ذراعيها نيابة عن الوطن ونيابة عن بكين لترحب بهؤلاء الفتيات اللاتي أنهين مرحلة الدراسة المتوسطة .

وقد أصبح ميدان تيان آن مين مهيبا وقريبا إلى النفوس منذ إقامة الاحتفال الكبير بإعلان قيام الصين الجديدة . فى هذه اللحظة المجيدة ، أعلن الزعيم ماوتسى دونغ قيام دولة الصين الحديثة ، ثم دوت طلقات المدفعية تهز العالم ترحيبا بهذه المناسبة .

وتدقق طلاب وطالبات المدارس المتوسطة على الميدان يلوحون بالزهور والرايات ويشكلون موجات حمراء متلاحقة ومتدفقة . بعد ذلك كن يذهبن فى عز وكبرياء الى ميدان تيان آن مين ، فى أيام الشمس المشرقة والسماء الصافية ، وفى أوقات هطول الأمطار الهتون أو فى مناسبات عيد العمال والعيد الوطنى ، لتمزجن هتافاتهن بالنداء التاريخى بالتقدم نحو المجد والعزة والقوة والرخاء .

وفى فصل الصيف حيث تكسو الخضرة وجه الأرض ، يذهبن الى منتزة تشونغشان لسماع الموسيقى ، أو الى قصر ثقافة الشعب العامل للرقص . وهذه الأماكن التى يقصدنها قريبة من تيان آن مين ، ومن ثم كن يلوحن إليه بالتحية فى ود ومحبة . أما الآن فقد جئن إليه فى الليل ، ذلك الميدان الذى يوقظ فى النفوس ذكريات الماضى الملىء بالبطولة ، ويجعلها تحلم بالمستقبل المشرق المجيد . أمام هذا الميدان يتحول الجبان الى واثق بالنفس ، وضيق الأفق الى شخص واسع الأفق ، أيضا يفكر الإنسان البسيط فى بعض الأحداث والأمور العظيمة . . . . .

وعندما اقتربن من الميدان ، شاهدن مجموعة من الطلاب يقفون إلى جوار سور جسر المياه الذهبية المصنوع من الرخام الأبيض وهم يصفقون ويهتفون ، ثم سمعن أحدهم يقول :

" الآن ، نبدأ إطلالتنا الجلييلة على تيان آن مين ! ثم تفرقوا وراح كل منهم ينظر فى زهو وخيلاء .

وسألهن أحد الطلاب فى دهشة : " فيم أتيتن ؟ " .

فردت عليه إحداهن السؤال فى دهشة وتعجب أيضاً : " ماذا تفعلون هنا ؟ " .

" نحن خريجو إحدى مدارس المرحلة المتوسطة " .

ونحن أيضاً ! .

ثم انضموا معاً وتشابكت أيديهم ، وراحو يرقصون رقصة جماعية فى دائرة كبيرة وقد أحسوا بالسعادة من أجل هذا اللقاء غير المتوقع ومن أجل التقاء خططهم المشتركة .

لم يعرفوا كم مضى من الوقت وسط هذه النشوة والسعادة ، ظهرت سيارة صغيرة ذات لون رمادى تقطع شارع تشارنغان من الغرب الى الشرق .

أثارت السيارة المسرعة فى منتصف الليل دهشة الطلاب ، تساءلوا : " من ذا الذى بالسيارة ؟ وفى مثل هذا الوقت المتأخر . . . . . " .

وبادرت يوان شن تشى تخبرهم فى تأثر : " أنا أعرف ، إنه بالتأكيد الزعيم ماو " .

سرت فيهم كلمة يوان شن تشى بسرعة سريان التيار الكهربائى فى الجسم كله ، فآثارت الحماس فى قلب كل منهم ، وأخذهم الهدوء لحظة ، وشعر كل منهم بالزعيم ماو إلى جواره ، فتجمعوا بطريقة آلية ، واتجهوا أسفل صورة الزعيم فى الميدان ، وهتفوا : " الزعيم المحبوب ماوتسى دونغ ، لقد تخرجنا " .

" وعلينا أن نعمل بجهد واجتهاد " ثم رددوا جميعاً فى صوت واحد دون أن يعرفوا مصدر هذا الصوت : " نعم ، علينا أن نعمل بجهد واجتهاد " .



قاومت مارى دموعها بشدة ، ورفعت رأسها بصعوبة فقد شاهدت عيني الزعيم  
ماو اللتين تفيضان حنواً وعطفاً ، وتجاعيد وخطوطاً فوق العين التي تفيض حزماً  
وعزماً ، أليس الذى رأته فى هاتين العينين هو الوطن بعينه ؟ أليس هو الوطن  
الحبيب ، الوطن الذى كانت تفتقده دائماً من قبل ، الوطن الذى سيحنو على  
أبنائنا الى الأبد ؟ .

ورددت مارى بصوت هامس " شكراً لك ، أيها الزعيم القائد " .

وعدن الى المدرسة وهن يغنين بصوت عال ، ومشين فى ضوء الغسق الذى  
يلوح فى الميدان عند الغروب ، وأطراف السقالات العالية التي تستخدم فى بناء  
النصب التذكارى لأبطال الشعب تعكس الأشعة الذهبية .



## خاتمة

هل يمكن لمن اجتاز غابات الصنوبر الكثيفة أن تسترعى انتباهه الحشائش الصغيرة ؟ وهل يمكن لمن اعتلى رياح وأمواج البحار والمحيطات أن تلفت انتباهه قطرات الندى على أوراق الشجر ؟ .

كان ذلك فى عام ١٩٥٢ ، قبل ربع قرن من الزمان ، كنت آنذاك فى التاسعة عشرة من عمري وكانت أول مرة أمسك فيها القلم وأقدم على كتابة هذا العمل الأول ، وبعد أن طالعتة الآن ، وجدت كم أن هذا العمل ساذج وبسيط .

مضت خمسة وعشرون عاما ، قطع فيها حزنا وبلدنا وشعبنا مسيرة طويلة مجيدة ، قطع الكاتب خلالها ، خطوات على طريق التحامه مع العمال والفلاحين والجنود ، وتحويل وجهة نظره للعالم الخارجى ورغم أنها خطوات قليلة، إلا أن الأحوال قد اختلفت كثيرا.

اختلف العصر ، وشهدت الحياة كثيراً من المتغيرات ، فمثلا كان هناك فى ذلك الوقت عدد غير كبير من طلاب المرحلة المتوسطة يتم ترقيتهم ليصبحوا أعضاء فى الحزب ، لكن ذلك لم يعد يحدث الآن .

كان هذا يحدث فى ذلك الوقت بناء على متطلبات النضال الثورى ، كانوا آنذاك يرقصون رقصات الصداقة ، وكان طلاب المرحلة المتوسطة والجامعة يدعون أستاذهم بلقب " السيد " ، وكانوا يسمون " المجمع السكنى رقم كذا " لإقامة الطلاب " النزل رقم كذا " . وفى هذا الوقت أيضا كانت تتولد بين الزملاء والزميلات من خلال احتكاكهم ببعضهم البعض ، بعض المشاعر والعواطف المشوشة والغريزية والتي بحاجة الى إرشاد وتوجيه . . . . . ألا يمكن لكل هذه الأمور أن تثير دهشة جيل القراء من شباب اليوم ؟

ولكن لماذا جاءت كتابتي للرواية على هذا النحو من الدقة والتفصيل ؟ أليست هناك بعض الأجزاء التي وصلت إلى حد الاستطراد والإفازة ؟ لماذا لم أبرز سمات وملامح العصر بشكل أرحب وأوسع ؟ ولماذا لم أجسد الإنسان الاشتراكي الجديد بشكل أقوى وأعمق ؟ .

وقد كان الكاتب في ذلك الوقت شابا في ريعان الشباب تماما مثل شخصيات روايته الذين تناولهم بالوصف ، فقد كتب عن بعض طالبات المرحلة المتوسطة في المدينة واللاتى اشتركن أيضاً في الثورة الديمقراطية الشعبية ، أحبين الحزب ، وأحبين المجتمع الجديد ، لكن مفهومهن عن الثورة وقضية الاشتراكية كان سطحيا وضحلا للغاية ، تماما مثل الطفل الصغير الذى يحب والديه ، لكنه لا يفهم مكنون نفسيهما على الوجه الأكمل .

غير أن هذا النوع من الحب هو فى النهاية حب جميل ، وثمانين وصادق . ألا تزال بعض التقاليد الرائعة والذكريات الجميلة فى حياة الطلاب فى الخمسينات ، ( مثل : الدعوة إلى التطوير الشامل سياسياً ومهنيًا ، وأنشطة رابطة الشبيبة والأنشطة الجماعية للفصل المتعددة الألوان والأشكال والأعمال المفعمة بالنشاط والحيوية ، والصدقة والتعاون المتبادل بين الطلاب وما تعكسه من شكل العلاقات بين الأشخاص فى المجتمع الجديد ، والنموذج الجديد فى العلاقات بين الأساتذة والطلاب الذى بدأ يسود فى المدارس ، وعلى وجه الخصوص الشعور العميق اللا محدود من جانب جيل من الشباب تجاه الحزب ، وتجاه الزعيم ماو ، وتجاه الوطن الاشتراكي . . . . ) ألا تزال جذيرة بالاستعراض والمراجعة والتذكار ؟ حتى بعد أن دمرت لين بياو " عصابة الأربعة " كل ذلك وأفسدوه ، فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى إعادة كل شيء إلى نصابه لتحقيق القرار الاستراتيجى المتمثل فى تحقيق العصريات الأربعة .

زد على ذلك أن الإنسان فى مسيرة حياته منذ الصغر حتى الكبر يدرك بنفسه أن هناك كثيرا من المتغيرات ، منها تغير نوعى ، ووقفات وانطلاقات بصورة مستمرة. إلا أن الناس يحتفظون من الصغر ببعض الأشياء ويتوارثونها ، فالأشياء الجميلة يجب تطويرها ، والأشياء الفاسدة يجب الحذر منها والتغلب عليها ، وعلى ذلك هل نجد إذا ما استعرضنا حياة وأفكار ومشاعر طلاب بعض المدن من جيل الخمسينات أنها كانت خاوية ولا معنى لها ؟

وهكذا الأمر ، فقد وافقت أخيراً أن تلتقى الحشائش الصغيرة المبللة بقطرات الندى مع القراء ، فكثيرا ما استطاعت أن تعكس بهاء الشروق على الصين الجديدة.

وإننى أهدى هذا الكتاب إلى أصدقاء معسكر ما تروسوف الصيفى من المرحلة المتوسطة بمنطقة دونغ سى بمدينة بكين فى عام ١٩٥٣ ، وقد أصبحت واحدة من طالبات هذا المعسكر الصيفى عالمة فيزياء مشهورة فى الوقت الحالى ، وقد قام الرفيق تشن لوتشينغ الموسيقار المتحمس - بناء على طلب عدد من الطالبات - بتلحين "أغنية المعسكر" وتقول كلماتها :

لنا صديق عزيز ،

إنه ماتروسوف جندى بسيط ،

وهب حياته فداء لوطنه .

.....

ونحب شعبنا .

أستعرض الأمس بمشاعر التقصير ،

وأتطلع إلى الغد فى همة وعزيمة .

بكين فى أكتوبر ١٩٧٨ م .

تم بحمد الله ، ، ،

## المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

## المشروع القومى للترجمة

ت : أحمد درويش	جون كوين	١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانيكار	٢ - الوثنية والإسلام
ت : شوقي جلال	جودج جيمس	٣ - التراث المسروق
ت : أحمد الحضري	انجا كاريتنكوفا	٤ - كيف تتم كتابة السيناريو
ت : محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥ - ثريا فى غيبوبة
ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد	ميلكا إقيتش	٦ - اتجاهات البحث اللساني
ت : يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة
ت : مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨ - مشعلو الحرائق
ت : محمود محمد عاشور	أندروس. جودى	٩ - التغييرات البيئية
ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزدي وعمر طي	جيرار جينيت	١٠ - خطاب الحكاية
ت : هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	١١ - مختارات
ت : أحمد محمود	ديفيد براونستون وايرين فرانك	١٢ - طريق الحرير
ت : عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	١٣ - ديانة الساميين
ت : حسن المودن	جان بيلمان نويل	١٤ - التحليل النفسى والأدب
ت : أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لويس سميث	١٥ - الحركات الفنية
ت : بإشراف / أحمد عثمان	مارتن برنال	١٦ - أثينة السوداء
ت : محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	١٧ - مختارات
ت : طلعت شاهين	مختارات	١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية
ت : نعيم عطية	جورج سفيريس	١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة
ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	٢٠ - قصة العلم
ت : ماجدة العناني	صمد بهرنجى	٢١ - خوخة وألف خوخة
ت : سيد أحمد على الناصري	جون أنتيس	٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين
ت : سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	٢٣ - تجلى الجميل
ت : بكر عباس	باتريك بارندر	٢٤ - ظلال المستقبل
ت : إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٥ - مثنوى
ت : أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦ - دين مصر العام
ت : نخبه	مقالات	٢٧ - التنوع البشرى الخلاق
ت : منى أبو سنه	جون لوك	٢٨ - رسالة فى التسامح
ت : بدر الديب	جيمس ب. كارس	٢٩ - الموت والوجود
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانيكار	٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)
ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كايين	٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روس	٣٢ - الانقراض
ت : أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية
ت : حصه إبراهيم المنيف	روجر آلن	٣٤ - الرواية العربية
ت : خليل كلقت	بول. ب. ديكسون	٣٥ - الأسطورة والحداثة

- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن  
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر  
٣٨ - نقد الحدائث آلن تورين  
٣٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت  
٤٠ - قصائد حب أن سكستون  
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران  
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير  
٤٣ - اللهب المزدوج أوكتايفو پاث  
٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي  
٤٥ - التراث المغفور روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين  
٤٦ - عشرون قصيدة حب بايلو نيرودا  
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك  
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا دوما  
٤٩ - الإسلام في البلقان ه . ت . ثوريس  
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ  
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي  
٥٢ - العلاج النفسى التدميمي بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل  
٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألتجتون  
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون  
٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم  
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا  
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا  
٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا  
٥٩ - المحبرة كارلوس مونييث  
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين  
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميت  
٦٢ - لذة النص رولان بارت  
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك  
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود  
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل  
٦٦ - خمس مسرحيات أنداسية أنطونيو جالا  
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا  
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالنتين راسيوتين  
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم  
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينيو تشيج رودريجت  
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد  
ت : جمال عبد الرحيم  
ت : أنور مغيث  
ت : منيرة كروان  
ت : محمد عبد إبراهيم  
ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد  
ت : أحمد محمود  
ت : المهدي أخريف  
ت : مارلين تانرس  
ت : أحمد محمود  
ت : محمود السيد على  
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد  
ت : ماهر جويجاتى  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى  
ت : محمد أبو العطا  
ت : لطفى قطيم وعادل دمرداش  
ت : مرسى سعد الدين  
ت : محسن مصيلحي  
ت : على يوسف على  
ت : محمود على مكى  
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى  
ت : محمد أبو العطا  
ت : السيد السيد سهيم  
ت : صبرى محمد عبد الغنى  
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري  
ت : محمد خير البقاعى .  
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد  
ت : رمسيس عوض .  
ت : رمسيس عوض .  
ت : عبد اللطيف عبد الحليم  
ت : المهدي أخريف  
ت : أشرف الصباغ  
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى  
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد  
ت : حسين محمود



- ٧٢ - السياسى العجوز  
٧٣ - نقد استجابة القارئ  
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر  
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية  
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى  
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣  
٧٨ - العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية  
٧٩ - شعرية التأليف  
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»  
٨١ - الجماعات المتخيلة  
٨٢ - مسرح ميجيل  
٨٣ - مختارات  
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد  
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)  
٨٦ - طول الليل  
٨٧ - نون والقلم  
٨٨ - الابتلاء بالغرب  
٨٩ - الطريق الثالث  
٩٠ - وسم السيف (قصص)  
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق  
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكى المعاصر  
٩٣ - محدثات العولمة  
٩٤ - الحب الأول والصحية  
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني  
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة  
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)  
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى  
٩٩ - تاريخ السينما العالمية  
١٠٠ - مساطة العولمة  
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)  
١٠٢ - السياسة والتسامح  
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء  
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى  
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع  
١٠٦ - الأدب الأندلسى  
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت . س . إليوت  
چين . ب . توميكنز  
ل . ا . سيمينوفا  
أندريه موروا  
مجموعة من الكتاب  
رينيه ويليك  
رونالد روبرتسون  
بوريس أوسبىنسكى  
ألكسندر بوشكين  
بندكت أندرسن  
ميجيل دى أونامونو  
غوتفريد بن  
مجموعة من الكتاب  
صلاح زكى أقطاى  
جمال مير صادقى  
جلال آل أحمد  
جلال آل أحمد  
أنتونى جيدنز  
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية  
يارير الاسوستكا  
كارلوس ميجل  
مايك فيذرستون وسكوت لاش  
صمويل بيكيت  
أنطونيو بويرو بايخو  
قصص مختارة  
فرنان برودل  
نماذج ومقالات  
ديفيد روبنسون  
بول هيرست وجراهام تومبسون  
بيرنار فاليط  
عبد الكريم الخطيبى  
عبد الوهاب المؤدب  
برتولت بريشت  
چيرارچينيت  
د. ماريا خيسوس روبييرامتى  
نخبة
- ت : فؤاد مجلى  
ت : حسن ناظم وعلى حاكم  
ت : حسن بيومى  
ت : أحمد درويش  
ت : عبد المقصود عبد الكريم  
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد  
ت : أحمد محمود ونورا أمين  
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى  
ت : مكارم الغمرى  
ت : محمد طارق الشرقاوى  
ت : محمود السيد على  
ت : خالد المعالى  
ت : عبد الحميد شبيحة  
ت : عبد الرازق بركات  
ت : أحمد فتحى يوسف شتا  
ت : ماجدة العنانى  
ت : إبراهيم الدسوقى شتا  
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين  
ت : محمد إبراهيم مبروك  
ت : محمد هناء عبد الفتاح  
ت : نادية جمال الدين  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : فوزية العشماوى  
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف  
ت : إيوار الخراط  
ت : بشير السباعى  
ت : أشرف الصباغ  
ت : إبراهيم قنديل  
ت : إبراهيم فتحى  
ت : رشيد بتحدو  
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى  
ت : محمد بنيس  
ت : عبد الفقار مكاوى  
ت : عبد العزيز شبييل  
ت : أشرف على دعور  
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد  
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش  
١١٠ - النساء فى العالم النامى حسنة بيجوم  
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون  
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود  
١١٣ - راية التمرد سادى پلانث  
١١٤ - مسرحيات حماد كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا  
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وواف  
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون  
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد  
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر بث بارون  
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل  
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت  
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية نيل الكسندر وفنادولينا  
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى  
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى  
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر  
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي  
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت  
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته  
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك  
١٣١ - مصر القيمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين  
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون  
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على  
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب  
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت  
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو  
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه  
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى  
١٣٩ - باريسيفال ريشارد فاچنر  
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هربرت ميسن  
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر  
١٤٣ - قضايا التطوير فى البحث الاجتماعى ديريك لايدار  
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولونى
- ت : محمود على مكى  
ت : هاشم أحمد محمد  
ت : منى قطان  
ت : ريهام حسين إبراهيم  
ت : إكرام يوسف  
ت : أحمد حسان  
ت : نسيم مجلى  
ت : سمية رمضان  
ت : نهاد أحمد سالم  
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال  
ت : ليس النقاش  
ت : بإشراف/ رؤوف عباس  
ت : نخبة من المترجمين  
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال  
ت : منيرة كروان  
ت : أنور محمد إبراهيم  
ت : أحمد فؤاد بليغ  
ت : سمحه الخولى  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : بشير السباعى  
ت : أميرة حسن نويرة  
ت : محمد أبو العطا وآخرون  
ت : شوقى جلال  
ت : لويس بقطر  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : طلعت الشايب  
ت : أحمد محمود  
ت : ماهر شفيق فريد  
ت : سحر توفيق  
ت : كاميليا صبحى  
ت : وجيه سمعان عبد المسيح  
ت : مصطفى ماهر  
ت : أمل الجبورى  
ت : نعيم عطية  
ت : حسن بيومى  
ت : عدلى السمرى  
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس  
١٤٦ - الورقة الحمراء ميغيل دى ليبس  
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد دورست  
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت  
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول  
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان  
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل  
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى نخبة من الكتاب  
١٥٣ - غرام الفراعنة فيولين فاتويك  
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر  
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء  
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو  
١٥٧ - خسرو وشيرين النظامى الكنجوى  
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل  
١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس  
١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش  
١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا  
١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الاسيوى  
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جوردون مارشال  
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لاکوتير  
١٦٥ - حكايات الثعلب أ . ن أفانا سيفا  
١٦٦ - العلاقات بين التينين والمانين في إسرائيل يشعياهو ليفمان  
١٦٧ - في عالم طاغور رايندرانات طاغور  
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين  
١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين  
١٧٠ - الطريق ميغيل دليبيس  
١٧١ - وضع حد فرانك بيجو  
١٧٢ - حجر الشمس مختارات  
١٧٣ - معنى الجمال ولتر ت . ستيس  
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور  
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس  
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج  
١٧٧ - أنطون تشيخوف هنرى تروايا  
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث نخبة من الشعراء  
١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب  
١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح  
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان  
ت : على عبد الرؤوف البمبى  
ت : عبد الغفار مكارى  
ت : على إبراهيم على منوفى  
ت : أسامة إسبير  
ت : منيرة كروان  
ت : بشير السباعى  
ت : محمد محمد الخطابى  
ت : فاطمة عبد الله محمود  
ت : خليل كلفت  
ت : أحمد مرسى  
ت : مى التمسانى  
ت : عبد العزيز بقوش  
ت : بشير السباعى  
ت : إبراهيم فتحى  
ت : حسين بيومى  
ت : زيدان عبد الحليم زيدان  
ت : صلاح عبد العزيز محجوب  
ت : بإشراف : محمد الجوهري  
ت : نبيل سعد  
ت : سهير المصادفة  
ت : محمد محمود أبو غدير  
ت : شكرى محمد عياد  
ت : شكرى محمد عياد  
ت : شكرى محمد عياد  
ت : بسام ياسين رشيد  
ت : هدى حسين  
ت : محمد محمد الخطابى  
ت : إمام عبد الفتاح إمام  
ت : أحمد محمود  
ت : وجيه سمعان عبد المسيح  
ت : جلال البنا  
ت : حمزة إبراهيم منيف  
ت : محمد حمدى إبراهيم  
ت : إمام عبد الفتاح إمام  
ت : سليم عبدالأمير حمدان  
ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس  
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه چيلسون  
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام هانز إيندورفر  
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن  
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنوود  
١٨٧ - الأرضة بُزُجْ علوى  
١٨٨ - موت الأدب الفين كرنان  
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان  
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس  
١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام  
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك زين العابدين المراغى  
١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز  
١٩٤ - مخترعات من التقى الأجل - أمريكى مجموعة من النقاد  
١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح  
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالنتين راسيوتين  
١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى  
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون  
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندواى  
٢٠٠ - ضحايا التنمية جيزمى سيبروك  
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس  
٢٠٢ - تاريخ النقد الألبى الحديث جء رينيه ويليك  
٢٠٣ - الشعر والشاعرية أطاف حسين حالى  
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شاناز  
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى - سفورزا  
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك  
٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز  
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان  
٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين  
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى  
٢١١ - قردبنان دوسوسير جونانان كلر  
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين  
٢١٣ - مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ريمون فلور  
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيدنز  
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جء زين العابدين المراغى  
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين  
٢١٧ - مسرحيتان طليعتان صمويل بيكيت  
٢١٨ - رايولا خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ  
ت : فتحى العشرى  
ت : دسوقى سعيد  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : إمام عبد الفتاح إمام  
ت : علاء منصور  
ت : بدر الديب  
ت : سعيد الغامى  
ت : محسن سيد فرجاني  
ت : مصطفى حجازى السيد  
ت : محمود سلامة علاوى  
ت : محمد عبد الواحد محمد  
ت : ماهر شفيق فريد  
ت : محمد علاء الدين منصور  
ت : أشرف الصباغ  
ت : جلال السعيد الحفناوى  
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم  
ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد  
ت : فخرى لييب  
ت : أحمد الأنصارى  
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد  
ت : جلال السعيد الحفناوى  
ت : أحمد محمود هويدي  
ت : أحمد مستجير  
ت : على يوسف على  
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف  
ت : محمد أحمد صالح  
ت : أشرف الصباغ  
ت : يوسف عبد الفتاح فرج  
ت : محمود حمدي عبد الغنى  
ت : يوسف عبد الفتاح فرج  
ت : سيد أحمد على الناصرى  
ت : محمد محمود محى الدين  
ت : محمود سلامة علاوى  
ت : أشرف الصباغ  
ت : نادية البنهاوى  
ت : على إبراهيم على منوفى

- ٢١٩ - بقايا اليوم  
٢٢٠ - الهولوية فى الكون  
٢٢١ - شعرية كفاى  
٢٢٢ - فرانز كافكا  
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر  
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا  
٢٢٥ - حكاية غريق  
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى  
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر  
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن  
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد  
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر  
٢٣١ - الدرافيل  
٢٣٢ - مابعد المعلومات  
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال  
٢٣٤ - الإسلام فى السودان  
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١  
٢٣٦ - الولاية  
٢٣٧ - مصر أرض الوادى  
٢٣٨ - العولة والتحرير  
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى  
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار  
٢٤١ - فى انتظار البرابرة  
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض  
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١  
٢٤٤ - الغليان  
٢٤٥ - نساء مقاتلات  
٢٤٦ - قصص مختارة  
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر  
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء  
٢٤٩ - لغة التمزيق  
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم  
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢  
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية  
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية  
٢٥٤ - الفلسفة  
٢٥٥ - أفلاطون
- كازو ايشجودو  
بارى باركر  
جريجورى جوزدانيس  
رونالد جراى  
بول فيرابنر  
برانكا ماجاس  
جابريل جارثيا ماركث  
ديفيد هريت لورانس  
موسى مارديا ديف بوركى  
جانيت وولف  
نورمان كيما  
فرانسواز جاكوب  
خايمى سالوم بيدال  
توم ستينر  
أرثر هيرمان  
ج. سبنسر تريمينجهام  
جلال الدين الرومى  
ميشيل تود  
روبين فيدين  
الانكتاد  
جيلرافر - رايوخ  
كامى حافظ  
ك. م كويتز  
وليام إمبسون  
ليفى بروفنسال  
لاورا إسكيبييل  
إليزابيتا أديس  
جابريل جرتيا ماركث  
ولتر أمبرست  
أنطونيو جالا  
دراجو شتامبوك  
دومنيك فينك  
جورنون مارشال  
مارجو بدران  
ل. أ. سيمينوفا  
ديف روينسون وجودى جروفز  
ديف روينسون وجودى جروفز
- ت : طلعت الشايب  
ت : على يوسف على  
ت : رفعت سلام  
ت : نسيم مجلى  
ت : السيد محمد نفاى  
ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد  
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله  
ت : طاهر محمد على البربرى  
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله  
ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن  
ت : أمير إبراهيم العمرى  
ت : مصطفى إبراهيم فهمى  
ت : جمال أحمد عبد الرحمن  
ت : مصطفى إبراهيم فهمى  
ت : طلعت الشايب  
ت : فؤاد محمد عكود  
ت : إبراهيم الدسوقى شتا  
ت : أحمد الطيب  
ت : عنايات حسين طلعت  
ت : ياسر محمد جاد الله وعربى منبولى أحمد  
ت : تانية سليمان حافظ وإيهاب صلاح قايق  
ت : صلاح عبد العزيز محمود  
ت : ابتسام عبد الله سعيد  
ت : صبرى محمد حسن عبد النبى  
ت : مجموعة من المترجمين  
ت : نادية جمال الدين محمد  
ت : توفيق على منصور  
ت : على إبراهيم على منوفى  
ت : محمد الشرقاوى  
ت : عبد اللطيف عبد الحليم  
ت : رفعت سلام  
ت : ماجدة أباطة  
ت : بإشراف : محمد الجوهري  
ت : على بدران  
ت : حسن بيومى  
ت : إمام عبد الفتاح إمام  
ت : إمام عبد الفتاح إمام

- ٢٥٦ - ديكارت ديف روبنسون وجودي جروفز ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة وايم كلى رايت ت : محمود سيد أحمد
- ٢٥٨ - العجر سير أنجوس فريزر ت : عبادة كحيلة
- ٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني نخبة ت : فاروجان كازانچيان
- ٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢ جوربون مارشال ت بإشراف : محمد الجوهري
- ٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود زكي نجيب محمود ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ٢٦٢ - مدينة المعجزات إيوارد مندوثا ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن چون جرين ت : على يوسف على
- ٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة هوراس / شلى ت : لويس عوض
- ٢٦٥ - روايات مترجمة أوسكار وايلد وصموئيل جونسون ت : لويس عوض
- ٢٦٦ - مدير المدرسة جلال آل أحمد ت : عادل عبد المنعم سويلم
- ٢٦٧ - فن الرواية ميلان كونديرا ت : بدر الدين عرودىكى
- ٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج ٢ جلال الدين الرومى ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١ وايم جيفور بالجريف ت : صبرى محمد حسن
- ٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢ وايم جيفور بالجريف ت : صبرى محمد حسن
- ٢٧١ - الحضارة الغربية توماس سى . ياترسون ت : شوقى جلال
- ٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر س. س. والترز ت : إبراهيم سلامة
- ٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط جوان آر. لوك ت : عنان الشهاوى
- ٢٧٤ - السيدة بريارا رومولو جلاجوس ت : محمود على مكى
- ٢٧٥ - س. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا أقلام مختلفة ت : ماهر شفيق فريد
- ٢٧٦ - فنون السينما فرانك جوتيران ت : عبد القادر التلمسانى
- ٢٧٧ - الجنات : الصراع من أجل الحياة بريان فورد ت : أحمد فوزى
- ٢٧٨ - البدايات إسحق عظيموف ت : ظريف عبد الله
- ٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية فرانسيس ستونر سوندرز ت : طلعت الشايب
- ٢٨٠ - من الألب الهندى الحديث والمعاصر بريم شند وأخرون ت : سمير عبد الحميد
- ٢٨١ - الفردوس الأعلى مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى ت : جلال الحفناوى
- ٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وأبيرت ت : سمير حنا صادق
- ٢٨٣ - السهل يحترق خوان روافو ت : على البمبى
- ٢٨٤ - هرقل مجنوناً يوريببديس ت : أحمد عثمان
- ٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى حسن نظامى ت : سمير عبد الحميد
- ٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢ زين العابدين المراغى ت : محمود سلامة علاوى
- ٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى أنتونى كينج ت : محمد يحيى وأخرون
- ٢٨٨ - الفن الروائى ديفيد لودج ت : ماهر البطوطى
- ٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص ت : محمد نور الدين
- ٢٩٠ - علم اللغة والترجمة جورج مونات ت : أحمد زكريا إبراهيم
- ٢٩١ - المسرح الإيبانى فى القرن العشرين ج ١ فرانشيسكو رويس رامون ت : السيد عبد الظاهر
- ٢٩٢ - المسرح الإيبانى فى القرن العشرين ج ٢ فرانشيسكو رويس رامون ت : السيد عبد الظاهر

ت : نخبة من المترجمين	روجر آلان	٢٩٢ - مقدمة للأدب العربي
ت : رجاء ياقوت صالح	بوالو	٢٩٤ - فن الشعر
ت : بدر الدين حب الله الديب	جوزيف كامبل	٢٩٥ - سلطان الأسطورة
ت : محمد مصطفى بدوي	وايم شكسبير	٢٩٦ - مكبث
ت : ماجدة محمد أنور	ديوتيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية
ت : مصطفى حجازي السيد	أبو بكر تقاوإبليوه	٢٩٨ - مأساة العبيد
ت : هاشم أحمد فؤاد	جين ل. ماركس	٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية
ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين	لويس عوض	٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج١
ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي	لويس عوض	٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج٢
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جون هيتون وجودي جروفز	٣٠٢ - فنجنشتين
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب وبيرون فان لون	٣٠٣ - بوذا
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٣٠٤ - ماركس
ت : صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٣٠٥ - الجلد
ت : نبيل سعد	جان - فرانسوا ليوتار	٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ
ت : محمود محمد أحمد	ديفيد بابينو	٣٠٧ - الشعور
ت : معنوح عبد المنعم أحمد	ستيف جونز	٣٠٨ - علم الوراثة
ت : جمال الجزيري	انجوس چيلاتي	٣٠٩ - الذهن والمخ
ت : محيي الدين محمد حسن	ناجي هيد	٣١٠ - يونج
ت : فاطمة إسماعيل	كوانجود	٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي
ت : أسعد حليم	وايم دي بوز	٣١٢ - روح الشعب الأسود
ت : عبد الله الجعدي	خاير بيان	٣١٣ - أمثال فلسطينية
ت : هويدا السباعي	جينس مينيك	٣١٤ - الفن كعدم
ت : كاميليا صبحي	ميشيل بروندينو	٣١٥ - جرامشي في العالم العربي
ت : نسيم مجلى	أ. ف. ستون	٣١٦ - محاكمة سقراط
ت : أشرف الصباغ	شير لايموفا - زنيكين	٣١٧ - بلاغ
ت : أشرف الصباغ	نخبة	٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة
ت : حسام نايل	جايتير ياسيفاك وكريستوفر نوريس	٣١٩ - صور دريدا
ت : محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٣٢٠ - لعبة السراج لحضرة التاج
ت : نخبة من المترجمين	ليفى برو فنسال	٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢
ت : خالد مقلح حمزة	دبليو. إيوجين كلينباور	٣٢٢ - وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي
ت : هانم سليمان	تراث يوناني قديم	٣٢٣ - فن الساتورا
ت : محمود سلامة علاوي	أشرف أسدي	٣٢٤ - اللعب بالنار
ت : كريستين يوسف	فيليب بوسان	٣٢٥ - عالم الآثار
ت : حسن صقر	جورجين هابرماس	٣٢٦ - المعرفة والمصلحة
ت : توفيق على منصور	نخبة	٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة
ت : عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	٣٢٨ - يوسف وزليخة
ت : محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد

- ٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد  
٣٣١ - عندما جاء السردين ستيفن جراى  
٣٣٢ - رحلة شهر الصل وقصص أخرى نخبة  
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا نيل مطر  
٣٣٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك  
٣٣٥ - عصر الشك ناتالى ساروت  
٣٣٦ - متون الأهرام نصوص قديمة  
٣٣٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس  
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة  
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢ على أصغر حكمت  
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو  
٣٤١ - قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه  
٣٤٢ - سلامان وأبسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد  
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمر  
٣٤٤ - الموت فى الشمس بيتر بلانجوه  
٣٤٥ - الركض خلف الزمن بونه ندائى  
٣٤٦ - سحر مصر رشاد رشدى  
٣٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتو  
٣٤٨ - المتصوفة الأبرار فى الألب التركى جا محمد فؤاد كوبريلى  
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدرون وآخرين  
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة  
٣٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس  
٣٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس  
٣٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (متنسية) باسيليو بابون مالدونالد  
٣٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية) باسيليو بابون مالدونالد  
٣٥٥ - التيارات السياسية فى إيران حجت مرتضى  
٣٥٦ - الميراث المر بؤل بسالم  
٣٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة  
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية نخبة  
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس أفلاطون  
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان  
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة ألان جرينجر  
٣٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شيورال  
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقى ريتشارد جيبسون  
٣٦٤ - حادثة شكسبير إسماعيل سراج الدين  
٣٦٥ - سأم باريس شارل بودلير  
٣٦٦ - نساء يزكضن مع الذئاب كلاريسا بنكولا
- ت : سامى صلاح  
ت : سامية دياب  
ت : على إبراهيم على منوفى  
ت : بكر عباس  
ت : مصطفى فهمى  
ت : فتحى العشرى  
ت : حسن صابر  
ت : أحمد الأنصارى  
ت : جلال السعيد الحفناوى  
ت : محمد علاء الدين منصور  
ت : فخرى لبيب  
ت : حسن حلمى  
ت : عبد العزيز بقوش  
ت : سمير عبد ربه  
ت : سمير عبد ربه  
ت : يوسف عبد الفتاح فرج  
ت : جمال الجزيرى  
ت : بكر الحلو  
ت : عبد الله أحمد إبراهيم  
ت : أحمد عمر شاهين  
ت : عطية شحاتة  
ت : أحمد الأنصارى  
ت : نعيم عطية  
ت : على إبراهيم على منوفى  
ت : على إبراهيم على منوفى  
ت : محمود سلامة علاوى  
ت : بدر الرفاعى  
ت : عمر الفاروق عمر  
ت : مصطفى حجازى السيد  
ت : حبيب الشارونى  
ت : لىلى الشريبنى  
ت : عاطف معتمد وأمال شاور  
ت : سيد أحمد فتح الله  
ت : صبرى محمد حسن  
ت : نجلاء أبو عجاج  
ت : محمد أحمد حمد  
ت : مصطفى محمود محمد



ت : البراق عبد الهادي رضا	نخبة	٣٦٧ - القلم الجريء
ت : عابد خزندار	جيرالد برنس	٣٦٨ - المصطلح السردي
ت : فوزية العشماوي	فوزية العشماوي	٣٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ
ت : فاطمة عبد الله محمود	كليرلا لويت	٣٧٠ - الفن والحياة في مصر الفرعونية
ت : عبد الله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	٣٧١ - المتصورة الأولى في الأدب التركي ج٢
ت : وحيد السعيد عبد الحميد	وانغ مينغ	٣٧٢ - عاش الشباب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ٧٢٥٥ / ٢٠٠٢



## عاش الشبان

من روائع الأدب الصيني

رواية «عاش الشبان» من عيون الأدب الصيني الحديث، وهي باكورة الإنتاج الأدبي للكاتب والروائي الكبير «وانغ مينغ». وقد شرع في كتابتها في عام 1952، حيث كانت إرهابيات العمل الوطني في البناء والتعمير أخذة في التبلور، والمجتمع يشهد تحولا كبيرا، والأمل والطموحات التي تصاحب قيام الثورات والتحرر بدأت تراود الناس وتحالفت بشاعرهم، كل ذلك دفعه إلى كتابة هذه الرواية تعبيرا عن تلاحم جيل الشبان مع الثورة ومع التحرير ومع الحزب، وتعبيرا عن أفكارهم واتجاهاتهم وروحهم الوطنية وآمالهم العريضة في بناء الصين الجديدة.

وقد اختار الكاتب طالبات أحد فصول المدرسة الثانوية التابعة للبنات في بكين كشخصيات رئيسية لرسم أحداث هذه الرواية، وتمكن قلمه الرشيق من سبر أعوار الحياة الطلابية خلال هذه الفترة بما تعكسه من آمال وطموحات وأحلام جميلة في عهد مبين.

ويلاحظ القارئ بتعدد يمكن القول إن رواية «عاش الشبان» هي إحدى الإبداعات الأدبية القيمة التي واكبت قيام الصين الجديدة، وعكست حياة المجتمع الصيني بما فيه من الأمل وآمال وتطلعات وإيجابيات خلال تلك الحقبة من حياة هذا الشعب العظيم.

المركز  
الأدبي  
للشباب

